البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان
الغرناطي الأندلسي
٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

فادي المغربي

الجزء السادس عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD. Publishers

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة(١) النور(٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ
مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ
ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ
أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ
ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ
فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم
مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ
لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم

(١) قبلها في (ت): بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم.
(٢) بعدها في المطبوع: أربع وستون آية مدنية.

مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ
ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟
ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ
أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ
(٢٥) ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)﴾.

* * *

التفسير ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ
مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ
ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ
أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٦) وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ (٧) وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٨) وَٱلْخَٰمِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ (١٠)﴾.

هذه السورةُ مدنيَّةٌ بلا خلاف.

ولمَّا ذكر تعالى في مشركي قريش: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: أعمالٌ سيِّئةٌ ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، واستطردَ بعد ذلك إلى أحوالهم واتِّخاذِهم الولدَ

والشريكَ، وإلى[١] مآلهم في النَّار، كان من أعمالهم السيِّئةِ أنَّه كان لهم جَوارٍ بغايا يستحسنون عليهنَّ، ويأكلونَ من كسبهنَّ من الزِّنى، فأنزلَ اللهُ أوَّلَ هذه السورة تغليظاً في أمر الزنى. وكان فيما ذُكِرَ ـ وكأنَّه لا يصحّ ـ ناسٌ من المسلمين همُّوا بنكاحهنَّ.

وقرأ الجمهور: «سورةٌ» بالرفع، فجوَّزوا[٢] أنْ يكونَ خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هذهِ سورةٌ، أو مبتدأً محذوفَ الخبر، أي: فيما أوحينا إليك، أو فيما يتلى عليكم.

وقال ابنُ عطية: ويجوز أنْ يكون مبتدأ، والخبر «الزانيةُ والزاني» وما بعد ذلك، والمعنى: السورةُ المنزلةُ المفروضةُ[٣] كذا وكذا، إذ السورةُ عبارةٌ عن آياتٍ مسرودةٍ، لها بدءٌ وختم، إلَّا أن يكون المبتدأ ليس بالبيِّن أنَّه الخبرُ، إلَّا أن يُقَدَّرَ الخبرُ في السورة كلِّها. وهذا بعيدٌ في القياس «وأنزلناها» في هذه الأعاريب في موضع الصفة. انتهى.

وقرأ عمرُ[٤] بن عبد العزيز، ومجاهد، وعيسى بنُ عمر الثقفيُّ البصريُّ، وعيسى بنُ عمر الهَمْدانيُّ الكوفيُّ، وابنُ أبي عبلة، وأبو حيوة، ومحبوب عن أبي عمرو، وأمُّ الدرداء: «سورةً» بالنَّصْب[٥]، فخُرِّجَ على إضمار فعلٍ، أي: أتلو سورةً، «وأنزلناها» صفة.

قال الزمخشريُّ: أو على: دونك سورةً[٦]. فنَصَبَ على الإغراء، ولا يجوزُ حذفُ أداة الإغراء.

---

(١) في (ت) و(يه): وآل.
(٢) في (ت) و(يه): فجوز.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: والمفروضة. والمثبت من (ت) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٠.
(٤) في (ت) و(يه) والدر المصون ٨/ ٣٧٨: الحسن. والمثبت من (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع والمصادر الآتية. وانظر تفسير الآلوسي ١٨/ ١٦٦.
(٥) انظر القراءة في مختصر في الشواذ لابن خالويه ص١٠٠، والمحتسب ٢/ ٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٠، وزاد المسير ٦/ ٤. ولم أقف عليها عن أبي حيوة.
(٦) الكشاف ٣/ ٤٦.

وأجازوا أن يكون من باب الاشتغال، أي: أنزلنا سورةً أنزلناها، فـ «أنزلناها» مفسِّرةٌ لـ: أنزلنا، المضمرة، فلا موضعَ لها[١] من الإعراب. إلَّا أنَّه فيه الابتداءُ بالنكرة[٢] من غير مسوِّغ، إلَّا إن اعتُقد حذفُ وصفٍ، أي: سورةٌ معظَّمَةٌ أو موضحةٌ أنزلناها، فيجوزُ ذلك.

وقال الفرَّاء: «سورةٌ» حالٌ من الهاء والألف، والحال من المكني يجوزُ أن يتقدَّم عليه. انتهى[٣]. فيكون الضَّميرُ المنصوب في «أنزلناها» ليس عائداً على «سورة»، وكأنَّ المعنى: أنزلنا الأحكامَ وفرضناها سورةً، أي: في حال كونها سورةً من سور القرآن، فليست هذه الأحكام ثابتةً بالسنَّة فقط، بل بالقرآن والسُّنَّة.

وقرأ الجمهور: «وفرضناها» بتخفيفِ الرَّاء، أي: فرضنا أحكامَها وجعلناها واجبةً مقطوعاً[٤] بها. وقيل: وفرضنا العملَ بما فيها.

وقرأ عبدُ الله وعمرُ بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وأبو عمرو وابنُ كثير بتشديد الراء[٥]، إمَّا للمبالغة في الإيجاب، وإمَّا لأنَّ فيها فرائضَ شتى، أو لكثرةِ المفروض عليهم.

قيل: وكلُّ أمرٍ ونهيٍ في هذه السورة فهو فرضٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أمثالاً ومواعظَ وأحكاماً ليس فيها مُشْكِلٌ يحتاجُ إلى تأويل.

وقرأ الجمهور: «الزانيةُ والزاني» بالرفع، وعبد الله: «والزان» بغير ياء[٦]،

(١) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: مفسر... له.
(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٣٧٨: ومعنى ذلك أنَّه ما من موضع يجوز فيه النصبُ على الاشتغال إلا ويجوز أن يُرْفَع على الابتداء.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٤. وانظر تفسير القرطبي ١٥/ ١٠٢.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: متطوعاً. وانظر الكشاف ٣/ ٤٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٠ وليس فيه ذكر قتادة. وقراءة أبي عمرو وابن كثير في السبعة ص٤٥٢، والتيسير ص١٦١.
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٥، ومختصر في الشواذ لابن خالويه ص١٠٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٠.

ومذهبُ سيبويه[١] أنَّه مبتدأٌ، والخبر محذوفٌ، أي: فيما يُتْلى عليكم حكمُ الزانية والزاني، وقوله: «فاجلدوا» بيانٌ لذلك الحكم.

وذهبَ الفرَّاء والمبرِّدُ والزَّجَّاج إلى أنَّ الخبرَ «فاجلدوا»[٢]، وجوَّزهُ الزمخشريُّ[٣]. وسببُ الخلافِ هو أنَّه عند سيبويه لا بدَّ أن يكون المبتدأ الداخلُ الفاءَ في خبره موصولاً بما يقبلُ أداةَ الشرط لفظاً أو تقديراً، واسمُ الفاعل واسم المفعول لا يجوزُ أن تدخلَ عليه أداةُ الشرط، وغيرُ سيبويه ممَّن ذكرنا لم يشترط ذلك، وتقريرُ المذهبين والترجيحُ مذكورٌ في النحو.

وقرأ عيسى الثقفيّ ويحيى بن يعمر[٤] وعمرو بن فائد وأبو جعفر[٥] وشيبة وأبو السَّمَّال ورويس: «الزانيةَ والزانيَ» بنصبهما على الاشتغال[٦]، أي: واجلدوا الزانيةَ والزاني، كقولك: زيداً فاضربه، ولدخول الفاء تقريرٌ ذُكِرَ في علم النحو، والنصبُ هنا أحسنُ منه في «سورةٌ أنزلناها»؛ لأجل الأمر[٧].

وتضمَّنت هذه السورةُ أحكاماً كثيرةً فيما يتعلَّق بالزنى، ونكاح[٨] الزواني، وقذف المُحصنات، والتلاعن، والحجاب، وغير ذلك، فبُدِئ بالزنى لقبحه وما يحدثُ عنه من المفاسد والعار، وكان قد فشا[٩] في العرب، وصار من إمائهم أصحابُ راياتٍ.

---

(١) في الكتاب ١/ ١٤٢-١٤٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠٦ و٢/ ٢٤٤، والكامل ٢/ ٨٢٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٧. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٦١ وعنه نقل المصنف.

(٣) في الكشاف ٣/ ٤٧.

(٤) قوله: يعمر. مكانه في (ت) و(يه) بياض.

(٥) قوله: وأبو جعفر. ليس في (ت).

(٦) القراءة عن عيسى ويحيى وعمرو في مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص١٠٠، وهي في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٧، والمحتسب ٢/ ١٠٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٠٣ عن عيسى الثقفي. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥ لأبي رزين العقيلي وأبي الجوزاء وابن أبي عبلة وعيسى الثقفي.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ٤٧.

(٨) في (أ): وإنكاح.

(٩) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: نشأ. والمثبت من (ت) و(يه).

وقُدِّمت الزانيةُ على الزاني؛ لأنَّ داعيتَها أقوى؛ لقوَّة شهوتها، ونقصان عقلها، ولكون زناها أفحشَ وأكثر عاراً، وللعلوق بولد الزنى، وحال النساء الحُجْبَةُ والصيانة[١].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: لم[٢] قُدِّمت الزانيةُ على الزاني أوّلاً، ثمَّ قُدِّم عليها ثانياً؟ قلت: سيقتْ تلك الآيةُ لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأةُ هي[٣] المادةُ التي منها نشأت الجنايةُ، فإنَّها لو لم تُطْمِع الرجلَ ولم تومِض[٤] له، ولم تمكِّنه، لم يطمع ولم يتمكَّن، فلمَّا كانت أصلاً وأوَّلاً في ذلك بُدِئ بذكرها، وأمَّا الثانية فمسوقةٌ لذكر النِّكاحِ، والرجلُ أصلٌ فيه؛ لأنَّه هو الراغبُ والخاطب، ومنه يَبدأ الطلبُ. انتهى[٥].

ولا يتمُّ[٦] هذا الجوابُ في الثانية إلَّا إذا حُمِل[٧] النكاح على العقد لا على الوطء.

و«أل» في «الزانية والزاني» للعموم في جميع الزناة.

وقال ابن سلَّام وغيره: هو مختصٌّ بالبِكْرين[٨].

والجَلْدُ: إصابة الجِلْد بالضَّرْب، كما تقول: رَأَسَه وبَطَنَهُ وظَهَرَه[٩]، أي: ضربَ رأسه وبطنه وظهره[١٠]. وهذا مطَّرِدٌ في أسماء الأعيان الثلاثيَّة العُضْويَّة.

والظاهرُ اندراجُ الكافر والعبد والمُحْصَن في هذا العموم، وهو لا يندرجُ فيه

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٠٤.
(٢) قوله: لم. من (ت). وفي الكشاف: كيف.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: على.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: تربض، وفي (يه): تمص. والمثبت من (ت) والكشاف.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٩-٥٠.
(٦) في (ت) و(يه): ولا يصح.
(٧) في (ت) و(يه): جعل.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٦١.
(٩) الكشاف ٣/ ٤٧.
(١٠) قوله: أي ضرب رأسه وبطنه وظهره. ليس في (ت) و(يه).

المجنونُ ولا الصبيُّ بإجماعٍ[١].

وقال ابنُ سلَّام وغيره: واتفقَ فقهاءُ الأمصار على أنَّ المحصَن يُرْجَمُ ولا يُجْلَد[٢].

وقال الحسنُ وإسحاق وأحمد وداود[٣]: يُجْلَد ثمَّ يرجَم[٤]، وجَلدَ عليٌّ رضي الله عنه شُرَاحة الهَمْدَانيَّة، ثمَّ رجمَها، وقال: جلدتُها بكتابِ اللهِ، ورجمتُها بسنَّةِ رسولِ الله ﷺ[٥]، ولا حجَّة في كونِ مرجومَةِ أُنيس والغامديَّة[٦] لم يُنْقَل جلدُهما؛ لأنَّ ذلك معلومٌ من أحكام القرآن، فلا ينقل إلَّا ما كان زائداً على القرآن، وهو الرجم، فلذلك ذُكِرَ الرجمُ، ولم يذكر الجلد[٧].

ومذهبُ أبي حنيفةَ أنَّ من شرطِ الإحصان الإسلام، ومذهبُ الشافعيِّ أنَّه ليسَ بشرطٍ[٨].

واتَّفقوا على أنَّ الأمَةَ تُجْلَدُ خمسين، وكذا العبدُ على مذهب الجمهور. وقال أهل الظاهر: يُجْلدُ العبدُ مئةً[٩]. ومنهم من قال: تجلدُ الأمة مئةً إلَّا إذا تزوَّجت فخمسين.

---

(١) وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ١٠٥ عن الجمهور أنهم استدلوا على أن الآية غير عامة بخروج العبيد والإماء منها.

(٢) كذا، ولم أقف عليه عن ابن سلام. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، وفيه ذكر القول بأن المحصن يرجم ولا يجلد عن جمهور الأمة، وذكر بعده قول ابن سلام السالف قريباً.

(٣) قوله: وداود. من (ت) و(يه).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٣٥.

(٥) سلف عند تفسير الآية (١٦) من سورة النساء.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٠٤٢)، والبخاري (٦٨٢٧-٦٨٢٨)، ومسلم (١٦٩٧-١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما. وأنيس هو ابن الضحاك الأسلمي، كما نقل الحافظ ابن حجر في الفتح ١٢/ ١٤٠ عن ابن عبد البر. وانظر الإصابة ١/ ١٢٣.

(٧) انظر تفسير القرطبي ٦/ ١٤٤-١٤٥. قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ١٧٧: وأجيب عما فعل عليٌّ كرم الله وجهه من الجمع بأنه رأيٌ لا يقاومُ ما ذُكِرَ من القطع عن رسول الله ﷺ، وكذا لا يقاوم إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

(٨) وكذا الأمة. انظر تفسير الرازي ٢٣/ ١٤١.

(٩) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٥٨، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٤١.

والظاهرُ اندراجُ الذمِّيين في «الزانية والزاني» فيجلدان عند أبي حنيفة والشافعيّ، وإذا كانا محصَنين يُرجمان عند الشافعي. وقال مالك: لا حدَّ عليهما[١].

والظاهرُ أنَّه ليس على الزانية والزاني حدٌّ غيرُ الجلد فقط، وهو مذهب الخوارج، وقد ثبتَ الرجمُ بالسنَّة المستفيضة، وعملَ به بعد الرسول ﷺ خلفاءُ الإسلام؛ أبو بكرٍ وعمر وعليّ، ومن الصحابة جابرٌ وأبو هريرة وبريدةُ الأسلمي وزيدُ بن خالد.

واختلفوا في التَّغريب بنَفْي البِكرِ بعد الجلد، وقال الثوريُّ والأوزاعيُّ والحسنُ بن صالح والشافعيُّ: يُنْفَى الزاني. وقال الأوزاعيُّ ومالكٌ: يُنْفَى الرجل ولا تنفى المرأة، وقال مالك: ولا ينفى العبد. [وقال الشافعي: ينفى العبد][٢] نصف سنة.

والظاهر أنَّ هذا الجلدَ إنَّما هو على من ثبتَ عليه الزِّنى، فلو وُجِدا في ثوبٍ واحدٍ، فقال إسحاق: يضربُ كلُّ واحدٍ منهما مئةَ جلدةٍ، وروي ذلك عن عمر وعليّ.

وقال عطاء والثوريُّ ومالك وأحمد: يؤدَّبان[٣]، على مذاهبهم في الأدب.

وأما الإكراه، فالمُكْرَهَةُ لا حدَّ عليها، وفي حدِّ الرجلِ المكرَهِ خلافٌ وتفصيلٌ بين أن يُكْرِهَهُ سلطانٌ فلا يُحَدّ، أو غيره فيحدّ، وهو قول أبي حنيفة، وقولُ أبي يوسف ومحمد والحسن بن صالح والشافعيّ: لا يحدُّ في الوجهين، وقولُ زفر: يحدُّ فيهما جميعاً[٤].

والظاهرُ أنَّه لا يندرجُ في الزنى مَنْ أتى امرأةً في دُبرها، ولا ذكراً، ولا بهيمةً، وقيل: يندرجُ[٥].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٢) ما بين حاصرتين من أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٥٥، وعنه نقل المصنف.
(٣) في الإشراف ٢/ ٥٥: يؤذيان. وانظر تفسير القرطبي ١٥/ ١٠٥ وعنه نقل المصنف.
(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٥٨.
(٥) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٢-٢٦٣، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٣١-١٣٣.

والمأمورُ بالجلدِ أئمَّةُ المسلمين ونوَّابُهم، واختلفوا في إقامة الخارجيّ المتغلِّب الحدودَ، فقيل: له ذلك، وقيل: لا[١]، وفي إقامة السيِّد على رقيقه، فقال ابن مسعود وابن عمر وعائشة وفاطمة والشافعيّ: له ذلك، وقال أبو حنيفة ومحمد وزُفر: لا، وقال مالك والليث: له ذلك إلَّا في القطع في السرقة، فإنَّما يقطعُه الإمام[٢].

والجَلْدُ ـ كما قلنا - ضَرْبُ الجِلْد، ولم تتعرَّضِ الآيةُ لهيئة الجالد، ولا هيئة المَجْلود، ولا لمحلِّ الجلد، ولا لصفة الآلةِ المجلودِ بها، وذلك مذكورٌ في كتب الفقه.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: أهذا حكمُ جميع الزناة والزواني، أم حكم بعضهم؟ قلت: بل هو حكمُ مَنْ ليس بمُحْصَنٍ منهم، فإنَّ المحصَنَ حكمُه الرَّجم. فإن قلت: اللفظُ يقتضي تعليقَ الحكم بجميع الزُّناة والزواني؛ لأنَّ قوله: «الزانيةُ والزاني» عامٌّ في الجميع، متناوَلُه[٣] المحصنُ وغير المحصن[٤]؟! قلت: الزانيةُ والزاني يدلَّان على الجنسين المنافيين لجنسَي العفيف والعفيفة دلالةً مطلقةً، والجنسيَّةُ قائمةٌ في الكلِّ والبعض جميعاً، فأيُّهما قَصَدَ المتكلِّم فلا عليه، كما يُفْعَل بالاسم المشترك. انتهى.

وليست دلالةُ اللفظ على الجنسين ـ كما ذكر ـ دلالةً مطلقة؛ لأنَّ دلالةَ عموم الاستغراق مباينةٌ لدلالة عموم البدل وهو الإطلاق، وليست لدلالة[٥] المشترك؛ لأنَّ دلالة العموم هي كلُّ فردٍ فرد على سبيل الاستغراق، ودلالةُ المشترك تدلُّ على فردٍ فرد لا على الاستغراق، أعني: في الاستعمال، وإن كان في ذلك خلافٌ في أصول الفقه، لكن ما ذكرته[٦] هو الذي يصحُّ في النظر واستعمال كلام العرب.

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ١٤٥.
(٢) تفسير الرازي ٢٣/ ١٤٥.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يتناوله. وفي الكشاف ٣/ ٤٧: يتناول. والمثبت من (يه).
(٤) من قوله: هذا حكم جميع الزناة والزواني.. إلى هنا ليس في (ت).
(٥) في المطبوع: كدلالة.
(٦) في (ت) و(يه): ذكرت.

وقرأ عليُّ بن أبي طالب والسُّلميُّ وابنُ مِقْسَم وداود بن أبي هند عن مجاهد: «ولا يأخذكم» بالياء[(١)]، لأنَّ تأنيثَ الرأفة مجازٌ، وحَسَّن ذلكَ الفصلُ. وقرأ الجمهورُ بالتَّاء لتأنيث الرَّأفَةِ لفظاً.

وقرأ الجمهورُ: «رَأْفَةٌ» بسكون الهمزة، وابنُ كثير بفتحها[(٢)]، وابنُ جريج بألف بعد الهمزة[(٣)]، ورويَ هذا عن عاصم وابن كثير[(٤)]، وكلُّها مصادر، أشهرُها الأوَّل.

والرأفةُ المنهيُّ أنْ تَأخُذَ المتولِّين إقامةَ الحدِّ؛ قال أبو مِجْلَز ومجاهدٌ وعكرمةُ وعطاء: هي في إسقاط الحدِّ، أي: أقيموه ولا بدَّ، وهذا[(٥)] تأويلُ ابن عُمر وابن جُبير وغيرهما، ومن مذهبهم أنَّ الحدَّ في الزنا والفِرْيَةِ والخمرِ على نحوٍ واحد[(٦)].

وقال قتادةُ وابنُ المسيَّب وغيرهما: الرأفةُ المنهيُّ عنها هي في تخفيف الضَّرب عن الزناة، ومن رأيهم أنْ يُخفَّفَ ضربُ الفريةِ والخمرِ، ويشدَّدَ ضربُ الزنى[(٧)].

وقال الزمخشريُّ: والمعنى أنَّ الواجبَ على المؤمنين أنْ يتصلَّبوا في دين الله، ويستعملوا الجدَّ والمتانةَ فيه، ولا يأخذهم اللِّينُ والهَوادةُ في استيفاء حدوده. انتهى[(٨)].

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص١٠٠ عن علي بن أبي طالب والسلمي، وفي معاني القرآن ٢/ ٢٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٦١ عن السلمي. وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٧ عن السلمي وأبي رزين والضحاك وابن يعمر والأعمش.
(٢) السبعة ص٤٥٢، والتيسير ص١٦١.
(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٠.
(٤) نسبها لعاصم ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، ولابن كثير ابنُ الجوزي في زاد المسير ٦/ ٧ وزاد الأخير نسبتها لأبي المتوكل ومجاهد وأبي عمران الجوني.
قلت: والمتواتر عن عاصم تسكين الهمزة، وعن ابن كثير فتح الهمزة.
(٥) في (أ) و(ع): ولا يدر هذا، وفي (ح): ولا يترك هذا، وفي المطبوع: ولا يدرأ هذا.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، والآثار السالفة ـ عدا قول عكرمة ـ أخرجها الطبري ١٧/ ١٤٠-١٤٢.
(٧) في (ت) و(يه): الزناة. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٦١، والآثار السالفة أخرجها الطبري ١٧/ ١٤٣.
(٨) الكشاف ٣/ ٤٧.

فهذا تحسينُ قول أبي مجلز ومن وافقَه. وقال الزهريُّ: يشدَّدُ في حَدِّ الزنى والفرية، ويخفَّفُ في حدِّ الشُّرْب[١].

وقال مجاهدٌ والشعبيُّ وابنُ زيد: في الكلام حذفٌ تقديره: ولا تأخذْكُم بهما رأفةٌ فتعطِّلوا الحدودَ ولا تقيموها[٢].

والنهيُ في الظاهر للرأفة، والمرادُ ما تدعو إليه الرأفةُ، وهو تعطيلُ الحدود أو نقصُها[٣].

ومعنى «في دين الله» في الإخلال بدين الله، أي: بشرعه. قيل: ويحتمل أن يكون الدينُ بمعنى الحكم[٤].

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ تنبيهٌ[٥] وحضٌّ وتهييجٌ للغضب لله ولدينه، كما تقول: إن كنتَ رجلاً فافعل كذا[٦].

وأمرَ تعالى بحضور جلدِهما طائفة إغلاظاً على الزُّناة، وتوبيخاً لهم بحضرة الناس.

وسُمِّيَ الجَلْدُ عذاباً؛ إذ فيه إيلامٌ وافتضاحٌ، وهو عقوبةٌ على ذلك الفعل.

والطائفةُ المأمورُ بشهودِها ذلك يدلُّ الاشتقاقُ على ما يكون يَطوفُ بالشيء، وأقلُّ ما يُتَصوَّر ذلك فيه ثلاثة، وهي صفةٌ غالبةٌ؛ لأنَّها الجماعةُ الحافَّة بالشيء[٧]، وعن ابن عباس وابن زيد في تفسيرها: أربعةٌ إلى أربعين. وعن الحسن: عشرة. وعن قتادة والزهريّ: ثلاثةٌ فصاعداً، وعن عكرمة وعطاء: رجلان فصاعداً، وهو

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٢. وأخرجه الطبري ١٧/ ١٤٣.
(٢) زاد المسير ٦/ ٧. وأخرج أقوالهم الطبري ٧/ ١٤٠-١٤٢. وهذا القول هو عين قول أبي مجلز ومن معه، وسلف قريباً.
(٣) في (يه): بعضها.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٢.
(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: تثبيت.
(٦) لفظة: كذا. من (ح) والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٢.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ٤٨.

مشهورُ قول مالك، وعن مجاهد: الواحدُ فما فوقه[١].

واستعمالُ الضمير الذي للجمع عائداً على الطائفة في كلام العرب دليلٌ على أنَّه يُراد بها الجمع، وذلك كثيرٌ في القرآن.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الظاهرُ أنَّه خبرٌ قُصِدَ به تشنيعُ الزنى وأمرِه، ومعنى «لا ينكح»: لا يطأ، وزادَ المشركةَ في التقسيم، فالمعنى أنَّ الزاني في وقت زناه لا يجامعُ إلَّا زانيةً مِنَ المسلمين، أو أخسَّ منها وهي المشركة، والنكاح بمعنى الجماع - مرويٌّ عن ابن عباس - هنا[٢].

وقال الزمخشريُّ: وقيل: المراد بالنكاح الوَطْء، وليس بقولٍ لأمرين: أحدهما: أنَّ هذه الكلمة أينما وَردت في القرآن لم يُرَد بها إلَّا معنى العَقْد، والثاني: فساد المعنى وأداؤه إلى قولك: الزاني لا يزني إلَّا بزانيةٍ، والزانيةُ لا تزني إلّا بزانٍ. انتهى[٣].

وما ذكره من الأمر الأوَّل أخذَه من الزَّجّاج، قال: لا يعرفُ النكاح في كتاب الله إلَّا بمعنى التزويج[٤].

وليس كما قال، وفي القرآن: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وبيَّن الرسولُ ﷺ أنَّه بمعنى الوطء[٥]، وأمَّا الأمرُ الثاني فالمقصودُ به تشنيعُ الزّنى وتشنيعُ أمرِه، وأنَّه محرَّمٌ على المؤمنين.

وقال الزمخشريُّ - وأخذَهُ من الضحَّاك وحسَّنه -: الفاسقُ الخبيثُ الذي من شأنه الزنى والتَّقَحُّب[٦]، لا يرغبُ في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨ عدا قول ابن زيد والزهري وعطاء ومالك، فاستفادها المصنف من المحرر الوجيز ٤/ ١٦٢. والآثار السالفة ـ عدا قول ابن عباس ـ أخرجها الطبري ١٧/ ١٤٥-١٤٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٢، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٧/ ١٥٧، ١٥٩.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٩.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٢، وسلف بيان النبي ﷺ عند تفسير الآية (٢٣٠) من سورة البقرة.
(٦) في (أ) و(ع): والتعجب، وفي (ت) و(يه): والتفجر، وفي المطبوع: والخبث. والمثبت من (ح) والكشاف ٣/ ٤٨.

صفته، وإنَّما يرغبُ في فاسقةٍ خبيثةٍ من شكله، أو في مشركةٍ، والفاسقةُ الخبيثةُ المُسافِحةُ كذلك، لا يرغبُ في نكاحها الصُّلحاءُ من الرجال، وينفرونَ عنها، وإنَّما يرغبُ فيها مَنْ هو من شكلها مِنَ الفسَقَة والمشركين، ونكاحُ المؤمنِ ـ الممدوح عندَ الله ـ الزانيةَ، ورغبتُه فيها، وانخراطُه بذلك في سلكِ الفسقة المتَّسِمينَ بالزنى = محرَّمٌ محظور؛ لما فيه من التشبُّه بالفُسَّاق، وحضورِ موقع التُّهَمة، والتسبُّبِ لسوءِ القالةِ فيه والغيبةِ وأنواع المفاسد، ومجالسةُ الخطَّائين كم فيها من التعرُّضِ لاقتراف الآثام، فكيف بمزاوجةِ الزواني والقِحاب وإقدامه على ذلك[1]؟ انتهى[2].

وعن ابن عمر[3] وابن عباس وأصحابه أنَّها في قوم مخصوصين، كانوا يزنونَ في جاهليتهم ببغايا مشهورات، فلمَّا جاء الإسلامُ وأسلموا لم يمكنهم الزنى، فأرادوا لفقرهم زواجَ أولئك النسوة؛ إذ كنَّ من عادتهنَّ الإنفاق على مَن ارتسمَ بزواجهنَّ، فنزلت الآيةُ بسببهنَّ. والإشارة بـ «الزاني» إلى أحد أولئك، أطلقَ عليه اسمَ الزِّنى الذي كان في الجاهلية. وقوله: «لا ينكح» أي: لا يتزوَّج.

وعلى هذا التأويل[4] فيه معنى التفجُّع عليهم، وفيه توبيخٌ، كأنَّه يقول: الزاني

---

(١) كذا، ونص العبارة في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٨ ومخطوطه الورقة (٩٠): وقد نبَّه على ذلك بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾. اهـ. بدل قوله: وإقدامه على ذلك.

(٢) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ١٩٠: ولا يخفى أن حمل الزاني والزانية على مَن شأنهما الزنى والتقحب لا يخلو عن بعد؛ لأنهما لم يكونا بهذا المعنى، والظاهر الموافقة، وأيضاً لا يكاد يسلَّم أنَّ الغالب عدمُ رغبة من شأنه الزنى في نكاح العفائف، ورغبتُه في الزواني أو المشركات، فكثيراً ما شاهدنا كثيراً من الزناة يتحرَّون في النكاح أكثر من تحرِّي غيرهم، فلا يكاد أحدهم ينكح مَن في أقاربها شبهة زنى، فضلاً عن أن تكون فيها، وقليلاً ما سمعنا برغبة الزاني في نكاح زانية أو مشركة.

(٣) كذا في النسخ والمحرر الوجيز ـ وعنه نقل المصنف ـ ولم أقف عليه عن ابن عمر، لكن أخرج نحوه أحمد (٦٤٨٠)، (٧٠٩٩)، والنسائي في الكبرى (١١٢٩٥)، والطبري ١٧/ ١٥٠، والواحدي في أسباب النزول ص٣٢٧-٣٢٨.
وأخرجه عن ابن عباس الطبري ١٧/ ١٥٣.

(٤) في (أ): وعلى هذا التأويلين. وفي المطبوع: وعلى هذين التأويلين. وأصابها سواد في (ح) والمثبت من (ت) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٣ وعنه نقل المصنف.

لا يريدُ أن يتزوَّجَ إلَّا زانيةً أو مشركةً، أي: تنزعُ[١] نفوسُهم إلى هذه الخسائس؛ لقلَّة انضباطهم.

ويَرِدُ على هذا التأويل[٢] الإجماعُ على أنَّ الزانيةَ لا يجوزُ أن يتزوَّجها مشركٌ، ثمَّ قوله[٣]: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نكاحُ أولئك البغايا، فيزعم أهل هذا التأويل[٤] أنَّ نكاحهنَّ حرَّمه الله على أمَّة محمدٍ ﷺ[٥].

وقال الحسن: المرادُ الزاني المحدود والزانيةُ المحدودة، قال: وهذا حكمٌ من الله، فلا يجوزُ لزانٍ محدودٍ أن يتزوَّجَ إلَّا زانيةً. وقد رُوي أنَّ محدوداً تزوَّجَ غيرَ محدودةٍ، فردَّ عليُّ بن أبي طالب نكاحها[٦].

«وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين» يريد الزنى، ورَوى الزهراويّ[٧] في هذا حديثاً من طريق أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا ينكحُ الزاني المجلودُ[٨] إلَّا مثلَه»[٩]. قال ابنُ عطية: وهذا حديثٌ لا يصحُّ[١٠]، وقولٌ فيه نظر، وإدخالُ المشركِ في الآية

---

(١) في (ت): تفزع.

(٢) في (أ) و(ح): هذا التأويلين. وفي المطبوع: هذين التأويلين. والمثبت من (ت) و(ع) و(يه).

(٣) في (أ) والمطبوع: في قوله.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: هذا التأويلين. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٦٣ والكلام منه.

(٥) ورأى الآلوسي أن الإشارة إلى بعض الصحابة بلفظ «الزاني» وقد أسلموا وتابوا من الزنى محلُّ تردُّد. انظر روح المعاني ١٨/ ١٩١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٣، وقول الحسن أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٢٠٧) والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٤٠، وخبر علي ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٢٠٨).

(٧) في (أ) والمطبوع: الزهراني.

(٨) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: المحدود. والمثبت من (ت) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٣.

(٩) أخرجه أحمد (٨٣٠٠)، وأبو داود (٢٠٥٢).

(١٠) لعل تضعيف ابن عطية لهذا الحديث هو من حيث المتن، وإلَّا فلا مطعن في الحديث من جهة إسناده، قال ابن عبد الهادي في المحرر (١٠١٤): وإسناده صحيح إلى عمرو [بن شعيب]، وهو ثقةٌ محتجٌ به عند الجمهور. وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (١٠٢٩): رجاله ثقات.

وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد.

=

يردُّه، وألفاظُ الآيةِ تأباه، وإن قُدِّرت المشركةُ بمعنى الكتابيَّة فلا حيلةَ في لفظ المشرك. انتهى[١].

وقال ابنُ المسيَّب: هذا حكمٌ كان في الزناة عامَّةً؛ أنْ لا يتزوَّجَ زانٍ إلَّا زانية، ثمَّ جاءتِ الرخصةُ ونُسِخَ ذلك بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، ورُويَ ترتيبُ هذا النسخ عن مجاهد[٢]، إلَّا أنَّه قال: حُرِّمَ نكاحُ أولئكَ البغايا على أولئك النفر[٣].

قال ابنُ عطيَّة: وذِكْرُ الإشراك في الآية يُضَعِّفُ هذه المناحي. انتهى.

وعن الجبائيّ أنَّها منسوخةٌ بالإجماع، وضُعِّفَ بأنَّه ثبتَ في أصول الفقه أنَّ الإجماع لا يُنْسخُ ولا يُنْسَخُ به[٤].

وتلخَّص من هذه الأقوال أنَّ النكاحَ إن أُريدَ به الوطء فالآيةُ وردت مبالغةً في تشنيع الزنى، وإن أُريد به التزويج، فإمَّا أن يُراد به عمومٌ في الزُّناة ثمَّ نُسِخ، أو عمومٌ في الفسَّاق الخبيثين، لا يرغبونَ إلَّا فيمن هو شكلٌ لهم، والفواسقُ الخبائثُ لا يرغبنَ إلَّا فيمن هو شكلٌ لهنَّ، ولا يجوزُ التزويجُ على ما قرَّره الزمخشريُّ، أو يُراد به خصوصٌ في قوم كانوا في الجاهلية زناةً ببغايا، فأرادوا تزويجهنَّ لفقرهم وإيسارهنَّ مع بقائهنَّ على البغاء، أو خصوصٌ في الزاني المحدود[٥]، فلا يتزوَّجُ عفيفةً.

= وقال النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٤٢: وهذا الحديث يجوز أن يكون منسوخاً كما نسخت الآية في قول سعيد بن المسيب. انتهى. وسيأتي قول سعيد.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٣.

(٢) قوله: مجاهد. مكانه في (ت) و(به) بياض بمقدار ثلاث كلمات.

(٣) يعني أن سعيداً ذهب إلى أن التحريم كان عاماً ثم نسخته الرخصة، وأراد مجاهد أن التحريم لم يكن إلا على أولئك خاصة دون الناس. انظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (١٧٢) والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٣ وعنه نقل المصنف، وانظر تمام الكلام فيه. وقول سعيد بن المسيب أخرجه الشافعي في الأم ٥/ ١٠، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٧١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧١٩٣)، والطبري ١٧/ ١٦٠، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٣٨.
وقول مجاهد أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٧٢)، والبيهقي في سننه ٧/ ١٥٤.

(٤) تفسير الرازي ٢٣/ ١٥١.

(٥) قوله: أو خصوص في الزاني المحدود. من (ت) و(به).

ولو زنى رجلٌ بامرأة ثمَّ أرادَ تزوُّجَها، فأجاز ذلك أبو بكرٍ الصديق وابنُ عمر وابنُ عبَّاس وجابرٌ وطاوس وابنُ المسيَّب وجابرُ بن زيد وعطاء والحسن وعكرمة ومالك والثوريُّ والشافعيُّ، ومنعَه ابنُ مسعود والبراء بن عازب وعائشة وقالوا[١]: لا يزالان زانيين ما اجتمعا[٢].

ومن غريبِ النقل أنَّه لو تزوَّجَ معروفٌ بالزنى أو بغيره من الفسوق[٣]؛ ثبتَ الخيار في البقاء معه أو فراقه، وهو عيبٌ من العيوب التي يترتَّبُ الخيارُ عليها.

وذهبَ قومٌ إلى أنَّ الآيةَ محكمةٌ، وعندهم أنَّ من زنى من الزوجين فسدَ النكاحُ بينهما، وقال قومٌ منهم: لا ينفسخ، ويُؤمَر بطلاقها إذا زنت، فإن أمسكَها أثِم، قالوا: ولا يجوزُ التزوُّجُ بالزانية ولا من الزاني، فإن ظهرت التوبةُ جاز[٤].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: أيُّ فرقٍ بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية؟

قلت: معنى الأولى: صفةُ الزاني بكونه غيرَ راغب في العفائف، ولكن في الفواجر، ومعنى الثانية: صفتُها بكونها غير مرغوبٍ فيها للأعفَّاء، ولكن للمزناة، وهما معنيان مختلفان. وعن عمرو بن عبيد «لا ينكحْ» بالجزم[٥] على النهي والمرفوع أيضاً فيه معنى النهي، ولكن هو أبلغ وآكد، كما أنَّ: رحمَك الله، ويرحمُك الله، أبلغُ من: ليرحمْك. ويجوز أنْ يكونَ خبراً محضاً على معنى أنَّ عادتهم جاريةٌ على ذلك، وعلى المؤمن أن لا يُدخِلَ نفسَه تحت هذه العادة ويتصوَّن عنها. انتهى[٦].

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: وقالا. والمثبت من (ت) والمحرر الوجيز.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٣-١٦٤.
(٣) وذلك إذا تزوج من أهل بيت ستر، وغرَّهم من نفسه. انظر تفسير القرطبي ١٥/ ١٢١ ونقله القرطبي عن ابن خويز منداد.
(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ١٢١
(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٠.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٠.

وقرأ أبو البرهسم: «وحَرَّم» مبنيًّا للفاعل[1]، أي: الله، وزيد بن علي: «وحَرُم» بضمِّ الراء وفتح الحاء[2]، والجمهور: «وحُرِّمَ» مشدَّداً مبنيًّا للمفعول.

والقَذْفُ: الرَّمْيُ[3] بالزنى وغيره، والمراد هنا بالزنى[4]؛ لاعتقابه إيَّاه، ولاشتراط أربعة شهداء، وهو ممَّا يخصُّ القذفَ بالزِّنى؛ إذ في غيره يكفي شاهدان.

قال ابنُ جبير: ونزلت بسبب قصَّة الإفك. وقيل بسبب القَذَفة عامًّا[5].

واستُعير الرميُ للشَّتْم؛ لأنَّه إذايةٌ بالقول، كما قال:

وجُـرحُ الـلِّـسـانِ كـجُـرحِ الـيَـدِ[6]

وقال:

رَمَـانـي بـأمـرٍ كـنـتُ مـنـه ووالـدي ... بـريًّـا ومـن أجْـل الـطَّـوِيِّ رمـانـي[7]

«والمُحْصَناتُ» الظاهرُ أنَّ المرادَ النساءُ العفائف، وخصَّ النساء بذلك وإن كان الرجالُ يشركونهنَّ في الحكم؛ لأنَّ القذفَ فيهنَّ أشنعُ وأنكرُ للنفوس، ومن حيث هنَّ هوى الرِّجال، ففيه إيذاءٌ لهنَّ ولأزواجهنَّ وقراباتهنَّ.

وقيل: المعنى: الفُروج المحصنات، كما قال: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

---

(١) القراءة في المحرر الوجيز ٤/ ١٦٣ عن أبي البرهسم: «وحَرَّم الله ذلك على المؤمنين» بذكر الفاعل. وكذا ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٠، لكن نسبها لأبيّ بن كعب وأبي المتوكل وأبي الجوزاء.

(٢) زاد المسير ٦/ ١٠.

(٣) في (ت) و(يه): الذي. بدل: الرمي. وعبارة الكشاف ٣/ ٥٠: القذف يكون بالزنى وغيره.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: والمراد به هنا الزنى. والمثبت من (ت) و(يه).

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٤، وقول ابن جبير أخرجه الطبري ١٧/ ١٦٢.

(٦) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

ولـو عـن نـثـا غـيـره جـاءنـي

وهو في ديوانه ص١٨٥، وسلف عند تفسير الآية (٦٠) من سورة الأنعام.

(٧) سلف عند تفسير الآية (٢٧٠) من سورة البقرة.

وقيل: الأنفس المحصنات. وقاله ابن حزم[١]، وحكاه الزهراويُّ[٢].

فعلى هذين القولين يكون اللفظُ شاملاً للنساء وللرجال، ويدلُّ على الثاني قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤]. وثمَّ محذوف، أي: بالزنى.

وخَرج بـ «المحصنات» من ثبتَ زناها أو زناه، واستلزمَ الوصفُ بالإحصان الإسلامَ والعقلَ والبلوغَ والحريَّة. قال أبو بكر الرازي: ولا نعلمُ خلافاً بين الفقهاء في هذا المعنى[٣].

والمرادُ بالمحصنات غيرُ زوجات الزَّانين، إذ لِمَن رمى زوجتَهُ[٤] حكمٌ يأتي بعد ذلك.

والرميُ بالزنى الموجب للحدِّ هو التصريحُ، بأنْ يقول: يا زانية، أو يا زاني، أو يا ابن الزاني، وابن الزانية، يا ولد الزنا، لستَ لأبيك، لستَ لِرِشْدَة[٥]، وما أشبه ذلك من الصرائح، فلو عرَّض كأن يقول: ما أنا بزانٍ ولا أمِّي بزانية. لم يحدَّ في مذهب أبي حنيفة وزُفر وأبي يوسف ومحمد وابن شُبرمة والثوريِّ والحسن بن صالح والشافعيِّ، ويحدُّ في مذهب مالك، وثبتَ الحدُّ فيه عن عمرَ بعد مشاورته الناس[٦].

---

(١) في (ت) و(يه): ابن جريج. ونقل هذا القول ابن حزم في المحلى ١١/ ٢٧٠ ثم قال: وأما جوابنا الذي نعتمد عليه ونقطع على صحته وأنه مراد الله تعالى بالبرهان الواضح، فهو أن الله تعالى إنما أراد بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الفروج المحصنات.

(٢) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٦٤. واستبعد هذا القول السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٣٨١.

(٣) أحكام القرآن للجصاص الرازي ٣/ ٢٦٧. قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ١٩٧: ولعلَّ غيره علم كما ستعلم إن شاء الله.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: مزوجات الرامين أو لمن زوجه، وفي (ت): زوجات الزانيين ومن رمى زوجته، وفي (يه): زوجات الزانيين إذ لمن رمى زوجته، ولعل المثبت هو الصواب.

(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: لهذه، وفي (يه) بياض بمقدار كلمتين وفوقه: كذا. وفي (ت): بأمك. وبعدها بياض بمقدار كلمة. ولعل المثبت هو الصواب. وانظر الكشاف ٣/ ٥٠.

(٦) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٨، وخبر عمر أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٢٩، وعبد الرزاق في المصنف (١٣٧٢٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٩٦٥)، والدار قطني (٣٤٧٩)، والبيهقي ٨/ ٢٥٢.

وقال أحمد وإسحاق هو قذفٌ في حال الغضب دون الرضا[١].

فلو قذف كتابيًّا أو كتابيَّةً، فلا حدّ على قول الجمهور. وقال ابن المسيَّب والزهريّ وابن أبي ليلى[٢]: إذا كان للمقذوف ولدٌ مسلم. وقيل: إذا قذفَ الكتابيَّة تحت المسلم حُدَّ[٣].

واتَّفقوا على أنَّ قاذفَ الصبيّ لا يحدّ، وإن كان مثلُه يجامَع[٤] واختلفوا في قاذف الصبيّة، فقال مالك: يحدّ إذا كان مثلُها يُجَامَع[٥].

وقال مالك والليث: يحدُّ قاذفُ المجنون. وقال غيرهما: لا يحد[٦].

«والذين يَرْمون» ظاهرُه الذكور، وحكمُ الراميات حكمُهم. ولو قذف الصبيُّ أو المجنون زوجتَه أو أجنبيَّةً، فلا حدَّ عليه. أو أخرس وله كنايةٌ معروفةٌ أو إشارةٌ مفهومةٌ[٧]، حُدَّ عند الشافعيّ. وقال أبو حنيفة: لا يصحُّ قذفُه ولا لعانُه[٨].

ولما كانت معصيةُ الزنى كبيرةً من أمَّهات الكبائر، وكان متعاطيها كثيراً ما يتستَّر بها، فقلَّما يطَّلع أحدٌ عليها؛ شدَّدَ اللهُ تعالى على القاذف، حيث شرطَ فيها أربعةَ شهداء؛ رحمةً بعباده وستراً لهم، والمعنى: ثمَّ لم يأتوا الحكَّامَ.

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ١٥٢.
(٢) من قوله: أو كتابية.. إلى هنا من (ت) و(يه).
(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ١٢٥-١٢٦.
(٤) نقل اتفاقهم الجصاص في أحكام القرآن له ٣/ ٢٦٩، لكن نقل ابن المنذر في الإشراف ٢/ ٧٤ عن أحمد أن الغلام إذا بلغ عشراً يضرب قاذفه. وعن إسحاق قال: إذا قذف غلاماً يطأ مثله، فعلى قاذفه الحد. وانظر تفسير القرطبي ١٥/ ١٢٨.
وقال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٢٠٠: وأمَّا اعتبار العقل والبلوغ ففيه إجماع، إلا ما روي عن أحمد عليه الرحمة من أنَّ الصبيَّ الذي يجامع مثله محصنٌ فيحدُّ قاذفه، والأصح عنه موافقة الجماعة.
(٥) بعدها في المطبوع: وقال مالك والليث: يحد إذا كان مثلها يجامع. وهو تكرار.
(٦) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٩، وزاد المسير ٦/ ١١.
(٧) في (ت) و(يه): مذمومة.
(٨) تفسير الرازي ٢٣/ ١٥٥.

والجمهورُ على إضافة «أربعة» إلى «شهداء». وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم: «بأربعةٍ» بالتنوين[١]. وهي قراءةٌ فصيحةٌ؛ لأنَّه إذا اجتمعَ اسمُ العدد والصفة كان الإتباعُ أجودَ من الإضافة، ولذلك رجَّحَ ابنُ جنِّي[٢] هذه القراءةَ على قراءة الجمهور من حيثُ أخذ مُطْلَق الصِّفة. وليس كذلك؛ لأنَّ الصفةَ إذا جَرت مَجرى الأسماء وباشرتها العواملُ، جرت في العدد وفي غيره مجرى الأسماء، ومن ذلك: «شهيد»، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]، وقوله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكذلك عبد، فـ: ثلاثة شهداء، بالإضافة أفصحُ من التنوين والإتباع، وكذلك: ثلاثة أعبد.

وقال ابنُ عطية: وسيبويه يرى أنَّ تنوينَ العدد وترك إضافته إنَّما يجوزُ في الشعر. انتهى[٣].

وليس كما ذكر، إنَّما يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعدَه اسم، نحو: ثلاثة رجال، وأمَّا في الصفة فلا، بل الصحيحُ التفصيل الذي ذكرناه[٤].

وإذا نونتَ «أربعة»، فـ «شهداء» بدلٌ؛ إذ هو وصفٌ جرى مجرى الأسماء، أو صفةٌ؛ لأنَّه صفةٌ حقيقةٌ[٥]، ويُضَعَّفُ قولُ من قال: إنَّه حالٌ أو تمييز.

وهذه الشهادةُ تكون بالمُعاينة البليغة، كالمِرْوَد في المُكْحُلة.

والظاهرُ أنَّه لا يشترطُ شهادتُهم أنْ تكون حالةَ اجتماعهم، بل لو أُتي بهم متفرِّقينَ صحَّت شهادتهم.

وقال أبو حنيفة: شرطُ ذلك أنْ يشهدُوا مجتمعين، فلو جاؤوا متفرِّقين كانوا قَذَفَةً[٦].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٠، والمحتسب ٢/ ١٠١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٤.
(٢) في المحتسب ٢/ ١٠١
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٤.
(٤) انظر الكتاب ١/ ٢٠٦.
(٥) في المطبوع: حقيقية.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٠، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٥٨.

والظاهرُ أنَّه يجوزُ أن يكون أحدُ الشهودِ زوجَ المقذوفة؛ لاندراجه في «أربعة شهداء»، ولقوله: ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، ولم يفرِّق بين كونِ الزوج فيهم وبين أن يكونوا أجنبيين، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، وتحدُّ المرأة، ورويَ ذلك عن الحسن والشعبيّ. وقال مالكٌ والشافعيُّ: يُلاعِنُ الزوجُ، ويُحَدُّ الثلاثة، ورويَ مثلُه عن ابن عباس[١].

«فاجلدوهم» أمرٌ للإمام ونوّابه بالجلد، والظاهرُ وجوبُ الجلد وإن لم يطالِب المَقْذوفُ، وبه قال ابن أبي ليلى، وقال أبو حنيفة وأصحابه والأوزاعيُّ والشافعيُّ: لا يحدُّ إلَّا بمطالبته، وقال مالك كذلك، إلَّا أنْ يكونَ الإمام سمعَهُ يقذفُه، فيحدُّه إذا كان مع الإمام شهودٌ عدول، وإن لم يطالب المقذوف[٢].

والظاهرُ أنَّ العبدَ القاذفَ حرًّا إذا لم يأتِ بأربعة شهداء حُدَّ ثمانين؛ لاندراجه في عموم «والذين يرمون»، وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعيّ. وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالكٌ والثوريُّ وعثمان البَتِّيُّ والشافعيُّ: يجلدُ أربعين، وهو قول عليٍّ وفعلُ أبي بكرٍ وعمر وعثمان[٣] ومَنْ بعدهم من الخلفاء، قالهُ عبدُ الله بنُ ربيعة.

ولو قذفَ واحدٌ جماعةً بلفظٍ واحدٍ، أو أفردَ لكلٍّ واحدٍ، حُدَّ حدّاً واحداً، وهو قول أبي حنيفةَ وأصحابه ومالك والثوريِّ والليث. وقال عثمان البتيُّ والشافعيُّ: لكلِّ واحدٍ حدٌّ.

وقال الشعبيُّ وابنُ أبي ليلى: إن كان بلفظٍ واحدٍ نحو: يا زُناة، فحدٌّ واحدٌ، أو قال لكلٍّ واحدٍ: يا زاني، فلكلِّ إنسانٍ حدٌّ[٤].

والظاهرُ من الآية أنَّه لا يجلدُ إلَّا القاذف، ولم يأت جلدُ الشاهدِ إذا لم يُسْتَوفَ

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٩٥، وجُعِلَ - في مطبوعه - قولُ الحسن والشعبي كقول مالك والشافعي، وما ذكره المصنِّفُ هو الصواب، وأقوال ابن عباس والحسن والشعبي أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٢٨٩)، (٢٩٢٩١)، (٢٩٢٩٢).

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٧٠-٢٧١.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وعلي. والمثبت من (ت) و(يه) وهو الموافق لأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٨، والكلام منه.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٩.

عددُ الشهود، وليس مَنْ جاء للشهادة للقاذفِ بقاذف، وقد أجراه عمرُ مجرى القاذف، وجلدَ أبا بكرة وأخاه نافعاً وشِبْل بن مَعْبَد البجَليّ، لتوقُّف الرابع ـ وهو زياد ـ في الشهادة، فلم يؤدِّها كاملةً[١].

ولو أتى بأربعةِ شهداء فسَّاق، فقال زفر: يدرأ الحدُّ عن القاذف والشهود. وعن أبي يوسف: يُحَدُّ القاذفُ ويُدْرأ عن الشهود. وقال مالك وعبيدُ الله بن الحسن: يُحَدُّ الشهودُ والقاذف[٢].

«ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً» الظاهر أنَّه لا تُقبَلُ شهادتُه أبداً، وإنْ أكذبَ نفسَه وتاب، وهو نهيٌ جاء بعدَ أمرٍ، فكما أنَّ حكمَه الجلدُ، كذلك حكمُه ردُّ شهادته، وبه قال شُرَيح القاضي والنَّخعيُّ وابنُ المسيَّب وابن جُبير والحسنُ والثوريُّ وأبو حنيفة وأصحابُه والحسن بن صالح؛ لا تقبلُ شهادةُ المحدود في القذف وإن تاب، وتُقبلُ شهادتُه في غير القذف إذا تاب. وقال مالك: تقبلُ في القذف بالزنى وغيره إذا تاب، وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والشعبيُّ والقاسم بنُ محمد وسالم والزهريُّ، وقال: لا تقبلُ شهادةُ محدودٍ في الإسلام، يعني مطلقاً[٣].

وتوبتُه بماذا؟ فقيل[٤]: بإكذاب نفسه في القذف، وهو قولُ الشافعيّ[٥]، وكذا فعل عمر بنافع وشبل، أكذبَا أنفسَهما فقبلَ شهادتَهما، وأصرَّ أبو بَكرَة، فلم تقبلْ شهادتُه حتَّى مات[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٣٢. وخبر عمر ﷺ علقه البخاري مختصراً قبل الحديث (٢٦٤٨)، وأخرجه الشافعي في الأم ٧/ ٤١، وعبد الرزاق (١٣٥٦٤)، (١٣٥٦٥)، (١٣٥٦٦)، وابن أبي شيبة (٢٩٤٢١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ١٥٣-١٥٤، والطبراني في الكبير (٧٢٢٧)، والحاكم ٣/ ٤٤٨-٤٤٩، والبيهقي ٨/ ٢٣٤-٢٣٥.
قال ابن كثير في إرشاد الفقيه ٢/ ٣٦٨: وهو مشهور من طرقٍ جيدة، وهو كالمستفيض بين العلماء وأهل السير والتواريخ.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٠.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٧٣-٢٧٤.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: تقبل.

(٥) كذا، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٦٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٣٣: الشعبي.

(٦) أخرجه الطبري ١٧/ ١٦٣.

«وأولئك هم الفاسقون» الظاهرُ أنَّه كلامٌ مستأنَفٌ غيرُ داخلٍ في حيِّز «الذين يرمون»، وكأنَّه إخبارٌ بحالِ الرامين بعد انقضاءِ الموصول المتضمِّن معنى الشرط وما ترتَّبَ في خبره من الجلد وعدمِ قبول الشهادة أبداً.

«إلَّا الذين تابوا» هذا الاستثناء يعقبُ جملاً ثلاثةً؛ جملةَ الأمر بالجلد، وهو لو تاب وأكذبَ نفسَه لم يسقط عنه حدُّ القذف، وجملةَ النهي عن قبول شهادتهم أبداً، وقد وقعَ الخلافُ في قَبول شهادتهم إذا تابوا بناءً على أنَّ هذا الاستثناءَ راجعٌ إلى جملة النهي، وجملةَ الحكم بالفسق. أو هو راجعٌ إلى الجملة الأخيرة، وهي الثالثة، وهي الحكمُ بفسقهم، والذي يقتضيه النظرُ أنَّ الاستثناءَ إذا تعقَّب جملاً يصلحُ أن يتخصَّص كلُّ واحدٍ منها بالاستثناء أنْ يُجعلَ تخصيصاً في الجملة الأخيرة، وهذه المسألة تُكُلِّم عليها في أصول الفقه[١]، وفيها خلافٌ وتفصيلٌ، ولم أر من تكلَّم عليها من النحاة غير المَهاباذي[٢] وابنُ مالك[٣]، فاختارَ ابنُ مالك أن يعودَ إلى الجمل كلِّها، كالشرط، واختار المهاباذيّ أنْ يعود إلى الجملةِ الأخيرة، وهو الذي نختارُه، وقد استدللنا على صحَّة ذلك في كتاب «التذييل والتكميل في شرح التسهيل».

وقال الزمخشريُّ: وجَعَل - يعني الشافعيّ - الاستثناءَ متعلِّقاً بالجملة الثانية، وحقُّ[٤] المستثنى عندَه أنْ يكون مجروراً بدلاً من «هم» في «لهم»، وحقُّه عند

(١) انظر المحصول للرازي ٣/ ٤٣ وما بعدها.
(٢) هو أحمد بن عبد الله المهاباذي ـ نسبة إلى مَهاباذ ـ قرية بين قم وأصبهان ـ الضرير، اللغوي، تلميذ عبد القاهر الجرجاني، له شرح اللمع لابن جني، توفي في حدود سنة (٥٠٠هـ).
معجم الأدباء ٣/ ٢١٩، ونكت الهميان ص١١٠، والوافي بالوفيات ٧/ ١١٢، وبغية الوعاة ١/ ٣٢٠، وهدية العارفين ١/ ٨١، والأعلام ١/ ١٥٨ (وفيه أن وفاته بعد ٥٧١هـ).
والكلام المذكور عنه هو في شرح اللمع له، كما صرح بذلك أبو حيان في التذييل والتكميل ٨/ ٢٦٣، وشرح اللمع هذا له نسخة في خزانة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بتونس. أفاده الزركلي في الأعلام.
(٣) في التسهيل ص١٠٣.
(٤) في (ت) و(يه): وحدّ.

أبي حنيفةَ النصبُ؛ لأنَّه عن مُوجَب، والذي يقتضيه ظاهرُ الآية ونظمُها أنْ تكون الجملُ الثلاث بمجموعهن[١] جزاءَ الشرط - يعني: الموصولَ المضمَّنَ معنى الشرط - كأنَّه قيل: ومَنْ قَذَفَ المحصنات فاجلدوه، ورُدُّوا شهادتَه، وفَسِّقُوه، أي: اجمعوا له الحدَّ والردَّ والفسقَ. «إلَّا الذين تابوا» عن القذف «وأصلحوا فإنَّ الله غفورٌ» لهم فينقلبون غير مَجْلودين[٢] ولا مَرْدودين ولا مُفَسَّقين. انتهى.

وليس يقتضي ظاهرُ الآية عودَ الاستثناء إلى الجمل الثلاث، بل الظاهرُ هو ما يعضُده[٣] كلامُ العرب، وهو الرجوعُ إلى الجملة التي قبلها[٤]، والقولُ بأنَّه استثناءٌ منقطعٌ مع ظهور اتِّصاله ضعيفٌ لا يُصَار إليه إلَّا عند الحاجة.

ولمَّا ذكرَ تعالى قذفَ المحصنات، وكان الظاهر أنَّه يتناولُ الأزواجَ وغيرهنَّ، ولذلك قال سعد بن عبادة ﷺ: يا رسولَ الله، إن وجدتُ مع امرأتي رجلاً، أمهلُه حتى آتي بأربعة شهداء! واللهِ لأضربنَّه بالسيفِ غير مُصْفَح[٥]. وكان رسولُ الله ﷺ عزمَ على حدِّ هلال بن أميَّة حين رَمى زوجتَه بشَريك بن سَحماء[٦] = فنزلت «والذين يرمون أزواجَهم»، واتَّضحَ أنَّ المرادَ بقوله: «والذين يرمون المحصنات» غير الزوجات.

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: مجموعهن، وفي (ت) و(يه): بمجموعها. والمثبت من الكشاف ٣/ ٥١.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: محدودين.

(٣) في (ت) و(يه): يقصده.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع ومطبوع الدر المصون ٨/ ٣٨٣: تليها. والمثبت من (ت) و(يه).

(٥) أخرجه أحمد (١٨١٦٨)، والبخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٣٢١: قال عياض [في مشارق الأنوار ٢/ ٤٩] هو بكسر الفاء وسكون الصاد المهملة، قال: ورويناه أيضاً بفتح الفاء، فمن فتح جعله وصفاً للسيف وحالاً منه، ومن كسر جعله وصفاً للضارب وحالاً منه. اهـ. وزعم ابن التين أنه وقع في سائر الأمهات بتشديد الفاء، وهو من صفح السيف، أي: عرضه، وأراد أنه يضربه بحده لا بعرضه، والذي يضرب بالحد يقصد إلى القتل، بخلاف الذي يضرب بالصفح فإنه يقصد التأديب.

(٦) أخرجه أحمد (٢١٣١)، والبخاري (٤٧٤٥) من حديث ابن عباس ﷺ.

والمشهورُ أنَّ نازلةَ هلال قبل نازلة عويمر[١]. وقيل نازلةُ عويمر قبل[٢]. والمعنى: بالزّنى، «ولم يكن لهم شهداء» ولم يقيِّد بعددٍ اكتفاءً بالتقييد في قذف غير الزوجات، والمعنى: شهداءَ على صدق قولهم.

وقرئ: «ولم تكن» بالتاء[٣]، وقرأ الجمهور بالياء، وهو الفصيح؛ لأنَّه إذا كان العاملُ مفرَّغاً لما بعد «إلَّا» وهو مؤنَّث، فالفصيحُ أنْ يقول: ما قامَ إلَّا هند، وأمَّا: ما قامت إلَّا هند، فأكثرُ أصحابنا يخصُّه بالضَّرورة، وبعضُ النحويين يجيزُه في الكلام على قلَّة.

و«أزواجَهم» يعمُّ سائرَ الأزواج من المؤمنات والكافرات والإماء، فكلُّهن يلاعنُ الزوجُ للانتفاء من الحمل[٤].

وقال أبو حنيفة وأصحابه: [يسقط اللعانُ][٥] بأحد معنيين؛ أحدهما: أنْ تكون الزوجةُ ممَّن لا يجبُ على قاذفها الحدُّ وإن كان أجنبيّاً، نحو أن تكونَ الزوجةُ مملوكةً أو ذمِّيةً، أو قد وُطِئَت وطأً حراماً في غير مِلْك. والثاني: أنْ يكون أحدهما من غير أهلِ الشهادة، بأن يكونَ محدوداً في قذفٍ، أو كافراً، أو عبداً، فأمَّا إذا كان أعمى أو فاسقاً، فله أن يُلاعن.

وقال الثوريُّ والحسنُ بنُ صالح: لا لعان إذا كان أحدُ الزوجين مملوكاً أو كافراً، ويلاعن المحدودُ في القذف.

وقال الأوزاعيُّ: لا لعانَ بين أهلِ الكتاب، ولا بين المحدودِ في القذف وامرأته.

وقال الليث: يلاعنُ العبدُ امرأتَه الحرَّة، والمحدودُ في القذف.

---

(١) خبر عويمر أخرجه أحمد (٢٢٨٣٠)، والبخاري (٤٧٤٥)، ومسلم (١٤٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٤٠.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٠، والكشاف ٣/ ٥٢. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٥ لأبي المتوكل وابن يعمر والنخعي.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: العمل. والمثبت من (ت) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ١٦٦.
(٥) ما بين حاصرتين من أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٥ والكلام منه.

وعن مالك[١]: الأمة المسلمةُ والحرَّةُ الكتابيَّةُ[٢] تلاعِنُ الحرَّ المسلمَ، والعبدُ يُلاعِنُ زوجتَه الكتابيَّة. وعنه[٣]: ليس بين المسلم والكافرة لعانٌ، إلَّا أن[٤] يقول: رأيتُها تزني، فيلاعن، ظهرَ الحملُ أو لم يظهر، ولا يلاعنُ المسلمُ الكافرةَ ولا زوجتَه الأمة إلَّا في نفي الحَمْل، ويتلاعن المملوكان المسلمان لا الكافران.

وقال الشافعيُّ: كلُّ زوجٍ جازَ طلاقُه ولزمَه الفرضُ يلاعن[٥].

والظاهرُ العمومُ في الرَّامين وزوجاتهم المرميَّات بالزِّنى، والظاهرُ إطلاقُ الرمي بالزنى سواءٌ قال: عاينتُها تزني، أم قال: زنيتِ، وهو قولُ أبي حنيفةَ وأصحابه، وقال[٦] مالك: لا يلاعن إلَّا أنْ يقولَ: رأيتُك تزنين، أو ينفي حملاً بها، أو ولداً منها.

والأعمى يلاعنُ. وقالَ الليث: لا يلاعنُ إلَّا أنْ يقول: رأيتُ عليها رجلاً، أو يكونَ استبرأَها، فيقول: ليس هذا الحملُ منِّي[٧].

ولم تتعرَّض الآيةُ في اللعان إلَّا لكيفيَّته من الزوجين، وقد أطالَ المفسِّرون - الزمخشريُّ وابنُ عطية وغيرهما - في ذكر كثيرٍ من أحكام اللعان ممَّا لم تتعرَّض له الآيةُ، وينظرُ ذلك في كتب الفقه.

وقرأ الجمهورُ: «أربعَ شهاداتٍ» بالنصب على المصدر. وارتفعَ «فشهادةُ» خبراً على إضمار مبتدأ، أي: فالحكم أو الواجبُ، أو مبتدأ على إضمار الخبرِ مُقَدَّماً، أي: فعليه أنْ يشهدَ، أو مؤخَّراً، أي: كافيةٌ أو واجبةٌ. و«بالله» من صلة «شهادات»، ويجوز أن يكون من صلة «فشهادة»، قاله ابنُ عطية[٨]. وخَرَّج[٩]

(١) من رواية ابن وهب كما في أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٥.
(٢) نص العبارة في أحكام القرآن: الأمة المسلمة والحرة والنصرانية واليهودية.
(٣) من رواية ابن القاسم.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: لمن.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٥-٢٨٦.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وكان.
(٧) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٨، وانظر تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٢-١٤٣.
(٨) في المحرر الوجيز ٤/ ١٦٦.
(٩) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وفرَّغ.

الحَوْفيُّ ذلك على الإعمال، فعلى رأي البصريين واختيارِهم يتعلَّق بـ «شهادات»، وعلى اختيار الكوفيين يتعلَّقُ بقوله: «فشهادةُ».

وقرأ الأَخَوان وحفصٌ والحسنُ وقتادة والزعفرانيُّ وابنُ مقسم وأبو حيوة وابنُ أبي عبلة وأبو بحريَّة وأبان وابنُ سعدان: «أربعُ» بالرفع[١] خبراً للمبتدأ، وهو «فشهادةُ» و«بالله» من صلة «شهادات» على هذه القراءة، ولا يجوزُ أن يتعلَّق بـ «فشهادة» للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر[٢]، ولا يجوز ذلك.

وقرأ الجمهورُ: «والخامسةُ» بالرفع فيهما، وقرأ طلحةُ والسُّلميُّ والحسنُ والأعمشُ وخالد بن إياس - ويقال: ابن إلياس - بالنصب فيهما[٣]. وقرأ حفصٌ والزعفرانيُّ بنصبِ الثانية[٤] دون الأولى، فالرفعُ على الابتداء، وما بعده الخبر.

ومَنْ نصبَ الأولى، فعَطَفَ على «أربعَ» في قراءة مَنْ نصبَ «أربع»، وعلى إضمارِ فعلٍ يدلُّ عليه المعنى في قراءة مَنْ رفع «أربع»، أي: وتشهدُ الخامسةَ.

ومَنْ نصب الثانيةَ، فعطف على «أربع» من قوله: «أن تشهدَ أربع»، وعلى قراءة النصب في «الخامسة» يكون «أنَّ» بعده على إسقاط حرف الجرِّ، أي: بأنَّ، وجُوِّزَ أنْ يكون «أنَّ» وما بعده بدلاً من «الخامسة»[٥].

وقرأ نافع «أنْ لعنةُ» بتخفيف «أن» ورفع «العنة» و«أنْ غَضِبَ» بتخفيف «أن» و«غضِبَ» فعلٌ ماضٍ، والجلالة بعدُ مرفوعة[٦]، وهي «أن» المخفَّفةُ من الثقيلة، لمَّا خُفِّفت[٧] حُذِف اسمُها، وهو ضميرُ الشأن.

(١) القراءة عن حفص والأخوين حمزة والكسائي في السبعة ص٤٥٢-٤٥٣، والتيسير ص٢٤. وهي أيضاً قراءة خلف ـ من العشرة ـ النشر ٢/ ٣٣٠.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: بالجر. والمثبت من (ت) و(يه) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ١٦٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٦ دون ذكر خالد بن إياس، وهي في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٩ عن طلحة والسلمي فقط.

(٤) قراءة حفص في السبعة ص٤٥٣، والتيسير ص١٦١.

(٥) الإملاء ٢/ ١٥٤.

(٦) السبعة ص٤٥٣، والتيسير ص١٦١.

(٧) في (ت) و(يه): خففه.

وقرأ أبو رجاء وقتادة وعيسى وسلَّام وعمرو بن ميمون والأعرج ويعقوب - بخلافٍ عنهما - والحسنُ: «أنْ لعنةُ» كقراءة نافع، و«أنْ غَضَبُ»[١] بتخفيف «أن» و«غَضَبُ» مصدرٌ مرفوع، وجَرٌ ما بعده[٢]، وهي «أن» المخفَّفة من الثقيلة.

وقرأ باقي السبعة: «أنَّ لعنةَ الله» و«أنَّ غَضَبَ الله» بتشديد «أن» ونصبِ ما بعدها اسماً لها، وجرٌ ما بعد[٣].

قال ابنُ عطية: و«أن» الخفيفة على قراءة نافع في قوله: «أنْ غَضِبَ» قد وليها الفعلُ، قال أبو علي: وأهلُ العربية يستقبحون أن يليَها الفعل، إلَّا أن يُفْصَل بينها وبينه بشيء، نحو قوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾ [طه: ٨٩]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] فذلك لقلَّة[٤] تمكُّن «ليس» في الأفعال، وأمَّا قوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨] فـ «بورك» على معنى الدُّعاء، فلم يَجُز دخولُ الفواصل؛ لئلَّا يفسدَ المعنى. انتهى[٥].

ولا فرقَ بين «أنْ غضِبَ الله» و«أنْ بورك» في كون الفعل بعد «أنْ» دُعاء، ولم يبيِّن[٦] ذلك ابنُ عطيَّة ولا الفارسيّ، وبكون «غَضِبَ» دعاءً مثَّل النحاةُ أنَّه إذا كان الفعلُ دعاءً لا يُفْصَلُ بينه وبينَ «أنْ» بشيءٍ. وأوردَ ابنُ عطية «أنْ غَضِبَ» في قراءةِ نافع مَوْرد المستغرِب!

«ويَدْرَأُ عنها العَذابَ» أي: يدفعُ، و«العذاب» قال الجمهور: الحدّ. وقال أصحابُ الرأي: لا حدَّ عليها إنْ لم تلاعن، ولا يوجبُهُ عليها قولُ الزوج. وحكى الطبريُّ عن آخرين أنَّ العذابَ هو الحبس[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٦ عن أبي رجاء وقتادة وعيسى والأعرج والحسن. وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٣٠.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وخبر ما وبعده. والمثبت من (ت) و(يه).

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وخبر ما بعد. وهو تحريف.

(٤) في (ع) والمطبوع: لعلة.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٧، وكلام أبي علي في الحجة للقراء السبعة له ٥/ ٣١٥-٣١٦.

(٦) في (ت): ولم يسبق. وفي (يه): لم يسق.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٧، وانظر ما حكاه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٨٧.

والظاهرُ الاكتفاءُ في اللِّعان بهذه الكيفيَّةِ المذكورة في الآية، وبه قال الليثُ.

ومكان ضمير الغائب ضميرُ المتكلِّم في شهادته مطلقاً، وفي شهادتها في قوله: «عليها» تقول: عليَّ.

وقال الثوريُّ وأبو حنيفة ومحمد وأبو يوسف: يقول بعده: من الصَّادقين فيما رماها به من الزِّنى، وكذا بعد «من الكاذبين»، وكذا هي بعد «من الكاذبين» و«من الصَّادقين»، فإن كان هناك ولدٌ ينفيه، زاد بعد قوله: فيما رماها به من الزنى في نفي هذا الولد. وقال مالك: يقول: أشهدُ بالله إنِّي رأيتُها تزني، وهي: أشهدُ بالله ما رآني أزني، والخامسة تقول ذلك أربعاً والخامسة[1] لفظ الآية.

وقال الشافعيُّ: يقول: أشهدُ بالله إنِّي لصادقٌ فيما رميتُ به زوجتي فلانة بنت فلان، ويشير إليها إن كانت حاضرةً، أربع مرات، ثمَّ يُقْعِدهُ الإمامُ ويُذَكِّرهُ الله تعالى، فإنْ رآهُ يريدُ أنْ يمضيَ، أَمَرَ مَنْ يضعُ يدَه على فيه، ويقول: إنَّ قولك: وعليَّ[2] لعنةُ الله إن كنتُ من الكاذبين موجبةٌ إنْ كنتَ كاذباً[3]، فإن أبى تركَه، فيقول: ولعنةُ الله عليَّ إن كنتُ من الكاذبين[4] فيما رميتُ به فلانةَ من الزنى فإنْ قذفَها بأحدٍ يسمِّيه بعينِه واحداً أو اثنين في كلِّ شهادةٍ، وإن نفى ولدَها زاد: وأنَّ هذا الولد ولدُ الزنى[5] ما هو منِّي[6].

والظاهرُ أنَّه إذا طلَّقها بائناً فقذفها، أو ولدَت قبلَ انقضاء العدَّة، فنَفَى الولدَ أنَّه يُحَدُّ، ويلحقُه الولد؛ لأنَّه لا ينطلقُ عليها أنَّها زوجةٌ إلَّا مجازاً، وعن ابن عباس: إذا طلَّقها تطليقةً أو تطليقتين، ثمَّ قذفَها، حُدَّ، وعن ابن عمر: يُلاعِن، وعن الليث والشافعيِّ: إذا أنكر حملَها بعد البينونة لاعَن، وعن مالكٍ: إن أنكرَه بعد الثلاثِ لاعنَها[7].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٧، وانظر ما حكاه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٨٧.

(٢) في (ت) و(يه): إن عليك قولك ويحكي. بدل: إن قولك وعلي.

(٣) قوله: موجبة إن كنت كاذباً. من (ت) و(يه).

(٤) من قوله: فإن أبى تركه... إلى هنا. من (يه).

(٥) قوله: ولد الزنى. من (ع). وفي (ح) مكانها: زنى.

(٦) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٩.

(٧) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٩١-٢٩٢ وليس فيه قول الشافعي. وانظر كلامه في الأم ٥/ ١١٧.

ولو قذفَها ثمَّ بانت منه بطلاقٍ أو غيره، فقال الثوريُّ وأبو حنيفة وأصحابه: لا حَدَّ ولا لِعان. وقال الأوزاعيُّ والليثُ والشافعيُّ: يلاعن. وهذا هو الظاهرُ؛ لأنَّها كانت زوجتَه حالةَ القذف[١].

والظاهرُ من قوله: «فشهادةُ أحدهم» أنَّه يلزمُ ذلك، فإن نَكَلَ حُبِسَ حتَّى يلاعن، وكذلك هي، وهذا مذهبُ أبي حنيفةَ وأصحابه. وقال مالك والحسنُ بنُ صالح والليثُ والشافعيُّ: أيُّهما نكلَ حُدَّ هو للقذف، وهي للزنى. وعن الحسن: إذا لاعن وأبت، حُبِست. وعن مكحول والضحَّاك والشعبيّ: تُرْجَمُ[٢].

ومشروعيةُ اللِّعان دليلٌ على أنَّ الزنى والقذفَ ليسا بكفرٍ من فاعلهما، خلافاً للخوارج في قولهم: إنَّ ذلك كفرٌ من الكاذب منهما؛ لاستحقاق اللعن مِن الله والغضب[٣].

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: لم خُصَّتِ الملاعِنة بأنْ تُخَمَّسَ بغضبِ الله؟ قلت: تغليظاً عليها؛ لأنَّها هي أصلُ الفجورِ ومنبعهُ بإطماعها، ولذلك كانت مُقَدَّمةً في آية الجلد، ويشهدُ لذلك قوله ﷺ لخولة[٤]: «والرجمُ أهونُ عليك مِنْ غضبِ الله».

«ولولا فضلُ الله» إلى آخره، قال السُّدِّيُّ: فضلُه: منَّته، ورحمته: نعمته.

وقال ابن سلَّام: فضلُه: الإسلام، ورحمته: الكتمان[٥].

ولما بيَّن تعالى حكمَ الرامي المَحْصَنات والأزواج، كان من[٦] فضله ورحمته أن جَعَلَ اللعانَ سبيلاً إلى الستر وإلى دَرْء الحدِّ. وجوابُ «لولا» محذوف، قال التبريزيُّ: تقديره: لهلكتم أو لفضحَكُم أو لعاجلَكُم بالعقوبة، أو لتبيَّنَ الكاذبُ.

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٩٣.
(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٩٦.
(٣) انظر تفسير الرازي ٢٣/ ١٧١.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: لخويلة. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ٥٢.
(٥) في (ت): الإيمان، وفي النكت والعيون ٤/ ٧٨: القرآن. وفسَّر يحيى بن سلام في كتاب التصاريف له ص١٣٦ الرحمة في هذه الآية بالنعمة.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: في، والمثبت من (ت).

وقال ابنُ عطية: لكشفَ الزناةَ بأيسر من هذا، أو لأخذَهم بعقابٍ[١] من عنده، ونحو هذا من المعاني التي يوجِبُ تقديرُها إبهامَ الجواب[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

سببُ نزول هذه الآيات مشهورٌ مذكورٌ في الصحيح. و«الإفكُ»: الكذبُ والافتراء. وقيل: هو البُهْتانُ لا تشعرُ به حتى يَفْجَأَك[٣]. والعُصْبَةُ: الجماعة. وقد تقدَّمَ الكلامُ عليها في سورة يوسف عليه السلام[٤].

«منكم»: أي: من أهل ملَّتكم، وممَّن ينتمي إلى الإسلام، ومنهم منافقٌ ومنهم مسلم.

والظاهرُ أنَّ خبرَ «إن» هو «عصبةٌ منكم»، و«منكم» في موضع الصِّفة، وقاله الحَوفيُّ وأبو البقاء[٥]. «ولا تحسبوه» مستأنَف.

وقال ابن عطية: «عصبة» رفع على البدل من الضمير في «جاؤوا»، وخبرُ «إنَّ» في قوله: «لا تحسبوه»، التقدير: إنَّ فعلَ الذين. وهذا أنسقُ في المعنى وأكثرُ فائدةً

(١) في (ت) و(به): لأحرقتم بغضب.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٨.
(٣) الكشاف ٣/ ٥٢.
(٤) عند تفسير الآية (٨) منها.
(٥) في الإملاء ٢/ ١٥٥.

من أن يكون «عصبةٌ» خبر «إنَّ». انتهى[١].

والعصبة: عبدُ الله بن أُبَيّ رأسُ النِّفاق، وزيدُ بن رِفاعة، وحسانُ بن ثابت، ومِسْطَح بن أثاثة، وحَمْنَة بنتُ جحش، ومَنْ ساعدَهم ممَّن لم يردْ ذكرُ اسمِه[٢].

و«لا تَحْسَبوه» خطابٌ لمن ساءَهُ ذلك من المؤمنين، وخصوصاً أصحاب القصة. والضمير في «لا تحسبوه» الظاهرُ أنَّه عائدٌ على الإفك، وعلى إعرابِ ابن عطيَّة يعودُ على ذلك المحذوف الذي قدَّره اسمَ «إنَّ». قيل: ويجوزُ أن يعودَ على القذف، وعلى المصدر المفهوم من «جاؤوا»، وعلى ما نالَ المسلمينَ من الغمِّ، والمعنى: لا تحسبوه ينزلُ بكم منه عارٌ، بل هو خيرٌ لكم لبراءةِ الساحة، وثوابِ الصبر على ذلك الأذى، وانكشافِ كذب القاذفين.

وقيل الخطابُ بـ «لا تحسبوه» للقاذفين، وكينونةُ ذلك خيراً لهم حيث كان هذا الذِّكْرُ عقوبةً معجَّلةً، كالكَفَّارة، وحيث تابَ بعضُهم. وهذا القولُ ضعيفٌ لقوله بعد: «لكلِّ امرئٍ منهم ما اكتسبَ من الإثم» أي جزاءُ ما اكتسبَ، وذلك بقدرِ ما خاضَ فيه؛ لأنَّ بعضَهم ضحكَ، وبعضَهم سَكَتَ، وبعضَهم تكلَّم.

و«اكتسب» مستعملٌ في المآثم ونحوها؛ لأنَّها تدلُّ على اعتمالٍ وقصد، فهو أبلغ في التَّذْنيب[٣]، وكسبَ مستعملٌ في الخير؛ لأنَّ حصولَهُ مُغْنٍ عن الدلالة على اعتمالٍ فيه، وقد يستعملُ كسب في الوجهين.

و«الذي تولَّى كبرَه» المشهورُ أنَّه عبدُ الله بنُ أبيّ. والعذابُ العظيمُ: عذابُ يوم القيامة. وقيل: هو ما أصابَ حسان من ذهابِ بصرِه وشلِّ يدهِ[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٦٩. واعترض عليه السمين في الدر المصون ٨/ ٣٨٩ بأنه أوقع خبر «إنَّ» جملة طلبية، وهو غير جائز.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٢. قال ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٦٤: وزاد فيهم الزمخشري زيد بن رفاعة، ولم أره لغيره.

(٣) في المطبوع: الترتيب. والمثبت من النسخ الخطية وهو موافقٌ لما في المحرر الوجيز ٤/ ١٦٩.

(٤) لم أقف على خبر شلِّ يد حسان، وروي عن عائشة ﵂ أنها قالت في حقِّ حسان ﵁: وأيُّ عذاب أشدُّ من العمى. أخرجه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

وكان ذلك من عبد الله بن أبيّ لإمعانه في عداوة الرسول ﷺ وانتهازه الفُرَص، ورويَ عنه كلامٌ قبيحٌ في ذلك نَزَّهتُ كتابي عن ذكره، وقلمي عن كتابته، قبَّحه الله.

وقيل: الذي تولَّى كبرَه: حسان، والعذاب الأليمُ: عَماه وحَدُّهُ، وضَرْبُ صفوانَ له بالسيف على رأسِهِ، وقال له:

تَوَقَّ[1] ذُبابَ السيفِ عنِّي فإنَّني ... غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ
ولكنَّني أحمي حِمايَ وأتَّقي ... من الباهتِ الرامي البريءَ الظواهرِ[2]

وأنشد حسان أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها[3] أبياتاً، يثني فيها[4] ويظهرُ براءتَه ممَّا نُسبَ إليه، وهي:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتصبحُ غَرْثى من لحومِ الغوافلِ[5]
حليلةُ خيرِ النَّاس ديناً ومَنْصِباً ... نبيِّ الهدى والمكرُمات الفواضلِ
عقيلةُ حيٍّ من لُؤَيِّ بنِ غالبٍ ... كرامِ المساعي مجدُها غيرُ زائلِ
مهذَّبةٌ[6] قد طَيَّبَ اللهُ خِيْمَها[7] ... وطهَّرَها من كلِّ شَينٍ وباطلِ

---

(١) كذا، وفي المصادر: تلقَّ. وبها أورد المصنف البيت الأول عند تفسير الآية (٧٤) من سورة الكهف.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/ ١١٤ (١٥١) مطولاً، وأخرجه الحاكم ٣/ ٥١٩ كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.
وفي الكبير: وأنتقم. وفي المستدرك: وأشتفي. بدل: وأتقي.
وفي الكبير: البراة الطواهر. وفي المستدرك: البراء الطواهر. بدل: البريء الظواهر. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٥.
(٣) قوله: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. من (ح).
(٤) في (ح): عليها. وبعدها في المطبوع: على أم المؤمنين.
(٥) الحصان: هي العفيفة، والرزان: الملازمة موضعها التي لا تتصرَّف كثيراً.
وقوله: ما تُزَنّ. أي: ما تتهم. وغرثى: أي: جائعة. ومعنى هذا الكلام أنها كافَّةٌ عن أعراض الناس.
(٦) في (ت) و(يه): مطيبة. والمهذبة هي الصافية المخلَّصة.
(٧) الخيم: الطبع والأصل.

فإنْ كان ما بُلِّغتِ عنِّيَ قلتُهُ[(١)] فلا رَفعتْ سوطي إليَّ أناملي
وكيف ووُدّي ما حييتُ ونُصْرَتي لآل رسولِ الله زَيْنِ المحافلِ
له رُتَبٌ عالٍ على النَّاس فضلُها تَقَاصرُ عنها سَوْرةُ[(٢)] المتطاولِ[(٣)]

والمشهور أنَّهُ حُدَّ حسَّان ومِسْطَح وحَمْنَة[(٤)]. قيل: وعبد الله بن أبيّ، وقد ذكر ذلك بعضُ شعراء ذلك العصر في شعر[(٥)]. وقيل: لم يحدَّ مِسْطَح[(٦)]. وقيل: لم يحدَّ عبدُ الله. وقيل: لم يحدَّ أحدٌ في هذه القصة.

وهذا مخالفٌ للنصّ: «فاجلدوهم ثمانينَ جلدةً»[(٧)]، وقائل[(٨)] ذلك يقول:

---

(١) اختلفت المصادر في هذا الشطر، فروايته في الديوان وسيرة ابن هشام:
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم
وفي الاستيعاب:
فإن كان ما قد قيل عندي قلته
وفي المعجم الكبير:
فإن ما كان ما [قد] جاء عني قلته.
وهو بالرواية التي ذكرها المصنف في تفسير الثعلبي وتفسير القرطبي.

(٢) السورة بفتح السين: الوثبة. الإملاء المختصر في شرح غريب السير ص ٤٣-٤٤، وجميع ما سلف في شرح أبيات قصيدة حسان ﷺ عنه.

(٣) ديوان حسان ص٣٨٠-٣٨١، وتفسير الثعلبي ٤/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٦٧-١٦٨، وهي دون البيت الثاني في السيرة النبوية ٢/ ٣٠٦، ودون البيت الثاني والأخير في الاستيعاب ١٣/ ٩٠، وأخرجها كلها الطبراني في الكبير ٢٣/ ١١٦ (١٥١) في حديثٍ طويلٍ عن عائشة ﵂.

(٤) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٢٥٧: وقد أخرجه البزار [(٢٦٦٣ ـ كشف الأستار)] وابن مردويه بسند حسن عن أبي هريرة. انتهى. قلت ورواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٢، وأخرج أحمد (٢٤٠٦٦)، وأبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، وابن ماجه (٢٥٦٧) من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ لما نزل عذر عائشة أمر برجلين وامرأة فضربوا حدَّهم.

(٥) انظر النكت والعيون ٤/ ٨٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٦٨-١٧٠. وخبر حدّ عبد الله بن أبيّ، أخرجه الحاكم في الإكليل عن عبد الله بن أبي بكر، كما في فتح الباري ٨/ ٤٧٩.

(٦) نقله القرطبي ١٥/ ١٦٨ عن القشيري.

(٧) تفسير القرطبي ١٥/ ١٦٩-١٧٠.

(٨) وهو الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٨١، ونقله المصنف بواسطة تفسير القرطبي ١٥/ ١٦٩.

إنَّما يقام الحدُّ بإقرار أو بينةٍ، ولم يتعبَّد[١] بإقامته بالإخبار، كما لم يتعبَّد بقتلِ المنافقين، وقد أخبرَ تعالى بكفرِهم.

وقرأ الجمهور: «كِبْرَهُ» بكسر الكاف. وقرأ الحسنُ وعَمرة بنتُ عبد الرحمن والزهريُّ وأبو رجاء ومجاهدٌ وأبو البرهسم والأعمشُ وحُمَيد وابنُ أبي عبلة وسفيانُ الثوريّ ويزيدُ بن قُطَيب ويعقوب والزعفرانيّ وابنُ مقسم وسورة عن الكسائيّ ومحبوب عن أبي عمرو بضمِّ الكاف[٢]. والكِبْرُ والكُبْرُ مصدران لكَبُرَ الشيءُ: عَظُم، لكنَّ استعمالَ العرب الضمَّ في السنِّ[٣]: هذا كُبْرُ القوم، أي: كبيرُهم سنًّا أو مكانةً، وفي الحديث في قصة حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة: «الكُبْرَ الكُبْرَ»[٤]. وقيل: كُبره بالضمِّ: مُعْظَمه، وبالكسر: البُدَاءَةُ بالإفك. وقيل: بالكسر: الإثم[٥].

«لولا إذ سَمِعْتموه» هذا تحريضٌ على ظنِّ الخير، وزَجْرٌ وأدبٌ، والظاهرُ أنَّ الخطابَ للمؤمنين، حاشا من تولَّى كِبْرَهُ. قيل: ويحتملُ دخولُهم في الخطاب، وفيه عتابٌ، أي[٦]: كان الإنكارُ واجباً عليهم.

وعدلَ بعدَ الخطاب إلى الغَيْبَة، وعن الضميرِ إلى الظاهر، فلم يجئ التركيبُ: ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم؛ ليبالغَ في التوبيخ بطريقةِ الالتفات، وليصرِّحَ بلفظ الإيمان، دلالةً على أنَّ الاشتراكَ فيه مقتضٍ أنْ لا يصدِّقَ مؤمنٌ على أخيه قولَ غائبٍ ولا طاعن، وفيه تنبيهٌ على أنَّ حقَّ المؤمنِ إذا سمع قالةً في أخيه أنْ يبنيَ

---

(١) في (أ) و(ح) و(خ) والمطبوع: يتقيد. وفي (ت): يعتد. في هذا الموضع والذي يليه.

(٢) القراءة عن معظم هؤلاء القراء في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٠، ومختصر في شواذ القرآن ص١٠١، والمحتسب ٢/ ١٠٣-١٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ١٧٠، وزاد المسير ٦/ ١٨، والقراءة عن يعقوب ـ من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٣١. وقراءة الكسائي وأبي عمرو المتواترة عنهما كقراءة الجمهور.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ليس في السن. والمثبت من (ت) و(يه) وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٧٠.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (١٦٠٩١)، وأبو داود (٤٥٢٠)، والنسائي في المجتبى ٨/ ١٠ من حديث سهل بن أبي حثمة، وهو بألفاظ قريبة في البخاري (٣١٧٣)، ومسلم (١٦٦٩).

(٥) في (ت) و(يه): الكبر الإثم.

(٦) في (ت) و(يه): أن. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٧٠.

الأمرَ فيه على ظنِّ الخير، وأنْ يقول بناءً على ظنِّه. «هذا إفكٌ مبين» هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه، كما يقولُ المستيقنُ المطَّلِعُ على حقيقة الحال، وهذا من الأدبِ الحسن(١).

ومعنى «بأنفسهم» أي: كأنْ يقيسَ فضلاءُ المؤمنين والمؤمنات هذا الأمرَ على أنفسهم، فإذا كان ذلك يبعدُ عليهم، قضوا بأنَّه في حقِّ مَنْ هو خيرٌ منهم أبعد(٢). وقيل: معنى «بأنفسهم»: بأمَّهاتهم. وقيل بإخوانهم(٣) وقيل: بأهل دينهم، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: ١١٠]، ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١]، أي: لا يلمزْ بعضُكم بعضاً، وليسلِّم بعضُكم على بعض.

«لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء» جعلَ الله فَصْلاً بين الرَّمي الصادق وبين الرمي الكاذب ثبوتَ شهداء أربعة وانتفاءَها، فإذا لم يأتوا فهم في حكم الله وشريعته كاذبون.

وهذا توبيخٌ وتعنيفٌ للذين سمعوا الإفك، ولم يَجِدُّوا في دفعه وإنكاره، واحتجاجٌ عليهم بما هو ظاهرٌ مكشوفٌ في الشَّرْع من وجوب تكذيبِ القاذف بغير بيِّنة، والتنكيل به(٤).

«ولولا فَضْلُ الله» أي: في الدنيا بالنِّعَم التي منها الإمهالُ للتوبة(٥) «ورحمتُه» عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة «لمسَّكم» العذابُ فيما خضتُم فيه من حديث الإفك، يُقَال: أفاضَ في الحديث واندفعَ وهَضَبَ وخاضَ.

«إذ تلقَّونه» العاملُ في «إذ»: «لمسَّكم».

وقرأ الجمهور «تَلَقَّونه» بفتح الثلاثة وشدِّ القاف، وشَدَّ التاء البَزِّيّ(٦)، وأدغمَ

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٧١.
(٣) هو قول النحاس في إعراب القرآن له ٣/ ١٣٠، ووقع في (ت) وزاد المسير ٦/ ٢٠: بأخواتهم.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٤.
(٥) في مطبوع الكشاف ٣/ ٥٤: للتسوية.
(٦) التيسير ص٨٣.

ذال «إذ» في التاء النحويان وحمزة[١]، أي: يأخذه بعضُكم من بعض، يقال: تلقَّى القولَ وتلقَّنَهُ وتلقَّفَهُ[٢]، والأصلُ: تتلقونه، وهي قراءةُ أبيّ[٣].

وقرأ ابن السَّمَيْفَع: «تُلْقُونه» بضمِّ التاء والقاف وسكون اللام، مضارع ألقى[٤]، وعنه: «تَلْقَونه» بفتح التاء والقاف وسكون اللام، مضارع لَقِيَ[٥].

وقرأت عائشةُ وابنُ عباس وعيسى وابنُ يعمر وزيد بن عليّ بفتح التاءِ وكسرِ اللام وضمِّ القاف[٦]، من قول العرب: وَلَقَ الرجلُ: كَذَب، حكاهُ أهلُ اللُّغة. وقال ابن سيده[٧]: جاؤوا بالمتعدِّي[٨] شاهداً على غيرِ المتعدِّي، وعندي أنَّه أرادَ: تَلِقُونَ فيه، فحذف الحرف ووصلَ الفعل للضمير.

وحكى الطبريُّ وغيرُه أنَّ هذه اللفظةَ مأخوذةٌ من الوَلْق الذي هو الإسراعُ[٩]

(١) السبعة ص٤٥٣-٤٥٤، والتيسير ص٤٢، وهي أيضاً رواية هشام عن ابن عامر.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٤.
(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٢١٥، ومختصر في شواذ القرآن ص١٠٠، ونسبها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٤٨ لعبد الله بن مسعود ﷺ ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٧١ لأبيّ وابن مسعود ﷺ.
(٤) المحتسب ٢/ ١٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ١٧١. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢١ لعمر بن الخطاب ﷺ.
(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٠، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢١ نسبتها لمعاوية.
(٦) هي في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٠، ومختصر ابن خالويه ص١٠٠ عن عائشة، وفي المحتسب ٢/ ١٠٤ عن عائشة وابن عباس ﷺ وابن يعمر وعثمان الثقفي، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٧١، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٧٤ عن ابن يعمر وعائشة.
(٧) في المحكم ٦/ ٥٦٦.
(٨) في النسخ الخطية: بالتعدي. والمثبت من المطبوع والمحكم والمحرر الوجيز ٤/ ١٧١ وعنه نقل المصنف كلام ابن سيده.
(٩) كذا نقله المصنف عن ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٧١، وليس في تفسير الطبري ١٧/ ٢١٦ ذكر معنى الإسراع، إنما فيه أنه بمعنى: إذ تستمرون في كذبكم عليها وإفككم بألسنتكم، كما يقال: وَلَقَ فلان في السير فهو يَلِقُ، إذا استمر فيه. والمعنى الذي نقله ابن عطية وتبعه أبو حيان عن الطبري ذكره ابن سيده في المحكم ٦/ ٥٦٥.

بالشيء بعد الشيء، كعَدَدٍ في إثرِ عدد[١]، وكلامٍ في إثر كلام، يقال: وَلَقَ في سيره، إذا أسرعَ، قال:

جاءت به عَنْسٌ من الشام تَلِقْ[٢]

وقرأ زيدُ بن أسلم وأبو جعفر: «تَأْلِقُونَهُ»[٣] بفتح التّاء وهمزة ساكنة بعدها لامٌ مكسورةٌ، من الأَلْقِ وهو الكَذِب.

وقرأ يعقوب في رواية المازنيّ: «تِيْلَقونه» بتاءٍ مكسورةٍ بعدها ياءٌ ولام مفتوحةٌ، كأنَّه مضارِعُ وَلِقَ بكسر اللام، كما قالوا: تِيْجَل مضارع وَجِلْتَ.

وقال سفيان: سمعتُ أمِّي تقرأ: «إذ تَثْقَفونَه» يعني مضارع: ثَقِفَ[٤]، قال: وكان أبوها يقرأ بحرف ابنِ مسعود[٥].

ومعنى «بأفواهكم» أي: تلوكونه بأفواهكم[٦] وتديرونه فيها من غير علم؛ لأنَّ الشيءَ المعلومَ يكونُ في القلب، ثمَّ يعبِّرُ عنه اللسانُ، وهذا الإفكُ ليس محلُّه إلّا الأفواه، كما قال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[٧] [آل عمران: ١٦٧]. «وتحسبونه هيِّناً» أي: ذنباً صغيراً، وهو عند الله من الكبائر، وعَلَّقَ مسَّ العذاب بثلاثة آثام، تلقِّي الإفك، والتكلُّم به، واستصغاره، ثم أخذَ يوبِّخُهم على التكلُّم بِهِ، وكان الواجب عليهم إذ سمعوه أنْ لا يفوهوا به.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف جازَ الفصلُ بين «لولا» و«قلتم»؟ قلت:

---

(١) كذا في النسخ وروح المعاني ١٨/ ٢٦٤، وفي المحرر الوجيز والمحكم: كعدو في إثر عدو. وهو الأشبه.

(٢) الرجز للشماخ بن ضرار الذبياني، وهو في ديوانه ص٤٥٣. وهو دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٨، والشعر والشعراء ٢/ ٥٩٨، وتفسير الطبري ١٧/ ٢١٦، والخصائص ١/ ٩، ٣/ ٢٩١.

(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٠.

(٤) في (ت) و(يه): تتفقونه... تقف.

(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٠، وذكر ابن جني في المحتسب ٢/ ١٠٥ عن أم سفيان بن عيينة روايتين: «تِثْقَفُوْنَهُ»، و«تَتَقَفَّوْنَهُ».

(٦) قوله: أي تلوكونه بأفواهكم من (ت) و(يه).

(٧) انظر الكشاف ٣/ ٥٤.

للظروف شأنٌ، وهو تنزُّلها من الأشياء منزلةَ نفسها؛ لوقوعها فيها، وأنَّها لا تنفكُّ عنها، فلذلك يُتَّسَعُ فيها ما لا يُتَّسَعُ في غيرها. انتهى[١].

وما ذَكَرَهُ في أدوات التحضيض يوهمُ أنَّ ذلك مختصٌّ بالظرف، وليس كذلك، بل يجوزُ تقديمُ المفعول به على الفعل، فتقول: لولا زيداً ضَرَبْتَ، وهلَّا عمراً قَتَلْتَ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: فأيُّ فائدةٍ في تقديم الظرف حتى أوقِعَ فاصلاً؟ قلت: الفائدةُ في بيان أنَّه كان الواجبُ عليهم أن يتفادوا حالَ ما سمعوا بالإفك عن التكلُّم[٢] به، فلمَّا كان ذكرُ الوقت أهمَّ، وجب التقديمُ. فإن قلتَ: ما معنى «يكون» والكلامُ بدونه مُتَلَئِّبٌ[٣] لو قيل: ما لنا أنْ نتكلَّم بهذا؟ قلت: معناه: ما ينبغي ويصحّ، أي: ما ينبغي لنا أن نتكلَّم بهذا ولا يصحُّ لنا، ونحوه: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، و«سبحانك»[٤] تعجُّبٌ من عِظَم الأمرِ. فإن قلت: ما معنى التعجُّب في كلمة التسبيح؟ قلت: الأصلُ في ذلك أنْ يُسَبَّحَ اللهُ عند رؤية العجب من صنائعه، ثمَّ كثُر حتى استُعمِل في كلِّ مُتَعَجَّبٍ منه، أو لتنزيه الله منْ أن تكون حَرِيمةُ[٥] نبيِّه ﷺ كما قيل فيها. انتهى.

«يَعِظُكم الله أنْ تعودوا» أي: في أن تعودوا، تقول: وعظتُ فلاناً في كذا فتركَه.

«إن كنتم مؤمنين» حثٌّ لهم على الاتِّعاظِ وتهييجٌ؛ لأنَّ من شأن المؤمن الاحترازَ ممَّا يَشينُه من القبائح. وقيل: «أن تعودوا» مفعولٌ من أجله، أي: كراهة أن تعودوا[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٤-٥٥.
(٢) في (يه) والكشاف ٣/ ٥٥: المتكلم.
(٣) أي: مستقيم. لسان العرب (تلأب).
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: تسبيح. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ٥٥.
(٥) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوع والكشاف: حرمة.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٧١.

«ويبيِّن الله لكم الآيات» أي: الدلالات على علمه وحكمتِه بما يُنَزِّلُ عليكم من الشرائع، ويعلِّمُكم من الآداب، ويَعظُكم من المواعظ الشافية[١].

«إنَّ الذين يحبُّون أنْ تشيعَ الفاحشةُ» قال مجاهدٌ وابنُ زيد: الإشارةُ إلى عبد الله بن أبيّ ومَنْ أشبهَه[٢].

«في الذين آمنوا» لعداوتهم لهم. والعذابُ الأليمُ في الدنيا: الحدُّ، وفي الآخرةِ النَّارُ.

والظاهر في «الذين يحبُّون أن تشيعَ الفاحشةُ» العمومُ في كلِّ قاذفٍ، منافقاً كان أو مؤمناً، وتعليقُ الوعيدِ على محبَّة الشياعِ دليلٌ على أنَّ إرادةَ الفسقِ فسقٌ.

«والله يعلم» أي: البريءَ من المُذْنب، وسرائرَ الأمورِ، ووجهَ الحكمةِ في ستركم والتغليظِ في الوعيد[٣].

وقال الحسن: عنى بهذا الوعيدِ واللعنِ المنافقينَ، فإنَّهم قصدوا وأحبُّوا إذاية الرسول ﷺ، وذلك كفرٌ وملعونٌ فاعله.

وقال أبو مسلم: هم المنافقون، أوعَدَهُم اللهُ سبحانه وتعالى بالعذابِ في الدُّنيا على يد الرسول ﷺ بالمجاهدة؛ لقوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٤] [التوبة: ٧٣].

وقال الكرمانيُّ: «والله يعلمُ» كذبهم «وأنتم لا تعلمون» لأنَّه غيبٌ.

وجوابُ «لولا» محذوفٌ، أي: لعاقبَكم «وأنَّ اللهَ رؤوفٌ» بالتبرئة «رحيمٌ» بقَبول توبةِ من تاب ممَّن قذف.

قال ابنُ عباس: والخطابُ لحسان ومِسْطَح وحَمْنَة[٥]. والظاهرُ العموم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٧١. وقولا مجاهد وابن زيد أخرجهما الطبري ١٧/ ٢٢٠ وليس في قول مجاهد عنده التصريحُ بعبد الله بن أبيّ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٢.

(٤) قولا الحسن وأبي مسلم في تفسير الرازي ٢٣/ ١٨٣.

(٥) زاد المسير ٦/ ٢٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ
بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن
يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ
وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾
يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ
وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾.

تقدَّمَ الكلامُ على «خطوات الشيطان» تفسيراً وقراءةً في «البقرة»[١].

والضميرُ في «فإنَّه» عائدٌ على «مَنْ» الشرطيَّة، أي: فإنَّ مُتَّبِع خطوات الشيطان يأمرُ بالفحشاء، وهو ما أفرطَ قبحُه، والمنكر، وهو ما تُنْكِرُهُ العقولُ السليمةُ، أي: يصيرُ رأساً في الضلال بحيثُ يكونُ آمراً يطيعُه أصحابُه.

«ولولا فضل الله عليكم ورحمتهُ» بالتوبة الممحِّصة ما طَهُرَ أحدٌ منكم[٢].

وقرأ الجمهور: «ما زكَى» بتخفيف الكاف، وأمالَ[٣] حمزةُ والكسائيُّ وأبو حيوة والحسنُ والأعمشُ وأبو جعفر في رواية[٤]، وروحٌ بتشديدها، وأماله الأعمش[٥].

وكُتِبَ «زكى» المخفَّف بالياء، وهو من ذوات الواو، على سبيل الشذوذ؛ لأنَّه قد يُمَال، أو على قراءة من شدَّ الكاف.

---

(١) عند تفسير الآية (٢٠٨) منها.
(٢) انظر الكشاف ٣/٥٦.
(٣) في (ت) و(يه): وأما. بدل: وأمال.
(٤) نسبها ابن خالويه في مختصره ص١٠١ لشيبة والأعمش، ونسبها ابن جني في المحتسب ٢/١٠٥ لأبي جعفر وشيبة وعيسى الهمداني وعيسى الثقفي وعاصم - في رواية - والأعمش، قال الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر ص٤١٠: واتفقوا على عدم إمالتها تنبيهاً على أصلها لأنها من ذوات الواو، وما في «البحر» من إمالتها لحمزة والكسائي، فليس من طريقنا.
(٥) «زكَّى» بالتشديد والفتح، نسبها ابن خالويه في مختصره ص١٠١ للحسن وأبي حيوة، وبالتشديد والإمالة نسبها للحسن. وروي عن روح - كما في النشر ٢/٣٣١ -: «زُكِّي» بضم الزاي وكسر الكاف مشددة.

«ولكن الله يُزَكِّي مَن يشاء» ممَّن سبقَتْ له السعادةُ، وكان عملُه الصالحُ أمارةً على سبقها[١]، أو «من يشاء» بقَبول التوبةِ النَّصوح «والله سميعٌ» لأقوالهم «عليمٌ» بضمائرهم[٢].

«ولا يَأْتَلِ» هو مضارع: ائتلى، افتعلَ من الأَلِيَّة، وهي الحَلِف. وقيل: معناه: يقصّر، من افتعل من أَلَوْتُ، أي: قَصَّرتُ، ومنه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقول الشاعر:

وما المرءُ ما دامتْ حُشَاشةُ نفسِهِ بمدركِ أطرافِ الخُطوب ولا آلِ[٣]

وهذا قولُ أبي عُبيدة واختارَهُ أبو مسلم[٤].

وسببُ نزولها المشهور أنَّه حَلِفُ أبي بكر ﷺ على مِسْطَح أنْ لا يُنْفِقَ عليه ولا ينفعَهُ بنافعةٍ[٥]. وقال ابن عباس والضحَّاك: قطعَ جماعةٌ من المؤمنين منافعَهم عمَّن قال في الإفك، وقالوا: لا نَصِلُ من تكلَّم فيه، فنزلت في جميعهم. والآية تتناولُ مَنْ هو بهذا الوصف[٦].

وقرأ الجمهور: «يَأْتَلِ»، وقرأ عبدُ الله بن عَيَّاش بن أبي ربيعة[٧] وأبو جعفر

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٦.
(٣) هو لامرئ القيس، ديوانه ص٣٩، وسلف عند تفسير الآية (٤٥) من سورة يوسف.
(٤) قول أبي مسلم ذكره الرازي في تفسيره ٢٣/ ١٨٧ مطولاً، ثم قال: ويروى هذا التأويل أيضاً عن أبي عبيدة. وذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٦٥ أنه بمعنى القسم ثم قال: وله موضع آخر من ألوت بالواو.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٢-١٧٣. وخبر امتناع أبي بكر الصديق ﷺ عن الإنفاق على مسطح جاء في حديث عائشة الطويل الذي روت فيه قصة الإفك، وأخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٣، وقولا ابن عباس والضحاك أخرجهما الطبري ١٧/ ٢٢٥.
(٧) هو أبو الحارث المخزومي المكي ثم المدني، القارئ، قيل: إنه رأى النبي ﷺ، وصنيع الحافظ ابن حجر في الإصابة ٦/ ١٨٨-١٨٩ يدلُّ على أنه له رؤية، وانظر أيضاً الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٣٥٤، كان أبوه قديم الإسلام، فهاجر إلى الحبشة، فولد له عبدُ الله فيها. قرأ القرآن على أبي بن كعب، وقرأ عليه مولاه أبو جعفر يزيد بن القعقاع وغيره في خمسة هم شيوخ نافع، وكان أقرأ أهل المدينة. قال الذهبي: مات بعد سنة سبعين.
=

مولاه وزيدُ بن أسلم والحسنُ: «يَتَأَلَّ»[١] مضارع تألَّى بمعنى حَلَفَ. قال الشاعر:

تـألَّـى ابـنُ أوسٍ حَـلْـفَـةً لَـيَـرُدُّنـي   إلـى نـسـوةٍ كـأنَّـهـنَّ مَـفَـائـدُ[٢]

والفضلُ والسَّعةُ يعني المال، وكان مِسْطَحُ ابنَ خالة[٣] أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكان من المهاجرين وممَّن شهد بدراً، وكان ما نُسِبَ إليه داعياً أبا بكرٍ أنْ لا يُحْسِنَ إليه، فأُمِرَ هو ومَنْ جَرى مجراه بالعَفْو والصَّفح، وحين سمعَ أبو بكرٍ: «ألا تحبُّونَ أن يغفرَ اللهُ لكم» قال: بلى، أحبُّ أنْ يغفرَ الله لي، ورَدَّ إلى مِسْطَحٍ نفقتَهُ، وقال: واللهِ لا أنزِعُهَا أبداً[٤].

وقرأ أبو حيوة وابن قُطَيب وأبو البرهسم: «أنْ تؤتوا» بالتاء[٥] على الالتفات، ويناسبُه: «ألا تحبُّون».

و«أن يؤتوا» نصب الفعل المنهيُّ، فإن كان بمعنى الحلف، فيكون التقدير: كراهةَ أنْ يؤتوا، أو: أن لا يؤتوا، فحذف: لا[٦]، وإنْ كان بمعنى يقصِّر، فيكون التقدير: في أن يؤتوا، أو: عن أن يؤتوا.

= ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن حبان أنه مات حين جاء نعي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين. وهو وهمٌ أو انتقال نظر منه رحمه الله، فالذي مات سنة أربع وستين هو عبد الله بن أرقم، وجاءت ترجمته في ثقات ابن حبان ٣/ ٢١٨ عقب ترجمة عبد الله بن عياش.
انظر معرفة القراء الكبار ١/ ١٥٢، وغاية النهاية ١/ ٤٣٩-٤٤٠.

(١) ذكرها ابن خالويه في مختصره ص١٠١ عن أبي جعفر والحسن وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وابن جني في المحتسب ٢/ ١٠٦ عن عباس (كذا) بن عياش بن أبي ربيعة وأبي جعفر وزيد بن أسلم. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٤ للحسن وأبي العالية وأبي جعفر وابن أبي عبلة. والقراءة عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٣١.

(٢) هو لزيد الفوارس بن حُصين بن ضرار الضبي، وهو في حماسة أبي تمام، كما في شرح المرزوقي ٢/ ٥٥٧، وضرائر الشعر لابن عصفور ص١٥٧، وخزانة الأدب ١٠/ ٦٥.
والمفائد: جمع المِفْأد، وهي المسعر، ومعنى البيت: حلف الرجل حَلْفَةً ليأسرني ثم يمُنَّ عليَّ، فيردني إلى نسوةٍ كأنهنَّ مساعير، لاحتراقهن وجداً بي وغمّاً عليَّ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٢، وقال ابن حجر في الإصابة ٩/ ١٨٣: أمه بنت خالة أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) قطعة من حديث عائشة الطويل الذي روت فيه قصة الإفك، وتقدم بعضه قريباً.

(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠١. والقراءة في الكشاف ٣/ ٥٦ عن أبي حيوة وابن قطيب.

(٦) هو قول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٣٦. وانظر تفسير القرطبي ١٥/ ١٨١-١٨٢.

وقرأ عبد الله والحسنُ وسفيان بن الحسين وأسماء بنت يزيد: «ولْتَعْفُوا ولْتَصْفَحُوا» بالتاء[1]، أمر خطابٍ للحاضرين.

«إنَّ الذين يرمون» عامٌّ في الرَّامِيْن، واندرجَ فيه الراميات تغليباً للمذكَّر على المؤنث.

و«المُحْصَنات» ظاهرهُ أنَّه عامٌّ في النساء العفائف. وقال النحَّاسُ: مِنْ أحسنِ ما قيل فيه أنَّه عامٌّ لجميع الناسِ مِنْ ذكرٍ وأنثى، وأنَّ التقديرَ: يرمون الأنفُسَ المحصَنات، فيدخلُ فيه المذكَّر والمؤنث[2].

وقيل: هو خاصٌّ بمن تُكُلِّم فيها في حديث الإفك. وقيل: خاصٌّ بأمَّهاتِ المؤمنين وكبراهنَّ منزلةً وجلالةً تلك، فعلى أنَّه خاصٌّ بها جُمعت إرادةً لها ولبناتها من نساء الأمَّة الموصوفات بتلك الصفات مِن الإحصان والعقل[3] والإيمان، كما قال:

قَدْنيَ من نَصْرِ الخُبَيْبِيْنَ قدي[4]

يعني: عبدَ الله بن الزبير وأشياعَه.

(١) القراءة في مختصر ابن خالويه ص١٠١ عن النبي ﷺ وسفيان بن الحسين، وفي المحتسب ٢/ ١٠٦ عن النبي ﷺ، وأوردها الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٦١ من رواية أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ. وذكرها ابن عطية في المحرر ٤/ ١٧٣ عن ابن مسعود وسفيان بن حسين.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٢.
(٣) في (ت) و(يه): العفة. وفي الكشاف ٣/ ٥٧: والغفلة. وهو الأقرب لنص الآية.
(٤) الرجز في الكتاب ٢/ ٣٧١، ومجاز القرآن ٢/ ١٧٣، وإصلاح المنطق ص٣٧٧، ٤٤٤، والكامل ١/ ١٨٨، ٣/ ١٢٣٤، وتفسير الطبري ١٤/ ٣٧٠، وكتاب الشعر ١/ ١٥٥، والمحتسب ٢/ ٢٢٣، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٠، ٢/ ٣٩٧، وخزانة الأدب ٥/ ٣٨٢.
ونسبه البغدادي في الخزانة ٥/ ٣٩٣ لحميد بن الأرقط.
قال البغدادي ٥/ ٣٨٧: الخبيبين. قيل: مثنى خُبيب، وقيل: جمع خبيب، فعلى الأول الباء الثانية مفتوحة، وعلى الثاني مكسورة... وكان عبد الله بن الزبير يكنى بأبي خبيب... وكنيته المشهورة أبو بكر، وكانوا إذا أرادوا ذمَّه كنوه بأبي خبيب.
وقال الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٧: وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفاً، وكنيته المشهورة أبو بكر.

و«الغافلات»: السليماتُ الصدور، النقيَّاتُ القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاءٌ ولا مَكْرٌ، لأنَّهنَّ لم يُجَرِّبْنَ الأمورَ، ولا يَفْطَنَّ لما يَفْطَنُ له المجرِّباتُ، كما قال الشاعر:

ولقد لَهَوتُ بطَفْلَةٍ ميَّالةٍ بَلْهاءَ تُطْلعني على أسرارِها[١]

وكذلك البُلْهُ مِنَ الرجال في قوله: «أكثرُ أهلِ الجنَّة البُلْه»[٢].

«لُعِنوا في الدُّنيا والآخرة» جاء[٣] في قذف المحصنات قبل هذا الاستثناءُ بالتوبة، وفي هذه لم يجئ استثناء. وعن ابن عباس أنَّ مَنْ خاض في حديثِ الإفك وتابَ لم تُقْبَل توبتُه[٤].

والصحيحُ أنَّ الوعيدَ في هذه الآية مشروطٌ بعدم التوبة، ولا فرقَ في الذنوب[٥] بين الكفر والفسق، وأنَّ مَنْ تابَ غُفِر له.

ويناسبُ أنْ تكونَ هذه الآيةُ ـ كما قيل ـ نزلت في مشركي مكَّة، كانت المرأةُ إذا خرجَتْ إلى المدينة مهاجرةً قذفوها وقالوا: خرجت لتَفْجُر. قاله أبو حمزة اليماني[٦]، ويؤيِّدُه قوله: «يومَ تشهدُ عليهم أيديهم وأرجلُهم».

---

(١) هو للنمر بن تولب، ديوانه ص ٣٤٩ (شعراء إسلاميون)، ونسب له أيضاً في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٠٩، ومنتهى الطلب ١/ ٢٦٧، والفائق للزمخشري ١/ ١٢٨.
وهو دون نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٤٠ ـ وفيه: ميادة. بدل: ميالة ـ وتهذيب اللغة ٦/ ٣١٢، وأساس البلاغة (بله)، والكشاف ٣/ ٥٦ وعنه نقل المصنف.

(٢) أخرجه البزار (١٩٨٣ ـ كشف الأستار)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٨٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٨٩) (٩٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٦٧)، (١٣٦٨)، وابن عدي في الكامل ٣/ ١١٦٠ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً.
وأخرجه البيهقي في الشعب (١٣٦٦)، وابن عدي في الكامل ١/ ١٩٤ من حديث جابر ﷺ مرفوعاً.
وهو حديث ضعيف. انظر تتمة الكلام عنه في التعليق على شرح مشكل الآثار، وفي المقاصد الحسنة ص١٣٧.

(٣) لفظة: جاء؛ من (ت) و(يه).

(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٢٢٨-٢٢٩، والثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٦٢، وانظر الكشاف ٣/ ٥٧.

(٥) قوله: في الذنوب. من (ت) و(يه).

(٦) كذا وقع في النسخ وتفسير الآلوسي ١٨/ ٢٨٣ نقلاً عن المصنف، وهو تحريف، =

وعن ابن عباس أنَّها نزلتْ في عبد الله بن أبيّ، كان يَشُكُّ في الدِّين، فإذا كان يومُ القيامة عَلِمَ حيث لا ينفعُه[١].

والناصبُ لـ «يومَ تشهدُ» ما تعلَّقَ به الجارُّ والمجرور، وهو «ولهم». وقال الحَوفيُّ: العاملُ فيه «عذابٌ» ولا يجوزُ؛ لأنَّه موصوفٌ[٢]، إلا على رأي الكوفيين.

وقرأ الأخوان والزعفرانيُّ وابنُ مقسَم وابن سعدان: «يَشهدُ» بياء من تحت[٣]؛ لأنَّه تأنيثٌ مجازيٌّ، ووقعَ الفصلُ، وباقي السبعة بالتاء.

ولمَّا كان قلبُ الكافر لا يريدُ ما يشهد به، أنطقَ اللهُ الجوارح؛ الألسنةَ والأيدي والأرجل بما عملوا في الدنيا[٤]، وأقدرَها على ذلك. وليست الحياةُ شرطاً لوجود الكلام، وقالت المعتزلة: يخلقُ في هذه الجوارح الكلامَ، وعندهم المتكلِّم فاعلُ الكلام، فتكونُ تلك الشهادةُ من الله في الحقيقة، إلَّا أنه تعالى أضافَها إلى الجوارح توسُّعاً. وقالوا أيضاً: إنَّه تعالى ينشئ هذه الجوارحَ على خلاف ما هيَ عليه، ويُلْجِئُها أنْ تشهدَ على الإنسان وتُخْبِرَ عنه بأعماله. قال القاضي: وهذا أقربُ إلى الظاهر؛ لأنَّ ذلك يفيدُ أنَّها تفعلُ الشهادةَ[٥].

وانتصبَ «يومَئذٍ» بـ «يوفِّيهم»، والتنوينُ في «إذٍ»، عوضٌ من الجملة المحذوفة، والتقدير: يوم إذ تشهد.

وقرأ زيد بن عليّ: «يُوْفِيهم» مخفّفاً[٦].

= والصواب: الثمالي. وأخرجه عنه الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٦٢، وانظر زاد المسير ٦/ ٢٥.

(١) زاد المسير ٦/ ٢٦.

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٣٩٥: وأجيب بأن الظَّرف يُتَّسعُ فيه ما لا يُتَّسعُ في غيره.

(٣) قراءة الأخوين حمزة والكسائي في السبعة ص٤٥٤، والتيسير ص١٦١، وهي قراءة خلف من العشرة. النشر ٢/ ٣٣١، ونسبها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٤٨ ليحيى بن وثاب وأصحاب عبد الله. ونسبها القرطبي في تفسيره ١٥/ ١٨٣ للأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٧٤.

(٥) تفسير الرازي ٢٣/ ١٩٣-١٩٤.

(٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢/ ١٨٠.

والدِّينُ هنا الجَزاء، أي: جزاءَ أعمالهم، وقال:

ولم يَبْقَ سوى العُدْوا نِ دِنَّاهم كما دَانوا[١]

ومنه: كما تدين تُدان[٢].

وقرأ الجمهور: «الحقَّ» بالنصب صفةٌ لـ «دينَهُم»، وقرأ عبدُ الله ومجاهد وأبو رَوْق وأبو حَيْوة بالرفع[٣] صفةً لـ «اللهُ»، ويجوزُ الفصلُ بالمفعول بين الموصوف وصفته.

«ويعلمون» إلى آخره يُقَوِّي قولَ من قال إنَّ الآيةَ في عبد الله بن أبيّ؛ لأنَّ كلَّ مؤمنٍ يعلمُ أنَّ اللهَ هو الحقُّ المبينُ.

قال الزمخشريُّ: ولو قَلَّبْتَ[٤] القرآنَ كلَّه، وفَتَّشْتَ عمَّا أوعدَ به العصاةَ؛ لم تر اللهَ عزَّ وجلَّ قد غلَّظ في شيءٍ تغليظَه في الإفك، وما أنزلَ من الآياتِ القوارعِ المشحونةِ بالوعيدِ الشديد، والعذاب[٥] البليغ، والزجرِ العنيف، واستعظامِ ما رُكِبَ من ذلك، واستفظاعِ ما أُقدِم عليه = ما أنزلَ فيه، على طرقٍ مختلفةٍ، وأساليب مفتنَّةٍ[٦]، كلُّ واحدٍ منها كافٍ في بابه، ولو لم يُنْزِل إلَّا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعلَ القَذَفةَ ملعونِين في الدَّارينِ جميعاً، وتوعَّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وأنَّ ألسنتَهم وأيديهم وأرجلَهم تشهدُ عليهم بما أَفكُوا وبَهَتُوا به، وأنَّه يوفِّيهم جزاءَ الحقِّ الذي هم أهلُه، حتَّى يعلموا عند الله[٧] أنَّ اللهَ هو الحقُّ المبين،

---

(١) هو للفند الزِّمَّاني، وسلف عند تفسير ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ١٥٥.

(٣) القراءة عن مجاهد في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٦٣، والمحرر الوجيز ٤/ ١٧٤، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٨٤، ونسبها ابن خالويه في مختصره ص١٠١ لابن عباس ومجاهد، ونسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٠٦ لمجاهد وأبي روق، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٦ لمجاهد وأبي الجوزاء وحميد بن قيس والأعمش. والقراءة عن مجاهد أخرجها الطبري ١٧/ ٢٣٢.

(٤) في (ت) و(يه): قلت. وفي الكشاف: فليت.

(٥) في (ت) و(يه): والوعيد. وفي الكشاف: والعتاب.

(٦) في (ت): مغنية، وفي المطبوع: متقنة. وكلاهما تحريف. فنن: أخذ في أفانين الكلام، وافتنَّ في الحديث وتفنَّنَ فيه. أساس البلاغة (فنن).

(٧) في (ح) والكشاف: ذلك. بدل لفظ الجلالة.

فأوجزَ في ذلك وأشبعَ، وفصَّل وأجملَ، وأكَّد وكرَّر، وجاء بما لم يَقَع في وعيدِ المشركينَ عبدةِ الأوثان إلَّا ما هو دونَه في الفظاعة. انتهى[١]. وهو كلامٌ حسنٌ.

ثمَّ قال بعد كلام: فإن قلت: ما معنى قوله: «هو الحقُّ المبين»؟ قلت: معناه: ذو الحقِّ المبين العادل الظاهر العدل، الذي لا ظلمَ في حكمه، والمحقُّ الذي لا يوصَفُ بباطلٍ، ومَنْ هذه صفتُه لم تَسْقُط عنده إساءةُ مسيءٍ، ولا إحسانُ مُحْسِنٍ، فحقُّ مثلِه أنْ يُتَّقى وتُجْتَنَبَ محارمُه. انتهى[٢].

وفي قوله: لم تسقط عندَه إساءةُ مسيءٍ[٣] دسيسةُ الاعتزال.

والظاهرُ أنَّ «الخبيثات» وصفٌ للنساء، وكذلك «الطيِّباتُ» أي: النساءُ الخبيثاتُ للرجال الخبيثين، ويرجِّحُهُ مقابلتُه بالذُّكور، فالمعنى أنَّ الخبيثات من النساء يَنْزِعْنَ للخِبَاثِ من الرِّجال، فيكونُ قريباً من قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣]، وكذلك الطيِّباتُ من النِّساء للطيِّبينَ من الرجال، ويدلُّ على هذا التأويلِ قولُ عائشة ﵂ حين ذكرت التسعَ التي ما أُعطيتهنَّ امرأةٌ غيرها، وفي آخرها: ولقد خُلِقْتُ طيِّبَةً عند طيِّب، ولقد وُعِدْتُ مغفرةً ورزقاً كريماً[٤]. وهذا التأويلُ نحا إليه ابن زيد، فهو تفريقٌ بين عبد الله وأشباهه، والرسولِ ﷺ وأصحابِه، فلم يجعل الله له إلَّا كلَّ طيِّبٍ، وأولئكَ خبيثون، فهم أهلُ النساء الخبائث[٥].

وقال ابنُ عباس والضحَّاك ومجاهد وقتادة: هي الأقوال والأفعال، ثم اختلف هؤلاء، فقال بعضهم: الكلماتُ والفعلاتُ الخبيثةُ، لا يقولُها ولا يرضاها إلَّا الخبيثونَ من الناس، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه، وقال بعضهم: الكلماتُ

(١) الكشاف ٣/ ٥٦-٥٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٥٧-٥٨.
(٣) بعدها في (ح): ولا إحسان محسن.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ٥٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٨٦، وخبر عائشة أخرجه أبو يعلى (٤٦٢٦) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن جدَّته، عن عائشة ﵂. وعلي بن زيد ضعيف، وجدته مجهولة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤١: في الصحيح وغيره بعضه، وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٤-١٧٥. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١٧/ ٢٣٧.

والفعلاتُ لا تليقُ وتُلصَقُ عند رمي الرامي وقذفِ القاذفِ إلَّا بالخبيثين من النَّاس، فهي لهم وهم لها بهذا الوجه[١].

«أولئك» إشارةٌ للطيِّبين، أو إشارةٌ لهم وللطيِّبات، إذا عنى بهنَّ النساء. «مُبرَّؤون مما يقولون» أي: يقول الخبيثون مِنْ خَبيثات الكَلِم، أو القاذفون الرامونَ المحصناتِ، ووَعَدَ الطيبين المغفرةَ عندَ الحسابِ والرزقَ الكريمَ في الجنَّة.

❁ ❁ ❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل
لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ
﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا
ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ
أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ
ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن
زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ
وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ
عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ
﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٤، وأخرج أقوالهم الطبري ١٧/ ٢٣٣-٢٣٦.

لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ
يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ
كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ
إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ
﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ
ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ
مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾
لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾
أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ
وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ
صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ
ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ
بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى
ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ
بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ
صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ
جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا
ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ
فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾﴾.

المفردات

غضّ البصرَ: أطبقَ الجفنَ على الجفنِ بحيثُ تمتنعُ الرؤية، قال الشاعر:

فغُضَّ الطرفَ إنَّكَ من نُميرٍ ... فلا كعباً بلغْتَ ولا كِلابا[(١)]

الخُمُرُ جمع خِمار، وهو المِقْنَعَةُ التي تُلقي المرأةُ على رأسها، وهو جمعُ كثرة مقيسٌ فيه، ويجمع في القلَّة على: أخْمِرَة، وهو مقيسٌ فيها أيضاً، قال الشاعر:

وترى الشَّجْراءَ في رَيِّقِهِ ... كرؤوسٍ قُطِّعَتْ فيها الخُمُرْ[(٢)]

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه ٢/ ٨٢١.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٤٥. قال شارحه: الشجراء: الأرض ذات الشجرِ

الجَيْبُ: فتحٌ يكونُ في طَوْقِ القميصِ يَبدو منه بعضُ الجسد.

والعورةُ: ما احتُرِزَ من الاطلاع عليه، ويغلبُ في سوأة الرجل والمرأة.

الأَيِّمُ، قال النضرُ بن شميل: كلُّ ذكرٍ لا أُنثى معه، وكلُّ أنثى لا ذَكَرَ معها[1]، ووزنه فَيْعِل كلَيِّن، ويقال: آمتْ تئيمُ، وقال الشاعر:

كلُّ امرئٍ سَتَئيمُ مِنْـ ـهُ العِرْسُ أو منها يَئيمُ[2]

أي: سينفردُ[3] فيصيرُ أيِّماً، وقياس جمعه: أيائم[4]، كسيائد في جمع سيِّد[5]، وجمعُه على فَعَالى محفوظٌ لا مقيس.

البِغاء: الزنى يقال: بَغَتِ المرأةُ تبغي بغاءً[6]، فهي بَغيٌّ، وهو مختصٌّ بزنى النساء.

المِشْكاة: الكُوَّةُ غيرُ النافذة. قال الكلبيُّ: حبشيٌّ معرَّبٌ[7].

الزجاجةُ: جوهرٌ مصنوعٌ معروف، وضَمُّ الزاي لغةُ الحجاز، وكسرُها وفتحُها لغة قيس.

الزيتُ: الدُّهْنُ المعتصَرُ من حبِّ شجرة الزيتون.

قال الكرمانيُّ: السَّرابُ: بخارٌ يَرتفعُ من قُعورِ القيعان، يَتكَثَّف[8]، فإذا اتَّصل

= الكثير. ووريقه: أوله، يعني المطر. يقول: ترى الأرض ذات الشجر قد غمرها المطرُ، فلا يبدو منها إلا أعالي شجرها، فهي كرؤوس قطعت وفيها الخمر، وهي العمائم.

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٢١٠، ونقل الأزهري في تهذيب اللغة ١٥/ ٦٢١ عن النضر بن شميل قال: كلُّ حيَّةٍ أيِّم، ذكراً كانت أو أنثى.

(٢) هو ليزيد بن الحكم، كما في الحماسة بشرح المرزوقي ٣/ ١١٩٦، والصحاح (أيم).

(٣) في (ت) و(يه): سيفرد.

(٤) في إصلاح المنطق ص٣٧٥، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٢١-٦٢٢، والصحاح ولسان العرب (أيم) أن الأصل أيايم، فقلبت الياء وجعلت بعد الميم.

(٥) قال الجوهري في الصحاح (سود): إنما جمعت العرب الجيِّد والسيِّد على جيائد وسيائد بالهمز على غير قياس؛ لأن جمع فيعل فياعل.

(٦) في (ت): بغياً.

(٧) النكت والعيون للماوردي ٤/ ١٠٣.

(٨) في (أ) و(ع) والمطبوع: فيكيف. وفي (ت) و(يه): ينكثف. والمثبت من (ح).

به ضوءُ الشمس أشبهَ الماء من بعيد، فإذا دنا منه الإنسان لم يره كما كان يراه بعيداً.

وقال الفرَّاء: السَّرابُ: ما لصِقَ بالأرض[١].

وقيل: هو الشُّعاعُ الذي يُرَى نصفَ النهار عند اشتدادِ الحرِّ في البرِّ، يُخَيَّلُ للناظر أنَّه الماءُ السارِبُ، أي: الجاري[٢]، قال الشاعر:

فلمَّا كَفَفنا الحربَ كانت عهودُكم كلَمْعِ سَرابٍ في الفلا مُتَألِّقِ[٣]

وقال:

أَمَقُّ الطُّولِ لمَّاعِ السَّرابِ[٤].

وقيل: السَّرابُ: ما تَرَقْرَقَ من الهواء في الهَجير في فيافي الأرضِ المُنْبَسِطة[٥].

اللُّجِّيُّ: الكثيرُ الماء، ولُجَّةُ البحرِ معظمُه، وكأنَّ لُجِّيًّا منسوبٌ إلى اللُّجَّة[٦].

الوَدْقُ: المطرُ شديدُه وضعيفه، قال الشاعر:

فلا مزنةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها[٧]

وقال أبو الأشهب العُقَيلي: هو البَرْق[٨]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٤.

(٢) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٣٨٩.

(٣) البيت دون نسبة في تفسير الطبري ١/ ٣٨٧، وأمالي ابن الشجري ١/ ٧٧، والحماسة البصرية ١/ ٢٦، وتفسير القرطبي ١/ ٣٤٢ وفيها: في الملا. بدل: في الفلا.
وفي النكت والعيون ٤/ ١٠٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٨: بالفلا.

(٤) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

ألم أُنضِ المَطِيَّ بكل خرقٍ

وهو في ديوانه ص٩٨. والأمق: الطويل.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٧.

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٥/ ٣٠١.

(٧) هو لعامر بن جوين الطائي، وسلف عجزه عند تفسير الآية (١٥) من سورة الإسراء.

(٨) النكت والعيون ٤/ ١١٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٨.

أَثَـرْنَ عَـجـاجـةً وخـرجـنَ مـنـهـا خـروجَ الوَدْقِ من خَلَلِ السَّحابِ[(١)]

والوَدْقُ: مصدرُ: وَدَقَ السَّحابُ يَدِقُ ودقاً، ومنه: استَوْدَقَتِ الفرسُ.

البَرَدُ معروفٌ، وهو قِطَعٌ متجمِّدَةٌ يذوبُ منه ماءٌ بالحرارة.

السَّنا مقصورٌ من ذوات الواو، وهو الضوء، قال:

يُـضـيءُ سَـنَـاهُ أو مـصـابـيـحُ راهـبٍ[(٢)]

يقال: سنا يسنو سناً، والسَّنا أيضاً نبتٌ يُتَداوَى به، والسناءُ بالمدِّ الرفعةُ والعلوّ[(٣)]، قال:

وَسِـنٌّ كَـسُـنَّـيْـقٍ سـنـاءً وسُـنَّـمـا[(٤)]

أَذْعَنَ للشيء: انقادَ له. وقال الزَّجَّاجُ: الإذعانُ: الإسراعُ مع الطَّاعة[(٥)].

الحَيْف: المَيْلُ في الحكم، يقال: حافَ في قضيَّتِهِ، أي: جار.

اللِّوَاذُ: الرَّوَغانُ من شيءٍ إلى شيءٍ في خِفيةٍ.

* * *

(١) النكت والعيون ٤/ ١١٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٩ دون نسبة، ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٦٨ لزيد الخيل. وهو في ديوانه ص٣٦، وصدره في المجاز والديوان:

ضُـرِبـن بـغـمـرةٍ فـخـرجـن مـنـهـا

(٢) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه:

أهـان الـسَّـلـيـطَ فـي الـذُّبـالِ الـمُـفَـتَّـلِ

وهو في ديوانه ص٢٤.

(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٣١١.

(٤) هو صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه:

ذَعَـرْتُ بـمِـدْلاجِ الـهـجـيـرِ نَـهُـوضِ

ديوانه ص٧٦. قال شارحه: والسِّنُّ: الثور الوحشي، أراد: ورُبَّ سِنٍّ ذعرت، والسُّنَّيق: الصخرة الصلبة، والسنا: الارتفاع، وكذلك السُّنَّم. وقوله: بمدلاج الهجير، أي: بفرس يسير في الهجير، وينهض فيه لنشاطه وقوته على أنه وقت تسكن فيه الدواب وتستقر.
وجعله مدلاجاً في الهاجرة على الاستعارة، والدَّلَجُ: سير الليل كله، والإدلاج: السير من آخره.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٠.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

التفسير

جاءتِ امرأةٌ من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إنّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أحبُّ أنْ يراني عليها أحدٌ، فلا يزالُ يدخلُ عليَّ رجلٌ من أهلي، فنزلت: «يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلوا» الآية[1]، فقال أبو بكر ﷺ بعد نزولها: يا رسول الله، أرأيتَ الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكنٌ، فنزل: «ليس عليكم جناحٌ» الآية[2].

ومناسبةُ هذه الآية لما قبلها هو أنَّ أهلَ الإفك إنَّما وجدوا السبيلَ إلى بُهتانهم من حيث اتَّفقت الخلوةُ، فصارت كأنَّها طريقٌ للتُّهَمة، فأوجبَ الله تعالى أنْ لا يَدْخُلَ المرءُ بيتَ غيره إلَّا بعدَ الاستئذان والسلام؛ لأنَّ في الدخولِ ـ لا على هذا الوجه ـ وقوعَ التُّهَمة، وفي ذلك من المضرَّة ما لا خفاءَ به[3].

والظاهرُ أنَّه يجوزُ للإنسان أنْ يدخلَ بيتَ نفسِه من غير استئذانٍ ولا سلام؛ لقوله: «غير بيوتكم»، ورُوِيَ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أأستأذنُ على أمِّي؟ قالَ:

---

(١) زاد المسير ٦/ ٢٧، وأخرجه الطبريُّ في تفسيره ٧/ ٢٤٢-٢٤٣، والثعلبيُّ في تفسيره ٤/ ٣٦٤. ومن طريق الثعلبي الواحديُّ في أسباب النزول ص٣٣٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٣٦٦، وأسباب النزول ص٣٣٧، وزاد المسير ٦/ ٢٧.

(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ١٩٦.

«نعم»، قال: ليس لها خادمٌ غيري، أأستأذن عليها كلَّما دخلتُ؟ قال: «أتحبُّ أن تراها عُرْيانةً؟» قال الرجل: لا، قال: «فاستأذن»[١].

وغَيَّى النهيَ عن الدخول بالاستئناس والسلامِ على أهلِ تلك البيوت. والظاهرُ أنَّ الاستئناسَ هو خلافُ الاستيحاش؛ لأنَّ الذي يَطرقُ بابَ غيرِهِ لا يدري، أيؤذنُ له أم لا؟ فهو كالمستوحِشِ من خفاء الحال[٢]، فإذا أُذِنَ له استأنسَ، فالمعنى: حتَّى يؤذنَ لكم، كقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وهذا من باب الكنايات والإرداف؛ لأنَّ هذا النوعَ من الاستئناس يَرْدِفُ الإذنَ، فوُضِعَ موضعَ الإذن.

وقد رُوي عن ابن عباس أنَّه قال: «تستأنسوا» معناه: تستأذنوا[٣]، ومَنْ رَوى عن ابن عباس أنَّ قولَه: «تستأنسوا» خطأٌ أو وهمٌ من الكاتب، وأنَّه قرأ: «حتى تستأذنوا»[٤]، فهو طاعنٌ في الإسلام، مُلحِدٌ في الدِّين، وابنُ عبَّاس بريءٌ من هذا القولِ، و«تستأنسوا» مُتَمكِّنةٌ في المعنى، بينةُ الوجهِ في كلام العرب، وقد قال عمرُ للنبيِّ ﷺ: أستأنسُ يا رسول الله؟ وعمر واقفٌ على باب الغرفة. الحديث المشهور[٥]. وذلك يقتضي أنَّه طلبَ الأُنسَ به ﷺ[٦].

وقيل: هو مِن الاستئناس الذي هو الاستعلامُ والاستكشاف، استفعالٌ من:

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٩، والخبر أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٦٣، وأبو داود في المراسيل (٤٨٨)، والطبري في تفسيره ١٧/ ٢٤٤-٢٤٥، والبيهقي ٧/ ٩٧ عن عطاء بن يسار مرسلاً.
قال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ١٥١: لا أعلم هذا الحديث يتصل بهذا اللفظ مسنداً بوجهٍ من الوجوه، وهو من صحاح المراسيل.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: جفاء. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ٥٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٦، وأخرجه الطبري ١٧/ ٢٤١، ٢٤٢.
(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٢٣٩-٢٤٠. ونقله ابن عطية وقال في المحرر الوجيز ٤/ ١٧٥-١٧٦: مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها «تستأنسوا» وصح الإجماع فيها من لدن مدة عثمان ﷺ، فهي التي لا يجوز خلافها، والقراءة بـ «تستأذنوا» ضعيفة، وإطلاق الخطأ والوهم على الكتاب في لفظ أجمع الصحابة عليه لا يصحُّ عن ابن عباس ﷺ. انتهى.
وقال ابن كثير في تفسيره: وهذا غريبٌ جداً عن ابن عباس.
(٥) أخرجه البخاري (٢٤٦٧)، ومسلم (١٤٧٩): (٣٤) مطولاً من حديث ابن عباس ﷺ.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٦.

آنسَ الشيء، إذا أبصرَهُ ظاهراً مكشوفاً، والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحالَ، هل يرادُ دُخولُكم أم لا؟ ومنه: استأنسْ، هل ترى أحداً؟ واستَأنَسْتُ فلم أرَ أحداً، أي: تعرَّفتُ واستعلمتُ، ومنه بيت النابغة[١]:

كأنَّ رَحْلي وقد زالَ النهارُ بنا يومَ الجليلِ على مستأنسٍ وَحَدِ

ويجوزُ أنْ يكون من الإنسِ، وهو أنْ يتعرَّفَ هل ثَمَّ إنسانٌ؟ وعن أبي أيُّوبَ قال: قلنا: يا رسول الله، ما الاستئناسُ؟ قال: «يتكلَّمُ الرجلُ بالتسبيحةِ والتكبيرةِ، يتنحنحُ يؤذِنُ أهلَ البيت»[٢]. والتسليمُ أنْ يقولَ: السلامُ عليكم. وكان أهلُ الجاهلية يقولُ الرجلُ منهم إذا دخلَ بيتاً غير بيتهِ: حُيِّيتُم صباحاً وحُيِّيتُم مساءً، ثمَّ يدخل، فربَّما أصابَ الرجلَ مع امرأتِه في لحافٍ واحدٍ، فَصَدَّ اللهُ عن ذلك، وعلَّم الأحسنَ الأكملَ[٣].

وذهبَ الطبريُّ[٤] في «تستأنسوا» إلى أنَّه بمعنى حتى تؤنسُوا أهلَ البيتِ مِنْ أنفسِكُم بالتنحنُح والاستئذان ونحوه، وتؤنِسُوا أنفسَكم بأنْ تَعْلَموا أنْ قد شُعِرَ بكم. قال ابنُ عطية: وتصريفُ الفعل يأبى أنْ يكون من: آنس. انتهى[٥].

وقال عطاء: الاستئذانُ واجبٌ على كلِّ محتلِمٍ[٦].

والظاهرُ مطلقُ الاستئذانِ، فيكفي فيه المرَّةُ الواحدة، وفي الحديث: «الاستئذان ثلاث»[٧]، يعني: كمالُه، فإن أُذِنَ له وإلَّا فليرجع، ولا يزيد[٨] على

(١) في ديوانه ص١٧ (دار المعارف).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٧٠٧). وفيه أبو سورة، وهو ابن أخي أبي أيوب، ضعيف، قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ١١٠: هذا إسناد ضعيف؛ أبو سورة هذا، قال البخاري: منكر الحديث، يروي عن أبي أيوب مناكير لا يتابع عليه.
وفيه أيضاً واصل بن السائب، قال البخاري في التاريخ الكبير ٨/ ١٧٣: منكر الحديث.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٩.

(٤) في تفسيره ١٧/ ٢٤٥-٢٤٦.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٥.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٦، وأخرجه الطبري ١٧/ ٢٤٤.

(٧) أخرجه أحمد (١٩٦١١)، والبخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣): (٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٨) في (ت) و(يه): مزيد.

ثلاث، إلَّا أن يُحَقِّقَ أنَّ مَنْ في البيت لم يَسْمَع.

والظاهرُ تقديمُ الاستئذان على السلام، وفي حديث أبي داود: «قل: السلامُ عليكم، أأدخل»[١]، والواو في «وتسلِّموا» لا تقتضي ترتيباً، فشَرْعُ البداءة[٢] بالسلام على الإذن؛ لما في السَّلام من التفاؤل بالسَّلامة.

«ذلكم» إشارةٌ إلى المصدر المفهوم من «تستأنسوا وتسلِّموا»، أي: ذلكم الاستئناسُ والتسليمُ خيرٌ لكم من تحيَّةِ الجاهليةِ.

«لعلَّكم تَذَكَّرُون» أي: شَرَعْنا ذلك ونبَّهناكم على ما فيه مصلحتُكم من الستر وعدمِ الاطِّلاع على ما تكرهون الاطِّلاعَ عليه «لعلَّكم تذكَّرون» اعتناءنا بمصالحكم.

«فإنْ لم تجدوا فيها أحداً» أي: يأذنُ لكم، فلا تُقْدِموا على الدخول في ملك غيركم حتى يؤذَنَ لكم، إذ قد يكونُ لربِّ البيت فيه ما لا يحبُّ أن يُطَّلَعَ عليه.

«وإن قيلَ لكم ارجِعوا فارجعوا» وهذا عائدٌ على مَن استأذنَ في دخولِ بيتِ غيره فلم يؤذَنْ له، سواءٌ كان فيه مَنْ يأذنُ، أم لم يكن، أي: لا تُلِحُّوا في طلب الإذن ولا في الوقوف على الباب منتظرينَ.

«هو أزكى» أي: الرجوعُ أطهرُ لكم وأنمى خيراً؛ لما فيه من سلامةِ الصدر، والبعد عن الريبة.

ثمَّ أخبرَ أنَّه تعالى «بما تعملون عليم» أي: بما تَأتون وما تَذَرُون ممَّا خُوطِبتم به، فيجازيكم عليه[٣].

وفي ذلك توعُّدٌ لأهلِ التجسُّس على البيوت وطلب الدخول على غيره[٤] والنظرِ لما لا يحلّ.

---

(١) سنن أبي داود (٥١٧٧)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٣١٢٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٥) من حديث ربعي بن حِراش عن رجل من بني عامر. وانظر الكلام عليه في مسند أحمد.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: النداء. والمثبت من (ت) و(يه).

(٣) انظر الكشاف ٣/ ٦٠.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ١٧٦ ـ والكلام منه ـ: على غفلةٍ للمعاصي.

«ليس عليكم جناحٌ» قال الزمخشريُّ: استثنى من البيوت التي يجبُ الاستئذانُ على داخلها ما ليسَ بمسكونٍ منها، نحو الفنادق، وهي الخانات، والرُّبُط وحوانيت البيَّاعين. والمتاعُ: المنفعةُ، كالاستكنان من الحرِّ والبردِ، وإيواء الرِّحَال، والسِّلَع، والشراءِ والبيع. انتهى[١].

وما ذكرَهُ الزمخشريُّ من أنَّه استثناءٌ من البيوت ـ كما ذكر ـ هو مرويٌّ عن ابن عباس وعكرمة والحسن[٢]، ولا يظهر أنَّه استثناء؛ لأنَّ الآيةَ الأولى في البيوت المسكونة والمملوكة، ولذلك قال: «بيوتاً غيرَ بيوتكم»، وهذه الآيةُ الثانية هي في البيوت المباحة، وقد مثَّل العلماءُ لهذه البيوت أمثلةً، فقال محمد بن الحنفيَّة وقتادةُ ومجاهدٌ: هي الفنادق التي في طُرُقِ المسافرين. وقال مجاهد: لا يسكنُها أحدٌ، بل هي موقوفةٌ، يأوي إليها كلُّ ابن سبيل، وفيها متاعٌ لهم، أي: استمتاعٌ بمنفعتِها، ومثَّل عطاء بالخِرَبِ التي تُدْخَلُ للتبرُّز، وقال ابنُ زيد والشَّعبيُّ: هي حوانيتُ القَيْسَاريَّة[٣] والسُّوق.

وقال ابنُ الحنفيَّة أيضاً: هي دورُ مكَّة. وهذا لا يسوغُ إلَّا على القول بأنَّ دُورَ مكَّةَ غيرُ مملوكةٍ، وأنَّ الناسَ فيها شركاء، وأنَّ مكَّة فُتحت عَنْوةً[٤].

«والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» وعيدٌ للذين يدخلون البيوتَ غير المسكونة من أهل الرِّيَب.

و«مِن» في «مِنْ أبصارهم» عندَ الأخفش زائدةٌ[٥]، أي: يغضُّوا أبصارَهم عمَّا يحرم، وعند غيرهِ للتبعيض، وذلك أنَّ أولَ نظرةٍ لا يملكُها الإنسان، وإنَّما يغضُّ فيما بعد ذلك، ويؤيِّدُه قوله ﷺ لعليٍّ كرم الله وجهه: «لا تُتبع النظرةَ النظرةَ، فإنَّ الأولى لك وليست لك الثانية»[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٠.

(٢) زاد المسير ٦/ ٢٩ عن عكرمة والحسن، وأخرجه عن ابن عباس الطبري ١٧/ ٢٤٢، ٢٥٣.

(٣) القيسارية: الخان الكبير الذي يشغله التجار والمسافرون، قد يشتمل على سوق مسقوفة. انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص٣٥٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٧، والآثار المذكورة ـ عدا قول الشعبي ـ أخرجها الطبري ١٧/ ٢٤٩-٢٥١.

(٥) الكشاف ٣/ ٦٠، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢٠٢.

(٦) أخرجه أحمد (٢٢٩٧٤)، وأبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧) من حديث بريدة.

وقال ابنُ عطية: يصحُّ أن تكون «مِنْ» لبيان الجنس، ويصحُّ أنْ تكون لابتداء الغاية. انتهى[(١)].

ولم يتقدَّم مُبْهَمٌ فتكونَ «من» لبيان الجنس، على أنَّ الصحيحَ أنَّ «مِنْ» ليس من موضوعاتها أن تكون لبيانِ الجنس.

«ويحفظوا فروجَهم» أي: من الزنى ومن التكشُّف، ودَخلت «مِن» في قوله: «من أبصارهم» دون الفروج دلالةً على أنَّ أمرَ النظر أوسعُ، ألا ترى أنَّ الزوجة ينظرُ زوجُها إلى محاسنها من الشعر والصدرِ والعَضُد والسَّاقِ والقدم، وكذلك الجاريةُ المُستَعْرَضة، وينظر من الأجنبية إلى وجهها وكفَّيها، وأمَّا أمرُ الفرجِ فمُضَيَّق[(٢)].

وعن أبي العالية وابن زيد: كلُّ ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنى، إلا هذا فهو من الاستتار[(٣)].

ولا يتعيَّن ما قالاه، بل حفظُ الفرجِ يشملُ النوعين.

«ذلك» أي: غضُّ البصر وحفظُ الفرج أطهرُ لهم «إنَّ اللهَ خبيرٌ بما يصنعون» من إجالة النظر وانكشافِ العورات، فيجازي على ذلك.

وقدَّم غضَّ البصرِ على حفظ الفرج؛ لأنَّ النظرَ بريدُ الزنى ورائدُ الفجور، والبلوى فيه أشدُّ وأكثر، ولا يكاد يُقْدَر على الاحتراز منه[(٤)]، وهو البابُ الأكبرُ إلى القلب، وأعمرُ طرق الحواسّ إليه، ويكثرُ السقوطُ من جهته، وقال بعض الأدباء:

وما الحبُّ إلَّا نظرةٌ إثرَ نظرةٍ   يزيدُ نُموًّا إن تَزِدْهُ لَجاجا[(٥)]

= وأخرجه أحمد (١٣٦٩) من حديث علي ﷺ، وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد في الموضعين المذكورين آنفاً؛ وقال محققوه: حسن لغيره.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٠.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٦٠.

(٣) ذكره عن أبي العالية ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/١٧٨، وأخرجه الطبري ١٧/ ٢٥٥. وعن ابن زيد الثعلبيُّ في تفسيره ٤/ ٣٦٦، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٦٠.

(٤) الكشاف ٣/ ٦١.

(٥) لم أقف عليه.

ثمَّ ذكر تعالى حكمَ المؤمنات في تساويهنَّ مع الرجال في الغضّ من الأبصار وفي الحفظِ للفروج، ثمَّ قال: «ولا يبدينَ زينتهنَّ» واستثنى ما ظهرَ من الزينةِ.

والزينةُ ما تتزيَّن به المرأةُ من حُلِيّ أو كُحْلٍ أو خِضَابٍ، فما كان ظاهراً منها، كالخاتم والفَتْخَةِ والكُحْل والخِضَاب، فلا بأسَ بإبدائه للأجانب، وما خفيَ منها، كالسِّوار والخَلْخَال والدُّمْلُج والقلادة والإكليل والوِشَاح والقِرْط، فلا تبديه إلَّا لمن استُثني.

وذكرُ الزينةِ دونَ مواضعها مبالغةٌ في الأمر بالتصوُّن والتستُّر، لأنَّ هذه الزِّيَنَ واقعةٌ على مواضع من الجسد لا يحلُّ النظرُ إليها لغيرِ هؤلاء، وهي [الذراع و] السَّاق والعَضُد والعنقُ والرأسُ والصَّدرُ والأذن، فنهى عن إبداءِ الزِّيَنِ نفسِها؛ ليُعْلَم أنَّ النظرَ لا يحلُّ إليها لملابستها تلك المواقع[١]، بدليل النظر إليها غيرَ ملابِسةٍ لها. وسُومِحَ في الزينة الظاهرة؛ لأنَّ سترها فيه حرجٌ، فإنَّ المرأةَ لا تجدُ بدًّا من مزاولة الأشياء بيدها، ومِنَ الحاجة إلى كشفِ وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطرُّ إلى المشي في الطُّرقاتِ وظهور قدميها، خاصةً الفقيرات منهنَّ، وهذا معنى قوله: «إلَّا ما ظهرَ منها» يعني: إلَّا ما جرتِ العادةُ والجبلَّةُ على ظهوره، والأصلُ فيه الظهور، وسُومِحَ في الزينةِ الخفيفةِ أولئكَ المذكورون، لما كانوا مختصِّين به من الحاجة المضطرَّة إلى مداخلَتِهم ومخالطَتِهم، ولقلَّةِ توقُّع الفتنةِ من جهاتهم، ولما في الطباع من النُّفْرَة عن مماسَّة القرائبِ، وتحتاجُ المرأةُ إلى صحبتِهم في الأسفار للنزول والركوب[٢] وغيرِ ذلك[٣].

وقال ابن مسعود: «ما ظهر منها» هو الثياب[٤]، ونصَّ على ذلك أحمد قال: الزينةُ الظاهرةُ الثياب[٥]. وقال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وفُسِّرَتِ الزينةُ بالثياب.

وقال ابنُ عباس: الكُحْلُ والخاتم[٦].

---

(١) في (ت) و(يه): المواضع.
(٢) في (ت) و(يه): والنزول والدولات. بدل: للنزول والركوب.
(٣) الكشاف ٣/ ٦١-٦٢، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٢٥٦-٢٥٧.
(٥) زاد المسير ٦/ ٣١.
(٦) أخرجه الطبري ١٧/ ٢٥٨.

وقال الحسن في جماعةٍ: الوجه والكفان[١].

وقال ابن جرير[٢]: الوجهُ والكحلُ والخاتمُ والخِضَابُ والسِّوار.

وقال الحسن أيضاً: الخاتم والسِّوار[٣]. وقال ابنُ عباس: الكُحْل والخاتم[٤] فقط.

وقال المِسْوَر بن مَخْرَمَة: هما والسِّوار. وقال الحسن أيضاً: الخاتم والسوار[٥].

وقال ابنُ بحر: الزينةُ تقعُ على محاسن الخَلْقِ التي فعلَها اللهُ، وعلى ما يُتَزَيَّنُ به من فضلِ لباسٍ، فنهاهنَّ اللهُ عن إبداء ذلك لمن ليس بمَحْرَم، واستثنيَ ما لا يمكنُ إخفاؤه في بعض الأوقات، كالوجه والأطراف على غير التلذُّذِ.

وأنكرَ بعضُهم إطلاقَ الزينةِ على الخِلْقَةِ، والأقربُ دخولُه في الزينة، وأيُّ زينةٍ أحسنُ من خلقِ العضوِ في غاية الاعتدال والحسن! وفي قوله: «وليضربنَ بخمرهنَّ على جيوبهنَّ» دليلٌ على أنَّ الزينةَ ما يعمُّ الخلقةَ وغيرَها؛ منعهنَّ من إظهار محاسن خلقهنَّ، فأوجبَ سترها بالخِمار[٦].

وقد يقال: لمَّا كانَ الغالب من الوجه والكفين ظهورَهما[٧] عادةً وعبادةً في الصلاة والحجِّ، حَسُنَ أن يكون الاستثناءُ راجعاً إليهما، وفي «السنن» لأبي داود أنَّه عليه الصلاة والسلام قال: «يا أسماء، إنَّ المرأةَ إذا بلغتِ المَحيضَ لم يَصْلُح أنْ

(١) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٩١ للحسن وابن جبير وعطاء. ولفظ الحسن كما أخرجه الطبري ١٧/ ٢٦١: الوجه والثياب.

(٢) في المطبوع: ابن جريج. والمثبت من (أ) و(ح) و(ع)، وانظر تفسير الطبري ١٧/ ٢٦١.

(٣) زاد المسير ٦/ ٣١.

(٤) من قوله: وقال الحسن في جماعة.. إلى هنا، ليس في (ت) و(يه)، وقول ابن عباس سلف قريباً.

(٥) زاد المسير ٦/ ٣١، وقول المسور أخرجه الطبري ١٧/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٦) انظر تفسير الرازي ٢٣/ ٢٠٥.

(٧) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ظهورها، والمثبت من (ت) و(يه).

يُرَى منها إلَّا هذا» وأشارَ إلى وجهه وكفَّيه[١].

وقال ابنُ خُويز منداد المالكي: إذا كانت جميلةً، وخِيْفَ من وجهها وكفيها الفتنة، فعليها سَتْر ذلكَ[٢].

وكان النساءُ يُغطِّينَ رؤوسهنَّ بالأخمرة، ويسدلنَها من وراءِ الظهر، فيبقى النحرُ والعنقُ والأذنان لا سترَ عليهنّ[٣].

وضمَّن «وليضربن» معنى: وليضَعن وليُلْقين، فلذلك عدَّاه بـ: على، كما تقول: ضربتُ بيدي على الحائط، إذا وضعتَها عليه[٤].

وقرأ عبَّاس[٥] عن أبي عمرو: «ولِيَضْرِبْنَ» بكسر اللام[٦]، وطلحة: «بخُمْرِهنَّ» بسكون الميم، وأبو عمرو ونافع وعاصم وهشام: «جُيوبِهن» بضمِّ الجيم، وباقي السبعة بكسر الجيم[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٢١٣، والحديث أخرجه أبو داود (٤١٠٤) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة ﵂.
قال أبو داود: هذا مرسل، خالد بن دُرَيك لم يدرك عائشة ﵂.
وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود ٦/ ٥٨: وفي إسناده سعيد بن بشير، أبو عبد الرحمن البصري، نزيل دمشق، مولى بني نصر، وقد تكلَّم فيه غير واحد.
وذكر الحافظ أبو أحمد الجرجاني هذا الحديث، وقال: لا أعلم من رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير، وقال مرة فيه: عن خالد بن دريك عن أم سلمة، بدل: عائشة.

(٢) تفسير القرطبي ١٥/ ٢١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢١٥.

(٤) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٣١٣: وقيل: ضمن معنى الشد، وظاهر كلام الراغب [في المفردات (ضرب)] أنه يتعدى بـ: على، بدون تضمين.

(٥) في (ت): ابن عباس، وفي المطبوع ومطبوع روح المعاني ١٨/ ٣١٤ (طبعة الرسالة): عياش. وهو تحريف. والمثبت هو الصواب، وهو عباس بن الفضل، قرأ القرآن وجوَّده على أبي عمرو بن العلاء. توفي سنة ست وثمانين ومئة. انظر معرفة القراء الكبار ١/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٦) السبعة ص٤٥٤، والقراءات الشاذة ص١٠١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢١٤، وقراءة أبي عمرو المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٧) التيسير ص١٦١.

وبدأ تعالى بالأزواج، لأنَّ اطِّلاعهم يقعُ على أعظم من الزينة، ثم ثنَّى بالمحارم، وسوَّى بينهم في إبداء الزينة، ولكن تَختلفُ مراتبُهم في الحُرمة بحسب ما في نفوس البشر، فالأبُ والأخُ ليس كابن الزوج، فقد يُبْدَى للأب ما لا يُبْدَى لابنِ الزوج(١).

ولم يذكر تعالى هنا العمَّ ولا الخال، وقال الحسن: هما كسائر المحارم في جوازِ النظر، قال: لأنَّ الآيةَ لم يذكر فيها الرَّضاع، وهو كالنسب، وقال في سورة الأحزاب: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [الآية: ٥٥] ولم يذكر فيها البُعولةَ وذكرهم هنا(٢).

والإضافةُ في «نسائهنّ» إلى «المؤمنات» تقتضي تعميمَ ما أُضيف إليهنَّ من النساء من مسلمةٍ وكافرةٍ، كتابيَّةٍ أو مشركةٍ من اللواتي يكنَّ في صُحبة المؤمنات وخِدمتهنَّ، وأكثرُ السَّلفِ على أنَّ قوله: «أو نسائهنَّ» مخصوصٌ بمن كان على دينهنّ؛ قال ابنُ عباس: ليسَ للمسلمة أن تتجرَّدَ بين نساء أهل الذمَّةِ ولا تبدي للكافرة إلَّا ما تُبْدي للأجانب، إلَّا أنْ تكونَ أمَةً؛ لقوله: «أو ما ملكت أيمانهنَّ». وكتبَ عمرُ إلى أبي عبيدةَ: أن امنعْ نساءَ أهلِ الذمَّةِ من دخولِ الحمَّام مع المؤمنات(٣).

والظاهرُ العمومُ في قوله: «أو ما ملكت أيمانهنَّ» فيشملُ الذُّكورَ والإناث، فيجوزُ للعبد أنْ ينظرَ من سيِّدته ما ينظرُ أولئكَ المستثنَون، وهو مذهبُ عائشةَ وأمِّ سلمة(٤). وعن مجاهد: كان أمهاتُ المؤمنين لا يحتجبنَ عن مكاتبهنَّ ما بقيَ عليه درهمٌ(٥). ورويَ أنَّ عائشةَ كانت تَمتشطُ وعبدُها ينظرُ إليها(٦). وعن سعيد بن

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ١٧٩.
(٢) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٠٧.
(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٠٧، وخبر كتاب عمر إلى أبي عبيدة ﷺ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٣٤)، والطبري ١٧/ ٢٦٥، والبيهقي في سننه ٧/ ٩٥ عن عبادة بن نُسيّ.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٠.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٠٩٤٨).
(٦) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣١٨، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢٠٧.

المسيَّب مثلُه[١]، ثمَّ رجعَ عنه[٢].

وقال ابنُ مسعود والحسنُ وابنُ المسيَّبِ وابنُ سيرين: لا ينظرُ العبدُ إلى شَعرِ مولاته، وهو قولُ أبي حنيفةَ[٣]، وفي الحديث: «لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليوم الآخر أنْ تسافِرَ سفراً فوقَ ثلاث إلَّا مع ذي مَحْرَمٍ»[٤]. والعبدُ ليسَ بذي مَحْرَمٍ.

وقال سعيدُ بن المسيَّب: لا يغرَّنَّكم آيةُ «النُّور» فإنَّ المرادَ بها الإماء[٥]، قال الزمخشريُّ: وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ عبدَ المرأة بمنزلةِ الأجنبيِّ منها، خصيًّاً كان أو فحلاً، وعن ميسونَ بنت بَحْدَل الكلابيَّة[٦] أنَّ معاويةَ دخلَ عليها ومعهُ خصيٌّ، فتقنَّعت منه، فقال: هو خصيّ، فقالت: يا معاوية، أترى المُثْلَةَ تحلِّلُ ما حرَّم الله[٧]؟ وعند أبي حنيفةَ: لا يحل إمساكُ الخصيان واستخدامُهم وبيعُهم وشراؤهم، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلف إمساكهم. انتهى[٨].

و«الإرْبَة» الحاجةُ إلى الوطء؛ لأنَّهم بُلْهٌ لا يعرفون شيئاً من أمر النساء، ويَتْبَعون؛ لأنَّهم يصيبونَ من فضلِ الطعام.

قال ابنُ عطيَّة: ويَدخلُ في هذه الصيغة[٩]: المجنون[١٠]، والمعتوهُ، والمخنَّثُ، والشيخُ الفاني، والزَّمِنُ الموقوذ[١١] بزمانته.

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٢، وقال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص١١٧: لم أره.
(٢) سيأتي قريباً خبر سعيد بن المسيب.
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣١٨، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢٠٧.
(٤) أخرجه أحمد (١١٥١٥)، ومسلم (١٣٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٥٦١) وابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٢٣٦.
(٦) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١١٧-١١٨: وقع في الكشاف: الكلابية. والصواب: الكلبية بسكون اللام.
(٧) قال ابن حجر في الكافي الشاف: ذكره المسعودي في مروج الذهب بغير إسناد.
(٨) الكشاف ٣/ ٦٢.
(٩) في (أ) والمطبوع ومطبوع المحرر الوجيز: الصفة. والمثبت من (ت) و(ح) و(ع) و(يه).
(١٠) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ١٧٩: المجبوب.
(١١) الموقوذ: الشديد المرض المشرف، القاموس (وقذ).

وقرأ ابنُ عامر وأبو بكر: «غيرَ» بالنصب على الحال أو الاستثناء، وباقي السبعة بالجرِّ على النعت[١].

وعطف «أو الطفل» على «من الرجال»[٢]، قسَّم التابعين غير أولي الحاجة للوطء إلى قسمين؛ رجالٍ وأطفال، والمفردُ المحلَّى بأل يكون للجنس فيعمَّ، ولذلك وُصِفَ بالجمع في قوله: «الذين لم يظهروا»، ومن ذلك قول العرب: أهلك الناسَ الدينارُ الصفرُ والدرهمُ البيضُ، يريد: الدنانير والدراهم، فكأنَّه قال: أو الأطفال.

والطفلُ: ما لم يراهق[٣] الحُلُم، وفي مصحف حفصة: «أو الأطفال» جمعاً[٤].

وقال الزمخشريُّ: وضع الواحد موضعَ الجمع؛ لأنَّه يفيدُ الجنسَ، ويُبَيِّنُ ما بعده أنَّه يرادُ به الجمعُ، ونحوه: ويخرجكم[٥] طِفْلاً. انتهى. ووضعُ المفرد موضع الجمع لا يَنْقَاسُ عند سيبويه، وإنَّما قوله: «الطفل» من باب المفردِ المعرَّف بلام الجنس، فيعمّ، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، ولذلك صحَّ الاستثناءُ منه. والتلاوةُ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾ [غافر: ٦٧] بـ «ثم» لا بالواو. وقوله: ونحوه. ليس نحوه؛ لأنَّ هذا معرَّفٌ بلام الجنس، و«طفلاً» نكرةٌ، ولا يتعيَّنُ حملُ «طفلاً» هنا على الجمع الذي لا يقيسه سيبويه؛ لأنَّه يجوزُ أن يكون المعنى: ثمَّ يخرجُ كلَّ واحدٍ منكم، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: ٣١]، أي: لكلِّ واحدةٍ منهنَّ، وكما تقول: بنو فلانٍ يُشْبِعُهم رغيفٌ، أي: يشبعُ كلَّ واحدٍ منهم[٦]. وقوله: «لم يظهروا» إمَّا من قولهم: ظهرَ على الشيء، إذا اطَّلَعَ عليه،

---

(١) السبعة ص٤٥٤-٤٥٥، والتيسير ص١٦١.

(٢) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٣٢١: وليس بشيء. واستظهر أن «الطفل» معطوف على قوله تعالى: «البعولتهنَّ»

(٣) في المطبوع: يبلغ.

(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٥.

(٥) في (يه) ومطبوع الكشاف ٣/ ٦٢: يخرجكم. وسيأتي كلام المصنف عن صوابها قريباً.

(٦) قال الجوهري في الصحاح (طفل): وقد يكون «الطفل» واحداً وجمعاً. وانظر روح المعاني ١٨/ ٣٢٢.

أي: لا يعرفونَ ما العورة، ولا يميِّزونَ بينها وبين غيرها، وإمَّا من: ظَهَرَ على فلانٍ، إذا قويَ عليه، وظهرَ على القرنِ: أخذَه، ومنه: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، أي: غالبينَ قادرينَ عليهم، فالمعنى: لم يبلغوا أوانَ القدرةِ على الوطء[١].

وقرأ الجمهورُ: «عَوْرات» بسكون الواو، وهي لغةُ أكثرِ العرب، لا يحرِّكُون الواوَ والياء في نحو هذا الجمع، وروي عن ابن عامر[٢] تحريك واو «عَوَرات» بالفتح، والمشهورُ في كتب النحو أنَّ تحريكَ الواو والياء في مثل هذا الجمع هو لغةُ هُذَيْل بن مُدْرِكة، ونَقَل ابنُ خالويه في كتاب «شواذِّ القراءات»[٣] أنَّ ابنَ أبي إسحاق والأعمش قرأا: «عَوَرات» بالفتح، قال: وسمعنا ابن مجاهد يقول: هو لحن، وإنَّما جعلَه لحناً وخطأً مِنْ قِبَلِ الرواية، وإلَّا فله مذهبٌ في العربيَّة؛ بنو تميم يقولون: رَوَضات وجَوَزات وعَوَرات، وسائرُ العرب بالإسكان.

وقال الفرَّاء: العربُ على تخفيف ذلك إلَّا هُذيلاً، فتثقِّل ما كان من هذا النوع من ذَوَات الياء والواو[٤]، وأنشدني بعضهم:

أبــو بَـيَـضــاتٍ رائــحٌ مُـتَــأوِّبٌ   رَفيقٌ بمَسْحِ المَنكِبَينِ سَبوحُ[٥]

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٢.

(٢) في (أ) والمطبوع: ابن عباس. والقراءة عن ابن عامر في المحرر الوجيز ٤/ ١٧٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٥، وذكرها الداني في جامع البيان ٢/ ٣٠٨ من رواية يحيى عنه، والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

(٣) ص١٠٣ عند تفسير الآية (٥٨) من سورة النور.

(٤) ونقل النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٣٤ وتبعه القرطبي في تفسيره ١٥/ ٢٢٥ عن الفراء أن «عورات» بفتح الواو لغةُ قيس.

(٥) نسبه ابن جني في المحتسب ١/ ٥٨، والزمخشري في المفصل بشرح ابن يعيش ٥/ ٣٠ للهذلي.

ولم أقف عليه في ديوان الهذليين ولا في شرحه، وهو دون نسبة في الخصائص ٣/ ١٨٤، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٧٨، وأسرار العربية ص ٣٠٨، وشرح التسهيل لابن مالك ١/ ١١٦، قال عبد القادر البغدادي في الخزانة ٨/ ١٠٤: والبيت مع كثرة وجوده في كتب النحو والصرف لم أطلع على قائله ولا على تتمته.

والرائح: الذي يسير ليلاً، والمتأوِّبُ: الذي يسير نهاراً، يصف ظليماً، وهو ذكر النعام، شبه به ناقته، فيقول: ناقتي في سرعة سيرها كظليم له بيضات، يسير ليلاً ونهاراً ليصل إلى

«ولا يضربنَ بأرجلهنَّ ليُعْلَم ما يخفينَ من زينتهنّ» كانت المرأةُ تضربُ الأرضَ برجلها؛ ليتقعقعَ خَلْخَالُها، فيُعلَم أنَّها ذاتُ خَلْخَال[١]. وقال ابنُ عباس: هو قَرْعُ الخَلْخَال بالآخر[٢]، وتحريكُ الخَلَاخِل عند الرجال.

وزعم حضرميّ أنَّ امرأةً اتَّخذَتْ خَلْخَالاً من فضَّة، واتخذتْ جَزْعاً فجعلته في ساقها، فمرَّت على القوم، فضربت برجلها الأرضَ، فوقع الخَلْخَالُ على الجَزْع، فصوَّت، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: وسماعُ صوتِ هذه الزينة أشدُّ تحريكاً للشهوة من إبدائها. انتهى[٤].

وقال أبو محمد بن حزم ما معناه: إنَّه تعالى نهاهنَّ عن ذلك؛ لأنَّ المرأةَ إذا مرَّت على الرجال قد لا يُلْتَفتُ إليها ولا يُشْعَرُ بها، وهي تكرهُ أن لا يُنْظَر إليها، فإذا فعلنَ ذلك نبَّهنَ على أنفسهنَّ، وذلك بحبهنَّ في تعلُّق الرجالِ بهنَّ، وهذا من خفايا الإعلام بحالهنَّ.

وقال مكّيّ: ليسَ في كتابِ الله آيةٌ أكثرُ ضمائرَ من هذه؛ جمعت خمسةً وعشرينَ ضميراً للمؤمنات مِنْ مخفوضٍ ومرفوع[٥].

وقال الزمخشريُّ: وإذا نهى عن إظهارِ صوتِ الحليّ بعد ما نهى عن إظهار الحلي؛ عُلِمَ بذلك أنَّ النهيَ عن إظهار مواقع الحلي أبلغُ[٦].

= بيضاته. رفيق بمسح المنكبين: عالم بتحريكهما في السير. سبوح: حسن الجري.
وإنما جعله أبو بيضات ليدلَّ على زيادة سرعته في السير؛ لأنه موصوف بالسرعة، وإذا قصد بيضاته يكون أسرع. انتهى. خزانة الأدب ٨/ ١٠٥ نقلاً عن بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل، وذكر في شرحه غير هذا فانظره ثمة.

(١) الكشاف ٣/ ٦٣.

(٢) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: بالأجرا، وفي (ت): بالأخرى. والمثبت من (ح) والمصادر، والأثر أخرجه الطبري ١٧/ ٢٧٣، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٧٩-٢٥٨٠ (١٤٤٣٣).

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٧٢، والجزع: الخرز اليماني. القاموس (جزع).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠. ونقله المصنف بواسطة القرطبي في تفسيره ١٥/ ٢٢٧.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٠٦٨، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٨٠.

(٦) الكشاف ٣/ ٦٣.

«وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّها المؤمنون» لمَّا سبقتْ أوامرُ منه تعالى ومَنَاهٍ، وكان الإنسانُ لا يكادُ يَقْدِرُ على مراعاتها دائماً، وإنْ ضبطَ نفسَهُ واجتهدَ فلا بدَّ من تقصيرٍ = أمرَ بالتوبةِ ويترجَّي الفلاحِ إذا تابوا.

وعن ابن عباس: توبوا ممَّا كنتم تَفعلونَه في الجاهلية لعلَّكم تسعدون في الدنيا والآخرة[(١)].

وقرأ ابنُ عامر: «أيُّهُ المؤمنون» و«يا أيُّهُ الساحر» [الزخرف: ٤٩] و«أيُّهُ الثقلان» [الرحمن: ٣١] بضمِّ الهاء[(٢)]، ووجهُه أنَّها كانت مفتوحةً لوقوعها قبلَ الألف، فلمَّا سقطت الألفُ بالتقاء الساكنين أُتبِعت حركتُها حركةَ ما قبلها[(٣)]، وضمُّ «ها» التي للتنبيه بعد «أي» لغةٌ لبني مالك رهطِ شقيق بن سلمة، ووقف بعضُهم بسكون الهاء؛ لأنَّها كُتِبَت في المصحف بلا ألف بعدها، ووقف بعضُهم بالألف[(٤)].

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

لمَّا تقدَّمت أوامرُ ونواهٍ في غضِّ البصرِ وحفظِ الفرج وإخفاء الزينة وغير ذلك، وكان الموجِبَ للطُّموح من الرِّجال إلى النساء ومن النساء إلى الرجال هو عدمُ التزوُّجِ غالباً؛ لأنَّ في تكاليفِ النكاح وما يجبُ لكلٍّ واحدٍ من الزوجين ما يشغلُ = أمرَ تعالى بإنكاح الأيامى - وهم الذين لا أزواجَ لهم من الصِّنفين ـ حتَّى يشتغلَ كلٌّ منهما بما يلزمُه، فلا يلتفتَ إلى غيره.

(١) الكشاف ٣/ ٦٣.
(٢) السبعة ص٤٥٥، والتيسير ص١٦١-١٦٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٦٣.
(٤) وقف بالألف أبو عمرو والكسائي، ووقف الباقون بغير ألف.

والظاهرُ أنَّ الأمرَ في قوله: «وأنكحوا» للوجوب، وبه قال أهلُ الظَّاهر، وأكثرُ العلماء على أنَّه هنا للنَّدْب، ولم يخلُ عصرٌ من الأعصار من وجود الأيامى، ولم ينكر ذلك ولا أُمِرَ الأولياء بالإنكاح.

وقال الزمخشريُّ: الأيامى واليتامى أصلُهما: أيائم ويتائم، فقُلِبا. انتهى[١].

وفي «التحرير»: قال أبو عمرو[٢]: أيامى مقلوب أيايم، وغيرُه من النحويين ذكرَ أنَّ أيِّماً ويتيماً جُمِعا على أيامى ويتامى شذوذاً يحفظ، ووزنه فَعالى، وهو ظاهرُ كلام سيبويه، قال سيبويه في أواخر «هذا باب تكسيرك ما كان من الصفاتِ»: وقالوا: وجٍ ووَجْيَا[٣]، كما قالوا: زَمِنٌ وزَمْنَى، فأجرَوهُ على المعنى، كما قالوا: يتيمٌ ويتامى، وأيِّمٌ وأيامى، فأجرَوه مجرى: وَجَاعى. انتهى[٤].

وتقدَّم في المفردات أنَّ الأيِّم من لا زوجَ له من ذكرٍ أو أنثى، وفي «شرح كتاب سيبويه» لأبي بكر الخفَّاف[٥]: الأيِّم: التي لا زوجَ لها، وأصلُه في التي كانت متزوِّجةً ففقدتْ زوجَها برُزْءٍ طرأ عليها، فهو من البلايا، ثمَّ قيل في البِكر مجازاً؛ لأنَّها لا زوجَ لها. انتهى.

«منكم» خطابٌ للمؤمنين، أمرَ تعالى بإنكاح من تأيَّم مِن الأحرار والحرائر، ومَنْ فيه صلاحٌ من العبيد والإماء، واندرجَ المؤنَّثُ في المذكَّر في قوله: «والصالحين».

وخصَّ الصالحين ليُحصِّنَ لهم دينهم، ويحفظَ عليهم صلاحهم، ولأنَّ الصالحينَ من الأرقَّاء هم الذين يشفقُ[٦] مواليهم عليهم، وينزلونَهم منزلةَ الأولادِ

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٣.

(٢) ونقله عن أبي عمرو أيضاً القرطبي في تفسيره ١٥/ ٢٢٩.

(٣) الوجى: الحفا، أو أشد منه، أو أن يشتكي البعير باطن خفه، والفرس باطن حافره. اللسان (وجى).

(٤) الكتاب ٣/ ٦٥٠.

(٥) هو أبو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامي المالقي النحوي، قرأ النحو على الشلوبين، صنف شرح سيبويه وشرح إيضاح الفارسي وشرح لمع ابن جني توفي سنة (٦٥٧هـ). بغية الوعاة ١/ ٤٧٣.

(٦) في (ت) و(يه): يشفقون. وعبارة الكشاف ٣/ ٦٣ - والكلام منه ـ: مواليهم يشفقون عليهم.

في الأَثَرةِ والمودَّة، فكانوا مظنَّةً للاهتمام بشأنهم وتَقَبُّلِ الوصيَّة فيهم، والمفسدونَ منهم حالُهم عند مَواليهم على عكس ذلك.

وقيل: معنى «والصالحين» أي: للنكاح والقيام بحقوقه[(١)].

وقرأ مجاهدٌ والحسن: «من عَبيدكم»[(٢)] بالياء مكان الألف وفتح العين، وأكثرُ استعماله في المماليك.

و«إن يكونوا فُقراء يُغْنِهِمُ الله من فَضْله» هذا مشروطٌ بالمشيئة المذكورة في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾[(٣)] [التوبة: ٢٨].

«والله واسعٌ» أي: ذو غنىً وسَعَة، يبسطُ اللهُ لمن يشاء، «عليمٌ» بحاجاتِ الناس، فيُجري عليهم ما قَدَّرَ من الرزق.

«ولْيَسْتَعْفِفِ» أي: ليجتهد في العفَّة وصونِ النفس، وهو استفعل بمعنى: طلب العفَّة من نفسهِ وحملَها عليها.

وجاء الفكُّ على لغة الحجاز، ولا نَعْلَمُ أحداً[(٤)] قرأ «وليستعفَّ» بالإدغام.

«الذين لا يجدون نكاحاً» قيل: النكاحُ هنا اسمُ ما يُمْهَر وينفقُ في الزواج، كاللِّحافِ واللِّباس لما يُلْتَحَفُ به ويُلْبَس، ويؤيِّدُه قوله: «حتى يغنيَهُم الله من فضله»، فالمأمورُ بالاستعفاف هو مَنْ عدِمَ المال الذي يتزوَّج به[(٥)] ويَقُوم بمصالح الزوجيَّة[(٦)].

والظاهرُ أنَّه أمرُ ندبٍ؛ لقوله قبل: «إن يكونوا فقراءَ يُغنهم اللهُ مِن فضله». ومعنى «لا يجدون نكاحاً» أي: لا يتمكَّنون من الوصول إليه، فالمعنى أنَّه أَمَرَ

(١) الكشاف ٣/ ٦٤.
(٢) هي عن الحسن في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٥، ومختصر ابن خالويه ص١٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٣١.
(٣) الكشاف ٣/ ٦٥.
(٤) في (ت) و(يه) والمطبوع: ولا يعلم أحدٌ.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٨١.
(٦) في (ت) و(يه): الزوجة.

بالاستعفاف كلٌّ من تعذَّرَ عليه النكاحُ ولا يجدُه بأيِّ وجهٍ تعذَّر، ثمَّ أغلبُ الموانع عن النكاح عدمُ المال[١].

«وحتّى يغنيهم» ترجيةٌ للمستعففين، وتقدمةٌ للوعد بالتفضُّل عليهم، فالمعنى: ليكون انتظارُ ذلك وتأميلُه لطفاً في استعفافهم، وربطاً على قلوبهم، وما أحسنَ ما ترتبت هذه الأوامر، حيث أمرَ أوَّلاً بما يعصِمُ عن الفتنة، ويُبْعِدُ عن مواقَعَةِ المعصية، وهو غضُّ البصر، ثمَّ بالنِّكاح الذي يُحْصَنُ به الدينُ، ويقعُ به الاستغناءُ بالحلال عن الحرام، ثمَّ بالحمل على النفسِ الأمَّارةِ بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أنْ يرزقَ القدرةَ عليه. انتهى. وهو من كلام الزمخشريّ[٢]، وهو حسن.

ولـمَّا بعث السيِّد على تزويج الصَّالحين من العبيد والإماء رغَّبهم في أنْ يكاتبُوهم إذا طلبوا ذلك، ليصيروا أحراراً فيتصرَّفون في أنفسهم.

«والذين يبتغون الكتاب» أي: المكاتبةَ، كالعتاب والمعاتبة «ممَّا ملكت أيمانكم» يعمُّ المماليكَ، الذكورَ والإناث. و«الذين» يَحتملُ أن يكون مبتدأً وخبرُه الجملة، والفاء دخلت في الخبر لما تضمَّن الموصولُ مِنْ معنى اسم الشرط، ويحتملُ أنْ يكون منصوباً، كما تقول: زيداً فاضربْهُ؛ لأنَّه يجوزُ أنْ تقولَ: زيداً فاضرب، وزيداً اضرب، فإذا دخلت الفاءُ كان التقديرُ: تنبَّه[٣]: فاضرب زيداً، فالفاءُ في جواب أمرٍ محذوف[٤]، وهذا يوضَّحُ في النحو بأكثر من هذا.

قال الأزهريُّ: وسُمِّي هذا العقدُ مكاتبةً، لما يُكتَبُ للعبدِ على السيِّد من العتق إذا أدَّى ما تراضيا عليه من المال، وما يُكْتَبُ للسيِّد على العبد من النُّجوم التي يؤدِّيها[٥].

والظاهرُ وجوبُ المكاتَبة؛ لقوله: «فكاتبوهم»، وهذا مذهبُ عطاء وعمرو بن

---

(١) المصدر السابق.
(٢) في الكشاف ٣/ ٦٥.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: بنية. وهو تحريف. والتصويب من روح المعاني ١٨/ ٣٣٩.
(٤) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٣٣٩: وأنت تعلم أنه لا يحتاج إلى هذا في الآية.
(٥) تهذيب اللغة ١٠/ ١٥٠.

دينار والضحَّاك وابن سيرين وداود، وظاهر قول عمر؛ لأنَّه قال لأنس حين سألَ سيرين الكتابةَ فتلكَّأ أنس: كاتبهُ أو لأضربنَّك بالدِّرَّة[١]. وذهبَ مالكٌ وجماعةٌ إلى أنَّه أمرُ ندب.

وصيغتُها: كاتبتكَ على كذا، ويُعيِّنُ ما كاتبَه عليه.

وظاهرُ الأمر يقتضي أنَّه لا يشترطُ تنجيمٌ ولا حلولٌ، بل يكون حالاً ومؤجَّلاً ومنجَّماً وغيرَ منجَّم، وهذا مذهب أبي حنيفة[٢]. وقال الشافعيُّ: لا يجوزُ على أقل من ثلاثة أنجم. وقال أكثرُ العلماء: يجوزُ على نجمٍ واحد. وقال ابنُ خويزمنداد: إذا كاتبَ على مالٍ معجَّلٍ، كان عتقاً على مال، ولم تكن كتابة. وأجاز بعضُ المالكيَّة الكتابةَ الحالَّة، وسمَّاها: قِطَاعةً[٣].

والخير: المال، قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحَّاك، أو: الحيلةُ التي تقتضي الكسبَ، قاله ابن عباس أيضاً، أو: الدِّين، قاله الحسن، أو: إقامةُ الصلاة، قاله عَبيدةُ السَّلمانيّ، أو: الصدقُ والوفاء والأمانة، قاله الحسن وإبراهيم، أو: إرادةُ خيرٍ بالكتابة، قاله سعيد بن جبير[٤]. وقال الشافعيُّ: الأمانةُ والقوَّة على الكسب[٥].

والذي يظهرُ من الاستعمال أنَّه الدِّين، يقولون[٦]: فلانٌ فيه خيرٌ، فلا يتبادرُ إلى الذِّهن إلَّا الصلاحُ. والأمرُ بالكتابةِ مقيَّدٌ بهذا الشرط، فلو لم يعلم فيه خيراً لم تكن الكتابةُ مطلوبةً بقوله: «فكاتبوهم».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٨١، والخبر أورده البخاري في صحيحه معلقاً قبل الحديث (٢٥٦٠)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٧٧)، (١٥٥٧٨)، والطبري ١٧/ ٢٧٦، والبيهقي ١٠/ ٣١٩. وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر رواية الطبري: إسناد صحيح.
(٢) الكشاف ٣/ ٦٥.
(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٤١.
(٤) الأقوال السابقة ـ عدا قول الحسن ـ في زاد المسير ٦/ ٣٧، وقول الحسن ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٨١.
(٥) تفسير الرازي ٢٣/ ٢١٨.
(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: يقول. وفي (ح): تقول. والمثبت من (ت) و(يه). وانظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٢٢، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢١٨.

والظاهرُ في «وآتوهم» أنَّه أمرٌ للمكاتبين، وكذا قال المفسِّرون وجمهورُ العلماء، واختلفُوا هل هو على الوجوب أو على الندب؟ واستحسنَ ابنُ مسعود والحسن أنْ يكون ثلثَ الكتابةِ، وعليٌّ ربعَها، وقتادةُ عشرَها.

وقال عمر: من أولِ نجومه؛ مبادرةً إلى الخير. وقال مالك: من آخر نجمٍ. وقال بُرَيدةُ والحسن والنخَعيُّ وعكرمةُ والكلبيُّ والمقاتلان: أمرَ الناسَ جميعاً بمواساة المكاتَبِ وإعانته. وقال زيد بن أسلم: الخطابُ لولاةِ الأمور أنْ يُعطوا المكاتبينَ من مالِ الصدقة حقَّهم، وهو الذي تضمَّنه قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾[1] [البقرة: ١٧٧].

وقال صاحبُ «النظم»: لو كان المراد بالإيتاء الحطَّ، لوجبَ أن تكون العبارةُ العربيَّةُ: ضعوا عنهم أو قاصوهم، فلمَّا قال: «وآتوهم» دلَّ على أنَّه من الزكاة؛ إذ هي مناولةٌ وإعطاءٌ، ويؤكِّدُه أنَّه أمرٌ بإعطاء، وما أُطْلِقَ عليه الإعطاء كان سبيلهُ الصدقة.

وقوله: «من مال الله الذي آتاكم» هو ما ثبتَ مِلْكهُ للمالك، أمر بإخراج بعضه، ومالُ الكتابة ليس بدَينٍ صحيح؛ لأنَّه على عبده، والمولى لا يثبتُ له على عبده دينٌ صحيحٌ، وأيضاً ما آتاهُ الله هو الذي يحصلُ في يده ويملكُهُ، وما يسقطُه عقيبَ العقد لا يحصلُ له عليه ملك، فلا يستحقُّ الصفةَ بأنَّه من مال الله الذي آتاه.

«ولا تُكْرِهوا فتياتِكم على البغاء» في «صحيح مسلم» عن جابر أنَّ جاريةً لعبد الله بن أبيّ يقال لها: مُسَيكة، وأخرى يُقَال: لها أُميمة، كان يُكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت[2].

وقيل: كانت له ستٌّ؛ معاذةُ، ومُسَيْكَة، وأُميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة، جاءته إحداهنَّ ذاتَ يوم بدينارٍ، وأخرى ببُرْدٍ، فقال لهما: ارجعا فازنيا، فقالتا: والله لا نفعلُ ذلك، وقد جاءنا الله بالإسلام، وحرَّم الزنى، فأتيا رسولَ الله ﷺ وشكتا، فنزلت[3].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/١٨٢، وتفسير القرطبي ١٥/٢٤٩-٢٥٠ دون قول عكرمة والكلبي والمقاتلين، فأوردهما الرازي في تفسيره ٢٣/٢١٨.
(٢) صحيح مسلم (٣٠٢٩): (٢٧).
(٣) تفسير الثعلبي ٤/٣٧٨ عن مقاتل.

والفتاة: المملوكة، وهذا خطابٌ للجميع، ويؤكِّدُ أن يكونَ «وآتوهم» خطاباً للجميع. والنهيُ عن الإكراه على الزنى مشروطٌ بإرادة التعفُّف منهنَّ؛ لأنَّه لا يمكنُ الإكراهُ إلَّا مع إرادة التحصُّن، أمَّا إذا كانت مريدةً للزنى فإنَّه لا يُتَصوَّر الإكراه. وكلمة «إن» وإيثارها على «إذا» إيذانٌ بأنَّ المسافحات[1] كنَّ يفعلنَ ذلك برغبةٍ وطواعيةٍ منهنَّ، وأنَّ ما وُجِدَ من مُعَاذة ومُسَيكة من حيِّز الشاذِّ النادر.

وقد ذهبَ هذا النظرُ على كثيرٍ من المفسِّرين، فقال بعضهم: «إن أردن» راجعٌ إلى قوله: «وأنْكِحوا الأيامى منكم». وهذا فيه بعدٌ وفصلٌ كثيرٌ، وأيضاً فـ «الأيامى» يَشملُ الذكورَ والإناث، فكان لو أُريد هذا المعنى لكان التركيبُ: إن أرادوا تحصُّناً، فيغلِّبُ المذكَّرُ على المؤنَّث، وقال بعضهم: هذا الشرطُ ملغى[2].

وقال الكرمانيُّ: هذا شرطٌ في الظاهر، وليس بشرطٍ، كقوله: «إن علمتم فيهم خيراً»، ومع أنَّه وإن كان لم يعلم خيراً صحَّتِ الكتابةُ.

وقال ابن عيسى: جاء بصيغة الشرطِ؛ لتفحيش الإكراه على ذلك، وقال[3]: لأنَّها نزلت على سبب، فوقع النهيُ على تلك الصفة[4]. انتهى.

و«عرضَ الحياة الدنيا» هو ما يكسبنَه بالزنى.

وقوله: «فإنَّ الله» جوابٌ للشرط، والصحيحُ أنَّ التقديرَ: غفورٌ رحيمٌ لهم؛ ليكونَ جوابُ الشرط فيه ضميرٌ يعودُ على «مَنْ» الذي هو اسمُ الشرط، ويكون ذلك مشروطاً بالتوبة، ولمَّا غَفَلَ الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة وأبو البقاء عن هذا الحكم قدَّروا: فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ لهنَّ[5]، أي: للمكرهات، فعريت جملةُ جوابِ الشرط مِنْ ضميرٍ يعودُ على اسم الشرط.

وقد ضَّعف ما قلناه أبو عبد الله الرازي، فقال: فيه وجهان؛ أحدهما: فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ لهنَّ؛ لأنَّ الإكراهَ يزيلُ الإثم والعقوبة مِنَ المُكْرَهِ فيما فعل.

---

(١) في (يه): المسامحات. وفي مطبوع الكشاف ٣/ ٦٧: المساعيات.
(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٨٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٣.
(٣) في (ت) و(يه): وقيل.
(٤) الأخير ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٨.
(٥) الكشاف ٣/ ٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٢، والإملاء ٢/ ١٥٥.

والثاني: فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ للمكرَه بشرطِ التوبة، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّه على التفسير الأوَّل لا حاجةَ لهذا الإضمار، وعلى الثاني يُحتاجُ إليه. انتهى[١].

وكلامُهم كلام مَنْ لم يمعن في لسان العرب. فإن قلت: قوله: «إكراههنَّ» مصدرٌ أضيف إلى المفعول، والفاعلُ مع المصدر محذوف، والمحذوفُ كالملفوظ، والتقدير: من بعد إكراههم إياهنَّ، والربطُ يحصلُ بهذا المحذوف المقدَّر، فلتجز المسألة. قلت: لم يعدُّوا في الروابط الفاعلَ المحذوف، تقول: هندٌ عجبتُ من ضربِها زيداً، فتجوز المسألة، ولو قلت: هندٌ عجبتُ من ضربِ زيداً. لم تجز.

ولمَّا قدَّر الزمخشريُّ في أحد تقديراته: لهنّ، أوردَ سؤالاً، فقال: فإن قلت: لا حاجةَ إلى تعليق المغفرة بهنَّ؛ لأنَّ المكرهةَ على الزنى بخلاف المكرَه عليه في أنَّها غيرُ آثمة. قلت: لعلَّ الإكراهَ كان دون ما اعتبرتْه الشريعةُ من إكراهٍ بقتلٍ، أو بما يُخافُ منه التلفُ، أو ذهابُ العضو من ضربٍ عنيفٍ وغيره، حتَّى يسلمَ من الإثم، وربَّما قصَّرت عن الحدِّ الذي تُعذَرُ فيه فتكونُ آثمةً. انتهى[٢].

وهذا السؤالُ والجوابُ مبنيَّان على تقدير: لهنَّ.

وقرأ «مبيَّنات» بفتح الياء الحِرْميَّان وأبو عمرو وأبو بكر[٣]، أي: بيَّن الله في هذه السورة وأوضحَ آياتٍ تضمَّنت أحكاماً وحدوداً وفرائضَ، فتلك الآيات هي المبيَّنة، ويجوزُ أن يكون المراد[٤]: مبيَّناً فيها، ثمَّ اتسع، فيكون المبيَّنُ في الحقيقة غيرَها، وهي ظرفٌ للمبيَّن. وقرأ باقي السبعة والحسن وطلحة والأعمش بكسر الياء[٥]، فإمَّا أن تكون متعدِّيةً، أي: مُبَيِّناتٍ غيرَها من الأحكام والحدود، فأسندَ ذلك إليها مجازاً، وإمَّا أن تكون لا تتعدَّى، أي بيِّناتٍ في نفسها، لا تحتاجُ إلى

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢١-٢٢٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٦٧.
(٣) السبعة ص٢٣٠، والتيسير ص١٦٢، وهي قراءة يعقوب وأبي جعفر من العشرة. انظر النشر ٢/ ٢٤٨.
(٤) في (ت) و(يه): التقدير.
(٥) القراءة عند الحسن وطلحة والأعمش في المحرر الوجيز ٤/ ١٨٢. وانظر التعليق السابق.

موضح، بل هي واضحةٌ، كقولهم في المثل: قد بَيَّنَ الصبحُ لذي عينين[١]. أي قد ظهرَ ووضح.

وقوله: «ومثلاً» معطوفٌ على «آيات» فيحتملُ أن يكون المعنى: ومثلاً من أمثال الذين[٢] من قبلكم، أي قصَّةً غريبةً مِنْ قَصصهم، كقصَّة يوسف ومريم في براءتهما كبراءة مَنْ رُميت بحديث الإفك[٣]، لينظرُوا قدرةَ الله في خلقه وصُنْعَه فيه فيعتبروا.

وقال الضحَّاك: والمراد بالمَثَل ما في التوراةِ والإنجيل من إقامة الحدود، فأنزلَ في القرآنِ مثلَه.

وقال مقاتل: أي: شَبهاً من حالهم في تكذيب الرُّسل، أي: بيَّنَّا لكم ما أحللنا بهم من العذاب لتمرُّدهم، فجعلنا ذلك مثلاً لكم؛ لتعلموا أنَّكم إذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلَهم في استحقاقِ العقاب[٤].

«وموعظةً للمتقين» أي: ما وَعَظَ في الآيات والمثل، من نحو قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ [النور: ٢]، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٢]، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [النور: ١٧]. وخصَّ المتَّقين؛ لأنَّهم المنتفعونَ بالموعظة.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

(١) انظر الكشاف ٣/ ٦٧، والمثل في مجمع الأمثال ٢/ ٩٩.
(٢) بعدها في (ت): خلوا.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ٦٧.
(٤) في (ت) و(يه): العذاب. وقولا الضحاك ومقاتل ذكرهما الرازي في تفسيره ٢٣/ ٢٢٢.

النورُ في كلام العرب: الضَّوءُ المُدْرَك بالبصرِ، فإسنادُه إلى الله تعالى مجازٌ، كما تقول: زيد كَرَمٌ وَجُود، وإسنادُه على اعتبارين؛ إمَّا على أنَّه بمعنى اسم الفاعل، أي: منوِّرُ السماواتِ والأرض، ويؤيِّدُ هذا التأويل قراءةُ عليٍّ بن أبي طالب، وأبي جعفر، وعبد العزيز المكِّيِّ، وزيد بن عليٍّ، وثابت بن أبي حفصة، والقَوْرَصيّ[1]، ومسلمة بن عبد الملك، وأبي عبد الرحمن السلميّ، وعبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة: «نَوَّرَ» فعلاً ماضياً، و«الأرضَ» بالنصب[2]، وإمَّا على حذفٍ، أي: ذو نور، ويؤيِّدهُ قوله: «مثلُ نوره». ويحتمل أن يجعل نوراً على سبيل المدح، كما قالوا: فلانٌ شمسُ البلاد ونورُ القبائلِ وقمرُها. وهذا مستفيضٌ في كلام العرب وأشعارها، قال الشاعر:

فإنَّكَ[3] شمسٌ والملوكُ كواكبٌ[4]

وقال آخر:

قَمَرُ القبائلِ خالدُ بنُ يزيدِ[5]

(١) قال ابن الأثير في غاية النهاية ١/ ١٨٥: أبو بكر القورسي وأخوه. لا أعرفهما، قيل: إنهما قرآا على نافع قراءته وقراءة أبي جعفر، وعنهما داود بن أحمد وجحدر بن عبد الرحيم، وقد انفردا في قراءة أبي جعفر بغرائب. انتهى. قلت: فلعله أحدهما.

(٢) القراءة عن علي ﷺ في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٨٠، وعن أبي جعفر وعبد العزيز المكي في القراءات الشاذة ص١٠١، وعن أبي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن عياش في المحرر الوجيز ٤/ ١٨٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٦٠.
وذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٠ عن أبي بن كعب وأبي المتوكل وابن السميفع.

(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: كأنك، وفي (ح): لأنك. والمثبت من (ت) و(يه).

(٤) صدر بيت للنابغة، وهو في ديوانه ص٧٤ (طبعة دار المعارف)، وعجزه:
إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ
وانفردت النسخة (ح) بذكر البيت كاملاً.

(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٣٨٠، وهو عجز بيتٍ لأبي تمام، وهو في ديوانه ١/ ٣٩٤، وصدره:
كنت الربيعَ أمامَه ووراءَه
وصدره في تفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٥:
هلا خصصت من البلاد بمقصدِ

وقال آخر:

إذا سار عبدُ الله من مرْوَ ليلةً فقد سارَ منها بدرُها وجمالُها

ويروى: نورُها(١).

وأضافَ النور إلى السماوات والأرض؛ للدلالة على سَعَة إشراقه، وفشوّ إضاءته حتى يضيء له السماوات والأرض. أو يراد: أهل السماوات والأرض وأنَّهم يَستضيئونَ به(٢).

وقال ابن عباس: «نور السماوات» أي: هادي أهل السماوات.

وقال مجاهد: مُدَبِّرُ أمورِ السماوات(٣).

وقال الحسن: منوِّرُ السماوات(٤).

وقال أبيٌّ: الله به نورُ السماوات، أو منه نورُ السماوات، أي ضياؤها.

وقال أبو العالية: مزيِّن السماوات بالشمسِ والقمرِ والنجوم، ومزيِّنُ الأرض بالأنبياء والأولياء(٥) والعلماء(٦).

وقيل: المنزَّهُ من كلِّ عيب، امرأةٌ نَوار: بريئةٌ من الرِّيبة والفحشاء(٧).

وقال الكرمانيُّ: هو الذي يَرى ويُرَى به، مجازٌ وُصِفَ اللهُ به؛ لأنَّه يَرى ويُرَى بسببه مخلوقاته؛ لأنَّه خلقَها وأوجدَها.

---

(١) بعدها في (ح): وجمالها. ولم أقف عليه برواية: بدرها وجمالها، والبيت لعمار بن الحسن يمدح عبد الله بن المبارك رحمه الله، كما في تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٢، وهو دون نسبة في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٦٧.

(٣) قولا ابن عباس ومجاهد ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٩-٤٠. وأخرجهما الطبري ١٧/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٤) انظر النكت والعيون ٤/ ١٠٢، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٢٧.

(٥) قوله: والأولياء. من (ت) و(يه).

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٢٣/ ٢٢٤، والقرطبي ١٥/ ٢٥٦ عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية.

(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ٣٨٠.

والظاهرُ أنَّ الضمير في «مثلُ نوره» عائدٌ على الله تعالى. واختلفوا في هذا القول، ما المراد بالنور المضافِ إليه تعالى؟

فقيل: الآياتُ البيِّنات في قوله: «ولقد أنزلنا إليكم آياتٍ مبيِّنات» وقيل: الإيمانُ المقذوف في قلوب المؤمنين.

وقيل: النور هنا هو رسولُ الله ﷺ.

وقيل: النورُ هنا المؤمن.

وقال كعب وابن جبير: الضميرُ في «نوره» عائدٌ على محمدٍ ﷺ، أي: مَثَلُ نورِ محمد.

وقال أبيٌّ: هو عائدٌ على المؤمنين[(١)]. وفي قراءته «مثل نور المؤمنين»، وروي في قراءته[(٢)]: «مثل نور المؤمن»، وروي أيضاً فيها: «مثلُ نورِ من آمنَ به»[(٣)].

وقال الحسن: يعودُ على القرآن والإيمان[(٤)].

وهذه الأقوالُ الثلاثةُ عادَ فيها الضمير على غير مذكور، وتفلَّتَ[(٥)] المعنى المقصود بالآية، بخلاف عودِه على الله تعالى، ولذلك قال مكيّ: يوقف على «والأرض» في تلك الأقوال الثلاثة[(٦)].

واختلفوا في هذا التشبيه، أهو تشبيهُ جملةٍ بجملةٍ لا يُقْصَد فيها إلى تشبيهِ جزءٍ بجزء ومقابلةِ شيءٍ بشيء، أو ممَّا قُصِد به ذلك؟ أي: مثلُ نورِ الله الذي هو هداه وإتقانُه صنعةَ كلِّ مخلوقٍ وبراهينُه الساطعة على الجملة، كهذه الجملة من النور

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٣.
(٢) قوله: مثل نور المؤمنين وروي في قراءته. ساقط من المطبوع.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٦١، والقراءتان الأخيرتان أخرجهما الطبري ١٧/ ٢٩٨، وفيه: مثل المؤمن. بدل: مثل نور المؤمن.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٣.
(٥) في (ت): ويقلب، وفي (يه): ونقلب، وفي المطبوع: ونقلت. والمثبت من (أ) و(ح) و(ع).
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٣.

الذي تتخذونَه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغُ صفاتِ النور الذي بين أيدي الناس، أي: مثلُ نورِ الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيُّها البشر.

وقيل: هو من التشبيهِ المفصَّل المقابل جزأً بجزء، وقرَّروه[١] على تلك الأقوال الثلاثة، أي: مثلُ نورِه في محمَّدٍ، أو في المؤمن، أو في القرآن والإيمان، كمشكاةٍ، فالمشكاةُ هو الرسولُ أو صدرُه، والمصباح هو النبوَّةُ وما يتَّصِلُ بها من علمه وهداه، والزجاجةُ قلبُه، والشجرةُ المباركة: الوحيُ والملائكةُ رسل الله إليه، وشبَّهَ الفصلَ به بالزيت، وهو الحججُ والبراهينُ والآياتُ التي تضمَّنها الوحيُ.

وعلى قول المؤمن، فالمشكاةُ: صدرُه، والمصباحُ: الإيمان والعلم، والزجاجةُ: قلبُه، والشجرةُ: القرآن، وزيتُها هو الحججُ والحكمةُ التي تضمَّنها. قال أبيّ: فهو على أحسن الحال، يمشي في الناس كالرجل الحيِّ يمشي في قبور الأموات.

وعلى قول الإيمان والقرآن، أي: مثلُ الإيمان والقرآن في صدرِ المؤمن في قلبه كمشكاةٍ. وهذا القول ليس في مقابلةِ التشبيه كالأوَّلين؛ لأنَّ المشكاةَ ليست تقابلُ الإيمان[٢].

وقال الزمخشريُّ: أي: صفةُ نورِه العجيبةُ الشأن في الإضاءة «كمشكاةٍ» أي: كصفة مشكاة. انتهى[٣].

ويظهرُ لي أنَّ قوله: «كمشكاةٍ» هو على حذف مضاف، أي: مثلُ نوره مثلُ نور مشكاة.

وتقدَّم في المفردات أنَّ المِشْكاةَ هي الكُوَّةُ غيرُ النافذة، وهو قولُ ابن جبير وسعيدِ بن عياض والجمهور. وقال أبو موسى: المشكاةُ: الحديدةُ والرصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة. وقال مجاهد: المشكاةُ: العمودُ الذي يكون المصباحُ على رأسه. وقال أيضاً: الحدائدُ التي تَعَلَّق فيها القنديل[٤].

---

(١) في (أ): وقدروه. وفي (ح): وقدره.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٣-١٨٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٦٧.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٤.

«فيها مصباحٌ» أي: سراجٌ ضخمٌ. والظاهرُ أنَّ الزجاجةَ ظرفٌ للمصباح؛ لقوله: «المصباح في زجاجة» وقدَّرهُ الزمخشريُّ: في زجاجٍ شامي[١]. وكأنَّه عنده أصفى الزجاج هو الشاميّ، ولم يقيِّد في الآية.

وقرأ أبو رجاء ونصرُ بن عاصم «في زِجاجة الزِّجاجة» بكسر الزاي فيهما[٢]، وابنُ أبي عبلة ونصرُ بنُ عاصم في رواية ابنِ مجاهد بفتحها[٣].

«كأنَّها» أي: كأنَّ الزجاجةَ لصفاءِ جوهرها وذاتها، وهو أبلغُ في الإنارة ولما احتَوتْ عليه من نور المصباح.

«كوكب دُرِّيّ» قال الضَّحاك: هو الزُّهرة[٤]. شبَّه الزجاجة في زَهْرتها بأحدِ الدراري من الكواكب المشاهير، وهي المشتري، والزُّهرة، والمرِّيخ، وسُهيل، ونحو ذلك[٥].

وقرأ الجمهور من السبعة؛ نافعٌ وابنُ عامر وحفصٌ وابنُ كثير: «دُرِّيّ» بضم الدال وتشديد الراء والياء[٦]. والظاهرُ نسبةُ الكوكب إلى الدُّرِّ لبياضه وصفائه، ويَحتَملُ أن يكون أصلُه الهمز، فأبدل وأدغم.

وقرأ قتادة وزيد بن علي والضحَّاك كذلك، إلَّا أنهما فتحا[٧] الدَّال، وروي ذلك عن نصر بن عاصم وأبي رجاء وابن المسيَّب[٨].

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٧.
(٢) مختصر ابن خالويه ص١٠٢. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤١ لمعاذ القارئ وعاصم الجحدري وابن يعمر.
(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، والمحتسب ٢/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٦٢ عن نصر بن عاصم. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤١ لأبي رجاء العطاردي وابن أبي عبلة.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٤.
(٥) الكشاف ٣/ ٦٧.
(٦) السبعة ص٤٥٥-٤٥٦، والتيسير ص١٦٢.
(٧) كذا.
(٨) القراءة عن قتادة والضحاك في المحتسب ٢/ ١١٠، وعن نصر بن عاصم وأبي رجاء وابن المسيب في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٤.

وقرأ الزهريُّ كذلك، إلَّا أنَّه كسر الدال[١].

وقرأ حمزة كذلك إلَّا أنَّه هَمَز، من الدَّرْءِ[٢]، بمعنى الدفع، أي: يدفعُ بعضُها بعضاً، أو يَدْفَعُ ضوؤها خفاءَها، ووزنها فُعِّيل. قيل: ولا يوجد فُعِّيل إلَّا قولهم مُرِّيق للعُصْفُر، و«دُرِّيء» في هذه القراءة. قيل: وسُرِّيَّة، إذا قيل: إنَّها مشتقَّةٌ من السرور، وأبدلَ من أحد المضعَّفات الياء، فأُدْغِمَتْ فيها ياء «فُعِّيل»، وسُمِعَ أيضاً: مُرِّيخ، للذي في داخل القَرْنِ اليابس، بضمِّ الميم وكسرها. وقيل منه: عُلِّيَّة. وقيل: «دُرِّيء» ووزنُه في الأصل: فُعُّول، كسُبُّوح، فاستُثقِل الضمُّ، فرُدَّ إلى الكسر، وكذا قيل في: سُرِّية وذُرِّيَّة.

وقرأ أبو عمرو والكسائيُّ كذلك، إلَّا أنَّه كسرَ الدال[٣]، وهو بناءٌ كثيرٌ في الأسماء، نحو: سِكِّين، وفي الأوصاف: سِكِّير.

وقرأ قتادة أيضاً، وأبانُ بن عثمان، وابنُ المسيَّب، وأبو رجاء، وعمرو بن فائد، والأعمشُ، ونصرُ بن عاصم كذلك، إلا أنَّه بفتح الدال[٤]. قال ابنُ جنِّيّ: وهذا عزيزٌ أي: بناءٌ عزيزٌ[٥]، لم يحفظ منه إلَّا السَّكِّينة بفتح السين وشدِّ الكاف. انتهى.

وفي الأبنية حكى الأخفشُ: كوكبٌ دَرِّيءٌ، من: درأته، ودَرِّيَّة[٦]، وعليكَ بالسَّكِّينة والوقار، عن أبي زيد. وحكى الفرَّاء بكسر السين[٧].

وقرأ الأخوَان وأبو بكر والحسنُ وزيدُ بن عليّ وقتادة وابنُ وثَّاب وطلحة

---

(١) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤١ للزهري وابن عمر وللمفضل عن عاصم.

(٢) أي بضم الدال وتشديد الراء والياء، وهي قراءة أبي بكر، لكن حمزة إذا وقف سهل الهمزة على أصله. السبعة ص٤٥٦، التيسير ص١٦٢.

(٣) كذا، والقراءة عنهما في السبعة ص٤٥٦، والتيسير ص١٦٢.

(٤) القراءة عنهم ـ عدا الأعمش ـ في المحتسب ٢/ ١١٠، وهي في مختصر ابن خالويه ص١٠٢ عن نصر بن عاصم وأبي رجاء وسعيد بن المسيب وأبان بن عثمان.

(٥) قوله: أي بناء عزيز. من (ت) و(يه). وانظر كلام ابن جني في المحتسب ٢/ ١١٠.

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤١ حكايةً عن بعضهم، وفي تاج العروس (درأ): أن الأخفش حكاه عن قتادة وأبي عمرو.

(٧) قال ابن منظور في لسان العرب (سكن): والسِّكِّينة بالكسر، لغةٌ عن الكسائي من تذكرة أبي علي.

وعيسى والأعمش: «تُوقَد» بضمِّ التاء، أي: الزجاجة[١]، مضارع أوقِدَتْ، مبنيًّا للمفعول، ونافعٌ وابنُ عامر وحفص كذلك، إلَّا أنَّه بالياء، أي: المصباح، وابنُ كثير وأبو عمرو: «تَوَقَّدَ» بفتح الأربعة فعلاً ماضياً، أي: المصباح[٢]، والحسن والسُّلَميُّ وقتادةُ وابنُ محيصن وسلَّام ومجاهد وابن أبي إسحاق والمفضَّل عن عاصم كذلك، إلَّا أنه بضمِّ الدَّال، مضارع تَوقَّد، وأصله تَتَوقَّد، أي: الزجاجة[٣].

وقرأ عبد الله: «وَقَّدَ» بغير تاء[٤] وشدَّد القاف، جعلَهُ فعلاً ماضياً، أي: وَقَّدَ المصباح.

وقرأ السُّلميُّ وقتادة وسَلَّام أيضاً كذلك، إلَّا أنَّه بالياء من تحت، وجاء كذلك عن الحسن وابن محيصن، وأصلُه: يتوقَّدُ، أي: المصباح، إلَّا أنَّ حذفَ التاء في تتوقَّد[٥] مقيسٌ؛ لدلالة ما أُبْقِيَ على ما حُذِف[٦]، وفي يَوقَّدُ شاذٌّ جدًّا؛ لأنَّ الياءَ الباقيةَ لا تدلُّ على التاء المحذوفة، وله وُجَيهٌ[٧] من القياس، وهو حملُه على يَعِد، إذ حمل عليه[٨] نَعِدُ[٩] وتَعِدُ وأَعِدُ في حذف الواو، وكذلك هذا، لمَّا حذفوا من تتوقَّد بالتَّاءين، حذفوا التاء مع الياء، وإن لم يكن اجتماعُ التاء والياء مُسْتَثقلاً.

(١) القراءة عنهم - عدا زيد بن علي - في المحرر الوجيز ٤/ ١٨٤، وقراءة الأخوين حمزة والكسائي وأبي بكر في السبعة ص٤٥٦، والتيسير ص١٦٢.
(٢) السبعة ص٤٥٦، والتيسير ص١٦٢.
(٣) ذكرها ابن خالويه في مختصره ص١٠٢ عن السلمي ومجاهد والحسن وجماعة والمفضل عن عاصم، ونسبها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٣٨، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٢٦٥ لنصر بن عاصم. ونسبها الرازي في تفسيره ٢٣/ ٢٣٦ للحسن ومجاهد وقتادة.
(٤) لم أقف عليها فيما بين يدي من التفاسير التي سبقت أبا حيان.
(٥) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: الياء في يتوقد. ولم تنقط في (ح). والمثبت هو الصواب. انظر المحتسب ٢/ ١١١.
(٦) من قوله: وأصله يتوقد.. إلى هنا ساقط من (يه).
(٧) في (ت) و(يه) والمطبوع: وجه.
(٨) في (ت): على، وفي (يه): عليه على. وليست في بقية النسخ. ولعلَّ المثبت هو الصواب.
(٩) في النسخ: يعد. والمثبت هو الصواب. انظر المحتسب ٢/ ١١١، والدر المصون ٨/ ٤٠٨.

«منْ شجرةٍ» أي: من زيت شجرة، وهي شجرةُ الزيتون.

«مباركةٍ» كثيرةِ المنافع، أو لأنَّها تنبتُ في الأرض التي باركَ فيها للعالمين. وقيل: بارك فيها سبعونَ نبيًا، منهم إبراهيم عليه السلام[١].

والزيتونُ من أعظم الشجر ثمراً ونماءً واطِّرادَ أفنان وغضارة أفنان، وقال أبو طالب:

بُـوْرِكَ الـمـيِّـتُ الـغـريـبُ كـمـا بـو ... رك نَـضْـرُ الـرُّمَّـان والـزَّيـتـون[٢]

«لا شرقيَّةٍ ولا غربيَّة» قال ابن زيد: هي من شجر الشام، فهي ليست من شرقِ الأرض ولا من غربها؛ لأنَّ شجرَ الشام أفضلُ الشجر.

وقال ابنُ عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم: هي في منكشف من الأرض، تصيبُها الشمسُ طولَ النهار، تستديرُ عليها، أي: فليست خالصةً للشرق فتُسَمَّى شرقيَّةً، ولا للغرب فتسمَّى غربية.

وقال الحسن: هذا مَثَل، وليست من شجر الدنيا، إذ لو كانت في الدنيا لكانت شرقيَّةً أو غربيَّة.

وعن ابن عباسٍ أنها في دوحةٍ[٣] أحاطت بها، فليست منكشفةً لا من جهةِ الشرق ولا من جهة الغرب. وهذا لا يصحُّ عن ابن عباس؛ لأنَّها إذا كانت بهذه الصفةِ فسدَ جناها[٤].

وقال عطيَّةُ[٥]: إنَّها في وسط الشجر، لا تصيبُها الشمسُ طالعةً ولا غاربةً، بل تصيبُها بالغداةِ والعشيّ.

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٤-١٨٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٨، والبيت في البرصان والعرجان للجاحظ ص٧٤، والأغاني ٩/ ٥١، ومصارع العشاق ٢٥٠١١، والخزانة ١٠/ ٤٦٣، وروايته عند الجاحظ: نضح الرمان، وفي الأغاني ومصارع العشاق: نضر الريحان، وفي تفسير القرطبي: بيع الرمان. وفي الخزانة: غصن الريحان.

(٣) في (أ) والمطبوع: درجة.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥. والآثار السالفة منه.

(٥) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: ابن عطية. وهو خطأ. والمثبت من (يه)، وقول عطيةٍ

وقال عكرمة: هي من شجر الجنَّة[١].

وقال ابن عمر: الشجرة مَثَلٌ، أي: إنَّها ملة إبراهيم، ليست بيهوديَّةٍ ولا نصرانيَّة[٢].

وقيل: ملَّة الإسلام، ليست بشديدةٍ ولا ليِّنةٍ.

وقيل: لا مضحى ولا مفيأة[٣]، ولكن الشمسَ والظلَّ يتعاقبان عليها، وذلك أجودُ لحملِها وأصفى لدُهْنِها.

و«زيتونة» بدلٌ من «شجرة»، وجَوَّزَ بعضُهم فيه أن يكون عطف بيان، ولا يجوزُ على مذهب البصريين؛ لأنَّ عطفَ البيان عندهم لا يكون إلَّا في المعارف، وأجازَ الكوفيُّون وتبعَهم الفارسيُّ أنَّه يكون في النكرات.

و«لا شرقيَّةٍ ولا غربيةٍ» على قراءة الجمهور بالخفضِ صفة لـ «زيتونة»[٤]. وقرأ الضحَّاك بالرفع، أي: لا هي شرقيةٌ ولا غربيةٌ، والجملةُ في موضع الصفة.

«يكاد زيتُها يضيء ولو لم تمسسهُ نار» مبالغةٌ في صفاء الزيت، وأنَّه لإشراقه وجودتهِ يكادُ يضيءُ من غير نار، والجملةُ من قوله: «ولو لم تمسسه نار» حاليَّةٌ معطوفةٌ على حالٍ محذوفةٍ، أي: يكادُ زيتُها يضيء في كلِّ حال، ولو في هذه الحال التي تقتضي أنَّه لا يضيءُ لانتفاءِ مسِّ النارِ له.

وتقدَّم لنا أنَّ هذا العطفَ إنَّما يأتي مرتَّباً لما كان لا ينبغي أنْ يقع لامتناع

= ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٠٤. وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٩٩-٢٦٠٠ (١٤٥٩٧).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣ عن الحسن، وسلف قريباً بنحوه.

(٢) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٠٥.

(٣) المفيأة: موضع الفيء، وهو ما كان شمساً فينسخه الظل. القاموس (فيأ).
وفي الكشاف ٣/ ٦٧ ـ والكلام منه ـ: مقنأة. بدل: مفيأة. والمقنأة: المكان لا تطلع عليه الشمس. القاموس (قمأ)، و(قنأ). فالمعنى بينهما قريب. وانظر حاشية الشهاب ٦/ ٣٨٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥.

الترتيب في العادة، وللاستقصاء، حتَّى يدخلَ ما لا يقدَّرُ دخولهُ فيما قبلَه، نحو: «أعطُوا السائلَ ولو جاء على فرس»[١]، «رُدُّوا السائلَ ولو بظِلْفٍ مُحَرَّقٍ»[٢].

وقرأ الجمهور: «تَمْسَسْه» بالتاء، وابنُ عباس والحسن بالياء من تحت[٣]، وحسَّنَهُ الفصلُ وأنَّ تأنيثَ النارِ مجازيٌّ، وهو مؤنَّثٌ بغير علامة.

«نورٌ على نور» أي: متضاعِفٌ، تَعاون عليه المشكاةُ والزُّجاجةُ والمصباحُ والزيتُ، فلم يبقَ ممَّا يقوِّي النورَ ويزيدهُ إشراقاً شيءٌ؛ لأنَّ المصباحَ إذا كان في مكانٍ ضيِّقٍ، كانَ أجمعَ لنورِهِ، بخلاف المكانِ المتَّسع، فإنَّه ينشرُ النورَ، والقنديلُ أعونُ شيءٍ على زيادة النور، وكذلك الزيت وصفاؤه[٤]، وهنا تمَّ المثال.

ثمَّ قال: «يهدي اللهُ لنوره من يشاء» أي: لهداه والإيمان مَنْ يشاءُ هدايتَه ويصطفيهِ لها. ومَنْ فسَّر النورَ في «مَثَلُ نوره» بالنبوَّة، قَدَّر: يهدي اللهُ إلى نُبوَّته[٥]. وقيل: إلى الاستدلالِ بالآيات.

ثمَّ ذكرَ تعالى أنَّه يضربُ الأمثالَ للناس ليقعَ لهم العبرةُ والنظرُ المؤدِّي إلى الإيمان، ثمَّ ذكرَ إحاطةَ علمه بالأشياء، فهو يضعُ هداه عند من يشاء.

«في بيوتٍ» متعلِّق بـ «توقد». قاله الرمانيّ[٦].

أو في موضع الصفة لقوله: «كمشكاةٍ» أي: كمشكاةٍ في بيوت. قالهُ الحَوفي، وتبعَهُ الزمخشريُّ قال: كمشكاةٍ في بعض بيوت الله، وهي المساجد، كأنَّه قال: مثلُ نورِهِ كما ترى[٧] في المسجد نورَ المشكاة التي من صفتِها كيتَ وكيت. انتهى. وقوله: كأنَّه إلى آخره تفسيرُ معنىً لا تفسير إعراب.

---

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية (١٧٠) من سورة البقرة، وعند تفسير الآية (٩١) من آل عمران.

(٢) سلف الحديث عند تفسير الآية (٩١) من سورة آل عمران.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥، والقراءة عن ابن عباس في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٨، ومختصر ابن خالويه ص١٠٢، والمحتسب ٢/ ١١١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٦٥.

(٤) الكشاف ٣/ ٦٨.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٠٦.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥.

(٧) في (ت) والكشاف ٣/ ٦٨: يرى.

أو في موضع الصفة لـ: «مصباح»، أي: مصباح في بيوت. قاله بعضهم.

أو في موضع الصفة لـ «زجاجة». قاله بعضهم.

وعلى هذه الأقوال الأربعة لا يوقف على قوله: «عليم».

وقيل: «في بيوت» مستأنف، والعامل فيه «يسبّح» حكاه أبو حاتم[1]، وجوَّزَهُ الزمخشريُّ فقال وقد ذَكَرَ تعلُّقه بـ «كمشكاة»، قال: أو بما بعدَه، وهو «يسبِّح»، أي يسبِّحُ له رجالٌ في بيوت، وفيها تكريرٌ، كقولك: زيدٌ في الدار جالس فيها، أو بمحذوفٍ، كقوله: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل: ١٢] أي: سبِّحوا في بيوت. انتهى[2].

وعلى هذه الأقوال الثلاثة[3] يوقف على قوله: «عليم».

والذي أختارهُ أن يتعلَّقَ «في بيوت» بقوله: «يسبِّح»، وأنَّ ارتباطَ هذه بما قبلَها هو أنَّه تعالى لمَّا ذكرَ أنَّه يهدي لنورهِ مَنْ يشاء، ذكرَ حالَ من حَصَلَتْ له الهدايةُ لذلك النور، وهم المؤمنون، ثم ذكرَ أشرفَ عبادتهم[4] القلبيَّة، وهو تنزيهُهم الله عن النقائصِ، وإظهارُ ذلك بالتلفُّظِ به في مساجد الجماعات، ثمَّ ذكرَ سائرَ أوصافِهم، من التزام ذكر اللهِ، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، وخوفِهم ما يكون في البعث، ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفَّار في قوله: «والذين كفروا»، وكأنَّه لمَّا ذُكِرت الهدايةُ للنُّور، جاء[5] التقسيمُ لقابل الهداية وعدم قابلها، فبُدِئ بالمؤمن وما تأثَّر به مِنْ أنواع الهدى، ثمَّ ذُكِرَ الكافر.

والظاهرُ أنَّ قولَه: «في بيوت» أريدَ به مدلوله من الجمعية.

وقال الحسن: أُرِيدَ به بيتُ المقدس، وسُمِّيَ: بيوتاً، من حيثُ فيه مواضعُ يَتَحيَّزُ بعضُها عن بعضٍ[6].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥.
(٢) الكشاف ١/ ٦٨.
(٣) لم يذكر المصنف سوى قولين. وانظر الدر المصون ٨/ ٤٠٩، وقد نبه فيه على ذلك.
(٤) في (ت) و(يه): عباداتهم.
(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: جاء في.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥.

ويؤثَر أنَّ عادة بني إسرائيل في وَقيده في غاية التهمُّم، والزيتُ مختومٌ على ظروفه، وقد صُنِعَ صنعةً وقُدِّسَ حتى لا يَجْري الوقيدُ بغيرِهِ، فكانَ أضوأ بيوتِ الأرض[1].

والظاهر أنَّ «في بيوت» مطلقٌ، فيصدقُ على المساجدِ والبيوتِ التي تقعُ فيها الصلاةُ والعلم.

وقال مجاهد: بيوتُ الرسول ﷺ[2].

وقال ابنُ عباس والحسن أيضاً ومجاهد[3]: هي المساجد التي مِنْ عادتها أن تُنَوَّر بذلك النوعِ من المصابيح[4].

وقيل: الكعبةُ، وبيتُ المقدسِ، ومسجدُ الرسول عليه الصلاة والسلام، ومسجدُ قباء[5].

وقيل: بيوتُ الأنبياء[6].

ويقوِّي أنَّها المساجد قولُه: «يسبِّحُ له فيها بالغدوِّ والآصال»، وإذنُه تعالى وأمرُه بأنْ تُرْفَعَ، أي: يعظَّمَ قدرُها. قاله الحسن والضحاك[7].

وقال ابنُ عباس ومجاهد: تُبنى وتُعلى، من قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[8] [البقرة: ١٢٧].

وقيل: «تُرْفَع» تُطَهَّر من الأنجاس والمعاصي.

(١) المصدر السابق.
(٢) زاد المسير ٦/ ٤٦.
(٣) في (ت) و(ع): والحسن ومجاهد أيضاً.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٥.
(٥) تفسير الرازي ٢٤/ ٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٧٠.
(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٨٦ عن أنس وبريدة ﵄ مرفوعاً.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٦، وزاد المسير ٦/ ٤٦.
(٨) ذكره عن ابن عباس الزمخشري في الكشاف ٣/ ٦٨، وعن مجاهد ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٨٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٦. وأخرجه الطبري ١٧/ ٣١٨.

وقيل: «ترفع» أي: ترفعُ فيها الحوائجُ إلى الله[١].

وقيل: ترفعُ الأصواتُ بذكرِ الله وتلاوة القرآن.

«ويُذْكَرَ فيها اسمُه» ظاهرُهُ مطلقُ الذِّكر، فيعمُّ كلَّ ذكرٍ عمومَ البدل. وعن ابن عباس: توحيدُه، وهو لا إله إلَّا الله. وعنه: يُتْلَى فيها كتابُه[٢]. وقيل: أسماؤه الحسنى[٣]. وقيل يصلَّى فيها.

وقرأ الجمهور: «يُسَبِّحُ» بكسر الباء وبالياء من تحت، وابنُ وثَّاب وأبو حيوة كذلك إلَّا أنَّه بالتَّاء من فوق[٤]، وابنُ عامر وأبو بكر والبحتريُّ عن حفص ومحبوبٌ عن أبي عمرو والمنهال عن يعقوب والمفضَّلُ وأبان بفتحها وبالياء من تحت[٥]، وأحدُ المجرورات في موضع المفعول الذي لم يسمَّ فاعلُه، والأولى الذي يلي الفعل؛ لأنَّ طلبَ الفعلِ للمرفوع أقوى من طلبِه للمنصوب الفضلة.

وقرأ أبو جعفر: «تُسَبَّحُ» بالتاء من فوق وفتح الباء[٦].

قال الزمخشريُّ: ووجهُها أنْ تُسْنَدَ إلى أوقات الغدوِّ والآصال على زيادة الباء، وتُجْعَلَ الأوقاتُ مسبَّحةً، والمُرادُ: ربُّها، كـ: صِيْدَ عليه يومان، والمراد: وَحْشُهُما. انتهى[٧].

ويجوزُ أن يكونَ المفعولُ الذي لم يُسمَّ فاعلُه ضميرَ التسبيحة الدالّ عليه «تُسَبَّح»، أي: تسبَّح له هي، أي: التسبيحة، كما قالوا: «لِيُجْزَى قوماً»[٨] في قراءة

(١) القولان الأخيران ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٤/١٠٦.
(٢) زاد المسير ٦/٤٧.
(٣) النكت والعيون ٤/١٠٧ ونسبه لابن جرير. وقول ابن جرير كما في تفسيره ١٧/٣١٩: وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها.
(٤) القراءة عن ابن وثاب في المحرر الوجيز ٤/١٨٦، وعن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه ص١٦٢، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤٧ لمعاذ القارئ وأبي حيوة.
(٥) قراءة ابن عامر وأبي بكر في السبعة ص ٤٥٦، والتيسير ص١٦٢.
(٦) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، والكشاف ٣/٦٨.
(٧) الكشاف ٣/٦٨.
(٨) الآية ١٤ من سورة الجاثية، وهي قراءة أبي جعفر. انظر النشر ٢/٣٧٢.

من بناه للمفعول، أي: لِيُجْزَى هو، أي: الجزاء. وقرأ أبو مجلز: «والإيصال»[١] وتقدَّمَ نظيرُه.

وارتفع «رجالٌ» على هاتين القراءتين على الفاعليَّة بإضمار فعلٍ، أي: يُسبِّحُ أو تُسبِّحُ له رجالٌ. واختُلِفَ في اقتياس هذا، فعلى اقتياسه: نحو: ضُرِبَتْ هندٌ زيدٌ، أي: ضربَها زيدٌ. ويجوزُ أن يكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أي: المسبِّحُ رجالٌ.

وتقدَّمَ الكلامُ في تفسير «الغدوِّ والآصال» والمرادِ بهما[٢].

ثمَّ ذكر تعالى وصفَ المسبِّحين بأنَّهم لمراقبتِهم أمرَ الله وطلبهم رضَاه لا يشتغلون عن ذكرِ الله.

واحتمل قوله: «لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ» وجهين:

أحدهما: أنَّهم لا تجارةَ لهم ولا بيعَ فيلهيهم عن ذكرِ الله، كقوله:

على لاحبٍ لا يُهْتَدى بمنارِهِ[٣]

أي: لا منارَ له فيُهتَدَى به.

والثاني: أنَّهم ذَوو تجارةٍ وبيعٍ، ولكن لا يَشْغَلُهم ذلك عن ذكر الله وعمَّا فُرِضَ عليهم.

والظاهرُ مغايرةُ التجارةِ والبيع، ولذلك عطف، فاحتَمل أنْ تكون «تجارةٌ» من إطلاق العام ويُرَاد به الخاصّ، فأرادَ بالتِّجارة الشراءَ، ولذلك قابلَه بالبيع، أو يراد: تجارةُ الجَلب، ويقال: تَجَرَ فلانٌ في كذا، إذا جَلَبَهُ. وبالبيع البيعُ بالأسواقِ.

ويَحتملُ أنْ يكون: «ولا بيعٌ» من ذِكر خاصٍّ بعد عام؛ لأنَّ التجارةَ هي البيعُ

(١) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، والمحتسب ٢/ ١١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٦.
(٢) عند تفسير الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف.
(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٦٦، وعجزه:
إذا سافَهُ العَوْدُ النباطيُّ جرجرا
وسلفَ عند تفسير الآية (١٦) من سورة البقرة.

والشراءُ طلباً للربح، ونبَّهَ على هذا الخاصّ؛ لأنَّه في الإلهاءِ أدخلُ من قِبَل أنَّ التاجرَ إذا اتَّجهت له بيعةٌ رابحةٌ، وهي طِلْبَتُهُ الكُلِّيَّةُ من صِناعته؛ أَلْهَتْهُ ما لا يلهيهِ شيءٌ يَتَوَقَّعُ فيه الربح؛ لأنَّ هذا يقينٌ وذاك مظنونٌ.

قال الزمخشريُّ[1]: التاء في «إقامة» عوضٌ من العين الساقطة للإعلال، والأصل: إقوام، فلمَّا أضيفَت أقيمت الإضافة مُقَامَ حرف التعويض، فأُسْقِطت، ونحوه:

وأخلفوك عِدَ[2] الأمر الذي وَعدوا

انتهى.

وهذا الذي ذَكَرَ من أنَّ التاءَ سقطت لأجلِ الإضافة هو مذهب الفرَّاء[3]، ومذهبُ البصريين أنَّ التاءَ من نحو هذا لا تسقطُ للإضافة، وتقدَّمَ لنا الكلامُ على «وإقام الصلاة» في «الأنبياء»[4]. وصدرُ البيتِ الذي أنشدَ عجُزَه قولُه:

إنَّ الخليطَ أَجَدُّوا البَيْنَ فانْجَرَدوا[5].

وقد تأوَّل خالدُ بن كلثوم[6] قولَه: عِدَا[7] الأمر على أنَّه جَمع عَدْوَة، والعدوة: الناحية، كأنَّ الشاعرَ أرادَ نواحي الأمر وجوانبَه.

«يخافونَ يوماً» هو يومُ القيامة، والظاهرُ أنَّ معنى «تتقلَّبُ»: تضطربُ من هولِ ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، فَتَقَلُّبها هو قلقُها واضطرابُها، فتتقلَّبُ من طمعٍ في النَّجاة إلى طمعٍ، ومن حذرِ هلاكٍ إلى هلاك، وهذا المعنى تستعملهُ العرب في الحروب، كقوله:

---

(١) الكشاف ٢/ ٦٩، وما قبله منه.

(٢) في (ت) و(ح): عدا.

(٣) في معاني القرآن له ٢/ ٢٥٤.

(٤) عند تفسير الآية (٧٣) منها.

(٥) سلف عند تفسير الآية (٢٨٠) من سورة البقرة.

(٦) هو خالد بن كلثوم الكلبي الكوفي، لغوي نحوي راوية نسابة، عارف بالألقاب وأيام الناس، وله صنعة في الأشعار والقبائل، وله تصانيف، منها «أشعار القبائل». إنباه الرواة ١/ ٣٥٢، وبغية الوعاة ١/ ٥٥٠.

(٧) في (يه): عد. ولعلها هنا بالألف على تأويل خالد بن كلثوم.

بل كان قلبُك في جناحَي طائرِ[١]

ويَبْعُدُ قولُ من قال: تتقلَّبُ على جمر جهنَّم. لأنَّ ذلك ليس في يوم القيامة، بل بعده[٢]. وقولُ من قال[٣]: إنَّ تقلُّبها ظهورُ الحقِّ لها، أي: فتتقلَّبُ عن معتقدات الضَّلال إلى اعتقاد الحقِّ على وجهِهِ، فتفقهَ القلوبُ بعد أنْ كانت مطبوعاً عليها، وتُبصرَ الأبصارُ بعد أن كانت عُمياً. والقولُ الأولُ أبلغ في التهويل[٤].

وقرأ ابنُ محيصن: «تَقَلَّبُ» بإدغام التَّاء في التاء[٥].

واللام في «ليجزيَهم» متعلِّقةٌ بمحذوفٍ، أي: فعلُوا ذلك ليجزيَهم، ويجوزُ أنْ تتعلَّق بـ «يسبح»[٦]، وهو الظاهر. وقال الزمخشريُّ: والمعنى: يسبِّحون ويخافون ليجزيَهم. انتهى[٧].

والظاهرُ أنَّ قولَه: «يخافون» صفةٌ لـ «رجال»، كما أنَّ «لا تلهيهم» كذلك.

«أحسن» هو على حذف مضاف، أي: ثوابَ أحسنِ ما عملوا، أو أحسنَ جزاءِ ما عملوا.

«ويزيدهم من فضله» على ما تقتضيه أعمالُهم، فأهلُ الجنَّة أبداً في مزيد.

وقال الزمخشريُّ: «ليجزيَهم» ثوابَهم مضاعفاً، ويزيدَهم على الثواب تفضُّلاً، وكذلك معنى قوله: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: المثوبةُ الحسنى وزيادةٌ عليها من التفضُّل، وعطاءُ الله عزَّ وجلَّ إمَّا تفضُّلٌ وإمَّا ثوابٌ وإمَّا عوض. «والله يرزقُ من يشاء»

---

(١) عجز بيت لعمران بن حطان السدوسي، وصدره:

هلَّا برزتَ إلى غزالةَ في الوغى

وهو في الكامل ٢/ ٩٢٩، والأغاني ١٨/ ١١٦، وانظر شعر الخوارج ص١٦٦-١٦٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٦.

(٣) يعني: ويبعد قول من قال.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٨٦، والكشاف ٣/ ٦٩.

(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، وإتحاف فضلاء البشر ص٤١٢. وفي مطبوع ابن خالويه: يوماً تقلب بتشديد التاء يزيد يتقلب ابن محيصن. ولعلَّ الصواب: يريد.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٧.

(٧) الكشاف ٣/ ٦٩.

ما يتفضَّلُ به «بغير حساب»، فأمَّا الثوابُ فله حسنات لكونه على حسب الاستحقاق. انتهى[١].

وفي قوله: على حسب الاستحقاق. دسيسةُ اعتزال.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

لمَّا ذكر تعالى حالةَ الإيمان والمؤمنين، وتنويرَه قلوبَهم، وَوَصَفَهُم بما وَصَفَهُم من الأعمالِ[٢] النافعةِ في الآخرة، أعقبَ ذلك بذكر مقابلهم الكفرة وأعمالهم، فمثَّل لهم ولأعمالهم مثَلَين؛ أحدهما يقتضي بُطْلَ[٣] أعمالهم في الآخرة، وأنَّهم لا ينتفعونَ بها، والثاني يقتضي حالَها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظُّلمة[٤]، شبَّه أوَّلاً أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسرابٍ في مكانٍ منخفضٍ، ظنَّه العطشانُ ماءً، فقصدَه وأتعبَ نفسَه في الوصول إليه «حتى إذا جاءه» أي: جاء موضعَه الذي تخيَّله فيه «لم يجدهُ شيئاً» أي: فقدَه؛ لأنَّه مع الدنوِّ لا يرى شيئاً، كذلك الكافرُ يظنُّ أنَّ عملَهُ في الدُّنيا نافعُهُ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم ينفعهُ عملُهُ، بل صار وبالاً عليه.

وقرأ مسلمةُ بنُ محاربٍ: «بِقِيْعات» بتاءٍ ممطوطة[٥]، جمع: قِيْعَة، كدِيمات وقِيمات في دِيمة وقِيمة. وعنه أيضاً بتاء شكل الهاء[٦]، ويقفُ عيها بالهاء، فاحتَمَلَ أنْ يكون جمع قيعة، ووقفَ بالهاء على لغة طيّ. كما قالوا: البَنَاه والأَخواه في الوقف على: البنات والأخوات.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) بعدها في (ت): الصالحة.
(٣) في المطبوع: بطلان.
(٤) انظر المحرر الوجيز ٣/ ٦٩.
(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، والمحتسب ٢/ ١١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٧. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٩ لأبي بن كعب وعاصم الجحدري وابن السميفع.
(٦) المحتسب ٢/ ١١٣.

قال صاحبُ «اللوامح»: ويجوزُ أنْ يريد «قيعة» كالعامَّة، أي: كالقراءة العامَّة، لكنَّه أشبعَ الفتحةَ، فتولَّدت منها الألف، مثل: مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْباع[١].

وقال الزمخشريُّ: وقد جعل بعضهم «بِقِيْعاة»[٢] بتاء مدوَّرة[٣]، كرجلٍ عِزْهَاة[٤].

وقال صاحبُ «اللوامح» ويجوزُ أنَّه جعلهُ مثل: سَعْلَة وسَعْلاة وليلة ولَيلاة.

والقِيعةُ مفردٌ مرادفٌ للقاع، أو جمعُ: قاع، كنارٍ ونِيْرَة، فتكون على هذا قراءة «قيعات» جمعَ صحَّة، تناولَ جمع تكسيرٍ، مثل: رجالات قريش، و: «جمالات صفر»[٥].

وقرأ شيبةُ وأبو جعفر ونافع بخلافٍ عنهما: «الظَّمَان» بحذف الهمزة[٦]، ونقل حركتِها إلى الميم.

والظاهرُ أنَّ قوله: «يحسبهُ الظمآن» هو من صفاتِ السَّرابِ، ولا يعني إلَّا مطلق الظمآن، لا الكافر الظمآن.

وقال الزمخشريُّ: شبَّه ما يعملُهُ مَنْ لا يَعتقدُ الإيمانَ ولا يَتَّبِعُ الحقَّ مِن الأعمال الصالحة التي يحسبُها تَنْفعهُ عند الله وتُنْجِيه من عذابهِ يومَ القيامة، ثمَّ يَخيبُ في العاقبة أملُهُ، ويَلْقَى خلافَ ما قدَّرَ، بسرابٍ يراهُ الكافرُ بالساهرة، وقد غلبهُ عطشُ يوم القيامة، فيحسبهُ ماءً، فيأتيه، فلا يجدُ ما رجاه، ويجدُ زبانيةَ الله عنده يأخذونَه ويَعْتِلونَه، ويسْقُونَه الحميمَ والغَسَّاق، وهم الذين قال الله فيهم:

(١) هو من أمثال العرب. الاخرنباق: الإطراق والسكوت، والانبياع: الامتداد والوثب، أي: أنّه أطرق ليثب. مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٩.
(٢) في المطبوع: بقيعات.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ممدودة وفي (ت): ممددة، وفي (يه): مدرورة. والمثبت من الكشاف ٣/ ٦٩.
(٤) هو الذي يعزف عن اللهو والنساء. القاموس (عزه) وانظر المحتسب ٢/ ١١٣.
(٥) الآية (٣٣) من سورة المرسلات، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي بكر بن عاصم. التيسير ص٢١٨.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٩.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقيل: نزلت في عُتبة بن ربيعة بن أميَّة، كان قد تعبَّد ولَبِسَ المُسُوح، والتمسَ الدِّينَ في الجاهلية، ثمَّ كَفَرَ في الإسلام. انتهى[١].

فجعلَ «الظمآن» هو الكافر حتى تطَّرِدَ الضمائرُ في «جاءه» و«لم يجده» و«وجدَ» و«عنده» و«فوفَّاه» لشخصٍ واحد، وغيرُه غايرَ بين الضمائر، فالضمير في «جاءه» و«لم يجده» للظمآن، وفي «ووجد» للكافر الذي ضرب له مثلاً بالظمآن، أي: ووجدَ هذا الكافرُ وعدَ الله بالجزاء على عمله بالمرصاد فوفَّاه حسابَ عملِه الذي جازاه عليه[٢]، وهذا معنى قول أبيّ وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة[٣]، وأفردَ الضميرَ في «ووجدَ» بعد تقدُّم الجمع حملاً على كلِّ واحدٍ من الكفَّار.

وقال ابنُ عطيَّة: يحتملُ أن يعود الضمير في «جاءه» على السراب، ثمَّ في الكلام متروكٌ كثيرٌ يدلُّ عليه الظاهر، تقديره: وكذلك الكافرُ يومَ القيامة، يظنُّ عملَه نافعاً «حتَّى إذا جاءَهُ لم يجده شيئاً»، ويحتملُ الضميرُ أن يعودَ على العمل الذي يدلُّ عليه قولُه «أعمالهم»، ويكون تمام المَثَل في قوله: «ماء»، ويَستغني الكلامُ عن متروكٍ على هذا التأويل، لكن يكون في المثل إيجازٌ واقتضابٌ لوضوح المعنى المراد به «ووجد الله عندَه» أي: بالمجازاة، والضميرُ في «عنده» عائدٌ على العمل. انتهى[٤].

والذي يظهرُ لي أنَّه تعالى شبَّه أعمالَهم في عدم انتفاعهم بها بسرابٍ صفتُه كذا، وأنَّ الضمائرَ فيما بعد «الظمآن» له، والمعنى في «ووجدَ الله عنده» أي: ووجدَ مقدورَ الله عليه من هلاكٍ بالظَّمأ عنده، أي: عندَ موضع السَّراب، فوفَّاه ما كُتِبَ له من ذلك، وهو المحسوبُ له، والله معجِّل حسابه، لا يؤخِّره عنه؛

(١) الكشاف ٢/ ٦٩، وسبب النزول ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٩٠ عن مقاتل.
(٢) انظر زاد المسير ٦/ ٤٩.
(٣) أخرج أقوالهم ـ عدا قول الحسن ـ الطبري ١٧/ ٣٢٧-٣٢٩.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٧.

فيكونُ الكلامُ متناسقاً، آخذاً بعضُه بعُنُق بعض، وذلك باتِّصالِ الضمائر لشيءٍ واحد، ويكونُ هذا التشبيهُ مطابقاً لأعمالهم من حيثُ إنَّهم اعتقدوها نافعةً، فلم تنفعهم، وحصلَ لهم الهلاكُ بإثر ما حوسبوا.

وأمَّا في قول الزمخشريّ، فإنَّه وإن جعلَ الضمائرَ للظمآن، لكنَّه جعل الظمآنَ هو الكافر، فيؤول التشبيهُ فيه إلى أنْ شبَّه أعمالَ الكفَّار بعمل الكافر[1]، وهو تشبيهُ الشيء بنفسه، كما قال: وشبَّه الماءَ بعد الجَهدِ بالماء[2].

وأمَّا في قول غيره، ففيه تفكيكٌ للكلام؛ إذ غايرَ بين الضمائر، وانقطعَ ترصيفُ الكلام بجعلِ بعضهِ مُفْلَتاً من بعض.

«أو كظلماتٍ» هذا التشبيهُ الثاني لأعمالهم، فالأوَّل فيما تؤول إليه أعمالهم في الآخرة، وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا، وبدأ بالتشبيه الأوَّل لأنَّه آكدُ في الإخبار؛ لما فيه من ذكرِ ما يَؤول إليه أمرُهم من العقاب الدائم والعذابِ السرمديّ، ثمَّ أتبعَهُ بهذا التمثيل الذي نبَّههم على ما هي أعمالُهم عليه، لعلَّهم يرجعون إلى الإيمان، ويفكِّرون في نور الله الذي جاء به الرسولُ ﷺ. والظاهرُ أنَّه تشبيهٌ لأعمالهم وضلالتهم بالظُّلمات المتكاثفة.

وقال أبو عليٍّ الفارسيّ: التقديرُ: أو كذي ظلمات، قال: ودلَّ على هذا المضاف قولُه: «إذا أخرجَ يدَه»، فالكنايةُ تعودُ إلى المضاف المحذوف[3].

---

(١) من قوله: فيؤول... إلى هنا من (ت) و(يه)، لكن سقط من (يه) قوله: بعمل الكافر.

(٢) أورده محمد بن شاكر الكتبي في الوافي بالوفيات ٣/ ١١٦، وابن حجة الحموي في خزانة الأدب وغاية الأرب ص١٨٢ لابن الدُّروي، علي بن يحيى القاضي من بيتين لطيفين له، قال:

وشاعرٍ أوقدَ الطبعَ الذكيَّ له ... فكاد يحرقُه من فرطِ إذكاءِ
أقامَ يُعمِلُ أيَّاماً قريحتَه ... وشبَّهَ الماءَ بعد الجَهْدِ بالماء

وذكر الصفدي في ترجمة أحمد بن محمد شهاب الدين المعروف بالحاجبي أنه أنشده لنفسه:

أقولُ شبِّه لنا جيدَ الرَّشا ترفاً ... يا مُعْمِلَ الفكر في نظمٍ وإنشاءِ
فظلَّ يُجْهِدُ أيَّاماً قريحتَهُ ... وشبَّه الماءَ بعد الجَهْد بالماءِ

(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٠.

فالتشبيهُ وقعَ عند أبي عليٍّ للكافر، لا للأعمال، وهو خلافُ الظاهر، ويُتَخَيَّل في تقرير كلامه أنْ يكونَ التقدير: أو هُم كذي ظلمات. فيكون التشبيهُ الأوَّل لأعمالهم، والثاني لهم في حال ضلالهم.

وقال أبو البقاء: في التقدير وجهان؛ أحدهما: أو كأعمال ذي ظلمات، فيقدَّر: ذي[1]؛ ليعودَ الضميرُ من قوله: «إذا أخرجَ يدَه» إليه، ويقدَّر: أعمال؛ ليصحَّ تشبيهُ أعمال الكفَّارِ بأعمال صاحب الظُّلمة؛ إذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمات. والثاني: لا حذف فيه، والمعنى أنَّه شبَّه أعمالَ الكفَّار بالظُّلمة في حيلولتها بين القلب وبين ما يَهتدي إليه، فأمَّا الضميرُ في قوله: «إذا أخرجَ يده» فيعودُ إلى مذكور حُذِفَ اعتماداً على المعنى، تقديره: إذا أخرجَ مَنْ فيها يدَه.

وقال الجُرجانيُّ: الآيةُ الأولى في ذكر أعمال الكفَّار، والثانيةُ في ذكر كفرِهم، ونَسَقَ الكفرَ على أعمالهم؛ لأنَّ الكفرَ أيضاً من أعمالهم، وقد قال[2] تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] أي: من الكفر إلى الإيمان[3]. فيكون التمثيلُ قد وقعَ لأعمالهم بكفر الكافر، وأعمالُهم منها كفرهم، فيكونُ قد شبَّهَ أعمالَهم التي منها الكفرُ بالكفرِ. وهذا كما ترى.

والظاهر القول الأول من أنَّه شبَّه أعمالهم[4] بالظُّلمات.

والعطف بـ «أو» هنا لأنَّه قصدَ التنويعَ والتفصيل، لا أنَّ «أو» للشكّ.

وقال الكرمانيُّ: «أو» للتخيير على تقدير: شبِّه أعمالَ الكفَّار بأيِّهما شئت.

وقرأ سفيان بن حسين: «أوَ كظُلمات» بفتح الواو[5]، وجعلها واوَ عطفٍ تقدَّمت عليها الهمزةُ التي لتقرير التشبيه الخالي عن محض الاستفهام.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «يغشاهُ» عائدٌ على «بحرٍ لُجِّيٍّ» أي: يَغشَى ذلك البحرَ،

---

(١) بعدها في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ظلمات. والمثبت من (ت) و(يه) والإملاء ٢/ ١٥٧.
(٢) من هنا خرم في (ت) بمقدار ورقة.
(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٠٠.
(٤) من قوله: التي منها الكفر... إلى هنا. من (يه).
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٨.

أي: يغطي بعضُه بعضاً، بمعنى أنْ تجيءَ موجةٌ تتبعُها أخرى، فهو متلاطِمٌ لا يسكنُ وأخوفُ ما يكون إذا توالت أمواجُه، وفوقَ هذا الموجِ سحابٌ، وهو أعظمُ للخوف؛ لإخفائه النجومَ التي يُهْتَدى بها، وللريح والمطر الناشئين مع السحاب، ومن قَدَّرَ: أو كذي ظلمات، أعادَ الضميرَ في «يغشاه» على «ذي» المحذوف، أي: يغشى صاحبَ الظلمات.

وقرأ الجمهور: «سحابٌ» بالتنوين «ظلماتٌ» بالرفع، على تقدير خبرٍ لمبتدأ محذوف، أي: هذه أو تلك ظلماتٌ.

وأجاز الحَوفيُّ أن تكون مبتدأً، و«بعضُها فوق بعضٍ» مبتدأٌ وخبرُه في موضع خبر «ظلماتٌ».

والظاهرُ أنَّه لا يجوزُ؛ لعدم المسوِّغ فيه للابتداء بالنكرة، إلَّا إن قدَّرت صفةً محذوفةً، أي: ظلماتٌ كثيرةٌ أو عظيمةٌ بعضُها فوق بعض.

وقرأ البزِّي: «سحابُ ظلماتٍ» بالإضافة.

وقرأ قنبل: «سحابٌ» بالتنوين «ظلماتٍ» بالجرِّ[1] بدلاً من «ظلماتٍ»، و«بعضُها فوق بعض» مبتدأٌ وخبر في موضع الصفة لـ «كظلماتٍ».

قال الحوفيُّ: ويجوزُ على رفع «ظلماتٌ» أن يكون «بعضُها» بدلاً منها. وهو لا يجوزُ من جهة المعنى؛ لأنَّ المرادَ ـ والله أعلم ـ الإخبارُ بأنَّها ظلماتٌ، وأنَّ بعضَ تلك الظلماتِ فوق بعض، أي: هي ظلماتٌ متراكمةٌ، وليس المعنى على الإخبار بأنَّ بعضَ ظلماتٍ فوق بعضٍ من غير إخبارٍ بأنَّ تلك الظلمات السابقة ظلماتٌ متراكمةٌ[2].

وتقدَّم الكلام في «كاد» إذا دخلَ عليها حرفُ نفيٍ مشبعاً في «البقرة» في قوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: ٧١]، فأغنى عن إعادته.

---

(١) السبعة ص٤٥٧، والتيسير ص١٦٢.

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/٤١٦: وفيه نظر؛ إذ لا فرق بين قولك: بعض الظلمات فوق بعض، وبين قولك: الظلمات بعضها فوق بعض، وإن تُخيِّل ذلك في بادئ الرأي.

والمعنى هنا انتفاءُ مقاربة الرؤية، ويلزمُ من ذلك انتفاءُ الرؤية ضرورةً، وقول من اعتقدَ زيادةَ «يَكَدْ»، أو أنَّه يراها بعدَ عُسْرٍ = ليس بصحيح، والزيادةُ قول ابن الأنباريّ[١]، وأنه لم يرها إلَّا بعد الجهد قولُ المبرِّدِ[٢] والفرَّاء[٣].

وقال ابنُ عطية ما معناه: إذا كان الفعلُ بعد «كاد» منفيًّا دلَّ على ثبوته، نحو: كاد زيدٌ لا يقوم، أو مثبتاً دلَّ على نفيه، كاد زيدٌ يقوم، وإذا تقدَّم النفيُ على «كاد» احتملَ أنْ يكون موجباً واحتمل أن يكون[٤] منفيًّاً، تقول: المفلوجُ لا يكاد يسكن، فهذا تضمَّنَ نفيَ السُّكون، وتقول: رجلٌ منصرف[٥] لا يكاد يسكن، فهذا تضمَّن إيجابَ السكون بعد جهدٍ. انتهى.

والظاهرُ أنَّ هذا التشبيهَ الثاني هو تشبيهُ أعمالِ الكفَّار بهذه الظلماتِ المتكاثفة من غيرِ مُقابلةٍ في المعنى بأجزائه لأجزاء المشبَّه.

قال الزمخشريُّ: وشبهها ـ يعني أعمالهم ـ في ظُلمتها وسَوادها لكونها باطلة وفي خلوِّها عن نور الحقِّ بظلماتٍ متراكمةٍ من لُجِّ البحر والأمواج والسَّحاب[٦].

ومنهم من لاحظَ التقابُلَ، فقال: الظلماتُ: الأعمالُ الفاسدة والمعتقدات الباطلة، والبحرُ اللُّجِّيُّ: صدرُ الكافرِ وقلبُه، والموجُ: الضَّلالُ والجَهالةُ التي غمرَت قلبَه والفِكَرُ المعوجَّةُ، والسَّحاب شهوتُه في الكفرِ وإعراضُه عن الإيمان[٧].

---

(١) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير. ٦/ ٥٠.

(٢) كذا نقل المصنف عن المبرد، ونقل ذلك عنه أيضاً الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٩٠، والبغوي في تفسيره ٣/ ٣٥٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥٠، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٠٣.
والذي في المقتضب ٣/ ٧٥، والكامل ١/ ٢٥٢ قال: معناه: لم يرها ولم يكد، أي: لم يدن من رؤيتها.

(٣) انظر معاني القرآن له ٢/ ٢٥٥.

(٤) قوله: موجب واحتمل أن يكون. من (يه).

(٥) في (يه): متصرف. وفي مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ١٨٨: متكلم. فإذا كان كذلك فلعلَّ صواب العبارة: رجلٌ متكلم لا يكاد يسكت.

(٦) الكشاف ٣/ ٧٠.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٧.

وقال الفرَّاء: هذا مثلٌ لقلبِ الكافر، أي أنَّه لا يعقلُ ولا يُبْصِر[١].

وقيل: الظلماتُ: أعماله، والبحرُ: هواه البعيدُ القعر[٢]، القريبُ الغرقِ فيه، الكثيرُ الخطرِ، والموجُ: ما يَغْشَى قلبَه من جهلٍ وغفلةٍ، والموجُ الثاني: ما يَغْشَاهُ من شكٍّ وشبهةٍ، والسحابُ: ما يغشاه من شركٍ وحيرةٍ، فيمنعه من الاهتداء، على عكس ما في مثل نورِ الدين. انتهى[٣].

والتفسيرُ بمقابلةِ الأجزاء شبيهٌ بتفسيرِ الباطنيَّةِ، وعدولٌ عن منهجِ كلام العرب.

ولمَّا شبَّه أعمالَ الكفَّار بالظلماتِ المتراكمة، وذكر أنَّه لا يكاد يَرى اليدَ من شدَّةِ الظلمة قال: «ومن لم يجعلِ اللهُ له نوراً» أي: مَنْ لم ينوِّر قلبَه بنور الإيمان ويهدِهِ إليه، فهو في ظلمةٍ ولا نورَ له، ولا يهتدي أبداً، وهذا النورُ هو في الدنيا.

وقيل: هو في الآخرة، أي: مَنْ لم ينوِّرهُ الله بعفوه ويرحمْهُ برحمتِهِ، فلا رحمةَ له.

وكونُه في الدنيا أليقُ بلفظ الآية، وأيضاً فذلك متلازمٌ؛ لأنَّ نورَ الآخرة هو لمن نوَّر اللهُ قلبَه في الدنيا.

وقال الزمخشريُّ: ومَنْ لم يُوْله نورَ توفيقه وعصمته ولطفه، فهو في ظلمةِ الباطل لا نورَ له، وهذا الكلامُ مجراه مجرى الكنايات؛ لأنَّ الألطافَ إنَّما تردفُ الإيمان والعملَ الصالح، أو كونهما مُرْتَقَبَيْن، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. انتهى[٤]. وهو على طريقة الاعتزال.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٥.

(٢) اضطربت النسخ في هذه العبارة، فوقع في (أ) و(ع): هواه القعير، وفي (يه): أهواه والفقير الغريق. وفي المطبوع: هواه القيعان. والمثبت من (ح).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٨.

(٤) الكشاف ٣/ ٧١.

أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ
﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ
فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا
يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

لمّا ذكر تعالى مَثلَ المؤمنِ والكافر، وأنَّ الإيمانَ والضَّلالَ أمرُهما راجعٌ إليه، أعقبَ بذكر الدَّلائل على قُدرته وتَوحيده.

والظاهرُ حملُ التسبيح على حقيقته، وتخصيص «مَنْ» في قوله: «ومن في الأرض»[1] بالمطيعِ لله تعالى من الثقلين.

وقيل: «مَنْ» عامٌّ لكلِّ موجودٍ، غَلَّبَ مَنْ يعقلُ على ما لا يعقل، فأدرجَ ما لا يعقلُ فيه[2]، ويكون المرادُ بالتسبيح دلالتُهُ بهذهِ الأشياء على كونه تعالى منزَّهاً عن النقائص، موصوفاً بنعوتِ الكمال.

وقيل: المرادُ بالتسبيح التعظيم، فمن ذي الدين بالنطقِ والصَّلاة، ومن غيرِهم مِنْ مكلَّفٍ وجمادٍ بالدلالة، فيكون ذلك قدراً مشتركاً بينهما، وهو التعظيم.

وقال سفيان: تسبيحُ كلِّ شيءٍ بطاعته وانقياده[3].

«والطيرُ صافَّاتٍ» أي: صفَّتْ أجنحتَها في الهواء للطيران، وإنما خصَّ الطير بالذِّكر؛ لأنَّها تكونُ بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجةٌ من جملة مَنْ في السماوات والأرض حالةَ طيرانها.

وقرأ الجمهور: «والطيرُ» مرفوعاً عطفاً على «مَنْ»، و«صافَّاتٍ» نُصِب على الحال.

وقرأ الأعرج: «والطيرَ» بالنصب[4]، على أنَّه مفعول معه.

---

(١) كذا، ونصُّ الآية: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.
(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٨٨.
(٣) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١١٢ عن سفيان أنه قال: إن للطير صلاة ليس فيها ركوع وسجود.
(٤) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨٨، وزاد ابن خالويه نسبتها لليزيدي.

وقرأ الحسنُ وخارجةُ عن نافع: «والطيرُ صافَّاتٌ» برفعهما[١] مبتدأ وخبر، وتقديرُه: يسبِّحن.

قيل: وتسبيحُ الطير حقيقيٌّ. قاله الجمهور[٢]. قال الزمخشريُّ: ولا يبعد أن يُلْهِمَ اللهُ الطيرَ دعاءَه وتسبيحَه، كما ألهمها سائرَ العلوم الدقيقة التي لا يكادُ العقلاءُ يهتدونَ إليها[٣].

وقال الحسن وغيره: هو تجوُّزٌ، إنَّما تسبيحُه ظهورُ الحكمةِ فيه، فهو لذلك يدعو إلى التسبيح[٤].

«كلٌّ» أي: كلٌّ ممَّن ذُكِر، فيشملُ الطيرَ، والظاهرُ أنَّ الفاعل المستكنَّ في[٥] «عَلِمَ»، وفي «صلاتَه وتسبيحَه» عائدٌ على «كلٌّ»، وقاله الحسن، قال: فهو مثابرٌ عليهما يؤدِّيهما[٦].

وقال الزَّجَّاج: الضميرُ في «علم»، وفي «صلاته وتسبيحه» لـ «كلّ»[٧].

وقيل: الضميرُ في «عَلِم» لـ «كلٌّ» وفي «صلاته وتسبيحه» لله، أي: صلاة الله وتسبيحه اللذينِ أمرَ بهما وهَدى إليهما، فهذه إضافةُ خلقٍ إلى خالق[٨].

وقال مجاهد: الصلاةُ للبشر، والتسبيح لما عداهم[٩].

---

(١) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨٨/٤ عن الحسن. وقراءة نافع المتواترة عنه كقراءة الجمهور.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٨.
(٣) الكشاف ٣/ ٧٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٨.
(٥) هنا نهاية الخرم في النسخة (ت) المشار إليه في ص١٠٢.
(٦) المصدر السابق.
(٧) هذا القول جوزه الزجاج في معاني القرآن ٤٨/٤ والمعنى الذي قدمه وجوده أن الضمير في «علم» لله، وفي «صلاته وتسبيحه» لـ «كل» وهذا الأخير هو الذي نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٨٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥١.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٩.
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ١٨٩، وأخرجه الطبري ١٧/ ٣٣٣-٣٣٤.

وقرأ قتادة: «قد عُلِم» مبنيًا للمفعول[(١)]، وما بعده مرفوعان.

«والله عليم بما يفعلون» مبالغةٌ في وصف علم الله[(٢)].

وقرأ الحسنُ وعيسى وسلّام وهارون عن أبي عمرو: «تفعلون» بتاء الخطاب[(٣)]. وفيه وعيدٌ وتخويف.

«ولله ملك السماوات والأرض» إخبارٌ بأنَّ جميعَ المخلوقات تحتَ مُلكه، يتصرَّفُ فيهم بما يشاء تصرُّفَ القاهرِ الغالب.

«وإليه المصير» أي: إلى جزائه من ثوابٍ وعقاب، وفي ذلك تذكيرٌ وتخويفٌ.

ولمَّا ذكر انقيادَ مَنْ في السماوات والأرض والطير إليه تعالى، وذكر ملكَه لهذا العالم وصيرورتَهم إليه = أكَّد ذلك بشيءٍ عجيبٍ من أفعاله مشعرٍ بانتقالٍ من حالٍ إلى حال، وكان عقب قوله: «وإليه المصير»، فَأعْلَم بانتقالٍ إلى المعاد، فعَطَفَ عليه ما يدلُّ على تصرُّفه في نقل الأشياء من حالٍ إلى حال.

ومعنى «يُزْجي»: يسوقُ قليلاً قليلاً، ويُسْتَعمل في سوق الثقيل برفقٍ، كالسحاب والإبل.

والسحاب اسمُ جنسٍ واحدُه سَحابة، والمعنى: يسوقُ سحابةً إلى سحابة. «ثمَّ يؤلِّفُ بينه» أي: بين أجزائه؛ لأنَّه سحابةٌ تتَّصلُ بسحابةٍ، فيجعل ذلك ملتئماً بتأليف بعضه إلى بعض.

وقرأ ورش: «يُوَلِّفُ» بالواو، وباقي السبعة بالهمز[(٤)]، وهو الأصل.

«فيجعله ركاماً» أي: متكاثفاً يجعلُ بعضَه على بعض.

---

(١) مختصر ابن خالويه ص١٠٢، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥٢ لقتادة وعاصم الجحدري وابن يعمر.

(٢) من قوله: وقرأ قتادة... إلى هنا من (ت) و(يه).

(٣) القراءة عن الحسن وعيسى وسلام في مختصر ابن خالويه ص١٠٢، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٨٩ عن عيسى والحسن فقط.

(٤) السبعة ص٤٥٧. والتيسير ص٣٤. وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر النشر ١/ ٣٩٥.

«فترى الوَدْقَ» أي: المطر، لتراكمِ السحاب بعضه على بعض[١]، وانعصارِه بذلك.

«من خِلاله» أي: فتوقِهِ ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار، والخلال، قيل: مفرد، وقيل: جمع خَلَل، كجبال وجَبَل.

وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عباس والضحَّاك ومعاذ العنبريّ عن أبي عمرو والزعفرانيّ «من خَلَله» بالإفراد[٢].

والظاهرُ أنَّ في السماءِ جبالاً من بَرَد - قاله مجاهد والكلبيُّ وأكثرُ المفسرين[٣] - خلقَها الله كما خلقَ في الأرض جبالاً من حجر. وقيل: «جبال» مجازٌ عن الكثرة، لا أنَّ في السماء جبالاً، كما تقول: فلانٌ يملك جبالاً من ذهب، وعنده جبالٌ من العلم، تريدُ الكثرةَ[٤]. قيل: أو هو على حذف حرف التشبيه، و«السماء»: السحاب، أي: من السماء التي هي جبال، أي: كجبال، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]، أي: كنارٍ، قاله الزجاج[٥]. وقيل: السماء هو السحابُ المرتفعُ، سُمِّي بذلك لسموِّه وارتفاعه.

وعلى القول الأوَّل المرادُ بالسماء الجسمُ الأزرقُ المخصوص، وهو المتبادر للذهن، ومن استعمال الجبال في الكثرة مجازاً قولُ ابن مقبل:

إذا متُّ عن ذكرِ القوافي فلن تَرَى ... لها شاعراً منِّي أطبَّ وأشعرا
وأكثرَ بيتاً شاعراً ضُرِبت له ... بطونُ جبالِ الشعرِ حتَّى تَيسَّرا[٦]

(١) من قوله: فترى الودق... إلى هنا من (يه).
(٢) هي عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك في زاد المسير ٦/ ٥٢، وعن ابن عباس والضحاك في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣١٠، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير نسبتها لأبي العالية ومجاهد، وزاد القرطبي نسبتها لأبي العالية.
ووقع في مطبوع مختصر ابن خالويه ص١٠٢ عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك: «من خَلاله» ولعله تحريف.
(٣) تفسير الرازي ٢٤/ ١٤.
(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٩٠.
(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٣١١.
(٦) ديوان تميم بن أبي بن مقبل ص١٣٦ باختلاف في بعض ألفاظه.

واتَّفقوا على أنَّ «مِن» الأولى لابتداء الغاية، وأمَّا «من جبال»، فقال الحَوفيّ: هي بدلٌ من «السماء»، ثمَّ قال: وهي للتبعيض.

وهذا خطأ؛ لأنَّ الأولى لابتداء الغاية فيما دخلت عليه، وإذا كانت الثانيةُ بدلاً لزم أن تكون مثلَها لابتداء الغاية، لو قلت: خرجت مِنْ بغدادَ من الكرخ، لزم أن يكونا معاً لابتداء الغاية.

وقال الزمخشريُّ وابنُ عطية: هي للتبعيض[1]. فيكون على قولهما في موضع المفعول لـ «ينزل».

قال الحوفيُّ والزمخشريُّ: والثالثةُ[2] للبيان. انتهى. فيكون التقدير: وينزِّل مِنَ السماء بعضَ جبالٍ فيها التي هي البرد، فالمنزَّل بَرَدٌ؛ لأنَّ بعضَ البرَدِ برَدٌ، فَمَفعولُ «يُنَزِّل»: «مِنْ جبال».

قال الزمخشريُّ: أو الأوَّلان للابتداء، والأخيرة للتبعيض، ومعناه أنَّه ينزِّل البَرَد من السماء مِنْ جبالٍ فيها. انتهى[3]. فيكون «من جبال» بدلاً من «السماء».

وقيل: «من» الثانية والثالثة زائدتان، وقاله الأخفش[4]. وهما في موضع نصبٍ عندَه، كأنَّه قال: ويُنَزِّل مِن السماء جبالاً فيها، أي: في السماءِ برداً. وبرداً بدلٌ، أي: بردَ جبال.

وقال الفرَّاء: هما زائدتان[5]، أي: جبالاً فيها بردٌ، لا حصى فيها ولا حجر، أي: يجتمعُ البردُ فيصيرُ كالجبال على التهويل، فـ «برد» مبتدأ، و«فيها» خبرُه، والضميرُ في «فيها» عائدٌ على «جبال»، أو فاعلٌ بالجارِّ والمجرور؛ لأنَّه قد اعتمد بكونه في موضع الصفة لـ «جبال».

---

(١) الكشاف ٣/ ٧١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٠.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: والثانية. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ٧١، والمراد قوله: «من برد» فهي الثالثة.
(٣) الكشاف ٣/ ٧١.
(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ٣١٠، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٩٠.
(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٦-٢٥٧.

وقيل: «من» الأولى والثانية لابتداء الغاية، والثالثة زائدة، أي: وينزِّل من السماء من جبال السَّماء برداً.

وقال الزجَّاج: معناه: ويُنَزِّلُ من السماء من جبال بردٍ فيها، كما تقول: هذا خاتمٌ في يدي من حديد، أي: خاتمُ حديدٍ في يدي[١]، وإنَّما جئتَ في هذا وفي الآية بـ «من» لمَّا فرَّقْتَ، ولأنَّك إذا قلت: هذا خاتمٌ من حديدٍ، وهذا خاتمُ حديد[٢]، كان المعنى واحداً. انتهى.

فعلى هذا يكون «من بَرَدٍ» في موضع الصفة لـ «جبال»، كما كان «من» في: من حديد، صفةً لخاتم، فيكون في موضع جرٍّ، ويكون مفعولُ «يُنَزِّلُ» هو «من جبال»، وإذا كانت الجبالُ مِنْ بَرَدٍ، لزمَ أن يكون المنزَّلُ برداً.

والظاهرُ إعادةُ الضميرِ في «به» على البرَد، ويحتمل أنْ يكون أريد به الوَدْقُ والبرَد، وجَرى في ذلك مَجرى اسم الإشارة، وكأنه قال: فيصيبُ بذلك، والمطرُ هو أعمُّ وأغلبُ[٣] في الإصابة والصرف، وأبلغُ في المنفعة والامتنان.

وقرأ الجمهور: «سَنا» مقصوراً «بَرْقِه» مفرداً.

وقرأ طلحةُ بن مصرِّف: «سناء» ممدوداً «بُرَقِهِ» بضمِّ الباء وفتح الراء[٤]، جمع بُرْقة، بضمِّ الباء، وهي المقدارُ من البرق، كالغُرْفة واللُّقمةِ، وعنه بضمِّ الباء والرَّاء[٥]، أتبعَ حركةَ الراء لحركة الباء، كما أُتبعَت في «ظُلُمات»، وأصلُها السكون.

والسناءُ بالمدِّ: ارتفاعُ الشأن، كأنَّه شبَّه المحسوسَ من البرقِ لارتفاعه في الهواء بغير المحسوس من الإنسان، فإنَّ ذلكَ صعبٌ[٦] لا يُحِسُّ به بصر.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٩، وما بعده ليس فيه.
(٢) قوله: وهذا خاتم حديد. من (يه). وفي (ت) والدر المصون ٨/ ٤٢٢: وخاتم حديد. وليست في بقية النسخ.
(٣) في (ت): وهو أبلغ. بدل: وأغلب.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣١١.
(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٢.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع): صيت، وفي (يه) والمطبوع: صيب، والمثبت من (يه).

وقرأ الجمهور: «يَذْهَبُ» بفتح الياء والهاء، وأبو جعفر: «يُذهِبُ» بضمِّ الياء وكسر الهاء[١]، وذهب الأخفشُ وأبو حاتم إلى تخطئة أبي جعفر في هذه القراءة، قالا: لأنَّ الباءَ تعاقب الهمزةَ[٢]. وليس بصوابٍ؛ لأنَّه لم يكن ليقرأ إلا بما رُوي، وقد أخذَ القراءة عن سادات التابعين الآخذينَ عن جِلَّة الصَّحابة؛ أبيٍّ وغيره، ولم ينفردْ بها أبو جعفر[٣]، بل قرأه شيبةُ كذلك[٤]. وخُرِّجَ ذلك على زيادة الباء، أي: يُذْهِبُ الأبصارَ، وعلى أنَّ الباءَ بمعنى «مِن» والمفعولُ محذوفٌ تقديره: يُذْهِبُ النورَ مِنَ الأبصار، كما قال:

شُرْبَ النَّزيفِ بِبَرْدِ ماء الحَشْرجِ[٥]

يريدُ: من بَرْد.

وتقليبُ الليل والنهار آيتان، أحدُهما بعد الآخر، أو زيادةُ هذا ينقصُ هذا[٦]، وعكسه، أو يغيِّرُ النهارَ بظلمة السحاب مرةً وضوءِ الشمس أخرى، ويغيِّرُ الليلَ

(١) النشر ٢/ ٣٣٢.
(٢) انظر قول أبي حاتم والأخفش في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٢.
(٣) كما زعم الزجاج في معانيه ٤/ ٥٠. وانظر تفسير الآلوسي ١٨/ ٤٢٢.
(٤) وزاد نسبتها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥٣ لمجاهد، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٣١١ للجحدري.
(٥) عجز بيت صدره:

فلثمت فاها آخذاً بقرونها

وقد اختلف في نسبته، فنسب لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص٤٨٨ في القسم المنسوب إليه، وكذا نسبه له الأصبهاني في الأغاني ١/ ١٩١.
قال ابن بري في كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح (حشرج): البيت لجميل بن معمر، وليس لعمر بن أبي ربيعة. انتهى. وكذا قال الحافظ مغلطاي في هامش نسخته من الكامل - وهو في الكامل ١/ ٣٨٢ دون نسبة - نقله عنه عبد القادر البغدادي في شرح أبيات المغني ٢/ ٣١٤. وذكر أنه رآه في ديوانه. وذكره أيضاً ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٣٧٠ في ترجمة جميل منسوباً له. وهو في ديوانه المجموع ص٤٢.
ونسبه الجاحظ في كتاب الحيوان ٨/ ١٨٢-١٨٣، والبصري في حماسته ٢/ ١١٣-١١٤ لعبيد بن أوس الطائي، قاله في أخت عدي بن أوس الطائي.
وهو أيضاً في ملحق ديوان الراعي النميري ص٣٠٢.
(٦) قوله: ينقص هذا. من (ت) و(يه).

باشتدادِ ظلمته مرَّةً وضوءِ القمر أخرى، أو باختلاف ما يُقَدِّر فيهما من الخيرِ والنفع والشِدَّةِ والنعمة والأمن ومقابلاتِها، ونحو ذلك. أقوالٌ أربعة[(١)].

«إنَّ في ذلك» إشارةٌ إلى ما تقدَّم من الدلائل الدالَّة على وحدانيته؛ من تسبيح مَنْ ذكر، وتسخيرِ السَّحاب، وما يُحْدِثُه تعالى فيه مِنْ أفعاله حتى ينزِّلَ المطرَ، فيقسمَ رحمتَهُ بين خلقه، وإراءَتِهم البرقَ في السحاب الذي يكادُ يَخطفُ الأبصارَ ويُقَلِّبُ الليلَ والنهار.

«لَعِبْرَةً» أي: اتِّعاظاً. وخُصَّ أولو الأبصار بالاتِّعاظ؛ لأنَّ البصرَ والبصيرةَ إذا استُعمِلا وصلا إلى إدراك الحقِّ، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وقرأ الجمهور: «خلقَ» فعلاً ماضياً «كلَّ» نصب. وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وابنُ وثَّاب والأعمش: «خالقُ» اسم فاعل مضاف إلى «كل»[(٢)].

والدابَّة: ما تحرَّك أمامه[(٣)] قُدُماً، ويدخلُ فيه الطير، قال الشاعر:

دبيبَ قطا البَطْحاءِ في كلِّ مَنْهَلِ[(٤)]

والحوتُ[(٥)]، وفي الحديث: دابةٌ من البحر مثلُ الظَّرْب[(٦)].

واندرجَ في «كلِّ دابَّةٍ» المميِّزُ وغيره، فسَهُل التفصيلُ بـ «من» التي لمن يعقل[(٧)]، وما لا يعقلُ إذا كان مندرجاً في العامّ، فحُكِمَ له بحكمه؛ كان الدوابُّ كلُّهم مميِّزون[(٨)].

---

(١) ذكرها الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١١٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٥/ ٣١٢، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٤٥٧، والتيسير ص١٣٤.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ١٩٠: ما تحرك منتقلاً أمامه.

(٤) عجز بيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٤٠٣، وصدره:

نيافٌ كغصن البان ترتجُّ إن مَشَتْ

(٥) يعني: ويدخل في الدابة الحوت.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٠، وأخرجه أحمد (١٤٢٨٦)، والبخاري (٢٤٨٣)، ومسلم (١٩٣٥): (١٧) من حديث جابر ﷺ، ولفظه عند أحمد والبخاري: فإذا حوت مثل الظرب.
ولفظه عند مسلم: فإذا هي دابة تدعى العنبر.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ٧١.

(٨) في النسخ الخطية: متميزون، والمثبت من المطبوع.

والظاهر أنَّ «من ماء» متعلِّقٌ بـ «خَلَقَ»، و«مِن» لابتداء الغاية، أي: ابتدأ خلقَها مِن الماء. فقيل: لمَّا كان غالبُ الحيوان مخلوقاً من الماء لتولُّده من النطفة، أو لكونِه لا يعيشُ إلَّا بالماء، أطلق لفظ «كلّ» تنزيلاً للغالب منزلة العامّ، ويخرجُ عمَّا خلقَ من ماء ما خُلِق من نور، وهم الملائكة، ومن نار، وهم الجنّ، ومن تُراب، وهو آدم، وخُلِق عيسى من الروح، وكثيرٌ من الحيوان لا يتولَّدُ من نطفة.

وقيل: «كلَّ دابَّة» على العموم في هذه الأشياء كلِّها، وإنَّ أصل جميع المخلوقات الماء، فرُويَ أنَّ أولَ ما خَلقَ اللهُ جوهرة، فنظرَ إليها بعين الهيبة فصارت ماءً، ثمَّ خلقَ من ذلك الماء النَّارَ والهواءَ والنُّور[١].

ولمَّا كان المقصودُ من هذه الآية بيانَ أصل الخلقة، وكانَ الأصلُ الأوَّل هو الماء، قال: «خَلَقَ كلَّ دابَّةٍ من ماء».

وقال القفَّال: ليس «من ماء» متعلِّقةً بـ «خلق»، وإنَّما هو في موضع الصفة لـ «كلِّ دابةٍ»، فالمعنى الإخبارُ أنَّه تعالى خلقَ كلَّ دابَّةٍ متولِّدةٍ من الماء، أي: كلُّ دابَّةٍ[٢] متولِّدةٌ من الماء مخلوقةٌ لله تعالى.

ونُكِّر الماءُ هنا، وعُرِّف في ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]؛ لأنَّ المعنى هنا: خلقَ كلَّ دابَّةٍ من نوعٍ من الماء مختصٍّ بهذه الدابة، أو من ماءٍ مخصوصٍ، وهو النطفةُ، ثمَّ خالفَ بين المخلوقاتِ من النطفة؛ هوامّ وبهائم وناس، كما قال: ﴿تُسْقَى[٣] بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

وهناك قصدَ أنَّ أجناسَ الحيوان كلَّها مخلوقةٌ من هذا الجنس الذي هو جنسُ الماء، وذلك أنَّه هو الأصل، وإن تخَلَّلَتْ بينها وبينه وسائط[٤]، كما قيل: إنَّ أصلَ النور والنار والتراب الماءُ.

وسمى الزَّحْف على البَطْن مَشْياً؛ لمشاكلة ما بعدَه من ذكر الماشين، أو

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ٢٥/ ١٦.
(٢) قوله: كل دابة. من (ت) و(يه) وانظر قول القفال في تفسير الرازي ٢٥/ ١٦.
(٣) بالتاء، وهي قراءة الجمهور عدا عاصم وابن عامر، فإنهما قرأا بالياء. التيسير ص١٣١.
(٤) الكشاف ٣/ ٧١.

استعارة، كما قالوا: قد مَشى هذا الأمر، و: ما يتمشَّى لفلانٍ أمرٌ، كما استعاروا المِشْفَر للشَّفة، والشَّفة للجَحْفَلة(١).

والماشي على بطنه الحيَّاتُ والحوتُ ونحو ذلك من الدُّود وغيره، وعلى رجلين: الإنسانُ والطيرُ، والأربع لسائر حيوان الأرض من البهائم وغيرها، فإن وُجِد مَنْ له أكثر من أربع، فقيل: اعتمادُه إنَّما هو على أربع، ولا يفتقرُ في مشيه إلى جميعها(٢).

وقدم ما هو أعرف(٣) في القدرة وأعجب، وهو الماشي بغير آلة مشيٍ من أرجُلٍ(٤) وقوائم، ثمَّ الماشي على رجلين، ثمَّ الماشي على أربع.

وفي مصحف أبيّ «ومنهم من يمشي على أكثر»(٥) فعمَّ بهذه الزيادة جميعَ الحيوان، لكنَّه لم يثبت قرآناً، ولعلَّه ما أوردَه موردَ قرآنٍ، بل تنبيهاً على أنَّ الله خلقَ من يمشي على أكثر من أربع، كالعنكبوت، والعقرب، والرُّتَيْلاء(٦)، وذي أربعٍ وأربعين رِجْلاً، وتسمَّى [دخّال](٧) الأذن، وهذا النوعُ لندورِه لم يذكر.

«يخلق الله ما يشاء» إشارةٌ إلى أنَّه تعالى ما تعلَّقت به إرادةُ خلقه أنشأه واخترعَهُ، وفي ذلك تنبيهٌ على كثرة الحيوان، وأنَّها كما اختلفتْ بكيفيَّةِ المشي، اختلفت بأمورٍ أُخَر.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ

(١) المصدر السابق. والمشفر من البعير كالجحفلة من الفرس. مختار الصحاح (شفر).
(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٩١: والظاهر أن تلك الأرجل الكثيرة ليست باطلاً، بل هي محتاجٌ إليها. وقال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٤٢٥: لا دليل على ذلك.
(٣) في (ت) و(يه): أغرب، وفي الكشاف ٣/ ٧١ ـ والكلام منه ـ: أعرق.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: من له رجل، وفي (يه): من رجل، والمثبت من (ت) والكشاف.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣١٤.
(٦) الرتيلاء: ضرب من العناكب. المعجم الوسيط (رتل).
(٧) ما بين حاصرتين من تفسير الرازي ٢٥/ ١٧، ومكانها في (ع) و(يه) بياض.
وجاء في لسان العرب (عقرب): والعُقْرُبَّان: دويبَّةٌ تدخل الأذن، وهي هذه الطويلة الصفراء، الكثيرة القوائم، قال الأزهري: هو دخّال الأذن.

ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ
أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم
مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾.

نزلت إلى قوله: «إلا البلاغ المبين» في المنافقين، بسبب منافقٍ اسمه بِشْر، دعاه يَهوديٌّ في خصومةٍ بينهما إلى الرسول ﷺ، ودعا هو إلى كعبِ بن الأشرف، فنزلت[١].

ولمَّا ذكرَ تعالى دلائلَ التوحيد، أتبعَ ذلك بذمِّ قومٍ آمنوا بألسنتهم دون عقائدهم.

«ثمَّ يتولَّى فريقٌ منهم» عن الإيمان «بعد ذلك» أي: بعد قولهم: آمنَّا «وما أولئك» إشارةٌ إلى القائلين، فينتفي عن جميعهم الإيمان، أو إلى الفريق المتولِّي، فيكونُ ما سبقَ لهم من الإيمان ليس إيماناً، إنَّما كان ادِّعاءً باللسان، من غير مواطأةٍ بالقلب[٢].

وأفرد الضميرَ في «لِيَحْكُمَ» وقد تقدَّم قولُه: «إلى الله ورسوله» لأنَّ حكمَ الرسول هو عن الله، قال الزمخشري: كقولك: أعجبني زيدٌ وكَرَمُه، تريد: كَرَم زيد، ومنه:

ومَنْهَلٍ من الفَلا في أوسطِه غَلَسْتُهُ قبلَ القَطا وفُرَّطِه

أراد: قبلَ فُرَّطِ القطا. انتهى. أي: قبل تقدُّم القطا إليه[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/٣٩٣، والواحدي في أسباب النزول ص٣٤٠، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/١٩١، والزمخشري في الكشاف ٣/٧٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/٥٤، والقرطبي في تفسيره ١٥/٣١٥، وأخرج الطبري ٧/١٩٣ نحوه عن مجاهد في تفسير الآية (٦٠) من سورة النساء.

(٢) انظر الكشاف ٣/٧١-٧٢.

(٣) الكشاف ٣/٧٢، ولم يذكر فيه البيت الأول من الرجز، وهو - يعني البيت الأول - في

وقرأ أبو جعفر: «لِيُحْكَم» في الموضعين مبنيّاً للمفعول[١].

و«إذا» الثانية للفُجَاءة، جواب «إذا» الأولى الشرطيَّة، وهذا أحدُ الدلائل على أنَّ الجوابَ لا يعملُ في «إذا» الشرطيَّة؛ خلافاً للأكثرين من النُّحاة؛ لأنَّ «إذا» الفجائيّة لا يعملُ ما بعدَها فيما قبلها، وقد أحكم ذلك في علم النحو.

والظاهرُ أنَّ «إليه» متعلِّقٌ بـ «يأتوا» والضميرُ في «إليه» عائدٌ على الرسول ﷺ، وأجاز الزمخشريُّ أن يتعلَّق «إليه» بـ «مُذْعِنين»، قال: لأنَّه في معنى مسرعين في الطَّاعة. وهذا أحسن؛ لتقدُّم صلته، ودلالته على الاختصاص. انتهى[٢]. وهذا على مذهبه في أنَّ تقدُّم المعمولِ على عامله يدلُّ على الاختصاص[٣]، وقد رددنا عليه ذلك[٤]. وفيما رجَّح تهيئةُ العامل للعمل وقطعُه عن العمل، وهو مما يضعف. والمعنى أنَّهم لمعرفتهم أنَّه ليس معه إلَّا الحقُّ المرُّ والعدلُ البحت، يَزْوَرُّون عن المحاكمة إليك إذا ركبَهم الحقُّ؛ لئلَّا تنزعَه منهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبتَ لهم الحقُّ على خصمٍ، أسرعَ إليك كلُّهم، ولم يرضَوا إلَّا بحكومتك.

«أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا أم يخافون» «أم» هنا منقطعةٌ، والتقدير: بل ارتابوا بل يخافون[٥]، وهو استفهامُ توقيفٍ وتوبيخ؛ ليقرُّوا بأحدِ هذه الوجوه التي عليهم في الإقرار بها ما عليهم، وهذا التوقيفُ يستعملُ في الأمور الظاهرة ممَّا

= تهذيب اللغة ٣٥٩/١٤، وأساس البلاغة ولسان العرب وتاج العروس (ظلل) من إنشاد الأصمعي وبعده فيها:

في ظلِّ أجّاج المقيظ مُغْبِطِه

والبيت الثاني أورده ثعلب في مجالسه ص٣١٣، والصغاني في العباب الزاخر (سقط)، والزبيدي في تاج العروس (سقط) أيضاً من إنشاد الأصمعي، وبعده فيها:

من ذا وهذاك وذا في مسقطه

(١) النشر ٢/ ٢٢٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٧٢.
(٣) من قوله: انتهى وهذا على... إلى هنا. من (ت) و(يه).
(٤) عند تفسير البسملة في سورة الفاتحة.
(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: أيخافون. والمثبت من (ت) و(يه).

يوبِّخ به ويذمّ، أو ممَّا يُمْدح به، وهو بليغٌ جدًّاً، فمن المبالغة في الذمّ قولُ الشاعر:

ألستَ من القوم الذين تعاهدوا على اللؤمِ والفحشاءِ في سالفِ الدَّهرِ[١]

ومن المبالغة في المدح قولُ جرير:

ألستم خيرَ مَن ركبَ المَطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ[٢]

وقسَّم تعالى جهاتِ صدودهم عن حكومته، فقال: «أفي قلوبهم مرضٌ» أي: نفاقٌ وعدمُ إخلاص «أم ارتابوا» أي: عرضَت لهم الريبةُ والشكُّ في نبوَّته بعد أن كانوا مخلِصين «أم يَخافونَ» أي: يعرضُ لهم الخوفُ من الحَيْفِ في الحكومة، فيكون ذلك ظلماً لهم، ثم استدركَ: بـ «بل» أنَّهم هم الظالمون.

وقرأ عليٌّ وابنُ أبي إسحاق والحسن: «إنَّما كان قولُ» بالرفع[٣]، والجمهور بالنصب. قال الزمخشريُّ: والنصبُ أقوى؛ لأنَّ أَوْلَى الاسمين بكونه اسماً لـ «كان» أوغلُهما في التعريف، و«أن يقولوا» أوغلُ؛ لأنَّه لا سبيلَ عليه للتنكير، بخلاف «قول المؤمنين»، وكان هذا من قبيل «كان» في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦]. انتهى[٤].

ونصَّ سيبويه على أنَّ اسم «كان» وخبرَها إذا كانا معرفتين، فأنت بالخيار في جعل ما شئتَ منهما الاسم، والآخر الخبر، من غير اعتبار شرطٍ في ذلك ولا اختيار[٥].

وقرأ أبو جعفر والجحدريُّ وخالدُ بن إلياس: «ليُحْكَمَ بينهم» مبنيًّا للمفعول[٦].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) ديوان جرير ١/ ٨٩، وسلف عند تفسير الآية (٣٠) من سورة البقرة، وسلف صدره عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.
(٣) المحتسب ٢/ ١١٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩١، وهي في مختصر في شواذ القراءات ص١٠٣، والكشاف ٣/ ٧٢ عن الحسن.
(٤) الكشاف ٣/ ٧٢.
(٥) الكتاب ١/ ٤٩-٥٠.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٩١-١٩٢. وذكرها المصنف قريباً عن أبي جعفر.

والمفعولُ الذي لم يسمَّ فاعله هو ضميرُ المصدر، أي: ليُحْكَم هو، أي: الحكم، والمعنى: ليُفْعَل الحكمُ بينهم، ومثله قولهم: جُمِعَ بينهما وأُلِّفَ بينهما، وقوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ [سبأ: ٥٤].

قال الزمخشريُّ: ومثله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] فيمن قرأ: «بينَكم» منصوباً[(١)]، أي: وقع التقطُّع بينكم. انتهى[(٢)]. ولا يتعيَّنُ ما قالَهُ في الآية؛ إذ يجوز أن يكون الفاعلُ ضميراً يعودُ على شيء قبله، وتقدَّم الكلامُ في ذلك في موضعه.

«أنْ يقولوا سمعنا» أي: قولَ الرسول «وأطعنا» أي: أمره.

وقرئ: «ويَتَّقِهِ» بالإشباع والاختلاسِ والإسكان[(٣)]. وقرئ: «ويتقْهِ» بسكون القاف وكسر الهاء من غير إشباع[(٤)]، أجرى حركات المنفصل مجرى المتَّصل، فكما يُسَكَّن: عَلِمَ، فيقال: عَلْم، كذلك: سُكِّن «ويَتَّقْه»؛ لأنَّ تَقِهَ كعَلِم، وكما قال الشاعر[(٥)]:

قالتْ سُلَيمى اشْتَرْ لنا سَوِيقا[(٦)]

يريد: اشترِ لنا.

«ومن يُطِع الله» في فرائضه «ورسولَه» في سننه «ويخشى الله» على ما مَضَى من ذنوبه «ويتقه» فيما يستقبل. وعن بعض الملوك أنَّه سألَ عن آيةٍ كافيةٍ، فتُليت له هذه[(٧)].

ولمَّا بلغ المنافقين ما أنزل تعالى فيهم، أتوا إلى رسول الله ﷺ «وأقسموا» إلى آخره، أي: ليخرجنَّ عن ديارهم وأموالهم ونسائهم، أو لئن أمرتَهم بالجهادِ

(١) هي قراءة نافع والكسائي وحفص، كما تقدم في موضعه.
(٢) الكشاف ١/ ٧٢.
(٣) قرأ بالاختلاس قالون عن نافع، وقرأ بالإسكان أبو بكر بن عاصم، وأبو عمرو، وخلاد ـ بخلاف عنه ـ عن حمزة، والباقون بالإشباع. التيسير ص ١٦٢-١٦٣.
(٤) هي قراءة حفص عن عاصم. السبعة ص٤٥٨، والتيسير ص١٦٣.
(٥) في (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: السالم. بدل الشاعر. والمثبت من (ح).
(٦) الرجز للعذافر الكندي، وسلف عند تفسير الآية (٢٤٣) من سورة البقرة.
(٧) الكشاف ٣/ ٧٢-٧٣.

ليخرجنَّ إليه، وتقدَّم الكلامُ في «جَهْدَ أيمانهم» في «الأنعام»[١]. ونهاهم تعالى عن قَسَمِهم؛ لعلمه تعالى أنَّه ليس حقّاً.

«طاعةٌ معروفةٌ» أي: معلومةٌ لا شكَّ فيها ولا يُرْتَاب، كطاعة الخُلَّصِ من المؤمنين، المطابقِ باطنُهم لظاهرهم، لا أيمانٌ تقسِمون بها بأفواهكم، وقلوبُكم على خلافها. أو طاعتُكم طاعةٌ معروفةٌ بالقول دون الفعل، أو طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، قاله الزمخشريُّ[٢].

وقال ابنُ عطية: يحتمل معاني:

أحدها: النهيُ عن القسم الكاذب، إذ قد عُرِفَ أنَّ طاعتَهم دغلةٌ[٣] رديئةٌ، فكأنَّه يقول: لا تغالطُوا، فقد عُرِفَ ما أنتم عليه.

والثاني: لا تتكلَّفوا القسمَ، طاعةٌ معروفةٌ متوسِّطةٌ على قَدْر الاستطاعة أمثلُ وأجدى عليكم. وفي هذا الوجه إبقاءٌ عليهم.

والثالث: لا تقنعوا بالقَسَمِ، طاعةٌ تُعْرَفُ منكم وتظهرُ عليكم هو المطلوبُ منكم.

والرابع: لا تَقْنَعوا لأنفسكم بإرضائنا بالقَسم، طاعةُ الله معروفةٌ، وجهادُ عدوِّه مَهْيَعٌ لائحٌ. انتهى[٤].

و«طاعةٌ» مبتدأ، و«معروفةٌ» صفةٌ، والخبرُ محذوفٌ، أي: أمثلُ وأولى، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: أمرنا أو المطلوب طاعةٌ معروفةٌ.

وقال أبو البقاء[٥]: ولو قُرِئ بالنصب لكان جائزاً في العربيَّة، وذلك على المصدر، أي: أطيعوا طاعةً. انتهى.

(١) عند تفسير الآية (١٠٩) منها.
(٢) الكشاف ٣/ ٧٣.
(٣) الدغل: الفساد. مختار الصحاح (دغل).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٢.
(٥) في الإملاء ٢/ ١٥٩ وما قبله منه.

وقد قرأه[١] بالنصب زيدُ بن عليّ واليزيديّ[٢].

وتقديرُ بعضهم الرفعَ على إضمار: ولتكن طاعةٌ معروفةٌ ضعيفٌ؛ لأنَّه لا يحذفُ الفعلُ ويَبقى الفاعل إلَّا إذا كان ثَمَّ مُشْعِرٌ به، نحو: «رجالٌ» بعد «يُسبَّحُ» مبنيًّا للمفعول[٣]، أي: يُسَبحهُ رجالٌ، أو يجاب به نفي، نحو: بلى زيد، لمن قال: ما جاء أحد، أو استفهام نحو قوله:

ألا هَلْ أتى أمَّ الحويرثِ مرسَلٌ بلى خالدٌ إنْ لم تُعِقْهُ العوائقُ[٤]

أي: أتاها خالدٌ.

«إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون» أي: مُطَّلع على سرائركم ففاضحكم. والتفتَ من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنَّه أبلغُ في تبكيتهم[٥].

ولمَّا بكَّتهم بأنَّه مُطَّلِعٌ على سرائرهم، تلطَّف بهم، فأمرَهم بطاعة الله والرسولِ، وهو أمرٌ عامٌّ للمنافقين وغيرهم. «فإن تولَّوا» أي: فإن تتولوا «فإنَّما عليه» أي: على الرسول «ما حُمِّل» وهو التبليغ ومكافحةُ الناس بالرسالة، وإعمالُ الجهد في إنذارهم. «وعليكم ما حُمِّلتم» وهو السمعُ والطاعةُ واتِّباع الحقِّ[٦]. ثمَّ عَلَّقَ هدايتَهم على طاعته، فلا يقع إلَّا بطاعتِه «وما على الرسولِ إلَّا البلاغُ المبين» تقدَّمَ الكلامُ على مثل هذه الجملة في «المائدة»[٧].

روي أنَّ بعضَ الصحابة شكا جَهد مكافحة العدوِّ، وما كانوا فيه من الخوف، وأنَّهم لا يَضعون أسلحتَهم، فنزل: «وعد الله الذين آمنوا منكم»[٨].

ورويَ أنَّه عليه الصلاة والسلام لما قال بعضهم: ما أتى علينا يومٌ نأمنُ فيه

---

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: وقدراه. وفي (ح) وقرأه. والمثبت من (ت) و(يه).

(٢) ذكرها ابن خالويه في مختصره ص١٠٣، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٧٣ عن اليزيدي.

(٣) هي قراءة أبي بكر وابن عامر. كما سلف في موضعه عند تفسير الآية.

(٤) سلف عند تفسير الآية (١٠٦) من سورة المائدة.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٧٣.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٢.

(٧) عند تفسير الآية (٩٢) منها.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٢.

ونضع السلاح، فقال ﷺ: «لا تَغْبُرُونَ إلَّا يسيراً حتَّى يجلسَ الرجلُ منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيه حديدة»[١].

قال ابنُ عباس: وهذا الوعدُ وعدَهُ الله أمَّةَ محمدٍ ﷺ في التوراة والإنجيل[٢].

والخطابُ في «منكم» للرسول وأتباعه، و«مِنْ» للبيان، أي: الذين هم أنتم وعدَهم الله أنْ ينصرَ الإسلام على الكفر، ويورثَهم الأرضَ، ويجعلهم خلفاء. وقوله: «في الأرض» هي البلاد التي تجاورُهم، وهي جزيرةُ العرب، ثم افتتحوا بلادَ الشرق والغرب، ومزَّقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنَهم، واستولوا على الدنيا[٣].

وفي الصحيح: «زُويتْ لي الأرضُ فأُريت مشارقَها ومغاربها، وسيبلغُ ملك أمَّتي ما زُويَ لي منها»[٤]. قال بعضُ العلماء: ولذلك اتَّسعَ نطاقُ الإسلام في الشرق والغرب دون اتِّساعِه في الجنوب والشمال.

قلت: ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام معظم العالم في المشرق، كقبائل الترك، وفي المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة، وبلاد الهند.

«كما استخلفَ الذين من قبلهم» أي: بني إسرائيل حين أورثَهم مصرَ والشام بعد هلاك الجبابرة[٥]. وقيل: هو ما كان في زمان داودَ وسليمان عليهما السلام، وكان الغالبَ على الأرض المؤمنون.

وقرئ «كما استُخْلِفَ» مبنيّاً للمفعول[٦]، واللام في «لَيستخلفنَّهم» جوابُ قسمٍ محذوف، أي: وأقسمَ ليستخلفنَّهم، أو أجرى وعدَ الله لتحقُّقه مُجرى القسم،

(١) أخرجه الطبري ٣٤٨/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٢٩/٨ (١٤٧٧٢) عن أبي العالية. وانظر أسباب النزول للواحدي ص٣٤١.
(٢) زاد المسير ٥٨/٦.
(٣) الكشاف ٧٣/٣.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ﷺ.
(٥) الكشاف ٧٣/٣.
(٦) هي قراءة أبي بكر عن عاصم. السبعة ص٤٥٨، والتيسير ص١٦٣.

فجُووِبَ بما يجاوبُ به القسم[١]. وعلى تقدير حذف القسم يكون معمولُ «وعد» محذوفاً، تقديره: استخلافَكم وتمكينَ دينكم، ودلَّ عليه جوابُ القسمِ المحذوف.

وقال الضحَّاك: هذه الآيةُ تتضمَّن خلافةَ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمان وعليّ ﷺ؛ لأنَّهم أهلُ الإيمان وعمل الصالحات. وقال ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون». انتهى[٢].

ويندرجُ مَنْ جَرى مجراهم في العدل من استخلف من قريش، كعمر بن عبد العزيز من الأمويين، والمهتدي بالله[٣] في العباسيين.

«وليمكننَّ لهم دينهم» أي: يثبتَهُ ويوطِّدَهُ بإظهاره وإعزازِ أهله، وإذلالِ الشرك وأهله، و«الذي ارتضى لهم» صفةُ مدحٍ جليلةٍ. وقد بلغتْ هذه الأمَّةُ في تمكين هذا الدين الغايةَ القصوى، ممَّا أظهر الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميعَ العالم من لَدُن آدمَ إلى زمان هذه الملَّة المحمديَّة.

وقرأ الجمهور: «وليُبَدِّلَنَّهم» بالتشديد، وابنُ كثير وأبو بكر والحسنُ وابنُ محيصن بالتخفيف[٤].

قال أبو العالية: لمَّا أظهرَ الله عزَّ وجلَّ رسولَه ﷺ على جزيرة العرب، وضعوا السلاحَ وأمِنوا، ثمّ قبضَ الله نبيّه عليه السلام، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان، حتَّى وقعوا فيما وقعوا فيه، وكفروا بالنعمة، فأدخلَ الله عليهم الخوف، فغيَّروا فغيَّرَ الله ما بهم[٥].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٧٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٣، وحديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، والنسائي (٨٠٩٩) من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ.

(٣) هو أمير المؤمنين، محمد بن الواثق هارون، أبو إسحاق، كان ورعاً صالحاً متعبداً بطلاً شجاعاً، خليقاً للإمارة، لكنه لم يجد معيناً ولا ناصراً، قتل رحمه الله سنة ست وخمسين ومئتين. سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٣٥-٥٣٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٣، وقراءة ابن كثير وأبي بكر في السبعة ص٤٥٩، والتيسير ص١٦٣.

(٥) أسباب النزول للواحدي ص٣٤١، وزاد المسير ٦/ ٥٧-٥٨، وكلام أبي العالية هذا جاء =

«يعبدونني» الظاهر أنَّه مستأنف، فلا موضعَ له من الإعراب، كأنَّه قيل: ما لهم يُسْتَخلفون ويؤمَّنُون؟ فقال: يعبدونني. قاله الزمخشريُّ[١].

وقال ابنُ عطية: «يعبدونني» فعلٌ مستأنفٌ، أي: هم يعبدونني[٢]. ويعني بالاستئناف الجملة لا نفسَ الفعل وحدَه، وقاله الحوفيُّ، قال: ويجوزُ أن يكون مستأنفاً على طريق الثناء عليهم، أي: هم يعبدونني.

قال الزمخشريُّ: وإن جعلتَهُ حالاً عن وعدهم، أي: وعدَهم الله ذلك في حالِ عبادتهم وإخلاصهم، فمحلُّه النصبُ. انتهى[٣]. وقاله[٤] الحوفيُّ قبله.

وقال أبو البقاء: «يعبدونني» حالٌ من «لَيَسْتَخلفنَّهم» أو «ليبدلنَّهم»، «لا يشركون» بدلٌ من «يعبدونني»، أو حالٌ من الفاعل في «يعبدونني»[٥]، أي: يعبدونني موحدين. انتهى[٦].

والظاهرُ أنَّه متى أطلق الكفرُ كانَ مقابلَ الإسلام والإيمان، وهو ظاهرُ قول حذيفة، قال: كان النفاقُ على عهد النبيِّ ﷺ، وقد ذهبَ ولم يبقَ إلَّا كفرٌ بعد إيمان[٧].

قال ابن عطية: يحتملُ أنْ يريدَ كفرَ هذه النعم إذا وقَعت، ويكون الفسقُ على هذا غيرَ مخرجٍ عن الملَّة. قيل: وظهر ذلك في قَتَلةِ عثمان[٨].

وقال الزمخشريُّ: «ومن كفر» يريدُ كُفران النعمة، كقوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]. «فأولئك هم الفاسقون» أي: هم الكاملون في فسقهم، حيث كفروا تلك النعمةَ العظيمة[٩].

= عقب روايته حديث رسول الله ﷺ: «لا تغبرون إلا قليلاً...» وقد سلف قريباً. وهو عند الطبري ١٧/ ٣٤٨.

(١) الكشاف ٣/ ٧٤.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٣.
(٣) الكشاف ٣/ ٧٤.
(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: وقال. والمثبت من (ت) و(ح).
(٥) من قوله: فعل مستأنف... إلى هنا ليس في (يه).
(٦) الإملاء ٢/ ١٥٩.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٣، وأخرجه الطبري ١٧/ ٣٤٩.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٣.
(٩) الكشاف ٣/ ٧٤.

والظاهر أنَّ قوله: «وأقيموا» التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب، ويحسِّنهُ الخطابُ في «منكم».

وقال الزمخشريُّ: «وأقيموا الصلاةَ» معطوفٌ على «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» وليس ببعيدٍ أنْ يقعَ بين المعطوفِ والمعطوف عليه فاصلٌ وإن طال؛ لأنَّ حقَّ المعطوفِ أنْ يكونَ غيرَ المعطوف عليه، وكُرِّرَت طاعةُ الرسول توكيداً لوجوبها. انتهى[١].

وقرأ الجمهور: «لا تحسبنَّ» بتاء الخطاب، والتقدير: لا تحسبنَّ أيُّها المخاطبُ، ولا يندرجُ فيه الرسول، وقالوا: هو خطابٌ للرسول. وليس بجيِّد؛ لأنَّ مثلَ هذا الحسبان لا يُتَصَوَّرُ وقوعُه فيه[٢] عليه الصلاة والسلام.

وقرأ حمزةُ وابنُ عامر «لا يحسبن» بالياء للغيبة[٣]، والتقدير: لا يحسبنَّ حاسبٌ. والرسول لا يندرج في: حاسب. وقالوا: يكون ضميرُ الفاعل للرسول؛ لتقدم ذكره في «وأطيعوا الرسول»، قاله أبو عليّ والزمخشريّ[٤]، وليس بجيِّدٍ لما ذكرناه في قراءة التاء.

وقال النحاس: ما علمتُ أحداً من أهل العربيَّة بصريّاً ولا كوفيّاً إلَّا وهو يُخَطِّئُ قراءةَ حمزة، فمنهم من يقول: هي لحنٌ؛ لأنَّه لم يأتِ إلَّا بمفعولٍ واحد لـ «يحسبنَّ»، وممَّن قال هذا أبو حاتم. انتهى[٥].

وقال الفرّاء: هو ضعيفٌ. وأجازهُ على حذف المفعول الثاني[٦]. وهو قولُ البصريين، تقديره: أنفسَهم، و«معجزين» المفعولُ الثاني.

---

(١) الكشاف ٣/ ٧٤.

(٢) في (ت) و(يه): منه.

(٣) السبعة ص٣٠٧، والتيسير ص١٦٣.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٣٢، والكشاف ٣/ ٧٤.

(٥) في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٦: إلا وهو يحظر هذه القراءة. والعبارة هنا موافقة لعبارة تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٧، وعنه نقل المصنف.

(٦) كذا في النسخ والدر المصون ٨/ ٤٣٦. وفي إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٨: المفعول الأول. وهو الصواب الذي يقتضيه سياق الكلام. وانظر كلام الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٥٩.

وقال عليُّ بن سليمان: «الذين كفروا» في موضع نصبٍ، قال: ويكونُ المعنى: ولا يحسبنَّ الكافرُ الذين كفروا معجزينَ في الأرض[١].

وقال الكوفيون: «معجزين» المفعول الأول و«في الأرض» الثاني. قيل: وهو خطأ، وذلك لأنَّ ظاهرَ «في الأرض» تعلُّقه بـ«معجزين»، فلا يكون مفعولاً ثانياً. وخرَّجَ الزمخشريُّ ذلك متَّبعاً قولَ الكوفيين، فقال: «معجزين في الأرض» هما المفعولان، والمعنى: لا يحسبنَّ الذين كفروا أحداً يُعْجِزُ الله في الأرض، حتى يطمعوا لهم في مثل ذلك. وهذا معنىً قويٌّ جيدٌ. انتهى.

وقال أيضاً: يكون الأصل: لا يحسبنَّهم الذين كفروا معجزين، ثمَّ حذف الضمير الذي هو المفعولُ الأوَّلُ، وكأنَّ الذي سوَّغَ ذلك أنَّ الفاعلَ والمفعولين لمَّا كانت كالشيء[٢] الواحد، اقتُنِع بذكر اثنين عن ذكر الثالث. انتهى.

وقد رددنا هذا التخريج في «آل عمران» في قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا﴾ [الآية: ١٨٨] في قراءة من قرأ بياء الغيبة[٣]، وجعلَ الفاعلَ «الذين يفرحون»، وملخَّصُه أنَّه ليس هذا من الضمائر التي يفسِّرها ما بعدَها، فلا يتقدَّر: لا يحسبنَّهم؛ إذ لا يجوزُ: ظنَّه زيدٌ قائماً، على تقدير رفع زيد بـ: ظنَّه.

«ومأواهم النار» قال الزمخشريُّ: عطف على «لا تحسبنَّ»، كأنَّه قيل: الذين كفروا لا يفوتونَ الله ومأواهم النار، والمراد بهم المُقْسِمونَ جهدَ أيمانهم. انتهى[٤].

وقال صاحب النظم: لا يحتملُ أنْ يكون «ومأواهم» متَّصلاً بقوله: «لا يحسبن»؛ ذلك نهيٌ، وهذا إيجابٌ، فهو إذن معطوفٌ بالواو على مضمرٍ قبله تقديره: ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض، بل هم مقهورون ومأواهم النار. انتهى[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٧٤.

(٢) في (ت): كانا لشيء. وفي الكشاف والدر المصون ٨/ ٤٣٧: كانت لشيء. وانظر تفسير البيضاوي ٤/ ٨٥.

(٣) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو كما سلف في موضعه.

(٤) الكشاف ٣/ ٧٤.

(٥) من قوله: ذلك نهي.. إلى هنا. من (ت) و(يه) وانظر كلام صاحب النظم في تفسير الرازي ٢٤/ ٢٧.

واستبعدَ العطفَ من حيث إنَّ «لا تحسبن» نهيٌ، «ومأواهم النار» جملةٌ خبريَّةٌ، فلم يناسب عنده أن تُعْطَف الجملةُ الخبريَّةُ على جملة النهي؛ لتباينهما. وهذا مذهبُ قوم. ولمَّا أحسَّ الزمخشريُّ بهذا قال: كأنَّه قيل: الذين كفروا لا يفوتونَ الله. فتأوَّلَ جملَةَ النهي بجملة خبريَّةٍ حتَّى تقع المناسبةُ، والصحيحُ أنَّ ذلك لا يُشترط، بل يجوزُ عطفُ الجملِ على اختلافها بعضاً على بعض، وإنْ لم تتحد في النوعية، وهو مذهب سيبويه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

رُوِيَ أنَّ عمر بعثَ إليه رسولُ الله ﷺ غلاماً من الأنصار، يقال له: مُدْلج، وكان نائماً، فدقَّ عليه الباب ودخل، فاستيقظَ وجلس، فانكشفَ منه شيءٌ، فقال عمر: وَدِدتُ أنَّ الله نَهى أبناءَنا ونساءَنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلَّا بإذن، ثمَّ انطلقَ إلى الرسول، فوجدَ هذه الآيةَ قد نزلت، فخرَّ ساجداً(١).

(١) النكت والعيون ٤/ ١٢٠. وانظر الخبر بنحوه في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٩٦، وأسباب النزول للواحدي ص٣٤٢، وزاد المسير ٦/ ٦٠.
وأخرج نحوه ابن منده ـ كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٩/ ١٥٥ عند ترجمة مدلج ـ =

وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي مرثد[١]، قيل: دخلَ عليها غلامٌ لها كبير في وقتٍ كرهت دخولَه، فأتت رسولَ الله ﷺ، فقالت: إنَّ خدمنا وغلماننا يدخلونَ علينا حالاً[٢] نكرهها.

«ليستأذنكم» أمرٌ، والظاهرُ حملهُ على الوجوب، والجمهورُ على الندب[٣]. وقيل بنسخ ذلك؛ إذ صار للبيوت أبواب، روي ذلك عن ابن عباس وابنِ المسيَّب[٤].

والظاهرُ عمومُ «الذين ملكت أيمانكم» في العبيد والإماء، وهو قول الجمهور، وقال ابن عمر وآخرون: العبيد دون الإماء، وقال السلميّ: الإماء دون العبيد[٥].

«والذين لم يبلغوا الحلم منكم» عامٌّ في الأطفال؛ عبيداً كانوا أو أحراراً.

وقرأ الحسنُ وأبو عمرو في رواية وطلحة: «الحُلْم» بسكون ضمَّة اللام[٦]، وهي لغةُ تميم.

= من طريق السُّدِّيّ الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ. وهذا إسناد تالف.

(١) اضطربت المصادر في اسمها، ففي تفسير الثعلبي ٤/ ٣٩٧، وأسباب النزول ص٣٤٢، وتفسير البغوي ٣/ ٣٥٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٩، والاستيعاب ١٢/ ٢٠٤ (بهامش الإصابة)، والإصابة ١٤/ ١٢٠: بنت مرثد. وفي طبقات ابن سعد ١٠/ ٣١٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٣٣ (١٤٧٩٥)، والخبر مخرج فيه، وعنه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥٥: بنت مرشدة. وفي أصل زاد المسير ٦/ ٦٠ ـ كما ذكر محققه ـ: بنت مرشد. وفي تفسير الكشاف ٣/ ٧٥: بنت أبي مرشد. قال الخفاجي في حاشيته ٦/ ٣٩٨: بنت أبي مرشد، بالشين المعجمة أو الثاء المثلثة، قيل: وهو بفتح الميم فيهما.

(٢) في (ت) والمصادر: في حال.

(٣) بعدها في (ت): فنزلت.

(٤) هو عن ابن عباس في المحرر الوجيز ٤/ ١٩٤ نقلاً عن المهدوي، وعن ابن المسيب أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٧١٧).

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٢٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٣، وزاد المسير ٦/ ٦١، وأخرجه عن ابن عمر وأبي عبد الرحمن السلمي الطبريُّ في تفسيره ١٧/ ٣٥٢.

(٦) القراءة عن الحسن في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٣، وعن أبي عمرو ـ من رواية عبد الوارث ـ في مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣. والمتواتر عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

وقيل: «منكم» أي: من الأحرار ذكوراً كانوا أو إناثاً[١].

والظاهرُ من قوله: «ثلاث مرات» ثلاث استئذانات؛ لأنَّك إذا قلت: ضربتُ ثلاثَ مرَّات، لا يُفْهَم منه إلَّا ثلاثَ ضربات، ويؤيِّدهُ قوله عليه الصلاة والسلام: «الاستئذانُ ثلاث»[٢]، والذي عليه الجمهور أنَّ معنى «ثلاث مرات» ثلاثة أوقات، وجعلوا ما بعدَه من ذكر تلك الأوقات تفسيراً لقوله: «ثلاث مرَّات»، ولا يتعيَّن ذلك، بل تبقى «ثلاث مرات» على مدلولها، وتلك الأوقات على مدلولها[٣].

«من قبل صلاة الفجر» لأنه وقتُ القيامِ من المضاجع وطرح ما يُنَامُ فيه مِنَ الثياب، ولبس ثياب اليقظة، وقد ينكشفُ النائم، «وحين تضعون ثيابَكم من الظهيرة» لأنَّه وقت[٤] وضع الثياب للقائلة؛ لأنَّ النهار إذ ذاك يشتدُّ حرُّه في ذلك الوقت.

و«مِن» في «مِن الظهيرة»، قال أبو البقاء: لبيان الجنس، أي: حين ذلك الذي هو الظهيرة، قال: أو بمعنى: من أجل حرِّ الظهيرة، و«حين» معطوفٌ على موضع «من قبل»[٥].

«ومن بعد صلاة العشاء» لأنَّه وقتُ التجرُّد من ثياب اليقظة، والالتحاف بثياب النوم.

«ثلاثُ عورات لكم» سمَّى كلَّ واحدٍ منها عورةً؛ لأنَّ الناس يختلُّ تسترُهم وتحفُّظُهم فيها، والعورة: الخَلَل، ومنه: أعورَ الفارسُ، وأعورَ المكانُ، والأعور: المختلُّ العين[٦].

---

(١) زاد المسير ٦/ ٦١.

(٢) سلف عند تفسير الآية (٢٧) من هذه السورة.
قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٣٨: مسلَّمٌ أن الظاهر كذا، ولكن الظاهر هذا متروك للقرينة المذكورة، وهي التفسير بثلاثة الأوقات المذكورة.

(٣) قوله: وتلك الأوقات على مدلولها، من (ت) و(يه).

(٤) لفظة: وقت، من المطبوع والكشاف ٣/ ٧٤.

(٥) الإملاء ٢/ ١٥٩.

(٦) الكشاف ٣/ ٧٤.

وقرأ حمزة والكسائيُّ: «ثلاثَ» بالنصب[١]، قالوا: بدلٌ من «ثلاث مرات». وقدَّرهُ الحَوفيُّ والزمخشريُّ وأبو البقاء: أوقاتُ ثلاثِ عورات[٢]. وقال ابنُ عطية: إنَّما يصح - يعني البدل - بتقدير: أوقات عورات، فحُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقَامه. وقال أبو البقاء[٣]: أو على البدل من الأوقات - يعني: التي هي «من قبل» وما بعدها - أو على إضمار: أعني.[٤][٥]

وقرأ باقي السبعة بالرفع، أي: هنَّ ثلاثُ عورات.

وقرأ الأعمشُ: «عَوَرات» بفتح الواو[٦]، وتقدَّمَ أنَّها لغةُ هُذَيْل بن مُدْرِكَة وبني تميم[٧].

وعلى رفع «ثلاثُ» قال الزمخشريُّ: يكون «ليس عليكم» الجملة في محلِّ رفعٍ على الوصف، والمعنى: هنَّ ثلاثُ عورات مخصوصة بالاستئذان، وإذا نصبتَ لم يكن له محل، وكان كلاماً مقرَّراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصَّةً[٨].

«بعدهنَّ» أي: بعد استئذانهم فيهنَّ، حذف الفاعل وحرف الجر، بقي بعد استئذانهنّ، ثم حُذِفَ المصدر[٩].

وقيل: ليس على العبيد والإماء ومن لم يَبْلُغِ الحُلُمَ في الدخول عليكم بغير استئذانٍ جناحٌ بعد هذه الأوقات الثلاث.

(١) السبعة ص٤٥٩، والتيسير ص١٦٣، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم أيضاً.
(٢) الكشاف ٣/ ٧٥، والإملاء ٢/ ١٥٩.
(٣) في الإملاء ٢/ ١٥٩.
(٤) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٤٠: وأحسن من هذا التقدير: اتقوا، أو: احذروا ثلاثَ.
(٥) من قوله: وقال أبو البقاء أو على البدل... إلى هنا. من (يه).
(٦) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣ - ونسبها أيضاً لابن أبي إسحاق - والكشاف ٣/ ٧٥، وزاد المسير ٦/ ٦١ وزاد الأخير نسبتها للسلمي وسعيد بن جبير.
(٧) عند تفسير الآية (٣١) من هذه السورة.
(٨) الكشاف ٣/ ٧٥.
(٩) الإملاء ٢/ ١٥٩. قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٤٦٩: وعليه تقلُّ مؤونة الكلام في الآية، إلا أنه خلاف الظاهر جداً، والجمهور على ما سمعت أولاً في معناها.

«طوَّافون عليكم» يمضونَ ويجيئون، وهو خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديره: هم طوَّافون، أي: المماليكُ والصِّغارُ طوَّافون عليكم، أي: يدخلونَ عليكم في المنازل غُدوةً وعشيَّةً بغيرِ إذنٍ إلَّا في تلك الأوقات.

وجوّزوا في «بعضُكم على بعض» أنْ يكونَ مبتدأً وخبراً، لكن الجر قدَّروه: طائفٌ على بعض، وهو كونٌ مخصوص، فلا يجوزُ حذفه[١]. قال الزمخشريُّ: وحُذِفَ لأنَّ «طوَّافون» يدلُّ عليه[٢]، وأنْ يكونَ مرفوعاً بفعلٍ محذوفٍ تقديره: يطوفُ بعضُكم. وقال ابن عطية: «بعضكم» بدلٌ من قوله: «طوافون»[٣].

ولا يصحُّ؛ لأنَّه إن أرادَ بدلاً من «طوَّافون» نفسه فلا يجوز؛ لأنَّه يصيرُ التقدير: هم بعضُكم على بعض، وهذا معنى لا يصحُّ. وإن جعلتَه بدلاً من الضمير في «طوَّافون»، فلا يصحُّ أيضاً إنْ قُدِّرَ الضميرُ ضميرَ غيبةٍ؛ لتقدير المبتدأ: هم؛ لأنَّه يصيرُ التقدير: هم يطوفُ بعضكم على بعض وهو لا يصحّ. فإن جعلتَ التقدير: أنتم يطوفُ عليكم بعضُكم على بعض، فيدفعُه أنَّ قوله: عليكم، يدلُّ على أنَّهم هم المطوف عليهم، وأنتم طوَّافون يدلُّ على أنَّهم طائفون، فتعارضا[٤].

وقرأ ابن أبي عبلة: «طوافين»[٥] بالنصب على الحال من ضمير «عليهم».

وقال الحسن: إذا أباتَ[٦] الرجلُ خادمَه معه، فلا استئذانَ عليه، ولا في هذه الأوقات الثلاثة.

---

(١) قال السمين في الدر المصون ٨/ ٤٤١-٤٤٢: الجواب عنه أن الممتنع الحذف إذا لم يدلَّ عليه دليل وقُصِدَ إقامة الجارّ والمجرور مقامه، وهنا عليه دليل ولم يقصد إقامة الجار مقامه.

(٢) الكشاف ٣/ ٧٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٤.

(٤) اختار السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٤٢ أن يكون التقدير: أنتم، وزعم أن لا محذور، وردَّ على قوله: فيدفعه إلخ بأنه لا تعارض فيه؛ لأن المعنى: كلٌّ منكم ومن عَبيدكم طائفٌ على صاحبه، وإن كان طوافُ أحد النوعين غير طواف الآخر؛ لأن المراد الظهور على أحوال الشخص، ويكون «بعضكم» بدلاً من «طوافون».

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٤.

(٦) في النسخ: بات. والمثبت من تفسير الطبري ١٧/ ٣٥٤، والمحرر الوجيز ٣/ ١٩٤.

«وإذا بلغَ الأطفال» أي: من أولادكم وأقربائكم «فليستأذنوا» أي: في كلِّ الأوقات، فإنَّهم قبلَ البلوغ كانوا يستأذنون في ثلاثِ الأوقات، «كما استأذنَ الذين من قبلهم» يعني: البالغين، وقيل: الكبارُ من أولاد الرجل وأقربائه، ودلَّ ذلك على أنَّ الابنَ والأخَ البالغين كالأجنبيِّ في ذلك.

وتكلَّموا هنا فيما به البلوغ، وهي مسألةٌ تذكر في الفقه.

«كذلك» الإشارةُ إلى ما تقدَّم ذكرُه من استئذان المماليك وغير البُلَّغ.

ولمَّا أمرَ تعالى النساءَ بالتحفُّظِ من الرِّجال ومن الأطفال غير البُلَّغ في الأوقات التي هي مظنَّةُ كشفِ عورتهنَّ، استثنى القواعدَ من النساء اللاتي كبرنَ وقعدنَ عن الميل إليهنَّ والافتتان بهنَّ، فقال: «والقواعد»، وهو جمعُ قاعدٍ من صفات الإناث.

وقال ابنُ السكِّيت: امرأةٌ قاعدٌ، قعدت عن الحيض[1].

وقال ابن قتيبة: سُمِّينَ بذلك لأنَّهنَّ بعد الكبر يُكْثِرنَ القعود[2].

وقال ربيعة: لقعودهنَّ عن الاستمتاع، فأينَ، ولم يبقَ لهنَّ طمعٌ في الأزواج[3].

وقيل: قعدنَ عن الحيض والحبَل.

«وثيابهنَّ» الجلبابُ والرداءُ والقناعُ الذي فوق الخِمَار[4]، والمُلَاء الذي فوق الثياب، أو الخُمُر، أو الرداءُ والخمار، أقوال. ويقال للمرأة إذا كبرت: امرأةٌ واضع، أي: وضعت خمارها[5].

«غير مُتَبرِّجاتٍ بزينة» أي: غير متظاهراتٍ بالزينة ليُنْظَرَ إليهنَّ. وحقيقةُ التبرُّج:

(١) إصلاح المنطق ص٣٧٦.
(٢) تفسير غريب القرآن ص٣٠٨.
(٣) قول أبي العالية، كما في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٣٩: هي التي إذا رأيتها استقذرتها.
(٤) زاد المسير ٦/ ٦٣.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٥.

إظهار ما يجبُ إخفاؤه، أو غيرَ قاصداتٍ التبرُّجَ بالوَضْع، وربَّ عجوزٍ يبدو منها الحرصُ على أن يظهرَ بها[1] جمال.

«وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ» عن وضع الثياب ويتسترنَ كالشَّواب أفضلُ لهنَّ.

«والله سميعٌ» لما يقولُ كلُّ قائلٍ «عليمٌ» بالمقاصد. وفي ذكر هاتين الصفتين توعُّدٌ وتحذيرٌ.

عن ابن عباس: لمَّا نزل ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] تحرَّجَ المسلمون عن مواكلة الأعمى؛ لأنَّه لا يبصرُ موضعَ الطعام الطيِّب، والأعرج، لأنَّه لا يستطيعُ المزاحمةَ على الطعام، والمريض؛ لأنَّه لا يستطيعُ استيفاءَ الطعام، فأنزلَ الله هذه الآية[2].

قيل: وتحرَّجوا عن أكل طعام القرابات، فنزلت مبيحةً جميعَ هذه المطاعم، ومبيِّنةً أنَّ تلك إنَّما هي في التعدِّي والقمار وما يأكلهُ المؤمنُ من مالِ مَنْ يَكرهُ أهلُهُ، أو بصفقةٍ فاسدةٍ ونحوه.

وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود وابنُ المسيب: كانوا إذا نهضوا إلى الغزو وخلَّفوا أهل العذرِ في منازلهم وأموالهم، تحرَّجوا من أكل مالِ الغائب، فنزلت مبيحةً لهم ما تمسُّ إليه حاجتُهم من مال الغائب، إذا كان الغائبُ قد بنى على ذلك[3].

وقال مجاهد: كان الرجلُ إذا ذهبَ بأهل العذر إلى بيته فلم يجد فيه شيئاً ذهبَ بهم إلى بيوت قرابته، فتحرَّج أهلُ الأعذار من ذلك، فنزلت[4].

وقيل: كانت العرب ومَنْ بالمدينة قبلَ البعث تجتنبُ الأكلَ مع أهل هذه

---

(١) في (ت) والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٥: لها.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/٣٩٨، والنكت والعيون ٤/ ١٢٢-١٢٣، وأسباب النزول للواحدي ص٣٤٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٦ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأخرجه عن ابن المسيب الواحدي في أسباب النزول ص٣٤٣-٣٤٤، وهو عنه في زاد المسير ٦/ ٦٤.

(٤) أسباب النزول للواحدي ص٣٤٣، وزاد المسير ٦/ ٦٤، وأخرجه الطبري ١٧/ ٣٦٧-٣٦٨، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ١٩٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٦-٣٤٧، وهو فيهما دون نسبة.

الأعذار، فبعضُهم تقذُّراً لمكان جَوَلان يد الأعمى، ولانبساطِ الجلسة مع الأعرج، ولرائحة المريض، وهي أخلاقُ جاهليَّةٍ وكِبْرٍ، فنزلت.

واستبعد هذا؛ لأنَّه لو كان هذا السبب لكان التركيب: ليس عليكم حرجٌ أن تأكلوا معهم، ولم يكن «ليس على الأعمى حرج». وأجابَ بعضُهم بأنَّ «على» في معنى: في، أي: في مواكلة الأعمى. وهذا بعيدٌ جدّاً.

وفي كتاب الزهراويِّ عن ابن عباس أنَّ أهلَ هذه الأعذار تحرَّجوا في الأكل مع الناس من أجل عُذْرهم، فنزلت[١].

وعلى هذه الأقوال كلِّها يكون نفيُ الحرج عن أهلِ العذر ومَنْ بعدَهم في المطاعم.

وقال الحسنُ وعبدُ الرحمن بن زيد: الحرجُ المنفيُّ عن أهل العذر هو في القعودِ عن الجهاد وغيره ممَّا رُخِّص لهم فيه، والحرجُ المنفيُّ عمن بعدهم في الأكل ممَّا ذُكر وهو مقطوعٌ ممَّا قبله[٢]، إذ متعلَّقُ الحرجَين مختلفٌ، وإن كانا قد اجتمعا في انتفاء الحرج. وهذا القولُ هو الظاهر ولم يذكر بيوتَ الأولاد اكتفاءً بذكرِ بيوتكم؛ لأنَّ ولدَ الرجلِ بعضُه وحكمُه حكمُ نفسِه وبيتُه بيتُه. وفي الحديث: «إنَّ أطيب ما يأكلُ المرءُ من كسبه، وإنَّ ولدَه من كسبِهِ»[٣]. ومعنى «من بيوتكم»: من البيوتِ التي فيها أزواجُكم وعيالُكم، والولدُ أقرب مَنْ عُدِّدِ من القرابات، فإذا كان سببُ الرخصةِ هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى[٤].

وقرأ طلحةُ: «إمَّهاتكم» بكسر الهمزة[٥].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٥-١٩٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٥ والقول فيه عن ابن زيد، وأخرجه الطبري ١٧/ ٣٦٩، والقول عن الحسن وابن زيد في زاد المسير ٦/ ٦٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٠٣٢)، وأبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي ٧/ ٢٤٠-٢٤١، وابن ماجه (٢١٣٧) من حديث عائشة ﵂.

(٤) الكشاف ٣/ ٧٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٦، وهي قراءة الكسائي، انظر السبعة ص٢٢٨، والتيسير ص٩٤. وانظر ما سلف عند تفسير الآية (١١) من سورة النساء.

«أو ما مَلَكْتُم مَفاتحَه» قال ابنُ عباس: هو وكيلُ الرجل، له أن يتناولَ من التمر[١] ويشربَ من اللبن.

وقال قتادة: العبد؛ لأنَّ مالَه لك. وقال مجاهد والضحَّاك: خزائن بيوتكم إذا ملكتم مفاتيحها[٢].

وقال ابن جرير: الزَّمنى ملكوا التصرُّفَ في البيوت التي سُلِّمت إليهم مفاتيحُها[٣].

وقيل: وليُّ اليتيم يتناولُ من ماله بقدرِ ما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، ومفاتحُه بيده.

وقرأ الجمهور: «مَلَكْتُم» بفتح الميم واللام خفيفة. وقرأ ابنُ جبير بضمِّ الميم وكسر اللام مشدَّدةً[٤]. والجمهورَ: «مَفَاتِحَهُ» جمع مَفْتَح، وابنُ جبير: «مفاتيحه» جمع مِفْتَاح[٥]، وقتادةُ وهارون عن أبي عمرو: «مفتاحَهُ» مفرداً[٦].

«أو صديقكم» قُرئ بكسر الصَّاد إتباعاً لحركة الدال، حكاهُ حُميد الخزاز[٧].

قرنَ الله الصديقَ بالقرابة المحضة، قيل لبعضهم: من أحبُّ إليك، أخوك أم

(١) في (أ): الثمر. والأثر أخرجه الطبري ١٧/ ٣٧٠.
(٢) الآثار المذكورة عن قتادة ومجاهد والضحاك لم أقف عليها بالرواية التي ذكرها المصنف، وأنا أسوق لك نصها كما أخرجها الطبري في تفسيره ١٧/ ٣٧١، فقول قتادة: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: مما تختزن يا ابن آدم. وقول مجاهد: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قال: خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم. وقول الضحاك: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني بيت أحدهم فإنه يملكه، والعبيد منهم مما ملكوا.
(٣) انظر تفسير الطبري ١٧/ ٣٧٣.
(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣، وتفسير الثعلبي ٤/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٩، وزاد ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٦/ ٦٥ لأبي العالية.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٦. وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٩.
(٦) القراءة عن قتادة في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٩، ومختصر في شواذ القرآن ص١٠٣، والمحتسب ٢/ ١١٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٤٩. وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٦٥ نسبتها لأنس بن مالك وابن يعمر. وقراءة أبي عمرو المتواترة عنه كقراءة الجمهور.
(٧) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣. وحميد الخزاز هو حميد بن الربيع، أبو القاسم السابوري، روى القراءة عن الكسائي، وهو من المكثرين عنه. طبقات القراء ١/ ٢٦٥.

صديقك؟ فقال: لا أحبُّ أخي إلَّا إذا كان صديقي.

وقال معمر: قلت لقتادة: ألا أشربُ من هذا الحُبِّ؟ قال: أنت لي صديقٌ، فما هذا الاستئذان؟[1].

وقال ابنُ عباس: الصَّديق أوكدُ من القرابة، ألا ترى استغاثةَ الجهنميين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات[2].

ومعنى «أو صديقكم»: أو بيوتِ أصدقائكم، والصديقُ يكونُ للواحد والجمع، كالخَليط والقَطين. وقد أكل جماعةٌ من أصحاب الحسن من بيته وهو غائبٌ، فجاءَ فسُرَّ بذلك، وقال: هكذا وجدناهُم، يعني: كبراءَ الصحابة، وكان الرجلُ يدخل بيتَ صديقه، فيأخذُ من كيسِهِ، فيعتقُ جاريتَه التي مكَّنتهُ من ذلك.

وعن جعفر الصادق: من عظم حُرْمَةِ الصَّدِيق أنْ جعلَه اللهُ من الأُنس والثِّقة والانبساط وتركِ الحشمة بمنزلة النفسِ والأب والابن والأخ[3].

وقال هشامُ بن عبد الملك: نلتُ ما نلتُ حتى الخلافة، وأعوزني صديقٌ لا أحتشمُ منه.

وقال أهل العلم: إذا دلَّ ظاهرُ الحال على رضا المالك، قام ذلك مقام الإذن الصريح[4].

وانتصبَ «جميعاً أو أشتاتاً» على الحال، أي: مجتمعين أو متفرقين.

قال الضحاك وقتادة: نزلت في حيٍّ من كنانة، تحرَّجُوا أنْ يأكلَ الرجلُ وحدَه،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٦٤-٦٥، والطبري ١٧/ ٣٧٤.

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٩٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٦، والكشاف ٣/ ٧٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٥١.

(٣) الكشاف ٣/ ٧٧.

(٤) المصدر السابق.

فربَّما قعدَ والطعامُ بين يديه لا يجدُ من يؤاكله حتَّى يُمسي، فيضطرُّ إلى الأكل وحده[١]. وقال بعض الشعراء:

إذا ما صنعتِ الزَّادَ فالتمسي له أكيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وحدي[٢]

وقال عكرمة: في قومٍ من الأنصار، إذا نزلَ بهم ضيفٌ لا يأكلونَ إلّا معه[٣].

وقيل: في قومٍ تحرَّجوا أن يأكلوا جميعاً مخافة أن يزيدَ أحدُهم على الآخرِ في الأكل[٤].

وقيل: «أو صديقكم» هو إذا دعاك إلى وليمةٍ فحَسْب[٥]. وقيل: هذه الآية منسوخةٌ بقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إنَّ دماءَكم وأموالَكم عليكم حرام»[٦]، وبقوله عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عمر: «لا يحلبنَّ أحدٌ ماشيةَ أحدٍ إلّا بإذنه»[٧]، وبقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ [النور: ١٧] الآية[٨].

«فإذا دخلتم بيوتاً فسلِّموا على أنفسكم» قال ابن عباس والنخعيّ: المساجدَ

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/٣٩٩، وأسباب النزول للواحدي ص٣٤٤، وزاد المسير ٦/٦٦. وأخرجه الطبري في تفسيره ١٧/٣٧٦ عن قتادة، وأخرج معناه عن الضحاك.

(٢) اختلف في نسبة هذا البيت، فنسبه المبرد في الكامل ٢/٧٠٩، والأصفهاني في الأغاني ١٤/٧١ لقيس بن عاصم المنقري، ونسبه التبريزي في شرح الحماسة ٤/١٠٠ لحاتم الطائي، ونسبه البصري في الحماسة البصرية ٢/٢٣٨ لحاتم الطائي قال: ويُروى لقيس بن عاصم المنقري. ونُسب أيضاً لعروة بن الورد وغيره كما في شرح أبيات مغني اللبيب ٤/٣١٣-٣١٥ للبغدادي، وذكر في حاشيته على شرح قصيدة بانت سعاد ١/١٢٤، أن ابن جني نسبه في إعراب الحماسة إلى أبي الجواس الحارثي، وهو دون نسبة في البيان والتبيين ٣/٣١٠، وعيون الأخبار ٣/٢٦٣، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٤/١٦٦٨، والمحرر الوجيز ٤/١٩٦، وتفسير القرطبي ١٥/٣٥٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٣٤٤، وزاد المسير ٦/٦٦، وأخرجه الطبري ١٧/٣٧٧.

(٤) الكشاف ٣/٧٨، وزاد المسير ٦/٦٦.

(٥) النكت والعيون ٤/١٢٤.

(٦) سلف عند تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٧) أخرجه أحمد (٤٥٠٥)، والبخاري (٢٤٣٥)، ومسلم (١٧٢٦).

(٨) المحرر الوجيز ٤/١٩٦.

فسلِّموا على من فيها، فإن لم يكن فيها أحدٌ قال: السلامُ على رسول الله[١].

وقيل: يقول: السلامُ عليكم يعني: الملائكة، ثم يقول: السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقال جابر وابن عباس وعطاء: البيوتُ المسكونة، وقالوا: يدخلُ فيها غير المسكونة، فيقول: السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين[٢].

وقال ابن عمر: بيوتاً خاليةً[٣].

وقال السُّدِّيُّ: «على أنفسكم»: على أهل دينكم[٤] وقال قتادة: على أهاليكم في بيوت أنفسكم[٥].

وقيل: بيوت الكفار «فسلِّموا على أنفسكم».

وقال الزمخشري: «فإذا دخلتم بيوتاً» من هذه البيوت لتأكلوا، فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابةً. «تحيَّةً من عند الله» أي: ثابتةً بأمره، مشروعةً من لدنهُ، أو لأنَّ التسليمَ والتحيَّةَ طلبٌ للسلامة وحياةٌ للمسلَّم عليه، ووصفُها بالبركة والطيب؛ لأنَّها دعوةُ مؤمنٍ لمؤمن، يُرْجَى بها من الله زيادةُ الخير وطيبُ الرزق. انتهى[٦].

وقال مقاتل: «مباركةً» بالأجر[٧]. وقيل: بورك فيها بالثواب.

وقال الضَّحاك: في السلام عشرُ حسناتٍ، ومع الرحمة عشرون، ومع البركات ثلاثون.

وانتصب «تحيَّةً» بقوله: «فسلِّموا»؛ لأنَّ معناه: فحيُّوا، كقولك: قعدتُ جلوساً[٨].

---

(١) القول عن ابن عباس في زاد المسير ٦/ ٦٧، وعن النخعي في المحرر الوجيز ٤/ ١٩٦.
(٢) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٥٤-٣٥٥.
(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٣٨٣.
(٤) النكت والعيون ٤/ ١٢٦.
(٥) أخرجه الطبري ١٧/ ٣٧٨، وانظر زاد المسير ٦/ ٦٧.
(٦) الكشاف ٣/ ٧٨.
(٧) زاد المسير ٦/ ٦٧.
(٨) الكشاف ٣/ ٧٨.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

لما افتتحَ السورةَ بقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا﴾، وذكر أنواعاً من الأوامرِ والحدود ممَّا أنزلَهُ على الرسول عليه الصلاة والسلام، اختتمَها بما يجبُ له عليه الصلاة والسلام على أمَّته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحةُ الإسلام، ومِنْ طلب استئذانه إنْ عَرَضَ لأحدٍ منهم عارضٌ، ومِن توقيرِه في دعائهم إيَّاه.

وقال الزمخشريُّ: أرادَ عزَّ وجلَّ أن يريَهم عظيمَ الجنايةِ في ذهاب الذاهب عن رسول الله ﷺ بغير إذنه «إذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ» فجعلَ تركَ ذهابهم حتَّى يستأذنوه ثالثَ الإيمان بالله والإيمان برسوله ﷺ، وجعلَهما كالتسبيب له والبساط[1] لذكره، وذلك مع تصدير الجملة بـ «إنَّما» وإيقاع[2] المؤمنين مبتدأً ومخبراً عنه بموصولٍ أحاطت صلتُه بذكر الإيماتين، ثمَّ عقَّبه بما يزيدُه توكيداً وتشديداً[3] بحيث أعادَهُ على أسلوبٍ آخر، وهو قوله: «إنَّ الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله»، وضمَّنهُ شيئاً آخرَ، وهو أنَّه جعلَ الاستئذان كالمِصْدَاقِ لصحَّة الإيمانين، وعرَّض بحال المنافقين[4] وتسلُّلهم لواذاً، ومعنى قوله: «لم يذهبوا حتَّى يستأذنوه»: لم يذهبوا حتَّى يستأذنوه ويأذنَ لهم، ألا تراه كيف علَّق الأمر بعد وجودِ استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوبَ أنْ يأذنَ له؟ والأمرُ الجامعُ: الذي يُجْمَعُ له الناس، فوصف بالجمع[5] على المجاز، وذلك

(١) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: والنشاط.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه): وارتفاع، والمثبت من (ت) والكشاف.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وتسديدا.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: الماضين.
(٥) في (يه): فوصف الأمر بالجامع. وفي الكشاف: فوصف الأمر بالجمع.

نحو مقابلة[١] عدوٍّ، أو تشاورٍ في أمرٍ مهمٍّ، أو تضامٌ لإرهاب مخالفٍ، أو تماسُحٍ[٢] في حلفٍ، وغير ذلك، أو الأمر الذي يعمُّ بضرره أو بنفعه.

وفي قوله: «وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ» أنَّه خطبٌ جليلٌ لا بدَّ لرسول الله ﷺ فيه من ذوي رأيٍ وقوّةٍ، يظاهرونَه عليه، ويعاونونَه، ويستضيءُ بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته، فمفارقةُ أحدهم في مثل هذه الحالة ممَّا يَشُقُّ على قلبِهِ، ويُشَعِّثُ عليه رأيَه، فمِن ثَمَّ غلَّظ عليهم، وضيَّق الأمر في الاستئذان مع العذر المبسوطِ، ومساس الحاجةِ إليهِ، واعتراضِ ما يُهِمُّهم ويُعَنِّيهم، وذلك قوله: «لبعض شأنهم» وذكرُ الاستغفار للمستأذنين دليلٌ على أنَّ الأحسنَ الأفضلَ أنْ لا يُحَدِّثوا أنفسَهم بالذهاب ولا يستأذِنوا فيه.

وقيل: نزلت في حفر الخندق، وكان قومٌ يتسلَّلونَ بغيرِ [٣]إذن، قالوا: وكذلك[٣] ينبغي أن يكونَ الناسُ مع أئمَّتهم ومُقَدَّميهم في الدين والعلم، يظاهرونَهم ولا يَخْذُلونهم في نازلةٍ من النوازل، ولا يتفرَّقون عنهم، والأمرُ في الإذن مفوَّضٌ إلى الإمام، إن شاءَ أَذِن، وإن شاء لم يأذن، على حسب ما اقتضاهُ رأيُه. انتهى[٤].

وهو تفسيرٌ حسن، ويجري هذا المجرى إمامُ الإمرة إذا كان الناس معه مجتمعينَ لمراعاة مصلحةٍ دينيَّةٍ، فلا يذهبُ أحدٌ منهم عن المجمع إلَّا بإذن منه؛ إذ قد يكون له رأيٌ في حضور ذلك الذاهب.

وقال مكحولٌ والزهريّ: الجُمُعَةُ من الأمر الجامع[٥]. فإذا عَرَض للحاضر ما يمنعهُ الحضورَ من سَبْقِ رُعاف، فليستأذن حتَّى يذهب عنهُ سوءُ الظنِّ به.

وقال ابن سيرين: كانوا يستأذنون الإمامَ على المنبر، فلمَّا كثُر ذلك، قال زياد:

---

(١) في (يه) والكشاف: مقاتلة.
(٢) في (أ) والمطبوع: أو ما ينتج، وكذا في (ع) لكنها لم تنقط، وفي (ت) و(يه): أو بما يبيح. والمثبت من (ح) والكشاف.
(٣-٣) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: إذن لذلك، وفي (ت): إذن كذلك، وفي الكشاف: إذن وقالوا كذلك. والمثبت من (ح).
(٤) الكشاف ٣/ ٧٨-٧٩.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٧، وأخرج قوليهما الطبري ١٧/ ٣٨٥-٣٨٦.

من جعل يدَهُ على أنفه فليخرج دون إذن[١]، وقد كان هذا بالمدينة، حتَّى إن سهيلَ بن أبي صالح رَعَفَ يوم الجمعة، فاستأذنَ الإمام[٢].

وقال ابن سلام: هو كلُّ صلاةٍ فيها خطبةٌ كالجمعة والعيدين والاستسقاء[٣].

وقال ابنُ زيد: في الجهاد[٤].

وقال مجاهد: الاجتماع في طاعة الله[٥].

قيل في قوله: «فأذن لمن شئتَ منهم»: أُريد بذلك عمر بن الخطاب[٦].

وقرأ اليماني: «على أمرٍ جميع»[٧].

«لا تجعلوا» خطابٌ لمعاصري الرسول عليه الصلاة والسلام لمَّا كان التداعي بالأسماء على عادة البداوة، أُمِروا بتوقيرِ رسول الله ﷺ، بأحسنِ ما يُدْعَى به، نحو: يا رسولَ الله، يا نبيَّ الله، ألا ترى إلى بعض جُفَاة من أسلم، كان يقول: يا محمد.

وفي قوله: «كدعاءِ بعضكم بعضاً» إشارةٌ إلى جواز ذلك مع بعضهم لبعض، إذ لم يؤمر[٨] بالتوقير والتعظيم في دعائه عليه الصلاة والسلام إلَّا مَنْ دعاه، لا مَنْ دعا غيره، وكانوا يقولون: يا أبا القاسم، يا محمد، فنُهوا عن ذلك.

وقيل: نهاهم عن الإبطاء والتأخُّر إذا دعاهم، واختارَهُ المبرِّدُ والقفَّال، ويدلُّ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥٥٠٩)، وابن أبي شيبة (٥٢٥٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٣٩٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٥٨، وسهيل بن أبي صالح من رجال التهذيب.

(٣) قول يحيى بن سلام ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٢٧.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٢٧ عن زيد بن أسلم، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٧/ ٣٨٧، عن ابن زيد قال: الأمر الجامع حين يكونون في جماعة الحرب أو جمعة.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٢٧.

(٦) انظر النكت والعيون ٤/ ١٢٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٥٩. واستغربه الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٤٩١.

(٧) مختصر ابن خالويه ص١٠٣، وهي دون نسبة في الكشاف ٣/ ٧٨.

(٨) في (أ) و(ع): يؤمن. وفي (يه): يؤمنوا.

عليه: «فليحذر الذينَ يخالفون عن أمره»[١]. وهذا القولُ موافقٌ لمساقِ الآية ونظمها.

وقال الزمخشريُّ: إذا احتاجَ إلى اجتماعكم عندَه لأمرٍ فدعاكم فلا تتفرَّقوا عنه إلَّا بإذنه، ولا تقيسُوا دعاءَه على دعاءِ بعضكم بعضاً ورجوعِكم عن المجمع بغير إذنِ الداعي. انتهى. وهو قريبٌ ممَّا قبلَه.

وقال أيضاً: ويحتملُ: لا تجعلوا دعاءَ الرسول ربَّه مثلَ ما يدعو صغيرُكم كبيرَكم، وفقيرُكُم غنيَّكم، يسألُه حاجةً، فربَّما أجابَه وربَّما ردَّه، وإنَّ دعواتِ رسول الله ﷺ مسموعةٌ مستجابةٌ، انتهى[٢].

وقال ابن عباس: إنَّما هو لا تحسبوا دعاءَ الرسول عليكم كدعاءِ بعضكم على بعض. أي: دعاؤه عليكم مجابٌ فاحذروه. قال ابنُ عطية: ولفظُ الآيةِ يَدْفَعُ هذا المعنى. انتهى[٣].

وقرأ الحسن ويعقوب في رواية «نَبِيِّكم» بنونٍ مفتوحة وباءٍ مكسورة وياءٍ مشددة[٤]، بدل قوله: «بينكم» ظرفاً قراءة الجمهور. قال صاحب «اللوامح»: وهو النبيُّ عليه الصلاة والسلام، على البدل من الرسول، فإنَّما صارَ بدلاً لاختلاف تعريفهما باللام مع الإضافة، يعني أن «الرسول» معرفةٌ باللام، و«نبيكم» معرَّفةٌ بالإضافة إلى الضمير، فهو في رتبة العلم، فهو أكثر تعريفاً من ذي اللام، فلا يصحُّ النعتُ به على المذهب المشهور؛ لأنَّ النعتَ يكونُ دون المنعوتِ أو مساوياً له في التعريف.

ثم قال صاحب «اللوامح»: ويَجوزُ أن يكون نعتاً؛ لكونهما معرفتين. انتهى. وكأنَّه مناقضٌ لما قرَّر من اختياره البدلَ. وينبغي أن يجوزَ النعتُ؛ لأنَّ «الرسول» قد صار علماً بالغَلبة، كالبيت للكعبة، إذ ما جاء في القرآن والسنَّة من لفظِ الرسول إنَّما يُفْهَم منه أنَّه محمدٌ ﷺ، فإذا كان كذلك، فقد تساويا في التعريف.

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٣٩-٤٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٧٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٨. وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٧/ ٣٨٨.

(٤) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٦٨ للحسن وأبي رجاء وأبي المتوكل ومعاذ القارئ.

ومعنى «يتسلَّلون» ينصرفون قليلاً قليلاً عن الجماعة في خِفيةٍ.

ولواذُ بعضهم ببعض، أي: هذا يلوذُ بهذا، وهذا بذاك، بحيث يدورُ معه حيثُ دارَ استتاراً من الرسول.

وقال الحسن: «لواذاً» فراراً من الجهاد[(١)]. وقيل: في حفر الخندق، ينصرفُ المنافقون بغير إذن، ويستأذنُ المؤمنون إذا عرضت لهم حاجة[(٢)]، وقال مجاهد: «لوذا» خلافاً[(٣)]. وقال أيضاً: يتسلَّلون من الصفِّ في القتال.

وقيل: يتسلَّلون على رسولِ الله ﷺ وعلى كتابه وعلى ذكره[(٤)].

وانتصب «لواذاً» على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال، أي: متلاوذين، ولواذاً مصدرُ: لاوذ، صحَّتِ العين في الفعل، فصحَّت في المصدر، ولو كان مصدر: لاذ، لكان لياذاً، كـ: قام قياماً[(٥)].

وقرأ يزيدُ بن قطيب: «لَوَاذاً» بفتح اللام[(٦)]، فاحتملَ أنْ يكون مصدر: لاذ، ولم يُقبل؛ لأنَّه لا كسرةَ قبل الواو، فهو كطافَ طوافاً، واحتملَ أن يكون مصدر: لاوذ، وكانت فتحة اللام لأجلِ فتحة الواو[(٧)].

وخالف يتعدَّى بنفسه، تقول: خالفتُ أمرَ زيد، وبـ «إلى»، تقول: خالفتُ إلى كذا، فقوله: «عن أمره» ضَمَّنَ خالفَ معنى صدَّ وأعرضَ، فعداه بـ «عن».

وقال ابنُ عطية: معناه: يقعُ خلافُهم بعدَ أمره، كما تقول: كان المطرُ عن ريح، و«عن» هي لما عدا الشيءَ[(٨)].

---

(١) النكت والعيون ٤/١٢٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٦١.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٠٢، وزاد المسير ٦/٦٩.
(٣) معاني القرآن للنحاس ٤/٥٦٦، وأخرجه الطبري ١٧/ ٣٩١.
(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ٤٠. وفيه: عن رسول الله ﷺ وعن كتابه وعن ذكره.
(٥) الإملاء: ٢/ ١٦٠.
(٦) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣.
(٧) قال السمين في الدر المصون ٨/٤٤٨: وهو تعليلٌ ضعيف يصلح لمثل هذه القراءة.
(٨) المحرر الوجيز ٤/١٩٨.

وقال أبو عبيدة والأخفش: عن زائدة، أي: أمره[١].

والظاهرُ أنَّ الأمرَ بالحذر للوجوب، وهو قولُ الجمهور، وأنَّ الضمير في «أمره» عائدٌ على الله. وقيل: على الرسول[٢].

وقرئ: «يُخلِّفون» بالتشديد، أي: يُخَلِّفونَ أنفسَهم بعد أمره[٣].

والفتنة: القتل، قاله ابن عباس، أو الزلازل، قاله عطاء، أو سلطانٌ جائرٌ، قاله جعفر الصادق[٤]، أو ضلالةٌ[٥]، قاله ابنُ عباس أيضاً، أو بلاءٌ، قاله مجاهد، أو كفر، قاله السُّدِّيُّ ومقاتل[٦]، أو إسباغُ النعم استدراجاً، قاله الجَرَّاح، أو قسوةُ القلب عن معرفة المعروف والمنكر، قاله الجُنَيد، أو طبعٌ على القلوب، قاله بعضهم.

وهذه الأقوالُ خرجَت مخرجَ التمثيل لا الحصر، وهي في الدنيا.

«أو عذابٌ أليم» قيل: عذابُ الآخرة، وقيل: هو القتلُ في الدنيا[٧].

«ألا إنَّ لله ما في السموات والأرض» هذا كالدلالة على قدرته تعالى عليهما، وعلى المكلَّفِ فيما يعاملهُ به من المجازاة من ثواب وعقاب.

«قد يعلم ما أنتم عليه» أي: من مخالفة أمرِ الله وأمرِ رسوله، وفيه تهديدٌ ووعيدٌ، والظاهر أنَّه خطابٌ للمنافقين.

وقال الزمخشريُّ: أدْخَلَ «قد» ليؤكِّدَ علمَه بما هم عليه من المخالفة عن الدِّين والنفاق، ويَرجع[٨] توكيدُ العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أنَّ «قد» إذا دخلت على

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٢، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٦٩.
(٢) النكت والعيون ٤/ ١٢٩.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣.
(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٠٢، والكشاف ٣/ ٧٩.
(٥) من قوله: قاله ابن عباس... إلى هنا. من (ت) و(يه).
(٦) زاد المسير ٦/ ٦٩.
(٧) النكت والعيون ٤/ ١٢٩، وزاد المسير ٦/ ٧٠.
(٨) في (ت) والكشاف ٣/ ٧٩: ومرجع.

المضارع كانت بمعنى «ربَّما»، فوافقت «ربما» في خروجِها إلى معنى التكثير[(١)] في نحو قوله:

فإنْ تُمسِ مهجورَ الفِنَاء فربَّما ... أقامَ به بعد الوفودِ وفودُ[(٢)]

ونحوٌ من ذلك قولُ زهير:

أخي ثقةٍ لا يُهْلِكُ الخمرُ مالَه ... ولكنَّه قد يُهْلِكُ المالَ نائلُهْ[(٣)]

انتهى.

وكون «قد» إذا دخلتْ على المضارع أفادت التكثير قولُ بعض النحاة، وليس بصحيحٍ، وإنَّما التكثيرُ مفهومٌ من سياقةِ الكلام في المدح، والصحيحُ في «ربَّ» أنَّها لتقليلِ الشيء، أو تقليل نظيرِه، فإن فُهِمَ تكثيرٌ فليس ذلك من «ربَّ» ولا «قد»، إنَّما هو من سياقة الكلام، وقد بُيِّنَ ذلك في علم النحو.

وقرأ الجمهور: «يُرْجَعُون» مبنيًّا للمفعول، وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحاق وأبو عمرو مبنيًّا للفاعل[(٤)].

والتفت من ضمير الخطاب في «أنتم» إلى ضمير الغيبة في «يُرْجَعون»، ويجوزُ أن يكون «ما أنتم عليه» خطاباً عامًّا، ويكون «يرجعون» للمنافقين[(٥)].

والظاهرُ عطفُ «ويومَ» على «ما أنتم عليه» فنصبه نصب المفعول، قال ابن عطيَّة: ويجوز أن يكون التقدير: والعلمُ الظاهرُ لكم - أو نحو هذا - يومَ، فيكون النصبُ على الظرف[(٦)].

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: التنكير. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف.

(٢) هو لأبي عطاء السندي يرثي يزيد بن هبيرة الفزاري. كما في ديوان الحماسة ٢/ ٨٠٠، والشعر والشعراء ٢/ ٧٦٩، والأمالي لأبي علي القالي ١/ ٢٧٢، وخزانة الأدب ٩/ ٥٣٩-٥٤٠، ثم قال البغدادي: وقيل: رثاه بها معن بن زائدة الشيباني.

(٣) هو لزهير بن أبي سلمى، ديوانه ص١٤١، وسلف عند تفسر الآية (٩٠) من سورة المائدة.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٨. وهي قراءة يعقوب من العشرة. النشر ٢/ ٢١٨.
والمشهور عن أبي عمرو موافقة قراءة الجمهور، وذكر مجاهد في السبعة ص٤٥٩ الاختلاف عنه، فانظره.

(٥) الكشاف ٣/ ٨٠.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٨.

مفردات سورة الفرقان[١]

الهَباء، قال أبو عبيدة والزَّجَّاج: مثلُ الغبارِ يدخلُ الكوَّة مع ضوءِ الشمس[٢].

وقال ابن عرفة: الهَبْوَةُ والهَباءُ: التراب الدقيق. وقال الجوهريُّ: يقال منه[٣] إذا ارتفع: هبا يهبُو هُبُوًّا، وأهبيتُه أنا إهباءً. وقيل: هو الشررُ الطائرُ من النَّار إذا أُضْرِمَتْ[٤].

النَّثْرُ: التفريقُ.

العضُّ: وقعُ الأسنان على المعضوض بقوَّةٍ، وفعلُه على وزن فَعِلَ، بكسر العين، وحكى الكسائيُّ: عَضَضتُ بفتح عينِ الكلمة[٥].

فلان: كنايةٌ عن عَلَمِ مَنْ يعقلُ.

الجملةُ من الكلام: هو المجتمِعُ غيرُ المفرَّق.

الترتيل: سَرْدُ اللفظ بعد اللفظ، يتخلَّلُ بينهما زمنٌ يسيرٌ، من قولهم: ثغرٌ مرتَّلٌ، أي: مفلَّجُ الأسنان.

السُّباتُ: الراحة، ومنه يومُ السبت؛ لما جرت العادةُ من الاستراحة فيه، ويقال

(١) قوله: مفردات سورة الفرقان. ليس في (أ) و(ع)، وفي (ح) و(يه): المفردات. والمثبت من (ت) والمطبوع.

(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ٧٢، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٧٤، وقول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٦٤.

(٣) كذا في النسخ، وفي صحاح الجوهري (هبا)، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٩٧: ويقال له.

(٤) زاد المسير ٦/ ٨٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٥٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٠١.

للعَليل إذا استراح من تعبِ العلَّة: مسبوت، قاله أبو مسلم[١].

وقال الزمخشريُّ: السباتُ: الموت، والمسبوتُ: الميِّتُ؛ لأنَّه مقطوعُ الحياة[٢].

مَرَج؛ قال ابن عرفة: خَلَطَ، ومَرِجَ الأمرُ: اختلط واضطرب[٣]. وقيل: مَرَج وأمْرَج: أجرى، ومَرَجَ لغة الحجاز، وأمرجَ لغةُ نجد.

العذب: الحلو، والفرات: المبالغ في الحلاوة، المِلْحُ: المالح، والأجاجُ المبالغُ[٤] في الملوحة، وقيل: المرّ، وقيل: الحار[٥].

الصِّهْر، قال الخليل: لا يُقَال لأهل بيتِ المرأة إلا أصهار ولأهل بيت الرجل إلَّا أختان، ومن العرب من يجعلُهم أصهاراً كلُّهم[٦].

السراج: الشمس.

الهَوْن: الرِّفقُ واللِّين.

الغُرْفَة: العِلِّيَّة، وكلُّ بناءٍ عالٍ فهو غرفة[٧].

عبَأ من العِبْء، وهو الثِّقَل، يقال: عبأت الجيشَ، بالتخفيف والتثقيل: هيَّأتُه للقتال، ويقال: ما عَبَأت به، أي: ما اعتددتُ به، كقولك: ما اكترثتُ به.

* * *

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٨٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٩٤.
(٣) تفسير القرطبي ١٥/ ٤٥٠.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: البالغ.
(٥) انظر النكت والعيون ٤/ ١٥١.
(٦) كتاب العين ٣/ ٤١١.
(٧) تفسير الرازي ٢٤/ ١١٥.

سورة الفرقان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [١]

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

التفسير هذه السورةُ مكِّيَّةٌ في قول الجمهور. وقال ابن عباس وقتادة: إلَّا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢] [الآيات: ٦٨-٧٠].

---

(١) بعدها في (يه): ربِّ اختم بخير آمين.

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٣٠، وزاد المسير ٦/ ٧١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٤.

قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ٩/ ٣١٣، والصحيح عنه (يعني عن ابن عباس) أن هذه الآيات الثلاث مكية، كما في صحيح البخاري [(٤٧٦٢)] عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ فقرأت عليه: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ

=

وقال الضحَّاك: مدنيَّةٌ إلا من أولها إلى ﴿وَلَا نُشُورًا﴾، فهو مَكِّي[١].

ومناسبةُ أوَّل هذه السورةِ لآخر ما قبلها أنَّه لمَّا ذكرَ وجوبَ متابعة[٢] المؤمنين للرسول ﷺ، وأنَّهم إذا كانوا معه في أمرٍ مهمٍّ توقَّفَ انفصالُ واحدٍ منهم على إذنه، وحذَّرَ مَنْ يُخالِفُ أمرَه، وذكرَ أنَّ له ملك السماوات والأرض، وأنّه تعالى عالمٌ بما هم عليه ويجازيهم[٣] على ذلك، فكان ذلك غايةً في التحذير والإنذار = ناسبَ أن يفتتحَ هذه السورةَ بأنَّه تعالى منزَّهٌ في صفاته عن النقائص، كثيرُ الخيرِ، ومِنْ خيره أنَّه نزل الفرقان[٤] على رسولهِ منذراً لهم، فكان في ذلك إطماعٌ في خيره، وتحذيرٌ من عقابه.

و«تبارك»: تفاعل، مطاوعُ باركَ، وهو فعلٌ لا يتصرَّف، ولم يستعمل في غيره تعالى، فلا يجيء منه مضارعٌ، ولا اسمُ فاعل، ولا مصدر[٥]، وقال الطِّرمَّاح:

تَباركتَ لا معطي لشيءٍ منعتَهُ وليسَ لما أعطيتَ يا ربِّ مانعُ[٦]

قال ابن عباس: لم يزل ولا يزول. وقال الخليل: تمجَّد. وقال الضحَّاك: تعظَّم[٧]. وحكى الأصمعيُّ: تباركتُ عليكم، من قولِ عربيٍّ صَعِدَ رابيةً، فقال

= ﴿ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾. فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليَّ، فقال: هذه مكية، نسختها آية مدنية التي في سورة النساء. يريد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣].

قلت: والحديث الذي ذكره ابن عاشور رحمه الله أخرجه أيضاً مسلم (٣٠٢٣): (٢٠).

(١) كذا ذكر المصنف، ولم أقف عليه عن الضحاك بهذا السياق، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٩٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٤ عن الضحاك قال: هي مدنية، وفيها آيات مكية، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآيات.

والذي ذكره المصنف نقله عنه الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٥٠٤، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ٩/ ٣١٣ ثم قال: وأسلوب السورة وأغراضها شاهدة بأنها مكية.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: مبايعة.

(٣) في (أ) والمطبوع: ومجازيهم.

(٤) في (ت) و(يه): القرآن.

(٥) انظر المحرر الوجيز ٤/ ١٩٩.

(٦) أورده القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٦٥، ولم أقف عليه عند غيره.

(٧) قولا الخليل والضحاك أوردهما الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٠٤.

لأصحابه ذلك، أي: تعاليتُ وارتفعتُ. ففي هذه الأقوال تكونُ صفةَ ذاتٍ.

وقال ابنُ عبَّاس أيضاً والحسنُ والنخعيُّ: هو من البركة[1]، وهو التزايدُ في الخير من قِبله، فالمعنى: زادَ خيرُهُ وعطاؤه وكثُر، وعلى هذا يكون صفةَ فعلٍ.

وجاء الفعلُ مسنداً إلى «الذي» وهم وإن كانوا لا يقرُّون بأنَّه تعالى هو الذي نزَّلَ الفرقان، فقد قامَ الدليلُ على إعجازه، فصارت الصلة معلومةً بحسب الدليل، وإن كانوا منكرينَ لذلك.

وتقدَّم في «آل عمران» لِمَ سُمِّي القرآن فرقاناً؟[2]

وقرأ الجمهور: «على عبدِه»، وهو الرسولُ محمَّدٌ ﷺ. وقرأ ابنُ الزبير: «على عباده»[3]، أي: الرسول وأمَّته، كما قال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[4] [البقرة: ١٣٦]، ويَبعدُ أنْ يُرَادَ بـ «القرآن» الكتبَ المنزلة، وبـ «عبده» مَنْ نزلت عليهم، فيكون اسمَ جنس، كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

والضميرُ في «ليكون» قال ابن زيد: عائدٌ على «عبده»[5]. ويترجَّحُ بالقرب، أو على «الفرقان»، أو على «الذي نزَّل»، ويترجّحُ[6] بأنَّه العمدةُ المسندُ إليه الفعلُ، وهو مِنْ وصفِهِ تعالى، كقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

والظاهرُ أنَّ «نذيراً» بمعنى: منذر؛ وجُوِّزَ أن يكونَ مصدراً بمعنى: إنذار، كالنكير بمعنى: الإنكار، ومنه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦].

و«للعالمين» عامٌّ للإنس والجنّ ممَّن عاصرَهُ أو جاءَ بعده، وهذا معلومٌ من الحديث المتواتر وظواهرِ الآيات.

---

(١) النكت والعيون ٤/ ١٣٠.
(٢) عند تفسير الآية (٤) منها.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣، والمحتسب ٢/ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٩٩، والكشاف ٣/ ٨٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٨٠.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٩، وأخرجه الطبري ١٧/ ٣٩٤.
(٦) من قوله: بالقرب... إلى هنا من (ت) و(يه).

وقرأ ابنُ الزبير «للعالَمين للجنِّ والإنس»(١) وهو تفسيرٌ للعالمين.

ولمَّا سبقَ في أواخر السورة ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [النور: ٦٤]، فكان إخباراً بأن ما فيهما ملكٌ له أخبرَ هنا أنَّه له ملكهما، أي: قهرهما وقهرُ ما فيهما، فاجتمعَ له المَلكُ والملك لهما ولما فيهما.

و«الذي» مقطوعٌ للمدح رفعاً أو نصباً، أو نعتٌ، أو بدلٌ من «الذي نزل»، وما بعدَ «نزَّل» من تمام الصلة ومتعلِّقٌ به، فلا يعدُّ فاصلاً بين النعت أو البدل ومتبوعه.

«ولم يتخذ ولداً» الظاهر نفيُ الاتِّخاذ، أي: لم يُنَزِّل أحداً منزلةَ الولد. وقيل: المعنى: لم يكن له ولدٌ، بمعنى قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾؛ لأنَّ التوالدَ مستحيلٌ عليه. وفي ذلك ردٌّ على مشركي قريشٍ وعلى النَّصارى واليهود النَّاسبينَ لله الولد.

«ولم يكن له شريكٌ في الملك» تأكيدٌ لقوله: «له ملك السموات والأرض»، ورَدٌّ على مَنْ جعلَ لله شريكاً.

«وخلقَ كلَّ شيءٍ» عامٌّ في خلق الذوات وأفعالها. وقيل: وفي الكلام حذفٌ تقديرُهُ: وخلقَ كلَّ شيءٍ ممَّا يصحُّ خلقُه؛ لتخرجَ عنه ذاتُه وصفاتُه القديمة. انتهى.

ولا يُحتاج إلى هذا المحذوف؛ لأنَّ من قال: أكرمتُ كلَّ رجلٍ، لا يدخلُ هو في العموم، فكذلك لم يدخل في عموم «وخلق كلَّ شيء» ذاتُه تعالى ولا صفاتُه القديمة.

---

(١) نسبة هذه القراءة لابن الزبير وهمٌ، ساق المصنفَ إليه عبارةُ الزمخشري في الكشاف ٣/ ٨٠-٨١، ونصُّ كلامه: والضمير في «ليكون» لعبده أو للفرقان، ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير، «للعالمين» للجن والإنس. انتهى.
فقولُ الزمخشري: قراءةُ ابن الزبير، يشير به إلى قراءة ابن الزبير التي ذكرها قريباً، وهي «على عباده»، ثم استأنف تفسير «للعالمين»: للجنِّ والإنس. فتوهم المصنف رحمه الله أنَّ قراءة ابن الزبير: «للعالمين للجن والإنس» وتابعه على هذا الوهم الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ١٨/ ٥٠٧.

«فقدَّرهُ تقديرا» إنْ كان الخلقُ بمعنى التقدير، فكيف جاء «فقدَّره» إذ يصيرُ المعنى: وقدَّر كلَّ شيءٍ فقدَّره[١] تقديراً؟ فقال الزمخشريُّ: المعنى أنَّه أحدثَ كلَّ شيءٍ إحداثاً مراعىً فيه التقديرُ والتسويةُ، فقدَّره وهيَّأهُ لما يصلحُ له، أو سمى إحداثَ الله خلقاً؛ لأنَّه لا يُحْدِثُ شيئاً لحكمته إلَّا على وجه التقدير من غير تفاوت، فإذا قيل: خلقَ الله كذا، فهو بمنزلة: أحْدَثَ الله وأوجدَ من غير نظرٍ إلى وجه الاشتقاق، فكأنَّه قيل: وأوجدَ كلَّ شيءٍ فقدَّره في إيجاده متفاوتاً. وقيل: فجعل له غايةً ومنتهى، ومعناه: فقدَّره للبقاء إلى أمد معلوم[٢].

وقال ابنُ عطية: تقديرُ الأشياء هو حدُّها بالأمكنة والأزمان والمقاديرِ والمصلحة والإتقان. انتهى[٣].

«واتَّخذوا من دونهِ آلهةً» الضميرُ في «واتَّخذوا» عائدٌ على ما يُفْهَم من سياقِ الكلام؛ لأنَّ في قوله: «ولم يتَّخِذ ولداً ولم يكن له شريكٌ» دلالةً على ذلك، إذ لم يُنْفَ إلَّا وقد قيل به.

وقال الكرمانيّ: الواو ضمير الكفار، وهم مندرجونَ في قوله: «للعالمين». وقيل: لفظ «نذيراً» ينبئ عنهم، لأنَّهم المنذرون.

ويندرج في «واتَّخذوا» كلُّ من ادَّعى إلهاً غير الله، ولا يختصُّ ذلك بعُبَّاد الأوثان وعُبَّاد الكواكب.

وقال القاضي: يبعدُ أنْ يدخل فيه النَّصارى؛ لأنَّهم لم يتخذوا مِن دون الله آلهةً على الجمع، والأقرب أنَّ المرادَ به عبدةُ الأصنام، ويجوز أنْ يدخلَ فيه مَنْ عبدَ الملائكة؛ لأنَّ لعبادها[٤] كثرة. انتهى.

ولا يلزم ما قال؛ لأنَّ «واتَّخذوا» جمعٌ «وآلهةً» جمعٌ، وإذا قُوبل الجمعُ

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يقدره.
(٢) الكشاف ٣/ ٨١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٩٩.
(٤) في تفسير الرازي ٢٤/ ٤٨: لمعبودهم، وهو الأشبه.

بالجمع[١]، يقابلُ الفردُ بالفرد، ولا يلزم أن يقابلَ الجمع[٢]، فيندرجُ معبودُ النصارى في لفظ «آلهة».

ثمَّ وصف الآلهة بانتفاء إنشائهم شيئاً من الأشياء إشارةً إلى انتفاء القدرة بالكُلِّيَّة، ثم بأنَّهم مخلوقون لله ذاتاً، أو مصنوعون بالنحت والتصوير على شكلٍ مخصوص، وهذا أبلغُ في الخَساسةِ، ونسبةُ الخلقِ للبشر تجوُّزٌ، ومنه قول زهير:

ولأنـتَ تـفـري مـا خَـلَـقْـتَ وبـعـ ـضُ الـقـومِ يَـخْـلُـقُ ثـمَّ لا يَـفْـري[٣]

وقال الزمخشريُّ: الخلقُ بمعنى الافتعال، كما في قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، والمعنى أنَّهم آثروا على عبادته عبادةَ آلهةٍ لا عجزَ أبينُ من عجزهم، لا يقدرونَ على شيءٍ من أفعال الله، ولا أفعال العباد، حيث لا يفتعلونَ شيئاً، وهم يُفْتَعلون؛ لأنَّ عبدتَهم يصنعونَهم بالنحت والتصوير، «ولا يملكون لأنفسِهم» دفعَ ضررٍ عنها، ولا جلبَ نفعٍ إليها، وهم يستطيعون، وإذا عَجَزوا عن الافتعال ودفع الضَّرَرِ وجلبِ النفعِ الذي يقدرُ عليه العباد، كانوا عن الموتِ والحياة والنُّشور التي لا يقدرُ عليها إلا الله أعجز[٤].

«وقال الذين كفروا» قال ابنُ عبَّاس: هو النضرُ بن الحارث وأتباعُه[٥]، والإفكُ أسوأ الكذب.

«وأعانه عليه قومٌ آخرون» قال مجاهد: قومٌ من اليهود[٦]، ألقوا أخبارَ الأمم إليه. وقيل: عدَّاس مولى حويطب بن عبد العُزَّى، ويسار مولى العلاء بن

(١) في (أ) و(ح) و(يه) قوبل بالجمع، وفي (ت): قوبل الجمع، والمثبت من (ع) والمطبوع.
(٢) في (يه): يقابل بالجمع، وفي المطبوع: الجمع بالجمع، وانظر تفسير الرازي ٢٤/ ٤٨.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٠، والبيت في ديوان زهير ص٩٤، وسلف عند تفسير الآية (٢١) من سورة البقرة.
(٤) الكشاف ٣/ ٨١.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٠٤، والنكت والعيون ٤/ ١٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٨.
(٦) النكت والعيون ٤/ ١٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٧/ ٢٩٨.

الحضرمي[١]، وجبر مولى عامر، وكانوا كتابيين يقرؤون التوراة، أسلموا، وكانَ الرسولُ يتعهَّدُهم.

وقال ابنُ عباس: أشاروا إلى قوم عبيد كانوا للعرب من الفرس، أبو فكيهة مولى الحضرميين، وجبر، ويسار، وعدَّاس وغيرهم[٢].

وقال الضحَّاك: عنوا أبا فكيهة الرومي[٣].

وقال المبرِّد: عنوا بقومٍ آخرين: المؤمنين؛ لأنَّ «آخر» لا يكونُ إلَّا من جنس الأول. انتهى.

وما قاله لا يلزمُ؛ للاشتراك في جنس الإنسان، ولا يلزم الاشتراك في الوصف، ألا ترى إلى قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] فقد اشتركتا في مطلق الفئة، واختلفتا في الوصف.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «فقد جاؤوا» عائدٌ على «الذين كفروا»، والمعنى أنَّ هؤلاء الكفَّار وَرَدُوا ظلماً، كما تقول: جئتُ المكان[٤]، فيكون «جاء» متعدِّياً بنفسه، قاله الكسائيُّ[٥]. ويجوزُ أنْ يحذفَ الجار، أي: بظلمٍ وزور، ويَصِلُ الفعلُ بنفسه، وقاله الزجَّاج[٦]؛ إذ «جاء» يُستعمَلُ بهذين الاستعمالين. وظلمُهم أنْ جعلوا العربيَّ يتلقَّنُ من العجميِّ كلاماً عربيّاً أعجزَ بفصاحتِهِ جميع فصحاء العرب، والزورُ أن بهتوهُ بنسبةِ ما هو بريء منهُ إليه[٧].

---

(١) كذا في الكشاف ٣/ ٨١، وروح المعاني ١٨/ ٣١٥، وفي تفسير الرازي ٢٤/ ٥٠، وزاد المسير ٦/ ٧٣: يسار غلام عامر بن الحضرمي. وكذا وقع في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٥، وتفسير البغوي ٤/ ١١٧ عند تفسير الآية (٤٤) من سورة فصلت فلعله الصواب.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٠، وفي ذكر يسار نظر، لأنه يكنى أبا فكيهة، انظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٥، وتفسير البغوي ٤/ ١١٧.
(٣) النكت والعيون ٤/ ١٣٢.
(٤) الكشاف ٣/ ٨١.
(٥) ذكره عن الكسائي الرازي في تفسيره ٢٤/ ٥٠.
(٦) في معاني القرآن له ٤/ ٥٨.
(٧) الكشاف ٣/ ٨١-٨٢.

وقيل: الضميرُ عائدٌ على قومٍ آخرين، وهو من كلام الكفَّار، والضمير في «وقالوا» للكفَّار، وتقدَّمَ الكلامُ على أساطير الأولين.

«اكتتبها» أي: جمعَها، من قولهم: كتبَ الشيء، أي: جمعَه، أو من الكتابة، أي: كتبَها بيده، فيكون ذلك من جملة كذبِهِم عليه وهم يعلمون أنَّه لا يكتب، ويكون كـ: استكب الماءَ واصطبَّه، أي: سكبَه وصبَّه، ويكونُ لفظُ افتعَلَ مشعراً بالتكلُّف والاعتمال، أو بمعنى أمرَ أنْ يُكْتَبَ، كقولهم: احتجَمَ وافتصَدَ، إذا أمر بذلك.

«فهي تُمْلى عليه» أي: تُلْقَى عليه ليحفظَها؛ لأنَّ صورةَ الإلقاء على المتحفِّظ كصورة الإملاء على الكاتب.

و«أساطير» خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو، أو هذه أساطير، و«اكتتبها» خبرٌ ثانٍ. ويجوز أن يكون «أساطير» مبتدأ، و«اكتتبها» الخبر.

وقرأ الجمهور: «اكتتبها» مبنيًّا للفاعل، وقراءة طلحة مبنيًّا للمفعول(١)، والمعنى: اكتتبها كاتبٌ له؛ لأنَّه كان أُمِّيّاً لا يكتبُ بيده، وذلك من تمام إعجازه، ثمَّ حُذِفت اللام، فأفضى الفعلُ إلى الضمير، فصار: اكتتبها إيَّاه كاتبٌ، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ثمَّ بنى الفعلَ للضمير الذي هو «إياه» فانقلبَ مرفوعاً مستتراً، بعد أنْ كان بارزاً منصوباً، وبقي ضميرُ الأساطير على حاله، فصار «اكتتبها» كما ترى. انتهى. وهو من كلام الزمخشريّ(٢).

ولا يصحُّ ذلك على مذهب جمهور البصريين؛ لأنَّ: اكتتبَها له كاتبٌ، وصل فيه اكتتب لمفعولين؛ أحدهما مُسَرَّح، وهو ضميرُ الأساطير، والآخرُ مُقَيَّدٌ، وهو ضميره عليه الصلاة والسلام، ثمَّ اتُّسِعَ في الفعل، فحُذِف حرفُ الجرِّ، فصار: اكتتبها إيَّاه كاتبٌ، فإذا بُنِيَ هذا الفعلُ للمفعول إنَّما ينوبُ عن الفاعل المفعول المسرَّحُ لفظاً وتقديراً، لا المسرَّحُ لفظاً المقيَّد تقديراً، فعلى هذا كان يكون

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٣، والمحتسب ٢/ ١١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠٠، وزاد ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٦/ ٧٣ لابن مسعود والنخعي.

(٢) في الكشاف ٣/ ٨٢.

التركيب: اكتُتِبْتَهُ، لا: اكتتبها، وعلى هذا الذي قلناه جاء السماعُ عن العرب في هذا النوع الذي أحدُ المفعولين فيه مسرَّحٌ لفظاً وتقديراً، والآخرُ مسرَّحٌ لفظاً لا تقديراً، قال الشاعر، وهو الفرزدق:

ومنَّا الذي اِختيرَ الرجالَ سماحةً وجوداً إذا هبَّ الرياحُ الزَّعازعُ(١)

ولو جاءَ على ما قرَّره الزمخشريُّ لجاء التركيبُ: ومنَّا الذي اختيرَهُ الرجال؛ لأنَّ اختار تعدَّى إلى الرجال على إسقاط حرف الجرِّ، إذ تقديره: اختيرَ من الرِّجال(٢).

والظاهرُ أنَّ قوله: «اكتتبها فهي تُمْلَى عليه بكرةً وأصيلاً» من تمام قول الكفار. وعن الحسن أنَّه قولُ الله سبحانه وتعالى يكذِّبهم، وإنما يستقيمُ أن لو فُتحت الهمزةُ في «اكتتبها» للاستفهام الذي في معنى الإنكار، ووجهُهُ أنْ يكون نحو قوله:

أَفْرَحُ أنْ أُرْزَأَ الكرامَ وأنْ آخذَ ذَوْداً شصائصاً نَبَلا(٣)

وحق للحسن أنْ يقفَ على «الأولين».

والظاهرُ تقييدُ الإملاء بوقت انتشار الناس، وحين الإيواء إلى مساكنهم، وهما البكرةُ والأصيلُ، أو يكونان عبارةً عن الديمومة.

وقرأ طلحة وعيسى: «فهي تُتْلَى» بالتاء بدل الميم(٤).

---

(١) ديوان الفرزدق ٢/ ٤١٨.

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٥٦: وهو اعتراضٌ حسن بالنسبة إلى مذهب الجمهور، ولكن الزمخشريَّ قد لا يلتزمه، ويوافق الأخفش والكوفيين، وإذا كان الأخفش وهُم يتركون المسرَّح لفظاً وتقديراً، ويقيمون المجرور بالحرف مع وجوده فهذا أولى وأحرى.

(٣) هو لحضرميِّ بن عامر، كما في أمالي القالي ١/ ٦٧، وخزانة الأدب ٣/ ٤٢٩، وفيها: أُورث، بدل: آخذ. وحضرميٌّ هذا عاشر عشرةٍ من إخوته، فماتوا فورثهم، فقال ابن عم له يقال له جَزْء: من مثلك، مات إخوتك فورثتهم، فأصبحت ناعماً جَذِلاً، فقال فيه حضرمي أبياتاً منها هذا البيت الذي أورده المصنف.

قال البغدادي في الخزانة ٣/ ٤٣٠: المفعول الثاني من البيت محذوف، أي: أرزأ الكرام مالهم. والذود: الإبل دون العشرة، والشصائص: التي لا ألبان لها، الواحد: شصوص. والنَّبَل: الصغار.

(٤) ذكرها ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٠ عن طلحة.

«قل أنزلَهُ الذي يعلمُ السرَّ» أي: كلَّ سرٍّ خفيٍّ، وردَّ عليهم بهذا، وهو وصفُه تعالى بالعلم؛ لأنَّ هذا القرآنَ لم يكن ليصدرَ إلَّا مِنْ علَّامٍ بكلِّ المعلومات لما احتوى عليه من إعجاز التركيب الذي لا يمكنُ صدورُه مِنْ أحدٍ، ولو استعان بالعالم كلِّهم، ولاشتماله على مصالح العالم، وعلى أنواع العلوم، واكتفى بعلم السرِّ؛ لأنَّ ما سواهُ أولى أنْ يتعلَّقَ علمهُ به، أو يعلم ما تسرُّون من الكيدِ لرسوله ﷺ مع علمكم ببُطلِ ما تقولونَ، فهو مجازيكم[١].

«إنَّه كان غفوراً رحيماً» إطماعٌ في أنَّهم إذا تابوا غَفَر لهم ما فَرَط من كفرهم ورحمهم، أو «غفوراً رحيماً» في كونه أمهلَكم ولم يعاجلْكم على ما استوجبتموهُ من العقاب بسبب مكابرتكم، أو لمَّا تقدَّمَ ما يدلُّ على العقاب، أعقبَه بما يدلُّ على القدرة عليه؛ لأنَّ المتَّصفَ بالغفران والرحمةِ قادرٌ على أنْ يعاقبَ.

«وقالوا» الضميرُ لكفَّار قريش، وكانوا قد جمعَهم والرسولَ مجلسٌ مشهورٌ، ذكره ابنُ إسحاق في «السير» فقال عتبة وغيره: إن كنتَ تحبُّ الرئاسةَ ولَّيناك علينا، أو المالَ جمعنا لك، فلمَّا أبى عليهم اجتمعُوا عليه، فقالوا: مالكَ وأنتَ رسولٌ من الله تأكلُ الطَّعام وتقفُ بالأسواق لالتماس الرزق؟! سلْ ربَّك أن ينزِّلَ معكَ ملكاً يُنْذِرُ معك، أو يُلْقَى إليك كنزٌ تنفقُ منهُ، أو يردَّ لك جبالَ مكَّة ذهباً، أو تزالَ الجبال ويكون مكانها جناتٌ تَطَّرِدُ[٢] فيها المياه، وأشاعوا هذه المحاجَّةَ، فنزلت الآية[٣].

وكتبَ في المصحف لامُ الجرِّ مفصولةً من «هذا»، وهذا استفهامٌ يصحبُه استهزاءٌ، أي: مال هذا الذي يزعمُ أنَّه رسولٌ، أنكروا عليه ما هو عادةٌ للرسل، كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: حالُه كحالنا، أي: كان يجبُ أن يكونَ مستغنياً عن الأكل والتعيُّش، ثمَّ قالوا: وَهَبْ أنَّه بشرٌ، فهلَّا أُرْفِد بمَلَكٍ ينذرُ معه، أو يُلْقى إليه كنزٌ من السماء يستظهرُ به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثمَّ اقتنعوا بأن يكونَ له بستانٌ يأكلُ منه ويرتزقُ كالمياسير[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٨٢.
(٢) تطَّرد: تجري. مختار الصحاح (طرد).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠١، وانظر الخبر في سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣-٢٩٤ بنحوه.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ٨٢.

وقرئ: «فتكونُ» بالرفع، حكاه أبو معاذ[١]، عطفاً على «أُنْزِل»؛ لأنَّ «أُنْزِلَ» في موضع رفعٍ، وهو ماضٍ وقع موقعَ المضارع، أي: هلَّا يُنْزَلُ إليه ملكٌ، أو هو جوابُ التحضيض، على إضمار «هو»، أي: فهو يكون. وقراءة الجمهور بالنصب على جواب التحضيض.

وقوله: «أو يُلْقَى أو يكون»[٢] عطفٌ على «أنزل» أي: لولا ينزل، فيكون المطلوب أحدَ هذه الأمور، أو مجموعها باعتبارِ اختلاف القائلين، ولا يجوزُ النصب في «أو يلقى» ولا في «أو يكون»[٣] عطفاً على «فيكون»؛ لأنَّهما في حكم المطلوب بالتحضيض، لا في حكم الجواب؛ لقوله: «لولا أُنزِل».

وقرأ قتادة والأعمش أو يكون بالياء من تحت[٤].

وقرأ الجمهور[٥]: «يأكل» بياء الغيبة، أي: الرسول. وزيدُ بن عليٍّ وحمزةُ والكسائيُّ وابن وثّاب وطلحةُ والأعمش بنون الجمع[٦]، أي: يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم.

«وقال الظالمون» أي: للمؤمنين، قال الزمخشريُّ: وأراد بالظالمين إيَّاهم بأعيانهم، وضعَ الظاهرَ موضع المُضمر؛ ليسجِّل عليهم بالظُّلم فيما قالوه. انتهى. وتركيبُه: وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم، ليس تركيباً سائغاً، بل التركيبُ العربيُّ أن يقول: وأرادهم بأعيانهم بالظالمين.

«مسحوراً» غَلَبَ على عقله السِّحرُ، وهذا أظهر. أو ذا سَحْرٍ، وهو الرئة، أو يُسْحَرُ بالطَّعام وبالشراب، أي: يغذَّى، أو أصيبَ سَحْرُه، كما تقول: رأسْتُه:

---

(١) مختصر في الشواذ ص١٠٤.

(٢) لم تنقط في (ح) وفي بقية النسخ بالياء، والقراءة المتواترة فيها بالتاء، وستأتي.

(٣) الكلمة غير واضحة في (ح) لسواد أصابها، وفي بقية النسخ «يكون» بالياء، والقراءة المتواترة بالتاء.

(٤) هي في مختصر في الشواذ ص١٠٤ عن الأعمش، وفي الكشاف ٣/ ٨٢ دون نسبة.

(٥) لفظة: الجمهور. من (ت) و(يه).

(٦) القراءة عن حمزة والكسائي في السبعة ص٤٦٢، والتيسير ص١٦٣. وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٠١ عنهما وعن ابن وثاب وطلحة والأعمش. وهي أيضاً قراءة خلف من العشرة، انظر النشر ٢/ ٣٣٣.

أصبتُ رأسَه. وقيل: «مسحوراً»: ساحراً، عَنَوا به أنَّه بشرٌ مثلهم لا مَلَك. وتقدَّمَ تفسيره في «الإسراء»[(١)] بهذين[(٢)] القولين.

قيل: والقائلون ذلك النضرُ بن الحارث، وعبدُ الله بن أبي أميَّة، ونوفل بن خويلد ومَنْ تابعهم[(٣)].

«انظرْ كيفَ ضربوا لك الأمثالَ» أي: قالوا فيكَ تلك الأقوال، واخترعوا لك تلكَ الصفات والأحوال النادرة، من نبوَّةٍ مشتركةٍ بين إنسان ومَلَك، وإلقاءِ كنزٍ عليك، وغيرِ ذلك، فبقوا متحيِّرين ضُلَّالاً، لا يجدونَ قولاً يستقرُّون عليه، أي[(٤)]: فضلُّوا عن الحقِّ فلا يجدونَ طريقاً له.

وقيل: ضربوا لك الأمثالَ بالمسحورِ والكاهنِ والشاعر وغيره «فضلُّوا»: أخطؤوا الطريقَ، فلا يجدونَ سبيلَ هدايةٍ ولا يطيقونه؛ لالتباسهم بضدِّه من الضلال[(٥)].

وقيل: «فلا يستطيعون سبيلاً» إلى حجَّةٍ وبرهانٍ على ما يقولون، فمرَّةً[(٦)]: هو بليغٌ فصيحٌ يَتَقَوَّلُ القرآنَ من نفسِهِ ويفتريه، ومرَّةً مجنون، ومرَّةً ساحر، ومرة مَسحور.

وقال ابن عباس: شبَّه لك هؤلاء المشركون الأشباهَ بقولهم: هو مسحورٌ، فضلُّوا بذلك عن قصد السبيل، فلا يجدونَ طريقاً إلى الحقِّ الذي بعثكَ به[(٧)].

وقال مجاهد: لا يجدون مخرجاً يخرجُهم عن الأمثال التي ضربوا لك[(٨)]، ومعناه أنَّهم ضربوا لك هذه ليتوصَّلوا بها إلى تكذيبك، فضلُّوا عن سبيل الحقِّ، وعن بلوغ ما أرادوا.

---

(١) عند تفسير الآية (٤٧) منها.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وبهذين.
(٣) الكشاف ٣/ ٨٣.
(٤) في مطبوع الكشاف ٣/ ٨٣: أو.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠١.
(٦) بعدها في المطبوع: يقولون.
(٧) أخرجه بنحوه الطبري ١٧/ ٤٠٥.
(٨) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٠٥.

وقال أبو عبد الله الرازي: انظر كيف اشتغلَ القومُ بضربِ هذه الأمثال التي لا فائدة فيها، لأجل أنَّهم لمَّا ضلوا وأرادوا القدحَ في نبوَّتك، لم يجدوا إلى القدح سبيلاً؛ إذ الطعنُ عليه إنَّما يكونُ فيما يقدحُ في المعجزاتِ التي ادَّعاها، لا بهذا الجنس من القول[١].

وقال الفراء: لا يستطيعون في أمرك حيلة[٢].

وقال السديُّ: سبيلاً إلى الطَّعْن[٣].

ولما قال المشركون ما قالوا قيل ـ فيما يروى ـ إن شئتَ أن نُعطيكَ خزائنَ الدنيا ومفاتيحها، ولم يُعْط ذلك أحدٌ قبلَك، ولا يعطاهُ أحدٌ بعدك، وليس ذلك بناقصِك في الآخرة شيئاً، وإن شئتَ جمعناه لك في الآخرة، فقال: «يجمع لي ذلك في الآخرة» فنزل: «تبارك الذي»[٤]. وعن ابن عباس عنه عليه الصلاة والسلام قال: «عرضَ عليَّ جبريلُ عليه السلام بطحاءَ مكَّة ذهباً، فقلت: بل شِبْعةٌ وثلاثُ جَوعات، وذلك أكثرُ لذكري ومسألتي»[٥].

قال الزمخشريُّ في «تبارك»: أي: تكاثرَ خيراً[٦] الذي إن شاء وهبَ لك في الدنيا «خيراً» ممَّا قالوا، وهو أن يجعلَ لك مِثلَ ما وعدكَ في الآخرة من الجنَّات والقصور. انتهى.

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٥٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٣.

(٣) كذا، وهو تحريف. والصواب كما في النكت والعيون ٤/ ١٣٤، وزاد المسير ٣/ ٧٤: إلى الطاعة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٤٦٠)، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٦ (١٤٩٩١) من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة، وأخرجه الطبري ١٧/ ٤٠٨ من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، دون ذكر خيثمة، وهو حديث مرسل.

(٥) ذكره بهذا اللفظ الرازي في تفسيره ٢٤/ ٥٤، وأخرج نحوه الإمام أحمد (٢٢١٩٠)، والترمذي بعد الحديث (٢٣٤٧) من حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ وقال: ثلاثاً أو نحو هذا ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت، شكرتك وحمدتك» وهذا حديث ضعيف جداً.

(٦) في (أ) ومطبوع الكشاف ٣/ ٨٣: خير.

والإشارة بـ «ذلك»، الظاهرُ أنَّه إلى ما ذكره الكفَّار من الجنَّة والكنزِ في الدنيا، قاله مجاهد، ويبعدُ تأويل ابن عباس أنَّه إشارةٌ إلى أكلهِ الطعام ومشيِه في الأسواق[1]. والظاهرُ أنَّ هذا الجعلَ كان يكون في الدنيا لو شاءهُ الله. وقيل: في الآخرة، ودخلت «إن» على المشيئة؛ تنبيهاً أنَّه لا يُنَالُ ذلك إلَّا برحمته، وأنَّه معلَّقٌ على محض مشيئته، ليس لأحدٍ من العباد على الله حقٌّ لا في الدنيا ولا في الآخرة. والأوَّلُ أبلغُ في تبكيت الكفار والردِّ عليهم. قال ابن عطية: ويردُّه قوله بعد ذلك: «بل كذَّبوا بالساعة» انتهى[2]. ولا يردُّه؛ لأنَّ المعنى به متمكِّنٌ، وهو عطفٌ على ما حُكِيَ عنهم، يقول: بل أُتيَ بأعجب من ذلك كلِّه، وهو تكذيبُهم بالسَّاعة.

وقرأ الجمهورُ: «ويجعلْ» بالجزم، قالوا: عطفاً على موضع «جعلَ»؛ لأنَّ التقدير: إن يشأ يجعل، ويجوز أنْ يكونَ مرفوعاً أُدغِمت لامه في لام «لك»، لكنَّ ذلك لا يُعرف إلَّا من مذهب أبي عمرو، والذي قَرَأ بالجزم من السبعة نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو عمرو[3]، وليسَ من مذهب الثلاثةِ إدغامُ المثلين إذا تحرَّكَ أوَّلُهما، إنَّما هو من مذهب أبي عمرو، كما ذكرنا.

وقرأ مجاهدٌ، وابنُ عامر، وابنُ كثير، وحميد، وأبو بكر، ومحبوب عن أبي عمرو بالرفع، قال ابن عطية: والاستئنافِ، ووجههُ العطفُ على المعنى في قوله: «جعلَ»؛ لأنَّ جوابَ الشرط هو موضع استئنافٍ، ألا ترى أنَّ الجملَ من الابتداء والخبر قد تقعُ موقعَ جواب الشرط[4].

وقال الحوفيُّ: مَنْ رفع، جعلَهُ مستأنفاً منقطعاً ممَّا قبلَه. انتهى.

وقال أبو البقاء: وبالرفع على الاستئناف[5].

---

(١) قولا مجاهد وابن عباس أوردهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٠١، وأخرجهما الطبري ٧/٤٠٦، ورجَّح قول مجاهد.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٠١.
(٣) وهي أيضاً قراءة حفص عن عاصم. السبعة ص٤٦٢، والتيسير ص١٦٣، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف من العشرة، النشر ٢/٣٣٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٠١.
(٥) الإملاء ٢/١٦١.

وقال الزمخشريُّ: وقرئ: «ويَجعلُ» بالرفع عطفاً على «جعل»، لأنَّ الشرطَ إذا وقع ماضياً، جاز في جوابه الجزمُ والرفعُ، كقوله:

وإن أتـاهُ خـلـيـلٌ يـومَ مـسـألـةٍ يـقـولُ لا غـائـبٌ مـالـي ولا حَـرِمُ[١]

انتهى[٢].

وهذا الذي ذهبَ إليه الزمخشريُّ من أنَّه إذا كان فعلُ الشرطِ ماضياً جازَ في جوابه الرفعُ، ليسَ مذهب سيبويه، إذ مذهبُ سيبويه[٣] أنَّ الجوابَ محذوفٌ، وأنَّ هذا المضارعَ المرفوعَ النيَّةُ به التقديم، ولكونِ الجواب محذوفاً لا يكونُ فعلُ الشرط إلَّا بصيغةِ الماضي، وذهبَ الكوفيون والمبرِّد[٤] إلى أنَّه هو الجواب، وأنَّه على حذفِ الفاء، وذهبَ غيرُ هؤلاء إلى أنَّه هو الجواب، وليس على حذف الفاء ولا على التقديم، ولمَّا لم يظهر لأداة الشرط تأثيرٌ في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ، ضعفَ عن العمل في فعل الجواب، فلم يعمل فيه، وبقي مرفوعاً. وذهب الجمهورُ إلى أنَّ هذا التركيبَ فصيحٌ، وأنَّه جائزٌ في الكلام. وقال بعض أصحابنا: هو ضرورةٌ؛ إذ لم يجئ إلَّا في الشعر، وهو على إضمار الفاء، والكلامُ على هذه المذاهب مذكورٌ في علم النحو.

وقرأ عبيدُ الله بن موسى وطلحةُ بن سليمان «ويجعلَ» بالنصب على إضمار «إن»، وقال أبو الفتح: هو على جواب الشرط بالواو، وهي قراءةٌ ضعيفةٌ. انتهى[٥]. ونظير هذه القراءات الثلاث قولُ النابغة:

فـإن يَـهْـلِـكْ أبـو قـابـوسَ يـهـلِـكْ ربـيـعُ الـنـاسِ والـشـهـرُ الـحـرامُ
ونـأخـذ بـعـدَهُ بـذِنـابِ عـيـشٍ أجـبِّ الـظـهـرِ لـيـس لـه سـنـامُ[٦]

(١) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص١٥٣، وسلف عند تفسير الآية (٣٠) من آل عمران.
(٢) الكشاف ٣/ ٨٣.
(٣) في الكتاب ٣/ ٦٦.
(٤) في المقتضب ٢/ ٦٩.
(٥) المحتسب ٢/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠١، وعنه نقل المصنف.
(٦) ديوان النابغة ص١٠٥-١٠٦ (طبعة دار المعارف)، وفيه: نمسك، بدل: نأخذ. قالها في النعمان بن المنذر وكنيته: أبو قابوس، والذناب بكسر الذال الذنب.
=

يُروى بجزم نأخذ ورفعه ونصبه.

«بل كذَّبوا بالساعة» قال الكرمانيّ: المعنى: ما منعَهم من الإيمان أكلُكَ الطعامَ ولا مشيُك في السوق، بل منعَهُم تكذيبُهم بالسَّاعة.

وقيل: ليس ما تعلَّقوا به شبهة، بل الحامل على تكذيبك تكذيبُهم بالساعة استثقالاً للاستعداد لها[١].

وقيل: يجوزُ أن يكون متَّصلاً بما يليه، كأنَه قال: بل كذَّبوا بالسَّاعة، فكيف يلتفتونَ إلى هذا الجواب، وكيفَ يصدِّقونَ بتعجيلِ مثل ما وعدك في الآخرة، وهم لا يؤمنون بالآخرة. انتهى.

و«بل» لترك اللفظ المتقدِّم من غير إبطالٍ لمعناه، وأخذ في لفظ آخر[٢].

«وأعْتَدْنا» جعلناه مُعَدًّا «سَعيراً» ناراً كبيرةَ الإيقاد. وعن الحسن: اسمٌ من أسماء جهنم[٣]. «إذا رأتهم» قيل: هو حقيقةٌ، وإنَّ لجهنَّم عينين، وروي في ذلك أثرٌ، فإنْ صحَّ كان هو القول الصحيح[٤]، وإلَّا كانَ مجازاً، أي: صارت منهم بقدرِ ما يَرى الرائي من البعد، كقولهم: دُورُهم تتراءى، أي: تتناظر وتتقابل، ومنه: «لا تتراءى ناراهما»[٥].

وقال قومٌ: النارُ اسمٌ لحيوانٍ ناريٍّ يتكلَّم ويرى ويسمع ويتغيَّظُ ويزفرُ. حكاهُ الكرمانيُّ.

وقيل: هو على حذف مضاف، أي: رأتهم خزنتُها من مكانٍ بعيدٍ، قيل: مسيرة خمس مئة سنة. وقيل: مئة سنة. وقيل: سنة. «سمعوا لها» صوتَ تغيُّظٍ؛ لأنَّ

= قال شارح الديوان: أي: نبقى في شدَّةٍ وسوء حال نتمسَّك بطرف عيش قليل الخير، بمنزلة البعير المهزول الذي ذهب سنامه وانقطع لشدة هزاله.
وانظر الكلام عن البيتين أيضاً في خزانة الأدب ٩/ ٣٦٣.

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٥٤.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٨٣، وتفسير الرازي ٢٤/ ٥٥.
(٤) انظر تفسير القرطبي ١٧/ ٣٧٣-٣٧٤، وروح المعاني ١٨/ ٥٣٠.
(٥) قطعة من حديث سلف عند تفسير الآية (٥١) من سورة المائدة.

التغيُّظ لا يُسمَع، وإذا كان على حذف المضاف، كان المعنى: تغيَّظوا وزفروا غضباً على الكفَّار وشهوةً للانتقام منهم[١].

وقيل: سمعوا صوتَ لَهيبها واشتعالها، وقيل: هو مثل قول الشاعر:

يا ليتَ[٢] زوجكِ قد غدا متقلِّداً سيفاً ورُمْحَا[٣]

وهذا مخرَّجٌ على تخريجين؛ أحدهما: الحذف، أي: ومعتقلاً رمحاً[٤]، والثاني: التضمين، ضمَّن متقلِّداً معنى متسلِّحاً، فكذلك الآية، أي: سمعوا لها ورأوا تغيُّظاً وزفيراً، وعادَ كلٌّ واحدٍ إلى ما يناسبُهُ، أو ضمَّن «سمعوا» معنى أدركوا، فيشمل التغيُّظ والزفيرَ.

وانتصب «مكاناً» على الظرف، أي: في مكانٍ ضيِّق. وعن ابن عباس: تضيَّقَ عليهم تضيُّقَ[٥] الزُّجِّ في الرمح.

«مقرَّنين»: قُرِّنَت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل. وقيل: يقرنُ مع كلِّ كافرٍ شيطانُه في سلسلةٍ، وفي أرجلهم الأصفاد[٦].

وقرأ ابنُ كثير وعُبيد بن أبي عمرو: «ضَيْقاً»[٧]. قال ابن عطية: وقرأ أبو شيبة[٨]

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٨٤.

(٢) في (أ) و(ع): فألفت. وفي المطبوع: فيا ليت. وهي غير واضحة في (ت) و(ح) والمثبت من (يه).

(٣) هو لعبد الله بن الزِّبعرى، وسلف الشطر الثاني منه عند تفسير الآية (٧) من سورة البقرة، وسلف بتمامه عند تفسير الآية (٤٩) من سورة آل عمران.

(٤) اعتقل رمحه: إذا وضعه بين ساقه وركابه، مختار الصحاح (عقل).

(٥) في (أ) و(ح) و(ع): تضييق. وفي (ت): كضيق، وفي المطبوع: ضيق، والمثبت من (يه). والخبر ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٠٧، والقرطبي ١٥/ ٣٧٥.

(٦) الكشاف ٣/ ٨٤.

(٧) أي بتخفيف الياء، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص٤٦٢، وعن ابن كثير وحده في التيسير ص١٠٦، والقراءة المتواترة عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٨) هو أبو شيبة المهري، كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٢، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٣٩٠ ونقل عن أبي زرعة قوله: هو من التابعين ولا يعرف اسمه، وذكره ابن حبان في الثقات ٥/ ٥٨٩، وأخرج أحمد في مسنده (٢٢٣٧٢) له حديثاً وفيه: وكان قاصَّ الناس بقسطنطينية.

صاحبُ معاذ بن جبل: «مُقَرَّنون» بالواو، وهي قراءةٌ شاذَّةٌ، والوجهُ قراءةُ الناس. ونسبَها ابنُ خالويه إلى معاذ بن جبل[١]. ووجهُها أنْ يرتفعَ على البدل من ضمير «أُلْقُوا» بدلَ نكرةٍ من معرفة. ونصبُه على الحال.

والظاهرُ دعاء الثبور، وهو الهلاك، فيقولون: واثبوراه، أي: تعالَ[٢] يا ثُبور فهذا أوانُك. وقيل: المدعوُّ محذوف، تقديره: دَعَوا من لا يجيبُهم قائلين: ثُبِرنا ثُبوراً، والثُّبور، قال ابن عباس: هو الويل. وقال الضَّحَّاك: هو الهلاك، ومنه قولُ ابن الزبعرى:

إذ أُجاري[٣] الشيطانَ في سَنَنِ الغَيِّ ومَنْ مالَ ميلَهُ مَثْبورُ[٤]

«لا تدعوا اليوم» يُقال لهم: لا تدعوا، أو هم أحقُّ أنْ يُقَالَ لهم ذلك، وإن لم يكن هناكَ قولٌ، أي: لا تقتصروا على حُزنٍ واحدٍ، بل احزنوا حزناً كثيراً، وكثرتُه إمَّا لديمومة العذاب، فهو متجدِّدٌ دائماً، وإمَّا لأنَّه أنواعٌ، وكلُّ نوعٍ يكونُ منه ثبورٌ لشدَّته وفظاعته.

وقرأ عمرو بن محمد: «ثَبوراً» بفتح الثاء في ثلاثتها[٥]، وفَعول بفتح الفاء[٦] في المصادر قليلٌ، نحو: القبول[٧]، وحكى عليُّ بن عيسى: ما ثبركَ عن هذا

---

(١) مختصر في شواذ القراءات ص١٠٤.
(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: يقال. وانظر الكشاف ٣/ ٨٤.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يجاري.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٢، والبيت في طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٤٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤١٩، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٤/ ٢٥٦، وشعر عبد الله بن الزبعرى ص٣٦.
(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٤، وفيه: عمر بن محمد، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٧٥ للجحدري وابن السميفع.
(٦) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: الواو، والمثبت من (ح) و(يه).
(٧) في (ح): القتول. وفي (ت): القول، وفي المطبوع: البتول. والمثبت من (أ) و(يه)، وتحرفت في مطبوع روح المعاني ١٨/ ٥٣٧ إلى: القفول. وذكر المصنف عند تفسير مفردات الآية (٢٤) من سورة البقرة ما جاء من المصادر على وزن فعول، فانظره، وانظر الدر المصون ٢/ ٢٠٥ و٨/ ٤٦٢.

الأمر، أي: ما صرفَك، كأنَّهم دعَوا بما فعلوا، فقالوا: واصرفاهُ عن طاعة الله، كما تقول: واندامتاه[١].

روي أن أوَّل مَن ينادي بذلك إبليس يقول: واثبوراه، حتَّى يُكْسَى حلَّة من جهنم يضعُها على جبينه، ويسحبها من خلفِهِ، ثم يتبعه في القول أتباعه، فيقول لهم خُزَّانُ جهنم: «لا تدعوا» الآية[٢].

وقيل: نزلت في ابن خَطل وأصحابه.

والظاهرُ أنَّ الإشارةَ بـ «ذلك» إلى النار وأحوال أهلها. وقيل: إلى الجنَّة والكنزِ في قولهم. وقيل: إلى الجنَّة والقصورِ المجعولة في الدنيا على تقدير المشيئة[٣].

و«خيرٌ» هنا ليست تدلُّ على الأفضليَّة، بل هي على ما جرت عادةُ العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيته بالفضل دون مقابله، كقوله:

فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ[٤]

وكقول العرب: الشقاءُ أحبُّ إليك أم السعادة. وكقوله: ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

وهذا الاستفهامُ على سبيل التوقيف والتوبيخ. قال ابن عطية: ومن حيث كان الكلامُ استفهاماً جازَ فيه مجيءُ لفظٍ للتفضيلِ بين الجنَّة والنَّار في الخير؛ لأنَّ المُوْقِفَ جائزٌ له أن يوقِفَ مُحَاوِرَه على ما شاء ليَرى هل يجيبهُ بالصواب أو

---

(١) وحكاه عن العرب الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٦٣. ونقل الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٣٥ من حكاية ابن عيسى أنَّ معناه: وانصرافاه عن طاعة الله.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٣٦)، والطبري ١٧/ ٤١٢، وغيرهم من حديث أنس بن مالك ﷺ، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٣.

(٤) عجز بيت لحسان بن ثابت ﷺ، وصدره:

أتهجوه ولست له بكفءٍ

ديوان حسان ص٦٤، وسلف عند تفسير الآية (١٤٠) من سورة البقرة.

بالخطأ. وإنَّما منعَ سيبويه وغيرُهُ من التفضيلِ إذا كان الكلامُ خبراً؛ لأنَّ فيه مخالفةً، وأمَّا إذا كان استفهاماً، فذلك سائغٌ، انتهى[١].

وما ذكره يخالفُه قولُه: فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ، وقولُه: ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾؛ فإنَّ هذا خبر، وكذلك قولهم: العسلُ أحلى من الخلّ، إلَّا أن يُقَيَّد الخبرُ بأنَّه إذا كان واضحاً الحكمُ فيه للسامع بحيثُ لا يختلجُ في ذهنه ولا يتردد أيُّهما أفضل، فإنَّه يجوزُ.

وضمير «التي» محذوفٌ، أي: وُعِدَها، وضميرُ «ما يشاؤون» كذلك، أي: ما يشاؤونه، وفي قوله: «ما يشاؤون» دليلٌ على أنَّ حصولَ المرادات بأسرِها لا يكونُ إلَّا في الجنَّة.

وشمَل قوله: «جزاءً ومصيرا» الثوابَ ومحلَّه، كما قال: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١] وفي ضدِّه ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] لأنَّه بطيبِ المكان يتضاعفُ النعيم، كما أنَّه برداءته يتضاعفُ العذاب[٢].

«وعداً» أي: موعوداً مسؤولاً، سألتهُ الملائكةُ في قولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر: ٨] قاله محمد بن كعب. والناسُ في قولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقال معناه ابنُ عباس وابنُ زيد[٣].

وقال الفرَّاء: «وعداً مسؤولاً» أي: واجباً، يقال: لأعطينَّك ألفاً وعداً مسؤولاً، أي: واجباً وإنْ لم يُسأل[٤].

قيل: وما قالَهُ الفرَّاء محالٌ[٥]. انتهى. وليس محالاً؛ إذ يكونُ المعنى أنه ينبغي

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٣.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ٨٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٣، وقولا ابن عباس وابن زيد أخرجهما الطبري ١٧/ ٤١٤.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٣.
(٥) كذا قال المصنف، وقد تحرفت عليه عبارة الرازي ـ والكلام له ـ والصواب كما في تفسيره ٢٤/ ٦٠: مجاز. بدل: محال. ويدل عليه نص كلامه، إذ قال: وسائر الوجوه أقرب من هذا؛ لأن سائر الوجوه أقرب إلى الحقيقة، وما قاله الفراء مجاز. انتهى كلام الرازي، فقرأها المصنف محال، ثم ذهب يبين أنْ لا وجه للإحالة كما سيأتي!

أنْ يُسألَ هذا الوعدُ الذي وعدتَه، أو بصددِ أنْ يُسأل، أي: من حقِّه أنْ يكون مسؤولاً. و«على ربِّك» أي بسبب الوعد صار لا بدَّ منه.

وقال الزمخشريُّ: كان ذلك موعوداً واجباً على ربِّك إنجازُه، حقيقاً أن يُسألَ ويُطْلَبَ، لأنَّه جزاءٌ وأجرٌ مستحَقٌ. انتهى[١]. وهذا على مذهب المعتزلة.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

قرأ أبو جعفر والأعرج وابنُ كثير وحفص «يحشرهم» و«فيقول» بالياء فيهما[٢]، وقرأ الحسنُ وطلحةُ وابنُ عامر بالنون فيهما، وقرأ باقي السبعة في «نحشرهم» بالنون وفي «فيقول» بالياء[٣].

وقرأ الأعرج «يَحْشِرهم» بكسر الشين[٤]. قال صاحب «اللوامح» في كلِّ القرآن، وهو القياسُ في الأفعال المتعدِّية الثلاثية؛ لأنَّ «يَفْعُل» بضمِّ العين، قد يكون من اللازم الذي هو «فَعُل» بضمِّها في الماضي.

وقال ابنُ عطية: وهي قليلةٌ في الاستعمال، قويَّةٌ في القياس؛ لأن «يَفْعِل» بكسر العين في المتعدِّي أقيس من «يَفْعُل» بضم العين. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٨٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٣، وقراءة ابن كثير وحفص في السبعة ص٤٦٣، والتيسير ص١٦٣. وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٣٣، وهي قراءة يعقوب من العشرة أيضاً.

(٣) السبعة ص٤٦٣، والتيسير ص١٦٣.

(٤) المحتسب ٢/ ١١٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠٣.

وهذا ليس كما ذكرا، بل فعل المتعدِّي الصحيح جميعُ حروفه إذا لم يكن للمغالبة[(١)]، ولا حلقيَّ عينٍ ولا لام، فإنَّه جاء على يَفْعِل ويَفْعُل كثيراً، فإن شُهِرَ أحدُ الاستعمالين اتُّبع، وإلَّا فالخيارُ، حتَّى إنَّ بعضَ أصحابنا خَيَّر فيهما سُمِعا للكلمة أو لم يُسْمَعا[(٢)].

«وما يعبدون» قال الضحَّاك وعكرمة: الأصنامُ التي لا تعقلُ يُقْدِرُها اللهُ على هذه المقالةِ من الجواب[(٣)]. وقال الكلبيُّ: يحيي اللهُ الأصنامَ يومئذٍ لتكذيبِ عابديها[(٤)]. وقال الجمهور: مَنْ عُبِد ممَّن يعقل ممَّن لم يَأمرُ بعبادتِهِ، كالملائكة وعيسى وعُزَيرٍ. وهو الأظهرُ، كقوله: «أأنتم ضللتم» وما بعده من المحاورة التي ظاهرُها أنَّها لا تصدرُ إلَّا مِنَ العقلاء، وجاء ما يشبهُ ذلك منصوصاً في قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وسؤالُه تعالى، وهو عالمٌ بالمسؤول عنه؛ ليُجيبوا بما أجابوا به، فيبكِّتَ عَبَدتُهم بتكذيبهم إيَّاهم، فيزيدَ حسرتَهم، ويُسَرَّ المؤمنون بحالِهم ونجاتهم من فضيحة أولئك، وليكونَ حكايةُ ذلك في القرآن لطفاً للمكلَّفين.

وجاء الاستفهام مقدَّماً فيه الاسمُ على الفعل، ولم يأت التركيبُ: أأضللتم، ولا: أَضَلُّوا؛ لأنَّ كلًّا من الإضلال والضَّلال واقعٌ، والسؤال إنَّما هو: مَنْ فاعله، وتقدَّم نظيرُ هذا في ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

وقال الزمخشريُّ: وفيه كسرٌ بَيِّنٌ لقولِ مَنْ يزعم أنَّ اللهُ يُضِلُّ عبادَه على الحقيقة، حيث يقول للمعبودين من دونه: أأنتم أضللتُم أم ضلُّوا بأنفسهم، فيتبرؤون

---

(١) في المطبوع: للمبالغة، وهو تحريف.

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٦٤: الذي خيَّر في ذلك هو ابن عصفور، فيجيز أن تقول: زيد يفعِلُ، بكسر العين، ويضرب، بضم الراء مع سماع الضم في الأول والكسر في الثاني، وسبقه إلى ذلك ابنُ درستويه، إلا أن النحاة على خلافه.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤.

(٤) ذكره بنحوه الزمخشري في الكشاف ٤/ ٨٤.

من ضلالهم[١]، ويستعيذونَ به أن يكونوا مُضلِّين، ويقولون: بل أنتَ تفضَّلْتَ من غير سابقةٍ على هؤلاء وآبائهم تَفضُّلَ جوادٍ كريم، فجعلوا الرحمة[٢] التي حقُّها أن تكونَ سببَ الشُّكرِ سببَ الكفر ونسيان الذكر، وكان ذلك سببَ هلاكهم، فإذا برَّأتِ الملائكةُ والرُّسلُ أنفسَهم من نسبةِ الضلال[٣] الذي هو عملُ الشياطين إليهم، واستعاذوا منه[٤]، فهم لربِّهم الغنيِّ العدلِ أشدُّ تبرئةً وتنزيهاً منه، ولقد نزَّهوه حين أضافوا إليه التفضُّل بالنعمة والتمتيعَ بها، وأسندوا نسيانَ الذِّكر والتسبُّبَ به للبوار إلى الكفَرة، فشرحُوا الإضلالَ المجازيَّ الذي أسندَه اللهُ إلى ذاته في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧]، ولو كان هو المضلَّ على الحقيقة لكان الجوابُ العتيدُ أن يقولوا: بل أنتَ أضللتهم. انتهى.

وهو على طريقة المعتزلة[٥]. والمعنى: أأنتم أوقعتُم هؤلاء وتسبَّبتم[٦] لهم في إضلالهم عن الحقِّ، أم ضَلُّوا بأنفسهم عنه؟

و«ضَلَّ» أصلُه أنْ يتعدَّى بـ «عن»، كقوله: ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٧]، ثمَّ اتُّسعَ فحذف، وأصلُه: عن السبيل، كما أنَّ «هدى» يتعدَّى بـ «إلى»، ثمَّ يحذف، و«ضَلَّ» مطاوعُ: أضلَّ، كما تقول: أقعدتُه فقَعد.

«وسبحانك» تنزيهٌ لله تعالى أنْ يُشرَكَ معَه في العبادة أحدٌ، أو يُفْرَدَ بعبادة[٧]، فأنَّى لهم أنْ يقعَ منهم إضلالُ أحدٍ وهم المنزِّهونَ المقدِّسون، أو يكونَ أحدٌ منهم نِدّاً، وهو المنزَّهُ عن النِّدِّ والنظير؟!

وقال الزمخشريُّ: «سبحانكَ» تعجُّبٌ منهم ممَّا قيل؛ لأنَّهم ملائكةٌ وأنبياء معصومون، فما أبعدَهم عن الإضلال الذي هو مختصٌّ بإبليس وحزبه. انتهى[٨].

(١) الكشاف ٣/ ٨٥: إضلالهم.
(٢) في الكشاف: النعمة.
(٣) في الكشاف: الإضلال.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه): منهم. والمثبت من (ت) والكشاف.
(٥) انظر تفنيد هذه الشبه والردَّ عليها في روح المعاني ١٨/ ٥٥٠-٥٥١.
(٦) في (أ) والمطبوع: ونسبتم، وفي (ت) و(ع): ونسبتهم. والمثبت من (ح) و(يه).
(٧) أي: يفرد الشريك بعبادة.
(٨) الكشاف ٣/ ٨٦.

وقرأ علقمة: «ما ينبغي» بسقوط «كان»، وقراءةُ الجمهورِ بثبوتها أمكنُ في المعنى؛ لأنَّهم أخبروا عن حالٍ كانت في الدنيا، ووقتُ الإخبار لا عملَ فيه[١].

وقرأ أبو عيسى الأسود القارئ: «يُنْبَغى لنا» مبنيًّا للمفعول[٢]، وقال ابنُ خالويه: زعمَ سيبويه أنَّ «ينبغي» لغة[٣].

وقرأ الجمهور: «أن نَتَّخِذ» مبنياً للفاعل، و«من أولياء» مفعولٌ على زيادة «مِن» وحَسَّن زيادتَها انسحابُ النفي على «نَتَّخِذ»؛ لأنَّه معمولٌ لـ «ينبغي»، وإذا انتفى الابتغاء لزمَ منه انتفاءُ متعلَّقه وهو اتخاذُ وليٍّ من دون الله، ونظيره: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٥]، أي: خيرٌ، والمعنى: ما كان يصحُّ لنا ولا يستقيمُ ونحن معصومون أن نتولَّى أحداً دونَك، فكيف يصحُّ لنا أن نحملَ غيرَنا على أن يتولونا دونَك.

وقال أبو مسلم: ما كان ينبغي لنا أن نكونَ أمثالَ الشياطين نريدُ الكفرَ فنتولَّى الكفَّار، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[٤] [البقرة: ٢٥٧].

وقرأ أبو الدرداء، وزيدُ بن ثابت، وأبو رجاء، ونصرُ بن علقمة، وزيد بن عليّ، وأخوه الباقر، ومكحول، والحسن وأبو جعفر، وحفص بن عبيد، والنخعيّ، والسُّلَميُّ، وشيبةُ، وأبو بشر، والزعفرانيّ: «أن نُتَّخَذَ» مبنيًّا للمفعول[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤.

(٢) مختصر ابن خالويه ص١٠٤. ولم أقف على ترجمة أبي عيسى الأسود، ووقع في فتح الباري للحافظ ابن حجر ٩/ ٣٣ نسبة هذه القراءة لأبي عيسى الأسواري. قلت: الأخير من رجال التهذيب.

(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٤. وقال الزبيدي في تاج العروس (بغى): واستعمل سيبويه انبغى في عبارته. انتهى. وفي كتاب سيبويه ١/ ٢٤٥: فإن كانت منصوبة انبغى له أن يقول... وانظر معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ٦/ ٣٣٠ وهذا التعليق مستفادٌ منه.

(٤) انظر تفسير الرازي ٢٤/ ٦٣.

(٥) القراءة عن العشرة الأوائل في المحتسب ٢/ ١١٩، وعنهم عدا الباقر في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤، وهي في مختصر ابن خالويه ص١٠٤ عن السلمي وزيد بن علي وأبي الدرداء وأبي جعفر، وفي زاد المسير ٦/ ٧٨ عن السلمي وابن جبير والحسن وقتادة وأبي جعفر وابن يعمر والجحدري، وفي إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٥٤، والقرطبي ١٥/ ٣٧٨ عن الحسن وأبي جعفر. وقراءة أبي جعفر - من العشرة - في النشر ٢/ ٣٣٣.

و«اتَّخذ» ممَّا يتعدَّى تارةً لواحدٍ، كقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ٢١]، وعليه قراءةُ الجمهور، وتارةً إلى اثنين، كقوله: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، فقيل: هذه القراءةُ منه، فالأول الضمير في «نُتَّخذ» والثاني «من أولياء»، و«من» للتبعيض، أي: لا نُتَّخَذَ بعضَ أولياء. وهذا قولُ الزمخشريّ(١).

وقال ابنُ عطية: ويضعِّفُ هذه القراءةَ دخول «من» في قوله: «من أولياء» اعترضَ بذلك سعيدُ بن جبير وغيره، وقال أبو الفتح: «من أولياء» في موضع الحال، ودخلت «من» زيادةً لمكان النفي المتقدِّم، كما تقول: ما اتَّخذتُ زيداً من وكيل(٢).

وقيل: «من أولياء» هو الثاني على زيادة «من». وهذا لا يجوزُ عند أكثر النحويين، إنَّما يجوزُ دخولها زائدةً على المفعول الأول بشرطه.

وقرأ الحجَّاج: «أن نُتَّخَذَ من دونك أولياء»، فبلغ عاصماً فقال: مَقَّتَ المُخْدَج، أو ما علم أنَّ فيها «من»(٣).

ولمَّا تضمَّن قولُهم: «ما كان ينبغي لنا أن نتَّخِذ من دونك من أولياء» أنَّا لم نضلَّهم ولم نحملهم على الامتناع من الإيمان، صلح أن يُستدرك بـ «لكن»، والمعنى: لكن أكثرتَ عليهم وعلى آبائهم النعمَ، وأطلتَ أعمارهم، وكان يجبُ عليهم شكرُها والإيمانُ بما جاءت به الرسلُ، فكان ذلك سبباً للإعراض عن ذكر الله.

قيل: «ولكن متَّعتهم» كالرمز إلى ما صرَّح به موسى من قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: أنت الذي أعطيتهم مطالبَهم مِنَ الدُّنيا حتَّى صارُوا غرقى في بحر الشهوات، فكان صارفاً لهم عن التوجُّه إلى طاعتك والاشتغال بخدمتك.

---

(١) الكشاف ٣/٨٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٠٤، وكلام أبي الفتح بن جني في المحتسب ٢/١٢٠.

(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٤. والمخدج: الناقص.

والذكرُ: ما ذُكِّر به الناسُ على ألسنةُ الأنبياء، أو الكتب المنزلة، أو القرآن.

والبُور قيل: مصدرٌ يوصَفُ به الواحدُ والجمع. وقيل: جمع بائر، كعائذ وعُوذ[١]. قيل: معناه هلكى، وقيل: فسدى، وهي لغةُ الأزد[٢]، يقولون: أمرٌ بائر، أي: فاسدٌ، وبارتِ البضاعةُ: فَسدت. وقال الحسن: لا خيرَ فيهم[٣]، من قولهم: أرضٌ بورٌ، أي: معطَّلة لا نباتَ فيها[٤]. وقيل: بوراً: عمياً عن الحقِّ.

«فقد كَذَّبوكم» هذا من قول الله بلا خلاف، وهي مفاجأةٌ بالاحتجاج والإلزام حسنةٌ رائعةٌ، وخاصَّةً إذا انضمَّ إليها الالتفاتُ، وهو على إضمار القول، كقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم﴾ [المائدة: ١٩]، أي: فقلنا: قد جاءكم، وقول الشاعر:

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُراد بنا ... ثمَّ القُفُولُ فقد جئنا خُراسانا[٥]

أي: فقلنا: قد جئنا، وكذلك هذا، أي: فقلنا: قد كذَّبوكم. فإنْ كان المجيب الأصنام، فالخطابُ للكفَّار، أي: قد كَذَّبَتْكم معبوداتُكم من الأصنام بقولهم: «ما كان ينبغي لنا»، وإنْ كان الخطابُ للمعبودينَ[٦] من العقلاء عيسى والملائكة وعزير عليهم السلام ـ وهو الظاهرُ لتناسق الخطاب مع قوله: «أأنتم أضللتم» ـ أي: كذَّبكم المعبودونَ بما تقولون، أي: بقولهم إنَّكم أضللتموهم، وزعمِهم أنَّكم أولياؤهم من دون الله. ومن قرأ «بما تقولون» بتاء الخطاب، فالمعنى: فيما تقولون؛ أي: «سبحانَك ما كان ينبغي لنا أن نتَّخِذَ من دونك من أولياء». وقيل: الخطابُ للكفَّار العابدين، أي: كذَّبكم المعبودون بما يقولون من الجواب: «سبحانك ما كان

---

(١) الكشاف ٣/ ٨٦.
(٢) زاد المسير ٦/ ٧٨.
(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٤١٧.
(٤) النكت والعيون ٤/ ١٣٧.
(٥) هو للعباس بن الأحنف، وهو في الأغاني ٨/ ٣٧٢، ودلائل الإعجاز ص٩٠، وهو دون نسبة في الكشاف ٣/ ٨٦، والكلام منه.
(٦) كذا، ولعله أراد: إن كان الخطاب للكفار، والمجيب هم المعبودون من العقلاء. أو أن في النص سقطاً، فالله أعلم.

ينبغي لنا»، أو فيما تقولون أنتم من الافتراء عليهم، خوطبوا على جهة التوبيخ والتقريع. وقيل: هو خطابٌ للمؤمنين في الدنيا، أي: قد كَذَّبكم أيُّها المؤمنون الكفَّارُ في الدُّنيا فيما تقولونه من التوحيد والشرع[١].

وقرأ الجمهور: «بما تقولون» بالتاء من فوق، وأبو حَيْوَة وابنُ الصَّلْت عن قنبل بالياء من تحت[٢].

وقرأ حفص وأبو حيوة والأعمش وطلحة: «فما تستطيعون» بتاء الخطاب[٣]، ويؤيِّد هذه القراءةَ أنَّ الخطابَ في «كذَّبوكم» للكفَّار العابدين، وذُكِرَ عن ابن كثير وأبي بكر أنَّهما قرأا: «بما يقولون»، «فما يستطيعون» بالياء فيهما[٤]، أي: هم.

«صَرْفاً» أي: صرفَ العذاب، أو توبةً، أو حيلةً، من قولهم: إنَّه ليتَصرَّف، أي: يحتال[٥]، هذا إن كان الخطابُ في «كذَّبوكم» للكفَّار، فالتاءُ جاريةٌ على ذلك، والياء التفاتٌ، وإن كان للمعبودين فالتاءُ التفاتٌ، والياءُ جاريةٌ على ضمير «كذَّبوكم» المرفوع. وإن كان الخطابُ للمؤمنين أمَّة الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله: «فقد كذَّبوكم»، فالمعنى أنهم شديدو الشكيمة في التكذيب، فما تستطيعون أنتم صرفَهُم عمَّا هم عليه من ذلك، وبالياء: فما يستطيعون صرفاً لأنفسِهم عمَّا هم عليه، أو ما يستطيعونَ صَرْفَكُم عن الحقِّ الذي أنتم عليه «ولا نصراً» لأنفسِهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذيبهم.

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤. واستبعده الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٥٥٣.

(٢) القراءة عن أبي حيوة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٧٩ لسعيد بن جبير ومجاهد ومعاذ القارئ، وابن شنبوذ عن قنبل، ونسبها القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٨١ لمجاهد والبزي، ونصَّ ابن مجاهد في السبعة ص٤٦٣ على سماعها من قنبل عن ابن أبي بزة عن ابن كثير.

(٣) القراءة عن حفص في السبعة ص٤٦٣، والتيسير ص١٦٣. والقراءة عن أبي حيوة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤، وهي رواية قنبل عن ابن أبي بزة عن ابن كثير، كما ذكر ابن مجاهد في السبعة ص٤٦٣ من سماعه. وقراءة ابن كثير وأبي بكر المتواترة عنهما كقراءة الجمهور.

(٥) الكشاف ٣/ ٨٧.

«ومَنْ يَظْلِم منكم» الظاهرُ أنَّه عامٌّ. وقيل: خطابٌ للمؤمنين. وقيل: خطابٌ للكافرين.

والظلمُ هنا: الشرك، قاله ابن عباس والحسنُ وابنُ جريج[١]، ويحتملُ دخول المعاصي غيرِ الشرك في الظُّلم.

وقال الزمخشريُّ: العذابُ الكبيرُ لاحقٌ لكلِّ من ظَلَم، والكافرُ ظالمٌ؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، والفاسقُ ظالمٌ لقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] انتهى[٢]. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

وقرئ: «يُذِقْهُ» بياء الغيبة[٣]، أي: الله، وهو الظاهر، وقيل: هو، أي: الظلم، وهو المصدرُ المفهومُ من قوله: «يظلم»، أي: يذقهُ الظلمَ.

ولمَّا تقدم الطعنُ على الرسول بأكل الطعام والمشي في الأسواق، أخبرَ تعالى أنَّها عادةٌ مستمرَّةٌ في كلِّ رسالةٍ.

ومفعولُ «أرسلنا» عند الزَّجَّاج والزمخشريِّ ومَنْ تبعَهما محذوفٌ، تقديره: أحداً[٤]، وقدَّرَهُ ابنُ عطيَّة: رجالاً أو رُسُلاً، وعاد الضميرُ في «إنَّهم» على ذلك المحذوف[٥]، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، أي: وما منَّا أحدٌ. والجملةُ عند هؤلاء صفةٌ، أعني قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾، كأنَّه قال: إلَّا آكلين

---

(١) هو عن الحسن وابن جريج في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٤، وأخرج قوليهما الطبري ١٧/ ٤٢٢-٤٢٣. وقول ابن عباس ذكره القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٨١.
(٢) الكشاف ٣/ ٨٧.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤ من حكاية أبي معاذ. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٧٩ لعاصم الجحدري والضحاك وأبي الجوزاء وقتادة.
(٤) تابع المصنفُ في نسبة هذا التقدير للزجاج الرازيَّ في تفسيره ٢٤/ ٦٥، والذي قدره الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٦٢: رسلاً، وكذا نقل عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٥٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٧٩، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٨٢-٣٨٣.
وانظر الكشاف ٣/ ٨٧.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥.

وماشين[١]، وعند الفرَّاء[٢] المفعولُ محذوفٌ، وهو موصولٌ مقدَّرٌ بعد «إلَّا» أي: إلَّا مَنْ إنَّهم، والضميرُ عائدٌ على «مَنْ» على معناها، فيكون استثناءً مفرَّغاً. وقيل: «إنَّهم» قبله قولٌ محذوفٌ، أي: إلَّا قيل: إنَّهم. وهذان القولان مرجوحان في العربيّة. وقال ابنُ الأنباريّ: التقديرُ: إلَّا وإنهم، يعني أنَّ الجملةَ حاليَّةٌ[٣]. وهذا هو المختار.

وقد رُدَّ على من قال: إنَّ ما بعد «إلَّا» قد تجيء الصفة، وأمَّا حذفُ الموصول فضعيفٌ.

وقد ذهبَ إلى حكاية الحال أيضاً أبو البقاء، قال: وقيل: لو لم تكن اللام[٤] لكُسِرت؛ لأنَّ الجملةَ حاليَّةٌ؛ إذ المعنى: إلَّا وهم يأكلون. وقرئ: «أنَّهم» بالفتح على زيادة اللام، و«أنَّ» مصدريَّةٌ، التقدير: إلَّا أنَّهم يأكلون، أي: ما جعلناهم رسلاً إلى الناس إلَّا لكونهم مثلهم[٥].

وقرأ الجمهور: «ويَمْشُون» مضارع «مشى» خفيفاً، وقرأ عليٌّ وابنُ مسعود وعبدُ الرحمن بن عبد الله: «يُمَشَّون» مشدَّداً مبنيَّاً للمفعول[٦]، أي: يمشِّيهم[٧] حوائجُهم

(١) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٥٥٦: وتعقَّب بأن فيه الفصلَ بين الموصوف والصفة بـ «إلا» وقد رده أكثر النحاة.
(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٢٦٤.
(٣) نقله عن ابن الأنباري ابنُ الجوزي في زاد المسير ٦/ ٨٠.
(٤) يعني في قوله: «ليأكلون».
(٥) الإملاء ٢/ ١٦١.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥، والقراءة عن علي وعبد الرحمن في المحتسب ٢/ ١٢٠، ونسبها القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٨٣ لعلي وابن عوف وابن مسعود. وعبد الرحمن بن عبد الله، لعله: عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان، أبو محمد بن أبي الزناد، المدني ثم البغدادي، أخذ القراءة عرضاً عن أبي جعفر، ثم روى عن نافع القراءة، وله عنه نسخة، توفي سنة أربع وستين ومئة ببغداد. غاية النهاية ١/ ٣٧٢.
قلت: في نسبة القرطبي القراءة لابن عوف نظر، فلعله ظن عبد الرحمن المذكور في المحرر الوجيز: عبدَ الرحمن بن عوف، وإنما هو عبد الرحمن بن عبد الله كما صرح بذلك ابن جني في المحتسب.
(٧) في (ح) والكشاف ٣/ ٨٧: تمشيهم. ولم ننقط في (ت) و(ع).

والناسُ، قال الزمخشريُّ: ولو قرئ: «يُمَشُّون» لكان أوجه لولا الرواية. انتهى.

وقد قرأ كذلك أبو عبد الرحمن السلميّ مشدَّداً مبنيّاً للفاعل[١]، وهي بمعنى: «يَمْشُون» قراءة الجمهور، قال الشاعر:

ومشّى[٢] بأعطان المياه[٣] وابتغى   قلائصَ منها صعبةٌ ورَكُوبُ[٤]

«وجعلنا بعضكم» قال ابن عطية: هو عامٌّ للمؤمن والكافر، فالصحيحُ فتنةٌ للمريض، والغنيُّ فتنةٌ للفقير، والفقيرُ الشاكرُ فتنةٌ للغنيّ، والرسولُ المخصوصُ بكرامة النبوَّةِ فتنةٌ لأشراف الناس الكفَّار في عصره، وكذلك العلماءُ وحكَّامُ العدلِ، وقد تلا ابنُ القاسمِ هذه الآية حين رأى أشهب. انتهى[٥]. ورُوي قريبٌ مِنْ هذا عن ابن عباس والحسن[٦].

قال ابنُ عطية: والتوقيفُ بـ «أتصبرون» خاصٌّ للمؤمنين المحقِّين، فهو لأمَّة محمَّدٍ ﷺ، كأنَّه جعلَ إمهال الكفَّار فتنةً للمؤمنين، أي: اختباراً، ثم وقَّفهم؛ هل تصبرون أم لا؟ ثمَّ أعربَ قولهُ: «وكان ربُّك بصيراً» عن الوعد للصابرين والوعيدِ للعاصين[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٨٣-٣٨٤.

(٢) كذا وقع في النسخ، ومثله في الدر المصون ٨/ ٤٦٩، وروح المعاني ١٨/ ٥٥٨، ولا شاهد فيه، ولعل الصواب ـ كما في المصادر التي سيأتي ذكرها ـ: أُمشّي.

(٣) في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع: المباءة. والمثبت من (ت) و(ع) والمصادر، والمباءة: مَعْطِنُ القوم للإبل. فهي والأعطان بمعنى، فالأعطان، جمع معطن، وهي مبارك الإبل عند الماء. انظر اللسان (بوأ)، ومختار الصحاح (عطن).

(٤) البيت للعلاء بن حذيفة الغنوي، كما في أمالي القالي ١/ ٢٨، وهو دون نسبة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٨٤، ونص الشطر الأول فيها:

أمشّي بأعطان المباء وأبتغي

وانظر التعليقين السالفين.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥، وذكر القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٩١ خبر ابن القاسم، وفيه أنه تلاها حين رأى أشهب في مملكته عابراً عليه. ثم أجاب نفسه بقوله: سنصبر. وانظر الخبر في ترتيب المدارك ٢/ ٤٥٢.

(٦) أخرج قوليهما الطبري ١٧/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥.

وقال الزمخشريُّ: «فتنةً» أي: محنةً وبلاءً، وهذا تصبيرٌ[١] لرسولِ الله ﷺ على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعدما احتجَّ عليهم بسائر الرُّسل، يقول: جرت عادتي وموجَبُ حكمتي على ابتلاء بعضكم أيُّها الناسُ ببعض، والمعنى أنَّه ابتلى المرسلين بالمُرْسَل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوةَ وأقاويلِهم الخارجةِ عن حدِّ الإنصاف، وأنواعِ أذاهم، وطلبَ منهم الصبرَ الجميلَ، ونحوه: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦]، وموقعُ «أتصبرون» بعد ذكرِ الفتنة موقعُ «أيُّكم» بعد الابتلاء في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

«بصيراً» عالماً بالصواب فيما يبتلي به وبغيره، فلا يضيقَنَّ صدرُك، ولا يستخفنَّكَ أقاويلُهم، فإنَّ في صبرك عليهم سعادةً[٢] وفوزَك في الدَّارين.

وقيل: هو تسليةٌ عمَّا عيَّروه به من الفقر حين قالوا: «أو يُلْقَى إليه كنزٌ أو تكون له جنَّة» وأنَّه جعلَ الأغنياءَ فتنةً للفقراء؛ لينظرَ هل تصبرون؟ وأنَّها حكمتُه ومشيئته، يُغني مَن يَشاء ويُفْقِرُ مَن يشاء.

وقيل: جعلناكَ فتنةً لهم؛ لأنك لو كنت غنيًّا صاحبَ كنوزٍ وجنَّات لكان ميلُهم إليك وطاعتُهم لك للدُّنيا، أو ممزوجةً بالدُّنيا، وإنَّما بعثناك فقيراً لتكونَ طاعةُ مَنْ يُطيعكَ منهم خالصةً لوجه الله من غير طمعٍ دنيويٍّ.

وقيل: كان أبو جهل والوليدُ بن المغيرة والعاصي بنُ وائل ومَنْ في طبقتهم يقولون: إن أسلمنا وقد أسلمَ قبلنا عمّارٌ وصهيبٌ وبلالٌ وفلانٌ وفلان، فرُفِعوا[٣] علينا إدلالاً بالسابقة، فهو افتتانُ بعضِهم ببعض. انتهى.

وفيه تكثيرٌ، وهذا القولُ الأخيرُ قولُ الكلبيِّ والفرَّاء والزَّجاج[٤]، والأولَى أنَّ

---

(١) في النسخ: تصبر. والمثبت من الكشاف ١/ ٨٧.
(٢) كذا، وفي الكشاف ٣/ ٨٧: سعادتك.
(٣) كذا، وفي الكشاف: ترفعوا.
(٤) ذكره عن الكلبي ابنُ الجوزي في زاد المسير ٦/ ٨١، والرازي في تفسيره ٢٤/ ٦٨، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٦٥، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٦٢.

قوله: «وجعلنا بعضَكم لبعضٍ فتنةً» يشملُ معاني هذه الألفاظ كلِّها؛ لأنَّ بين الجميع قدراً مشتركاً.

وقيل في قوله: «أتصبرون»: إنَّه استفهامٌ بمعنى الأمر، أي: اصبروا.

والظاهرُ حملُ الرجاء على المشهور من استعماله، والمعنى: لا يأملونَ لقاءنا بالخير وثوابَنا على الطاعة؛ لتكذيبهم بالبعث، لكفرِهم[(١)] بما جئتَ به.

وقال أبو عبيدة وقومٌ: معناه: لا يخافون[(٢)].

وقال الفرَّاء: لا يرجون نشوراً: لا يخافون، وهذه الكلمةُ تهاميَّةٌ، وهي أيضاً من لغة هذيل؛ إذا كان مع الرجاء جَحْدٌ، ذهبوا به إلى معنى الخوف، فيقول[(٣)]: فلانٌ لا يرجو ربَّه، يريدون: لا يخافُ ربَّه، ومن ذلك: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، أي: لا تخافون لله عظمةً، وإذا قالوا: فلانٌ يرجو ربَّه، فهذا على معنى الرجاء، لا على الخوف، وقال الشاعر[(٤)]:

إذا لسعَتْهُ النحلُ لم يَرْجُ لَسْعَها وحَالفها[(٥)] في بيت نُوْبٍ عواملِ

وقال آخر:

لا تَرْتَجي حين تُلاقي الذائدا أسبعةً لاقتْ معاً أو وَاحِدَا[(٦)]

انتهى.

ومن لازم الرجاءِ للثَّواب الخوفُ من العقاب، ومَنْ كان مُكذِّباً بالبعث لا يرجو

---

(١) في (يه): ولكفرهم.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٧٣.

(٣) في (أ) و(ع): فيقول. وفي (ح) والمطبوع: فتقول. ولم تنقط في (يه) والمثبت من (ت).

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي، كما في شرح أشعار الهذليين ١/ ١٤٤، وسلف الشطر الأول منه عند تفسير الآية (١٠٤) من سورة النساء.

(٥) في (ت) و(ع): وخالفها. وهي رواية أخرى للبيت. قال السكري في شرح أشعار الهذليين: حالفها: لازمها، وقال أبو عمرو: خالفها، أي: جاء إلى عسلها وهي غائبةٌ ترعى وقد سرحت، خالفها إلى العسل.

(٦) البيت دون نسبة في معاني القرآن للفراء ١/ ٢٨٦، ٢/ ٢٦٥، وتفسير الطبري ٧/ ٤٥٦، والأضداد ص١١، وتهذيب اللغة ١١/ ١٨٢، وأساس البلاغة (رجو).

ثواباً ولا يخافُ عقاباً، ومَنْ تأوَّل[١]: لم يرج لَسْعَها، على معنى: لم يرجُ دَفْعَها ولا الانفكاكَ عنها، فهو لذلك يوطِّنُ على الصبر ويجدُّ في شغلِهِ، فتأويله ممكنٌ، لكنَّ الفرَّاءَ وغيرَه نقلُوا ذلك لغةً لهذيل في النفي، والشاعر هُذَليٌّ، فينبغي أنْ لا يُتكلَّف للتأويل، وأنْ يُحمَل على لغته.

«لولا أنزل علينا الملائكة» فتخبرَنا أنَّك رسولٌ حقًّا «أو نرى ربَّنا» فيخبرَنا بذلك، قاله ابنُ جريج[٢] وغيره، وهذه كما قالت اليهود: «لن نؤمنَ لك حتى نرى الله جهرة»[٣]، وكقولهم أعني المشركين: «أو تأتيَ بالله والملائكة قَبيلاً»، وهذا كلُّه على سبيل التعنُّت، وإلَّا فما جاءَهم به من المعجزات كافٍ لو وُفِّقوا.

«لقد استكبروا» أي: تكبَّروا في أنفسِهم، أي: عظَّموا أنفسَهم بسؤالِ رؤية الله، وهم ليسوا بأهلٍ لها، والمعنى أنَّ سؤالَ ذلك إنَّما هو لما أضمروا في أنفسهم من الاستكبار عن الحقِّ، وهو الكفرُ والعنادُ الكامنُ في قلوبهم الظاهرُ عنه ما لا يقعُ لهم، كما قال: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

واللام في «لقد» جوابُ قسمٍ محذوف، «وعتوا»: تجاوزُوا الحدَّ في الظلم، ووصفه بـ «كبير» مبالغةٌ في إفراطه، أي: لم يَجْسُروا على هذا القول العظيمِ إلَّا لأنَّهم بلغُوا غايةَ الاستكبار وأقصَى العتوِّ[٤]، وجاء هنا «عُتُوًّا» على الأصل، وفي «مريم»: ﴿عِتِيًّا﴾ [الآية: ٦٩]، على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل.

قال ابن عباس: «عَتَوا»: كفروا أشدَّ الكفرِ وأفحشُوا. وقال عكرمة: تجبَّروا. وقال ابن سلام: عَصَوا، وقال ابن عيسى: أسرفوا[٥].

---

(١) هو ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٥.
(٢) أخرج الطبري ١٧/ ٤٢٦ القسم الأول منه.
(٣) حكى الله سبحانه قول اليهود هذا في سورة البقرة، الآية (٥٥).
(٤) انظر الكشاف ٣/ ٨٨.
(٥) النكت والعيون ٤/ ١٤٠.

قال الزمخشريُّ: هذه الجملةُ في حسن استيفائها غايةٌ في أسلوبها، ونحوه قولُ القائل[١]:

وجارةُ جسَّاسٍ أَبَأْنَا بنابِها كُلَيباً غَلَتْ نابٌ كُليبٌ بَوَاؤها[٢]

في نحو[٣] هذا الفعل دليلٌ على التعجُّب من غير لفظِ تعجُّب، ألا ترى أنَّ المعنى: ما أشدَّ استكبارَهم، وما أكثرَ[٤] عتوَّهم، وما أغلى ناباً بواؤها كليبٌ.

«يوم يرون الملائكة» يومَ منصوبٌ بـ: اذكر، وهو أقرب، أو بفعلٍ يدلُّ عليه «لا بشرى» أي: يُمْنَعون البُشرى، ولا يعمل فيه «لا بشرى»؛ لأنَّه مصدر، ولأنَّه منفيٌّ بـ «لا» التي لنفي الجنس؛ لأنَّه لا يعملُ ما بعدها فيما قبلها، وكذا الداخلةُ على الأسماء عاملةٌ عمل «ليس»، ودخول «لا» على «بشرى» لانتفاءِ أنواعِ البشرى.

وهذا اليومُ الظاهرُ أنَّه يومُ القيامة؛ لقوله بعد: «وقَدِمنا إلى ما عملوا»[٥]، وعن ابن عباس: عند الموت[٦]، والمعنى أنَّ هؤلاء الذين اقترحوا نزولَ الملائكة لا يعرفونَ ما يكونُ لهم إذا رَأوهم من الشرِّ، وانتفاءِ البشارة، وحصولِ الخسارِ والمكروه.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٨٨: وفي أسلوبها قول القائل.
والبيت نسبه الشهاب الخفاجي في حاشيته ٦/ ٤١٦ وتبعه الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٩ لمهلهل.

(٢) جساس هو ابن مرَّة بن ذُهْل بن شيبان، وجارته هي البسوس بنت منقذ، وهي خالته. انظر الأغاني ٥/ ٣٥، والأعلام ٢/ ١١٩.
وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته ٦/ ٤١٦: والناب: الناقة المسنة، وأبأتُ القاتلَ بالقتيل، إذا قتلته به قصاصاً، من البواء، وهي التساوي، وقوله: غلت، بالمعجمة، أي: ما أغلاها إذا قُتِل فيها كُليبٌ، فهو محلُّ الاستشهاد.

(٣) كذا في النسخ، وفي الكشاف ٣/ ٨٨: فحوى. بدل: نحو، وهي الأشبه.

(٤) في الكشاف: أكبر.

(٥) قال الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ١٢: وفيه نظر.

(٦) تفسير الرازي ٢٤/ ٧٠، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٤٠ ليحيى بن سلَّام.

واحتمل «بُشرى» أنْ يكون مبنيّاً مع «لا»، واحتَمل أنْ يكون في نيَّةِ التنوين منصوبَ اللفظ[(١)]، ومُنِع من الصرف للتأنيث اللازم.

فإن كان مبنيًّا مع «لا»، احْتَمَلَ أن يكونَ الخبرُ «يومئذٍ» و«للمجرمين» خبرٌ بعدَ خبر، أو نعتٌ لـ «بشرى»، أو متعلِّقٌ بما تعلَّق به الخبرُ، وأنْ يكون «يومئذٍ» صفةً لـ «بشرى» والخبرُ «للمجرمين» ويجيءُ خلافُ سيبويه والأخفش: هل الخبرُ لنفسِ «لا»، أو الخبر للمبتدأ الذي هو مجموعُ «لا» وما بُنِيَ معها؟[(٢)].

وإن كان في نيَّةِ التنوين وهو معربٌ، جاز أن يكون «يومئذٍ» معمولاً لـ «بشرى»[(٣)] وأن يكون صفةً [(٤]و«للمجرمين» الخبر[٤)]، وأجاز أن يكون «يومئذٍ» و«للمجرمين» خبر[(٥)]، وجاز أن يكون «يومئذٍ» خبراً، و«للمجرمين» صفةً، والخبرُ إذا كان الاسمُ ليس مبنيّاً لنفس «لا» بإجماع.

وقال الزمخشريُّ: و«يومئذٍ» للتكرير[(٦)]. وتبعَه أبو البقاء[(٧)]. ولا يجوزُ أنْ يكونَ تكريراً، سواءٌ أريد به التوكيدُ اللفظيُّ، أم أُريدَ به البدل؛ لأنَّ «يومَ» منصوبٌ بما تقدَّمَ ذكرُهُ من: اذكر، أو من: يَعْدِمون البشرى، وما بعدَ «لا» العاملةِ في الاسم

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٧١ في هذا الاحتمال: لا يتأتى إلَّا على قول أبي إسحاق، وهو يرى أنَّ اسم «لا» النافية للجنس معربٌ، ويعتذر عن حذف التنوين بكثرة الاستعمال، ويستدلُّ عليه بالرجوع إليه في الضرورة. انتهى وانظر تفصيل من قال بذلك في ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٩٦.

(٢) انظر مذهب سيبويه في الكتاب ٢/ ٢٧٥، ومناقشة آراء العلماء في ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٩٧ وما بعدها.

(٣) زعم السمين في الدر ٨/ ٤٧٢ أن أبا حيان لم يلمَّ بهذا الوجه، ولعله لسقط أصاب نسخته من البحر في هذا الموضع، فالله أعلم.

(٤-٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: والخبر من الخبر. وهو تحريف. والمثبت من (يه). وسقط من النسخة (ت) العبارة من قوله: جاز أن يكون «يومئذ» معمولاً . . . إلى هنا.

(٥) كذا في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع، وفي (ت): خبران، وفي الدر المصون ٨/ ٤٧١: خبرين. ومن قوله: وأجاز. . إلى هنا ليس في (يه). وانظر روح المعاني ١٩/ ١٢.

(٦) الكشاف ٣/ ٨٨.

(٧) في الإملاء ٢/ ١٦٣.

لا يعملُ فيه ما قبلَها، وعلى تقديره يكونُ العاملُ فيه ما قبل «لا»[(١)].

والظاهرُ عمومُ «المجرمين»، فيندرجُ هؤلاء القائلون فيهم. قيل: ويجوزُ أن يكونَ من وضع الظاهر موضع الضمير.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «ويقولون» عائدٌ على القائلين؛ لأنَّ المحدَّثَ عنهم كانوا يطلبون نزولَ الملائكة، ثمَّ إذا رأوهم، كرهوا لقاءَهم وفزعُوا منهم؛ لأنَّهم لا يَلْقَونهم إلَّا بما يكرهون، فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عندَ لقاء العدوِّ ونزولِ الشدَّة، وقال معناه مجاهد، قال: «حِجْرا»: عَوْذاً[(٢)]، يستعيذونَ من الملائكة. وقال مجاهد وابنُ جريج: كانت العربُ إذا كرهت شيئاً قالوا: حجراً[(٣)].

وقال أبو عبيدة: هاتان اللفظتان عوذةٌ للعرب، يقولُهما مَنْ خاف آخرَ في الحَرَمِ، أو في شهرٍ حرام إذا لقيه وبينهما ترةٌ. انتهى[(٤)]. ومنه قول المتلمس[(٥)]:

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٧٣: وما رَدَّ به ليس بظاهر، وذلك لأنَّ الجملة المنفية معمولةٌ للقول المضمر الواقع حالاً من «الملائكة»، و«الملائكة» معمولة لـ «يرون»، و«يرون» معمولٌ لـ «يوم» خفضاً بالإضافة، فـ «لا» وما في حيزها من تتمة الظرف الأول من حيث إنها معمولة لبعض ما في حيزه، فليست بأجنبية ولا مانعةٍ من أن يعمل ما قبلها فيما بعدها. والعجب له كيف تخيَّل هذا وغفل عما قلته، فإنه واضحٌ مع التأمُّل!؟

(٢) في (أ) والمطبوع: عواداً، وفي (ح): عواذاً. والمثبت من (ت) و(ع) و(يه) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٦، وأخرجه الطبري ١٧/ ٤٢٩، وفيه أن القائلَ الملائكة.

(٣) قول مجاهد وابن جريج ـ كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٦ ـ: إن الضمير في قوله: «ويقولون» هو للكفار المجرمين. ثمَّ فصَّل ابن عطية، فذكر قولَ ابن جريج؛ كانت العرب... وقولَ مجاهد وهو الذي ذكره المصنف: حجراً: عوذاً. فجعل المصنف قول ابن جريج له ولمجاهد، فتأمل. وقول ابن جريج أخرجه الطبري ١٧/ ٤٢٩-٤٣٠، وانظر التعليق السابق.

(٤) قول أبي عبيدة نقله المصنف عن المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٦.

(٥) والبيت في ديوان المتلمس ص٨٥، ومجاز القرآن ٢/ ٧٣، والفاضل للمبرد ص٧٨، وتفسير الطبري ٩/ ٥٧٨، ١٧/ ٤٢٧، والصاحبي ص٩٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠٦، والنكت والعيون ٤/ ١٤٠-١٤١، ومختارات ابن الشجري ١/ ٣٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٩٤، واللسان (دهرس).

حَنَّتْ إلى النخلةِ القُصْوى فقلتُ لها حِجْرٌ[١] حرامٌ ألَا تلكَ الدهاليسُ[٢]

أي: هذا الذي حَننتِ[٣] إليه هو ممنوعٌ.

وذكر سيبويه «حجراً» في المصادر المنصوبة غير المتصرِّفة[٤]، وأنَّه واجبُ إضمارُ ناصبها، قال سيبويه: ويقولُ الرجلُ للرجلِ: أتفعلُ كذا؟ فيقول: حجْراً[٥]. وهي مِن حَجَرهُ، إذا منعَهُ؛ لأنَّ المَستعيذَ طالبٌ من الله أنْ يمنعَ المكروهَ لا يلحقُهُ[٦].

وقرأ أبو رجاء والحسن والضحَّاك: «حُجراً» بضمِّ الحاء[٧].

وقيل: الضميرُ في «ويقولون» عائدٌ على الملائكة، أي: تقولُ الملائكةُ للمجرمين: حجراً محجوراً عليكم البُشرى.

«ومحجوراً» صفةٌ تؤكِّد معنى «حِجْراً»، كما قالوا: موتٌ مائت، وذَيْلٌ ذائل[٨].

والقدومُ الحقيقيُّ مستحيلٌ في حقِّ الله تعالى، فهو عبارةٌ عن حُكْمهِ بذلك وإنفاذِهِ. قيل: أو على حذف مضاف، أي: قدمَتْ ملائكتُنا، وأسندَ ذلك إليه لأنَّه

---

(١) في ديوان المتلمس والفاضل ومختارات ابن الشجري: بسلٌ. والبسل يقال للحرام وللحلال، وهو عندهم من الأضداد. ولا شاهد فيه بهذه الرواية.

(٢) كذا جاء في النسخ، ولم أقف عليه بهذه الرواية، ولم أجد مادة (دهلس) فيما بين يدي من المعاجم ولعلها تحريف، والذي في المصادر: الدهاريس. والدهاريس: الدواهي. اللسان (دهرس)

(٣) في (يه): حنت.

(٤) وقع بعدها في المطبوع: وقال بعض الرجاز:

قالت وفيها حيرة وذعر عوذٌ بربِّي منكم وحجرُ

انتهى. مصححاً ما فيه من تحريف. وهذا الرجز وقع في (أ) بعد بيت المتلمِّس، وليس في بقية النسخ، ولعلَّه مقحم من بعض النساخ. وانظر تخريجه في روح المعاني ١٩/ ١٥.

(٥) الكتاب ١/ ٣٢٦.

(٦) الكشاف ٣/ ٨٨.

(٧) هي في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٩٥ عن الحسن وأبي رجاء، وفي مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤ عن الحسن والضحاك. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٨٢ لقتادة والضحاك ومعاذ القارئ.

(٨) قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ٨٨: والذيل: الهوان.

عن أمرِهِ، وحَسُنت لفظةُ «قَدِمنا»؛ لأنَّ القادمَ على شيءٍ مكروهٍ لم يُقَرِّرْهُ ولا أمرَ به مغيِّرٌ له ومُذْهِبٌ[١]، فمُثِّلَتْ حالُ هؤلاء وأعمالُهم التي عملوها في كفرهم، مِنْ صلةِ رحم، وإغاثة ملهوفٍ، وقِرى ضَيْفٍ، ومَنٍّ على أسيرٍ، وغير ذلك من مكارمهم، بحالِ قومٍ خالفوا سلطانَهم، فقصدَ إلى ما تحتَ أيديهم، فمزَّقها بحيث لم يترك لها أثراً، وفي أمثالهم: أقلُّ من الهباء[٢].

و«مَنْثوراً» صفة للهَباء شبهه بالهباء لقلَّتِهِ، وأنَّه لا يُنْتَفَعُ بِهِ، ثم وصفه بـ «منثوراً»، لأنَّ الهباءَ تراهُ منتظماً مع الضوء، فإذا حرَّكتهُ الريحُ رأيتَهُ قد تناثرَ وذهبَ.

وقال الزمخشريُّ: أو جعله يعني «منثوراً» مفعولاً ثالثاً لـ «جعلناه» أي: فجعلناهُ جامعاً لحقارة الهَباء والتناثر، كقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، أي: جامعين للمَسْخ والخَسْء. انتهى[٣].

وخالف ابنُ دَرَستويه، فخالف النحويين في منعه أنْ يكون لـ «كان» خبران وأَزْيَد، وقياسُ قوله في «جعل» أن يمنعَ أنْ يكونَ لها خبرٌ ثالثٌ[٤].

وقال ابن عباس: الهباءُ المنثور: ما تَسْفي به الرياحُ وتبثُّه. وعنه أيضاً: الهباء: الماء المُهْرَاق[٥].

والمُسْتَقَرُّ: مكانُ الاستقرارِ في أكثر الأوقات، والمقيلُ: المكانُ الذي يأوون إليه في الاسترواحِ إلى الأزواج والتمتُّع، ولا نومَ في الجنَّة فسُمِّيَ مكانُ استرواحهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه، إذ المكانُ المتخيَّرُ للقيلولة يكونُ أطيبَ المواضع. وفي لفظ «أحسن» رمزٌ إلى ما يتزيَّنُ به مقيلُهم من حُسْنِ الوجوه وملاحةِ الصُّوَر إلى غير ذلك من التحاسين[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٨٨.
(٣) الكشاف ٣/ ٨٩. وما قبله منه.
(٤) قال السمين في الدر المصون ٨/ ٤٧٥: مقصوده أن كلام الزمخشري مردودٌ، قياساً على ما منعه ابن درستويه من تعديد خبر «كان».
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٧، وأخرجهما الطبري ١٧/ ٤٣٣.
(٦) انظر الكشاف ١/ ٨٩.

و«خيرٌ» قيل: ليست على بابها من استعمالها دلالةً على الأفضلية، فيلزم من ذلك خيرٌ في مستقرٌ أهل النار، ويمكنُ إبقاؤها على بابها، ويكون التفضيلُ وقعَ بين المستقَرَّين والمقيلَين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه، فالمعنى: «خيرٌ مستقرًّا» في الآخرة من الكفَّار المترفينَ في الدُّنيا، «وأحسنُ مقيلاً» في الآخرة من أولئك في الدنيا.

وقيل: «خيرٌ مستقَرًّا» منهم لو كان لهم مستقَرٌّ، فيكون(١) التقدير: وجودُ مستقَرٌّ لهم فيه خير(٢).

وعن ابن مسعود وابن عباس والنخَعيّ وابنِ جُبير وابنِ جريج ومقاتل: أنَّ الحسابَ يكملُ في مقدار نصفِ يوم من أيَّام الدُّنيا، ويقيل أهلُ الجنَّة في الجنَّة، وأهلُ النَّارِ في النَّار(٣).

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

قرأ الحِرْميَّان(٤) وابنُ عامر: «تشَّقَّق» بإدغام التاء من تتشقق في الشين هنا

(١) من هنا خرم في النسخة (يه) ينتهي ص٢١٥.
(٢) انظر تفسير الرازي ٢٤/ ٧٢.
(٣) قول ابن مسعود ذكره القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٩٨، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٠ (١٥٠٧٩)، وأقوال ابن عباس والنخعي وابن جريج ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٧، وأخرجها الطبري ١٧/ ٤٣٤-٤٣٥. وقولا ابن جبير ومقاتل ذكرهما الرازي ٢٤/ ٧٣.
(٤) بعدها في (ت): وابن عباس.

وفي «ق»[١]، وباقي السبعة بحذف تلك التاء[٢]، ويعني يوم القيامة، كقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨].

وقرأ الجمهور: «ونُزِّلَ» ماضياً مشدَّداً مبنيّاً للمفعول، وابنُ مسعود وأبو رجاء: «ونَزَّلَ» ماضياً مبنيّاً للفاعل[٣]، وعنه أيضاً: «وأَنْزَلَ» مبنيّاً للفاعل[٤]، وجاء مصدره «تنزيلاً»، وقياسهُ: إنزالاً، إلَّا أنَّه لمَّا كان معنى أنزل ونزَّلَ واحداً جازَ مجيءُ مصدر أحدِهما للآخر، كما قال الشاعر[٥]:

حتى تطوَّيتُ انطواءَ الحِضْبِ[٦]

كأنَّه قال: حتَّى انطويتُ.

وقرأ الأعمشُ وعبدُ الله ـ في نقل ابنِ عطيَّة: «وأُنْزِلَ» ماضياً رباعيَّاً مبنيَّاً للمفعول، مضارعه: يُنْزَلُ[٧].

وقرأ جناحُ بن حبيش والخفَّاف عن أبي عمرو: «ونَزَلَ» ثلاثيًّا مخفَّفاً مبنيًّا للفاعل[٨]. وهارون عن أبي عمرو «وتُنَزِّلُ» بالتاء من فوق مضارع نَزَّلَ مشدَّداً، مبنيًّا للفاعل[٩]، وأبو معاذ وخارجة عن أبي عمرو: «ونُزِّلَ الملائكة» بضمِّ النون وشدِّ الزاي[١٠]، أسقطَ النون من «ونُنَزِّل».

---

(١) في قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ الآية: ٤٤.
(٢) السبعة ص٤٦٤، والتيسير ص١٦٣-١٦٤.
(٣) القراءة عن ابن مسعود في مختصر في شواذ القراءات ص١٠٤، وعن أبي رجاء في المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٨. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٨٥ لعاصم الجحدري وأبي عمران الجوني.
(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٠٠.
(٥) في (ح): الراجز. وليست في (ت).
(٦) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص١٦، وتفسير القرطبي ٥/ ١٠٥، وفيهما: وقد. بدل: حتى. والحِضْبُ: الأفعى.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٨. وليس فيه ما يدل على أنه مبني للمفعول أو للفاعل.
(٨) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٨٥ لابن يعمر.
(٩) في مطبوع مختصر ابن خالويه ص١٠٤ أن رواية هارون عن أبي عمرو: «ونُنَزِّلُ الملائكة».
(١٠) القراءة من رواية أبي معاذ في مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤، ومن رواية خارجة في المحتسب ٢/ ١٢٠، ونسبها فيه أيضاً لابن كثير وأهل مكة.

وفي بعض المصاحف: «ونُنَزِّلُ» بالنون[١] مضارع نزَّلَ مشدَّداً مبنيًّا للفاعل، ونسبَها ابنُ عطيةَ لابن كثيرٍ وحدَه، قال: وهي قراءةُ أهلِ مكة، ورُويت عن أبي عمرو[٢].

وعن أبيّ أيضاً: «وتَنَزَّلَتْ»[٣].

وقرأ أبيّ «ونُزِّلَتْ»[٤] ماضياً مشدَّداً مبنيًّا للمفعول بتاء التأنيث.

وقال صاحب «اللوامح»: عن الخفَّاف عن أبي عمرو: «ونُزِلَ» مخفَّفاً مبنيًّا للمفعول[٥] «الملائكةُ» رفعاً، فإن صحَّت القراءةُ، فإنَّه حُذِفَ منها المضاف، وأقيم المضافُ إليه مُقامه، وتقديره: ونُزِلَ نزولُ الملائكة، فحذف النزولُ ونقل إعرابُه إلى الملائكة، بمعنى: نُزِلَ نازلُ الملائكة؛ لأنَّ المصدرَ يكون بمعنى الاسم، وهذا ممَّا يجيءُ على مذهب سيبويه في ترتيب اللازم للمفعول به؛ لأنَّ الفعلَ يدلُّ على مصدره. انتهى[٦].

وقال أبو الفتح: وهذا غيرُ معروف، لأن نَزَلَ لا يتعدَّى إلى مفعول فيُبْنَى هنا للملائكة، ووجهُهُ أن يكون مثل: زُكِمَ الرجلُ وجُنَّ، فإنَّه لا يُقال إلَّا: أزكمَهُ اللهُ وأجنَّهُ، وهذا بابُ سماعٍ لا قياس. انتهى[٧].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤.

(٢) في كون ابن عطية نسبها لابن كثير وأبي عمرو نظرٌ، فعبارة ابن عطية كما في مطبوع المحرر الوجيز ٤/٢٠٨: وقرأ ابن كثير وحده: «وننزل الملائكة» بنونين، وهي قراءة أهل مكة، فرويت عن أبي عمرو: «ونزل الملائكة» بإسناد الفعل إليها. انتهى.
فذكر ابن عطية أن ابن كثير قرأها بنونين، ولم يذكر التشديد، وهي بدون تشديد القراءة المتواترة عن ابن كثير، وسأذكرها قريباً. ثم إن أبا حيان نسبها لأبي عمرو، والذي في المحرر عن أبي عمرو قراءة أخرى، فتأمل.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٠٨.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤.

(٥) وذكرها أيضاً عن عبد الوهاب الخفاف، ابنُ جني في المحتسب ٢/١٢١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٠٧.

(٦) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/٤٧٨: وهذا تمحُّلٌ كثيرٌ دعت إليه ضرورة الصناعة.

(٧) المحتسب ٢/١٢١، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر ٤/٢٠٧-٢٠٨.

فهذه إحدى عشرة قراءة[(١)].

والظاهرُ أنَّ الغمامَ هو السحابُ المعهود. وقيل: هو الله[(٢)] في قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال ابنُ جريج: الغمام الذي يأتي الله فيه في الجنَّة زعموا[(٣)].

وقال الحسن: سترةٌ بينَ السماء والأرض، تعرجُ الملائكة فيه بنُسَخِ أعمال بني آدم ليحاسبوا[(٤)].

وقيل: غمامٌ أبيضُ رقيقٌ مثل الضبابة، ولم يكن [إلَّا] لبني إسرائيل في تيههم[(٥)].

والظاهرُ أنَّ السماءَ هي المُظلَّةُ لنا. وقيل: تتشقَّقُ سماءً سماءً، قاله مقاتل[(٦)]. والباء باءُ الحال، أي: متغيِّمةً، أو باء السبب، أي: بسبب طلوع الغمام منه، كأنَّه الذي تتشقَّق به السماء، كما تقول: شُقَّ السنامُ بالشَّفرة وانشقَّ بها، ونظيرُهُ قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾[(٧)] [المزمل: ١٨]، أو بمعنى «عن»، أقوالٌ ثلاثة، والفرقُ بينَ الباء السببيَّة و«عن» أنَّ انشقَّ عن كذا: تفتَّح عنه، وانشقَّ بكذا أنَّه هو الشاقُّ له.

«ونُزِّل الملائكة» أي: إلى الأرض لوقوع الجزاء والحساب.

«والحقُّ» صفةٌ لـ «المُلْك» أي: الثابتُ؛ لأنَّ كُلَّ مُلْكٍ يومئذٍ يبطلُ ولا يبقى إلَّا ملكُه تعالى[(٨)]. وخبرُ «الملك»: «يومئذٍ»، و«الرحمن» متعلِّقٌ بـ «الحقُّ»، أو للبيان،

---

(١) وثمة قراءة أخرى لم يذكرها المصنف، مع أنها متواترة! وهي قراءة ابن كثير: «ونُنْزِلُ الملائكةَ» انظر السبعة ص٤٦٤، والتيسير ص١٦٤.

(٢) يريد: المعهود هو الله. واستفاد المصنف هذا المعنى من تفسير الرازي ٢٤/ ٧٤، وهذا نص عبارته قال: الألف واللام في الغمام ليس للعموم فهو للمعهود، والمراد ما ذكروه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٣٧.

(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ٧٤.

(٥) الكشاف ٣/ ٨٩، وما بين حاصرتين منه.

(٦) تفسير الرازي ٢٤/ ٧٤.

(٧) الكشاف ٣/ ٨٩.

(٨) المصدر السابق.

أعني: للرحمن. وقيل: الخبرُ «للرحمن»، و«يومئذٍ» معمول لـ «المُلْكُ». وقيل: الخبر «الحقُّ»، و«للرحمن» متعلّقٌ به أو للبيان.

وعُسْرُ ذلك اليومِ على الكافرين بدخولهم النار، وما في خلال ذلك مِن المخاوف، ودلَّ قولُهُ: «على الكافرين» على تيسيره على المؤمنين، ففي الحديث: «إنَّه يُهَوَّنُ حتَّى يكونَ على المؤمن أخفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبةٍ صلَّاها في الدنيا»[1].

والظاهرُ عمومُ «الظالم»؛ إذ اللام فيه للجنس، قاله مجاهدٌ وأبو رجاء، وقالا: «فلان» هو كنايةٌ عن الشيطان. وقال ابن عباس وجماعة: «الظالم» هنا هو عقبةُ بن أبي مُعَيط، إذ كان جنحَ إلى الإسلام، وأبيُّ بنُ خلف هو المَكْنِيُّ عنه بـ «فلان» وكان بينهما مخالَّةٌ، فنهاه عن الإسلام، فقبلَ منه. وعن ابن عباس أيضاً عكسُ هذا القول[2].

قيل: وسببُ نزولها هو عقبةُ وأبيّ. وقيل: كان عقبةُ خليلاً لأميَّةَ، فأسلمَ عقبةُ، فقال أمية: وجهي من وجهِك حرامٌ إن تابعتَ[3] محمَّداً، فكفر وارتدَّ لرضا أميَّة، فنزلت. قاله الشعبيُّ، وذُكِر من إساءة عقبة إلى الرسول ما كان سببَ أنْ قال له الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا ألقاكَ خارجاً من مكَّة إلَّا علوتُ رأسَك بالسيف»، فقُتِل عقبةُ يومَ بدرٍ صبراً، أمرَ عليّاً فضربَ عنقَه[4]، وقُتِلَ أبيُّ بنُ خلفٍ يومَ أحدٍ في المبارزة[5].

(١) أخرجه أحمد (١١٧١٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه دراج عن أبي الهيثم، وفي روايته عنه ضعف، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٤٤٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٨، وقول مجاهد وقولا ابن عباس أخرجها الطبري ١٧/ ٤٤٠-٤٤٢.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: بايعت. ولم تنقط في (ت) والمثبت من (ح) وتفسير الطبري ١٧/ ٤٤٠ ـ والقول مخرج فيه ـ وأسباب النزول للواحدي ص٣٤٧، وزاد المسير ٦/ ٨٦.
(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٤٠١) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ. وهو إسناد تالف، وفيه أن الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.
وخبر قتل عليٍّ ﷺ لعقبة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٣٩٤) و(٩٧٣١) من حديث ابن عباس ﷺ. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٤.
(٥) الكشاف ٣/ ٨٩-٩٠، وأخرجه عبد الرزاق (٩٧٣١) ومن طريقه الطبري ١٧/ ٤٤٠-٤٤١.

والمقصود ذكرُ هَوْلِ يوم القيامة بتندُّم الظالم وتمنِّيه أنَّه لم يكن أطاعَ خليلَه الذي كان يأمره بالظلم، وما مِنْ ظالمٍ إلَّا وله في الغالب خليلٌ خاصٌّ به، يُعَبَّر عنه بـ: فلان[١].

والظاهرُ أنَّ الظالمَ يَعَضُّ على يديه فعلَ النادم المتفجِّع. وقال الضَّحَّاك: يأكلُ يديه إلى المرفق، ثمَّ تنبتُ، ولا يزالُ كذلك، كلَّما أكلَها نبتت[٢]. وقيل: هو مجازٌ عَبَّر به عن التحيُّر والغمِّ والندمِ والتفجُّع. ونقل أئمَّة اللغةِ أنَّ المتأسِّفَ المتحزِّنَ المتندِّمَ يعضُّ على إبهامه ندماً، وقال الشاعر:

لـطَـمَـتْ خـدَّهـا بـحُـمْـرٍ لِـطَـافٍ   نِـلْـنَ مـنـهـا عَـذَابَ بـيْـضٍ عِـذَابِ
فـتـشـكَّـى الـعُـنَّـابُ نَـوْرَ أقـاحٍ   واشـتـكـى الـوردُ نـاضـرَ الـعُـنَّـابِ[٣]

وفي المثل: يأكلُ يديه ندماً، ويسيلُ دمعُهُ دماً.

وقال الزمخشريُّ: عضُّ الأنامل واليدين، والسقوطُ في اليد، وأكلُ البَنان وحَرْقُ الأسنان[٤] والأُرَّم[٥] وقرعُها[٦] كناياتٌ عن الغيظِ والحسرةِ؛ لأنَّها مِنْ روادفها[٧]، فتُذْكَرُ الرادفةُ، ويُدَلُّ بها على المَرْدُوفِ، فيرتفعُ الكلامُ به في طبقة الفصاحة ويجدُ السامعُ عندَه في نفسِهِ من الروعة والاستحسانِ ما لا يجدُ عند لفظِ المَكْنِيِّ عنه[٨]. انتهى.

وقال الشاعر في حرق الناب:

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/٢٠٨.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ٧٦.
(٣) البيتان للسري بن أحمد الكندي المعروف بالرَّفَّاء، وهما في يتيمة الدهر ٢/١٨٦. وفيه: نال. بدل: نلن.
(٤) حرق الأسنان: حكُّ بعضها على بعض بحيث يسمع لها صوت، كما يفعل في شدة الغضب. حاشية الشهاب ٦/ ٤٢٠.
(٥) الأُرَّم، كُرُكَّع: الأضراس. القاموس (أرم).
(٦) في (أ) و(ت) و(ع): وفرعها. وفي المطبوع: وفروعها. والمثبت من (ح).
(٧) روادفها، أي: لوازمها التي تقع بعدها غالباً، فهي لازمة لها في العادة والعرف. حاشية الشهاب ٦/ ٤٢٠.
(٨) الكشاف ٣/ ٨٩.

أبى الضيمَ والنعمانُ يَحْرُقُ نابَهُ عليه فأفْضَى والسيوفُ مَعَاقِلُهْ[١]

«يقول» في موضع الحال، أي: قائلاً: يا ليتني؛ فإن كانت اللامُ للعهد، فالمعنى أنَّه تمنَّى عقبةُ أنْ لو صحبَ النبيَّ ﷺ، وسلكَ طريقَ الحقِّ، وإن كانت اللامُ للجنس، فالمعنى أنَّه تمنَّى سلوكَ طريق الرسول، وهو الإيمان، ويكون «الرسول» للجنس؛ لأنَّ كلَّ ظالمٍ قد كُلِّف اتِّباعَ ما جاءَ به رسولٌ من الله، إلى أنْ جاءت الملَّة المحمدية فنَسخَت جميعَ الملل، فلا يُقْبَل بعدَ مجيئه دينٌ غير الذي جاء به، ثمَّ ينادي بالويل والحسرة يقول: «يا ويلتَى» أي: يا هلكاه، كقوله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقرأ الحسنُ وابنُ قطيب: «يا ويلتي» بكسر التاء والياء[٢] ياء الإضافة، وهو الأصلُ؛ لأنَّ الرجلَ ينادي ويلتَه، وهي هلكَتُه، يقول لها: تعالَي فهذا أوانُك[٣].

وقرأت فرقة بالإمالة[٤]، قال أبو علي: وتركُ الإمالة أحسن؛ لأنَّ[٥] هذه اللفظة أصلها[٦] الياء، فبُدِّلَت الكسرةُ فتحةً، والياءُ ألفاً؛ فراراً من الياء، فمن أمالَ رجعَ إلى الذي عنه فرَّ أوَّلاً[٧].

و«فلان» كنايةٌ عن العلم، وهو متصرِّفٌ، وفُلُ كنايةٌ عن نكرةِ الإنسان، نحو: يا رجل، وهو مختصٌّ بالنداء، وفُلَةُ بمعنى: يا امرأة كذلك، ولام فُلُ ياءٌ أو واو، وليس مرخَّماً من: فلان، خلافاً للفرَّاء، ووهم ابنُ عصفور[٨] وابنُ مالك[٩]

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص١٤٣. قال شارحه: وأفضى: صار في فضاء.
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٩٠.
(٤) هي قراءة حمزة والكسائي. السبعة ص٤٦٤، والتيسير ص٤٨.
(٥) من هنا خرم في النسخة (ت) ينتهي ص٢٤٧.
(٦) لفظة: أصلها. من (ح) وليست في (أ) و(ع) والمطبوع.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩، وكلام أبي علي في الحجة ٥/ ٣٤٣.
(٨) في المقرب ١/ ١٨٢.
(٩) في شرح التسهيل ٣/ ٣١٦.

وصاحب «البسيط»(١) في قولهم: فل كنايةٌ عن العَلَم، كفلان، وفي «كتاب» سيبويه ما قلناهُ بالنقلِ عن العرب(٢).

و«الذِّكر»: ذكرُ الله، أو القرآنُ، أو الموعظةُ، والظاهرُ حملُ «الشيطان» على ظاهرهِ؛ لأنَّه هو الذي وسوسَ إليه في مخالَّة مَنْ أضلَّه، [أو يريدُ خليلَه الذي أضلَّه](٣)، سمَّاه شيطاناً لأنَّه يُضِلُّ كما يُضِلُّ الشيطان، ثم خذلَه ولم ينفعهُ في العاقبة، وتحتمل هذه الجملةُ أن تكونَ من تمام كلامِ الظالم، ويحتملُ أن تكونَ إخباراً من كلام الله(٤)، على جهة الدلالةِ على وجهِ ضلالهم، والتحذيرِ من الشيطان الذي بَلَّغهُم ذلكَ المبلغ، وفي الحديث الصحيح تمثيلُ الجليسِ الصالح بالمسكِ، والجليسِ السوء بنافخِ الكير(٥).

والظاهر أنَّ دعاءَ رسول الله ﷺ ربَّه، وإخبارَه بهَجْرِ قومهِ قريش القرآنَ هو ممَّا جرى له في الدنيا(٦)، بدليل إقباله عليه مسلِّياً مؤانساً(٧) بقوله: «وكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّاً من المجرمين» وأنَّه هو الكافي في هدايته ونَصْرِهِ، فهو وعدٌ منه بالنصر. وهذا القولُ من الرسول وشكايتهِ فيه تخويفٌ لقومه. وقالت فرقةٌ منهم أبو مسلم: إنَّه قولُه عليه الصلاة والسلام في الآخرة، كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(٨) [النساء: ٤١].

والظاهرُ أنَّ «مهجوراً» بمعنى متروكاً من الإيمان به، مبعَداً مَقْصيّاً(٩)، من

---

(١) هو أبو عبد الله، ضياء الدين، محمد بن علي الإشبيلي، المعروف بابن العلم، كما صرح بذلك المصنف عند تفسير الآية (٢١) من سورة الجاثية.

(٢) الكتاب ٢/ ٢٤٨.

(٣) ما بين حاصرتين من النهر الماد ٦/ ٤٩٣ (بهامش البحر المحيط).

(٤) الكشاف ٣/ ٩٠.

(٥) أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩.

(٧) في مطبوع النهر الماد: ومواسياً.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩ عن فرقة، وذكر عن أبي مسلم الرازيُّ في تفسيره ٢٤/ ٧٦.

(٩) كذا وقعت العبارة هنا وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩ يقال: أقصاه غيره، فهو مقصى، ولا تقل: مَقْصِيّ. الصحاح واللسان (قصا).

الهَجْرِ، بفتح الهاء [وهذا قولُ ابن زيد، ويحتملُ أنْ يُريدَ مقولاً فيه الهُجْر، بضمِّ الهاء](١)، وقاله مجاهدٌ والنخعيُّ وأتباعه(٢). وقيل: من الهُجْر(٣)، والتقديرُ: مهجوراً فيه، بمعنى أنَّه باطلٌ وأساطيرُ الأولين، أو أنَّهم إذا سمعوه هَجَرُوا فيه، كقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. قال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون المهجورُ بمعنى الهُجْر، كالمجلودِ والمعقول، والمعنى: اتخذوهُ هُجْراً. والعدوُّ يجوزُ أن يكون واحداً وجمعاً. انتهى(٤).

وانتصب «هادياً ونصيراً» على الحال، أو على التمييز.

وقالوا، أي: الكفَّار على سبيل الاقتراح والاعتراض الدالّ على نفورهم عن الحقِّ. قال الزمخشريُّ: «نُزِّل» هاهنا بمعنى: أُنزِل لا غير، كخُبِّرَ بمعنى أُخبِر، وإلَّا كان متدافعاً. انتهى(٥). وإنَّما قال: إنَّ «نُزِّل» بمعنى أُنْزِل؛ لأنَّ نُزِّل عندَه أصلُها أن تكون للتفريق، فلو أقرَّه على أصلهِ عنده من الدلالة على التفريق، تدافعَ هو وقولهُ: «جملةً واحدة»، وقد قرَّرنا أنَّ «نزّل» لا تقتضي التفريقَ؛ لأنَّ التضعيفَ فيه عندنا مرادفٌ للهمزة، وقد بيَّنا ذلك في أول «آل عمران»(٦).

وقائلُ ذلك كفَّارُ قريش، قالوا: لو كان هذا من عند الله لنُزِّلَ جملةً، كما نُزِّلت التوراةُ والإنجيل. وقيل: قائلو ذلك اليهودُ.

وهذا قولٌ لا طائلَ تحته؛ لأنَّ أمرَ الاحتجاج به والإعجاز لا يختلفُ بنزوله جملةً واحدة أو مفرَّقاً، بل الإعجازُ في نزوله مفرَّقاً أظهرُ؛ إذ يطالَبون بمعارضةِ سورةٍ منه، فلو نزل جملةً واحدةً، وطولبوا بمعارضته مثل ما نزل، لكانوا أعجزَ منهم حين طولبوا بمعارضةِ سورةٍ منه فعجزوا.

---

(١) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩، وعنه نقل المصنف. ووقع هذا السقط أيضاً في نسخة البحر التي عند الآلوسي، فنقل عنها على الخلل الذي فيها. انظر روح المعاني ١٩/ ٣٢.

(٢) أقوال ابن زيد ومجاهد والنخعي أخرجها الطبري ١٧/ ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) قال الشهاب الخفاجي في حاشيته ٦/ ٤٢١: بالضم، لا بالفتح كما تُوهِّم.

(٤) الكشاف ٣/ ٩٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) عند تفسير الآية (٣) منها.

والمشار إليه غيرُ مذكور، فقيل: هو من كلام الكفَّار، وأشاروا إلى التوراة والإنجيل، أي: تنزيلاً مثل تنزيلِ تلك الكتب الإلهيَّة جملةً واحدة، ويبقى «لنثبِّتَ به فؤادَك» تعليلاً لمحذوف، أي: فرَّقناه في أوقاتٍ لنثبِّت به فؤادَك. وقيل: هو مستأنَفٌ من كلام الله تعالى لا من كلامهم.

ولمَّا تضمَّنَ كلامُهم معنى: لمَ أُنزلَ مفرَّقاً؟ أُشيرَ بقوله: «كذلك» إلى التفريق، أي: كذلك أُنزِلَ مفرَّقاً. قال الزمخشريُّ: والحكمةُ فيه أنْ نقوِّيَ بتفريقِهِ فؤادَك حتى تعيَهُ وتحفظَه، لأنَّ المتلقِّنَ إنما يَقوى قلبُه على حفظِ العلم شيئاً بعد شي وجزءاً عقيبَ جزء، ولو أُلقيَ عليه جملةً واحدةً، لكان يعيا في حفظه[1]، والرسولُ عليه الصلاة والسلام فارقت حالُه حالَ داود وموسى وعيسى عليهم السلام، حيث كان أميّاً [لا يقرأ و] لا يكتب، وهم كانوا قارئين كاتبين، فلم يكن له بدٌّ من التلقُّن والتحفُّظ، فأُنْزِلَ عليه منجَّماً في عشرين سنة. وقيل: في ثلاثٍ وعشرين سنة. وأيضاً فكان ينزلُ على حسب الحوادثِ وجواب السائلين، ولأنَّ بعضَه منسوخٌ، وبعضَه ناسخٌ، ولا يتأتَّى ذلك إلَّا فيما أُنْزِلَ مفرَّقاً. انتهى[2].

واللام في «لنثبِّتَ به» لام العلة. وقال أبو حاتم: هي لام القسم، والتقدير: والله لنُثَبتنَّ، فحُذِفت النون، وكُسرت اللام. انتهى. وهذا قولٌ في غاية الضعف، وكأنَّه ينحو إلى مذهب الأخفش أنَّ جوابَ القسم يُتَلَقَّى بلام كي، وجعل منه: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ﴾ [الأنعام: ١١٣]، وهو مذهبٌ مرجوحٌ.

وقرأ عبدُ الله: «لِيُثَبِّتَ» بالياء[3]، أي: ليثبِّتَ الله.

«ورتَّلناهُ» أي: فصَّلناه. وقيل: بيَّنَّاه. وقيل: فسَّرناه.

«ولا يأتونك بمثلٍ» يضربونَه على جهة المعارضة منهم، كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإنجيل إلَّا جاء القرآنُ بالحقِّ في ذلك، ثمَّ هو أوضحُ بياناً وتفصيلاً[4].

---

(١) العبارة في الكشاف: لبعل به وتعيا بحفظه.
(٢) الكشاف ٣/ ٩١ وما سلف بين حاصرتين منه.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩-٢١٠.

وقال الزمخشريُّ: «ولا يأتونك بمثَلٍ» بسؤالٍ عجيبٍ من سؤالاتهم الباطلة، كأنَّه مَثَلٌ في البُطْلان، إلَّا أتيناكَ نحنُ بالجوابِ الحقِّ الذي لا محيدَ عنه، وبما هو أحسنُ معنىً ومؤدّىً من سؤالهم. ولمَّا كان التفسيرُ هو الكشف[1] عمَّا يدلُّ عليه الكلامُ وُضِعَ موضعَ معناه، فقالوا: تفسيرُ هذا الكلام كيتَ وكيتَ، كما قيل: معناهُ كذا [وكذا]، أو ولا يأتونك بحالٍ وصفةٍ عجيبةٍ، يقولون: هلَّا كانت هذه صفتَك وحالَك، نحو: إن يُقْرَن بك ملكٌ يُنْذِر معك، أو يُلْقى إليك كنزٌ، أو تكونَ لك جنَّةٌ، أو ينزَّل عليك القرآنُ جملةً، إلَّا أعطيناك نحن[2] ما يحقُّ لك في حكمتنا ومشيئتنا أنْ تُعْطَاه، وما هو أحسنُ تكشيفاً لما بُعِثْتَ عليه، ودلالةً على صحَّته. انتهى.

وقيل: «ولا يأتونك» بشبهةٍ في إبطال أمرك، إلَّا جئناك بالحقِّ الذي يَدْحَضُ شبهةَ أهلِ الجهل، ويُبْطِلُ كلامَ أهل الزيغ.

والمفضَّلُ عليه محذوفٌ، أي: وأحسنَ تفسيراً من مَثَلِهم، ومَثَلُهم قولهم: «لولا نزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً».

«الذين يحشرون» قال الكرمانيُّ: متَّصِلٌ بقوله: «أصحابُ الجنَّة يومئذٍ» الآية [٢٤]، قيل: ويجوزُ أن يكون متَّصِلاً بقوله: «وكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدواً من المجرمين». انتهى.

والذي يَظْهَرُ أنَّهم لمَّا اعترضوا في حديث القرآن وإنزاله مفرَّقاً، كان في ضمن كلامهم أنَّهم ذوو رُشْدٍ وخير، وأنَّهم على طريقٍ مستقيم، ولذلك اعترضوا، فأخبرَ تعالى بحالهم وما يَؤولُ إليه أمرُهم في الآخرة بأنَّهم[3] شَرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً.

والظاهرُ أنَّه يُحْشَرُ الكافرُ على وجهه بأنْ يُسْحَب على وجهِه، وفي الحديث: «إنَّ الذي أمشاهم على أرجُلهم قادرٌ أنْ يمشِّيهم على وجوههم»[4] وهذا قولُ الجمهور.

---

(١) في الكشاف ٣/ ٩١: التكشيف. بدل: الكشف.
(٢) بعدها في الكشاف: من الأحوال.
(٣) في (أ) والمطبوع: بكونهم، والمثبت من (ح) و(ع).
(٤) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٨٦٤٧)، والترمذي (٣١٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه بنحوه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وقيل: هو مجازٌ للذِّلَّة المفرطةِ والهوانِ والخزي[١]. وقيل: هو من قول العرب: مرَّ فلانٌ على وجهه، إذا لم يدرِ أينَ ذهبَ، ويقال: مضى على وجهه، إذا أسرعَ متوجِّهاً لقصده.

و«شرٌّ» «وأضلُّ» ليسا على بابهما من الدلالة على التفضيل، وقوله: «شرٌّ مكاناً» أي: مُسْتَقرًّا، وهو مقابلٌ لقوله: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، ويحتملُ أن يراد بالمكانِ المكانةُ والشَّرَفُ، لا المستقرّ.

وأعربوا «الذين» مبتدأ، والجملة من «أولئك» في موضع الخبر ويجوزُ عندي أنْ يكون «الذين» خبرَ مبتدأ محذوف، لمَّا تقدَّم ذكرُ الكافرين وما قالوا، قال إبعاداً[٢] لهم وتسميعاً بما يَؤول إليه حالُهم: هم الذين يحشرون، ثم استأنفَ إخباراً آخرَ[٣] عنهم فقال: «أولئك شرٌّ مكاناً».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

لمَّا تقدَّم تكذيبُ قريشٍ والكفَّار لما جاءَ به رسولُ الله ﷺ، ذكرَ تعالى ما فيه تسليةٌ للرسول، وإرهابٌ للمكذِّبين، وتذكيرٌ لهم أنْ يصيبَهم ما أصابَ الأمم السابقة من هلاك الاستئصال لمَّا كذَّبوا رسلَهم، فناسبَ أن ذَكَرَ أوَّلاً من نُزِّلَ عليه كتابُهُ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٠.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: إيعاداً. والمثبت من مطبوع النهر الماد ٦/ ٤٩٧ (بهامش البحر).
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: أخبر. والمثبت من مطبوع النهر الماد.

جملةً واحدةً، ومع ذلك كفروا وكذَّبوا به، فكذلك هؤلاء، لو نُزِّلَ عليه القرآنُ دفعةً واحدةً لكذَّبوا وكفروا كما كَذَّب قومُ موسى.

و«الكتاب» هنا التوراة، و«هارون» بدلٌ، أو عطفُ بيانٍ، واحتمل أن يكون «معه» المفعولُ الثاني لـ «جعلنا» وأنْ يكون «وزيراً».

والوزارةُ لا تنافي النبوَّة، فقد كان في الزمان الواحد أنبياء يُؤازرُ بعضُهم بعضاً.

والمذهوبُ إليهم القبطُ وفرعون. وفي الكلام حذفٌ، أي: فذهبا وأدَّيا الرسالةَ، فكذَّبوهما، فدمَّرناهم، والتدميرُ أشدُّ الإهلاك، وأصلُه كسرُ الشيء على وجهٍ لا يمكنُ إصلاحُه.

وقصَّة موسى ومَنْ أُرسِلَ إليه ذُكرت مسهبةً في غير ما موضع، وهنا اختُصِرَت، فأوجزَ بذكرِ أوَّلها وآخرها؛ لأنَّه بذلك تلزمُ الحجَّةُ ببعثة الرسل واستحقاقِ التدمير بتكذيبهم.

وقرأ عليٌّ والحسن ومسلمةُ بن محارب: «فَدَمِّراهُم» على الأمر لموسى وهارون(١)، وعن عليٍّ أيضاً كذلك، إلَّا أنَّه مؤكَّدٌ بالنون الشديدة(٢)، وعنه أيضاً: «فَدَمِّرا» أمراً لهما «بهم» بباء الجر(٣)، ومعنى الأمر: كُونا سببَ تدميرهم.

وانتصب «وقومَ نوحٍ» على الاشتغال، وكان النصبُ أرجحَ؛ لتقدُّم الجمل الفعليَّة قبل ذلك، ويكونُ «لمَّا» في هذا الإعراب ظرفاً على مذهب الفارسيّ، وأمَّا إن كانت حرفَ وجوبٍ لوجوب، فالظاهرُ أنَّ «أغرقناهم» جوابُ «لمَّا» فلا يُفَسِّرُ ناصباً لـ «قوم»، فيكون معطوفاً على المفعول في «فدمَّرناهم»، أو منصوباً على مضمرٍ تقديره: اذكر، وقد جوّزَ الوجوهَ الثلاثةَ الحوفي.

(١) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٠، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٩٢ عن عليٍّ فقط.

(٢) أي: «فدَمِّرانِّهم»، وهي في المحتسب ٢/ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢١٠ عن علي ومسلمة بن محارب.

(٣) المحتسب ٢/ ١٢٢.

«لمَّا كذبوا الرسل» كَذَّبوا نوحاً ومَنْ قبله، أو جعلَ تكذيبَهم لنوحٍ تكذيباً للجميع، أو لم يروا بعثةَ الرسل، كالبراهمة(١).

والظاهرُ عطف «وعاداً» على «وقوم»، وقال أبو إسحاق: يكون معطوفاً على الهاء والميم في «وجعلناهم للناس آية» قال: ويجوزُ أن يكون معطوفاً على «الظالمين»؛ لأنَّ التأويلَ: وعدنا الظالمينَ بالعذابِ، ووعدنا عاداً وثموداً(٢).

وقرأ عبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى: «وثمودَ» غير مصروف(٣).

«وأصحاب الرسّ» قال ابنُ عباس: هم قومُ ثمود(٤). ويبعدُه عطفُه على ثمود؛ لأنَّ العطفَ يقتضي التغاير.

وقال قتادة: أهلُ قريةٍ من اليمامة، يقال لها: الرَّسّ والفَلَج(٥). وقيل: قتلوا نبيَّهم فهلكُوا، وهم بقيَّة ثمود وقوم صالح(٦).

وقال كعب ومقاتل والسُّدِّي: بئر بأنطاكية الشام، قُتِلَ فيها صاحبُ ياسين، وهو حبيب النجار(٧).

وقيل: قتلوا نبيَّهم ورَسُّوه في بئر، أي: دسُّوه فيه(٨).

(١) الكشاف ٣/ ٩٢. والعبارة فيه: أولم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٨.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٠، وهي قراءة متواترة، قرأ بها حفص وحمزة ويعقوب. انظر السبعة ص٣٣٧، والتيسير ص١٢٥، والنشر ٢/ ٢٨٩.
(٤) كذا ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٠. وأخرجه الطبري ١٧/ ٤٥٢ ونصُّه فيه: قريةٌ من ثمود. فيكون من عطف الخاص على العام. وعليه لا وجه للاعتراض الذي سيذكره المصنف.
(٥) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٥٢.
(٦) وقع في تفسير الثعلبي ٤/ ٤١٦: الرس: قرية بفلج اليمامة، قتلوا نبيهم فأهلكهم الله. وقال بعضهم: هم بعثة هود قوم صالح (كذا).
ونقله عن الثعلبي البغوي، وفيه: بقية ثمود وقوم صالح.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ٤١٦، وتفسير البغوي.
(٨) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٥٢ من قول عكرمة. وقوله: رسُّوه، أي: دسُّوه فيها، هو قول الزجاج. انظر معاني القرآن له ٤/ ٦٨.

وقال وهبٌ والكلبيّ: أصحابُ الرسّ وأصحابُ الأيكة قومان أُرْسِل إليهما شعيبٌ[(١)]، أرسِلَ إلى أصحاب الرسِّ، وكانوا قوماً من عبدة الأصنام، وأصحابَ آبارٍ ومواش، فدعاهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه، فبينما هم حول الرسِّ ـ وهي البئر غير المطوية، عن أبي عبيدة[(٢)] ـ انهارتْ بهم فخُسِفَ بهم وبدارهم.

وقال عليٌّ فيما نقله الثعلبيُّ: قومٌ عبدوا شجرةَ صنوبر يقال لها: شاه درخت، رَسُّوا نبيَّهم في بئرٍ حفروه له، في حديثٍ طويل[(٣)]. وقيل: هم أصحابُ النبيِّ حنظلةَ بن صفوان، كانوا مبتلَين بالعنقاء، وهي أعظمُ ما يكون من الطير، سُمِّيت بذلك لطول عُنقها، وكانت تسكنُ جبلهم الذي يقال له: فتح[(٤)]، وهي تنقضُّ على صبيانهم، فتخطفُهم إن أعوزَها الصيد، فدعا عليها حنظلةُ، فأصابتها الصاعقةُ، ثمَّ إنهم قتلوا حنظلة، فأهكلوا[(٥)].

وقيل: هم أصحابُ الأخدود، و«الرسّ» هو الأخدود[(٦)].

وقال ابن عباس: «الرسّ» بئرُ أذربيجان. وقيل: «الرسّ» ما بين نجران إلى اليمن إلى حضرموت[(٧)].

وقيل: قومٌ بَعَثَ الله إليهم أنبياء فقتلوهم، ورسُّوا عظامَهم في بئر.

وقيل: قومٌ بُعِثَ إليهم نبيٌّ فأكلوه. وقيل: قوم نساؤهم سواحق[(٨)].

---

(١) القول في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٠-٢١١ عن قتادة ووهب، وقبله بقليل قول الكلبي، فلعله انتقال بصر من المصنف.
وقول الكلبي في المحرر الوجيز: «أصحاب الرس» قوم بُعث إليهم نبي فأكلوه.

(٢) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٢٣، ونقله المصنف بواسطة الزمخشري في الكشاف ٣/ ٩٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٤١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢١١، وعنه نقل المصنف.

(٤) في المطبوع: فج.

(٥) الكشاف ٣/ ٩٢، وذكره مطولاً الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤١٦ من قول سعيد بن جبير وابن الكلبي والخليل.

(٦) الكشاف ٣/ ٩٢.

(٧) هذا القول والقول الذي قبله في النكت والعيون ٤/ ١٤٥.

(٨) هذا القول والذي قبله قول واحدٌ لابن السائب الكلبي، ذكره الماوردي في النكت والعيون

وقيل: الرسُّ ماءٌ ونخلٌ لبني أسد. وقيل: «الرسّ» نهرٌ من بلاد المشرق بعث الله إليهم نبيّاً من أولاد يهوذا بن يعقوب، فكذَّبوه، فلبث فيهم زماناً، فشكا إلى الله منهم، فحفروا له بئراً، وأرسلوه فيها، وقالوا: نرجو أن يرضى عنا إلهنا، فكانوا عامَّة يومهم يسمعونَ أنين نبيِّهم، فدعا بتعجيل قبض روحه، فماتَ، وأظلَّتهم سحابةٌ سوداء أذابتهم كما يذوبُ الرصاص[١].

ورَوى عكرمةُ ومحمد بن كعب القرظيّ عن النبيِّ ﷺ أنَّ أهلَ الرسِّ أخذوا نبيَّهم فرسُّوه في بئرٍ، وأطبقوا عليه صخرةً، فكان عبدٌ أسود قد آمنَ به يجيءُ بطعامٍ إلى تلك البئر، فيعينُه الله على تلك الصخرة، فيقلعُها، فيعطِيه ما يغذِّيه به، ثم يردُّ الصخرةَ إلى أن ضرب الله يوماً على أذن ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة، وأخرجَ أهلُ القرية نبيَّهم فآمنوا به في حديثٍ طويل. قال الطبريُّ: فيمكنُ أنَّهم كفروا بعد ذلك فذكرَهم الله في هذه الآية[٢].

وكثر الاختلافُ في أصحاب الرسّ، فلو صحَّ ما نقلَهُ عكرمةُ ومحمد بن كعب، كان هو القول الذي لا يمكنُ خلافُه، وملخَّصُ هذه الأقوال أنَّهم قومٌ أهلكَهم الله بتكذيبِ من أُرسل إليهم.

«وقروناً بين ذلك كثيراً» هذا إبهامٌ لا يعلمُ حقيقةَ ذلك إلّا الله، و«ذلك» إشارةٌ إلى أولئك المتقدِّمي الذِّكر، فلذلك حَسُنَ دخولُ «بين» عليه من غير أنْ يعطف عليه شيءٌ، كأنَّه قيل: بين المذكورين، وقد يَذكر الذاكرُ أشياء مختلفةً، ثم يشيرُ إليها [بـ «ذلك»][٣].

= ٤/ ١٤٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٩٠، وفيهما: وأول من عمل السحر نساؤهم. وهو تحريف. وأورد قصتهم مطولة جداً الثعلبي، انظر تفسيره ٤/ ٤٢١، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ١٥/ ٤١٣.

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٤١٨-٤١٩. مطولاً. واختصار المصنف للخبر مخلٌّ، فانظره هناك.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١١، وكلام الطبري في تفسيره ١٥/ ٤٥٥، والخبر مخرج فيه عن محمد بن كعب القرظي فقط مرسلاً وذكره ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن جرير، وقال: وفيه غرابة ونكارة، ولعل فيه إدراجاً، والله أعلم.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ٩٢. وما بين حاصرتين منه ومن النهر الماد ٦/ ٤٩٧ (بهامش البحر).

وانتصبَ «كلًّا» الأول على الاشتغال، أي: وأنذَرْنا كلًّا، أو حَذَّرْنا كلًّا، والثاني على أنَّه مفعول بـ «تَبَّرنا»؛ لأنَّه لم يأخذ مفعولاً، وهذا من واضح الإعراب.

ومعنى ضَرْب الأمثال، أي: بَيَّنّا لهم القصصَ العجيبةَ من قصص الأوَّلين، ووصفنا لهم ما أدَّى إليه تكذيبُهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميرِهِ إيَّاهم؛ ليهتدوا بضربِ الأمثالِ، فلم يهتدوا.

وأبعدَ من جعلَ الضميرَ في «له» لرسول الله ﷺ، قال: والمعنى: وكلَّ الأمثال ضربنا للرسول، وعلى هذا «وكلًّا» منصوبٌ بـ «ضربنا» و«الأمثال» بدلٌ من «كلًّا»[١].

والضميرُ في «ولقد أتوا» لقريشٍ، كانوا يمرُّون على سَدُوم[٢] من قرى قوم لوط في متاجرهم إلى الشام[٣].

وكانت قرىً خمسةً، أهلكَ اللهُ منها أربعاً، وبقيت واحدة، وهي زُغَر[٤]، لم يكن أهلُها يعملون ذلك العمل، قاله ابنُ عباس[٥].

و«مطر السَّوء»: الحجارةُ التي أُمطِرت عليهم من السماء، فهلكوا، وكان إبراهيم عليه السلام ينادي: نصيحةٌ لكم يا سَدوم، يومٌ لكم من الله عزَّ وجلَّ، أنهاكم أن تتعرَّضوا للعقوبة من الله.

ومعنى «أتوا»: مرُّوا، فلذلك عدَّاه بـ «على»، وأفرد لفظ «القرية»، وإن كانت قرى؛ لأنَّ سَدوم هي أمُّ تلك القرى وأعظمُها.

---

(١) قال الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٤٧: وعندي أنه مما لا ينبغي أن يفسَّر به كلام الله تعالى.

(٢) بالدال المهملة، كما في الصحاح (سدم)، وصحح الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٤ أنها بالمعجمة.

(٣) الكشاف ٣/ ٩٢.

(٤) في تفسير الثعلبي: صغر. ونقل البكري في معجم ما استعجم ٢/ ٦٩٩ عن ابن سهل الأحول قال: سميت بزُغَر بنت لوط.

(٥) القول في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٢١-٤٢٢ دون نسبته لابن عباس.

وقال مكّي: الضميرُ في «أتوا» عائدٌ على الذين اتَّخذوا القرآن مهجوراً. انتهى[١]. وهم قريش، وانتصبَ «مطرَ» على أنَّه مفعولٌ ثانٍ لـ «أُمْطِرَتْ» على معنى أوليت، أو على أنَّه مصدرٌ محذوف الزوائد، أي: إمطارَ السوء.

«أفلم يكونوا يرونها» أي: ينظرونَ إلى ما فيها من العِبَر والآثار الدَّالة على ما حلَّ بها من النِّقَم، كما قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِالَّيْلِ﴾ [الصافَّات]، وقال: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، وهو استفهامٌ معناه التعجُّب، ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أنْ يحلَّ بهم في الدنيا ما حلَّ بأولئك، «بل كانوا» كفرةً لا يؤمنون بالبعث، فلم يتوقَّعوا عذابَ الآخرة، وضعَ الرجاءَ موضعَ التوقُّع؛ لأنَّه إنَّما يتوقَّعُ العاقبةَ مَنْ يؤمنُ، فمن ثَمَّ لم ينظروا ولم يتفكَّروا، ومرُّوا بها كما مرَّت ركابُهم. أو لا يأملونَ نشوراً كما يأمله المؤمنون؛ لطمعهم في [الوصول] إلى ثواب أعمالهم، أو: لا يخافونَ، على اللغة التهاميَّة[٢].

وقرأ زيدُ بن عليّ: «مُطِرَت» ثلاثياً مبنيًّا للمفعول، و«مَطَرَ» متعدٍّ، قال الشاعر:

كَمَنْ بِواديه بعدَ المَحْلِ مَمْطورِ[٣]

وقرأ أبو السمَّال: «مطرَ السُّوء» بضم السين[٤].

«وإذا رأوك إنْ يتَّخذونَك إلَّا هُزواً» لم يقتصر المشركون على إنكار نبوَّة الرسول عليه الصلاة والسلام وتركِ الإيمان به، بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار، حتى يقولَ بعضُهم لبعض: «أهذا الذي بعثَ الله رسولاً»، و«إن» نافيةٌ جوابُ «إذا»، وانفردت «إذا» بأنَّه إذا كان جوابُها منفيًّا بـ «ما» أو بـ «لا»[٥] لا تدخلُهُ الفاء، بخلاف أدوات الشرط غيرها، فلا بدَّ من الفاء مع «ما» ومع «لا» إذا ارتفعَ

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٢٢٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٩٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) عجز بيت للفرزدق، وصدره:

إنِّي وإيَّاك إن بَلَّغْنَ أرحُلنا

ديوان الفرزدق ١/ ٢١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢١١.

(٥) أو «بإن» الدر المصون ٨/ ٤٨٥.

المضارع، فلو وقعت[١] «إن» النافية في جواب غير «إذا»، فلا بدَّ من الفاء كـ «ما» النافية.

ومعنى «هُزُواً»: موضعَ هُزْءٍ، أو مهزوءاً به.

«أهذا» قبله قولٌ محذوف، أي: يقولون، وقال[٢]: جوابُ «إذا» ما أُضْمر من القول، أي: وإذا رأوك قالوا: أهذا الذي بعث الله رسولاً، و«إن يتخذونَك» جملةٌ اعتراضيَّةٌ بين «إذا» وجوابها.

قيل: ونزلت في أبي جهلٍ، كان إذا رأى الرسولَ عليه الصلاة والسلام قال: أهذا الذي بعثَ الله رسولاً[٣].

وأخبرَ بلفظ الجمع تعظيماً لقُبْح صُنْعه، أو لكون جماعةٍ معه قالوا ذلك، والظاهرُ أنَّ قائلَ ذلك جماعةٌ كثيرةٌ.

وهذا الاستفهامُ استصغارٌ واحتقارٌ منهم، أخرجوه بقولهم: «بعث الله رسولاً» في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار؛ سخريةً واستهزاءً، ولو لم يَستهزئوا لقالوا: هذا زعمَ أو ادَّعى أنَّه مبعوثٌ من عند الله رسولاً.

وقولُهم: «إن كاد ليُضِلُّنا» دليلٌ على فرط مجاهدة رسول الله ﷺ في دعوتهم، وبذلِه قُصَارى الوسع والطَّاقة في استعطافهم، مع عَرْض الآيات والمعجزات، حتى شارفُوا بزعمهم أن يتركُوا دينَهم إلى دين الإسلام لولا فرطُ لجاجهم واستمساكهم بعبادةِ آلهتهم، و«لولا» في مثل هذا الكلام جارٍ من حيثُ المعنى لا من حيث اللفظ مجرى التقييد للحكم المطلق. قاله الزمخشريُّ[٤].

وقال أبو عبد الله الرازي: الاستهزاءُ؛ إمَّا بالصُّورةِ، فكان أحسنَ منهم خلقة، أو بالصفة، فلا يمكنُ؛ لأنَّ الصفةَ التي تميَّز بها عنهم ظهورُ المعجزِ عليه دونَهم، وما قدروا على القدح في حجَّته، ففي الحقيقة هم الذين يَستحقُّونَ أنْ يُهْزَأ بهم، ثم

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع): رفعت. والمثبت من المطبوع.
(٢) كذا، ولعلها: وقيل.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٢٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤١٦.
(٤) في الكشاف ٣/ ٩٣.

لوقاحتهم قلبوا القصَّة[١] واستهزؤوا بالرسول عليه الصلاة والسلام. انتهى.

قيل: وتدلُّ الآيةُ على أنَّهم صاروا في ظهورِ حجَّته - عليه الصلاة والسلام - عليهم كالمجانين، استهزؤوا به أوَّلاً، ثمَّ إنَّهم وصفوه بأنَّه كاد يُضِلُّنا عن مذهبنا، لولا أنَّا قابلناه بالجمود والإصرار، فهذا يدلُّ على أنَّهم سلَّموا له قوَّةَ الحجَّة وكمالَ العقل، فكونهم جمعوا بين الاستهزاء به وبين هذه الكيدودة دلَّ على أنَّهم كانوا كالمتحيِّرين في أمره؛ تارةً يستهزئون منه، وتارةً يصفونه بما لا يليقُ إلَّا بالعالِم الكامل.

«وسوف يعلمون» وعيدٌ ودلالةٌ على أنَّهم لا يفوتونه، وإن طالت مدَّةُ الإمهال، فلا بدَّ للوعيد أنْ يلحقَهم، فلا يغرنَّهم التأخيرُ. ولمَّا قالوا: «إن كاد لَيُضِلُّنا» جاء قولُهُ: «مَنْ أضلُّ سبيلاً» أي: سيظهرُ لهم مَنِ المُضِلُّ ومن الضَّالُّ بمشاهدة العذاب الذي لا مخلصَ لهم منه.

والظاهرُ أنَّ «مَنْ» استفهامية، و«أضلُّ» خبرُه، والجملةُ في موضع مفعول «يعلمون» إن كانت متعدِّيةً إلى واحد، أو في موضع مفعولين إن كانت تعدَّت إلى اثنين، ويجوزُ أنْ تكونَ «مَن» موصولةً مفعولة بـ «يعلمون»، و«أضلُّ» خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو أضلُّ، وصار[٢] حذفُ هذا المضمَر للاستطالة التي حصلت في قول العرب: ما أنا بالذي قائلٌ لك سوءاً.

«أفرأيتَ من اتَّخذَ إلهه هواه» هذا يأسٌ عن إيمانهم وإشارةٌ إليه عليه الصلاة والسلام أن لا يتأسَّفَ عليهم، وإعلامٌ أنَّهم في الجهل بالمنافع، وقلَّةِ النظر في العواقب، مثلُ البهائم، ثمَّ ذكر أنَّهم أضلُّ سبيلاً من الأنعام من حيث لهم فهمٌ وتركوا استعمالَه فيما يخلِّصهُم من عذاب الله، والأنعامُ لا سبيلَ لهم إلى فهم المصالح[٣].

و«أرأيت» استفهامُ تعجُّبٍ مِنْ جَهل مَنْ هذه حاله. و«إلهه» المفعولُ الأول

(١) في تفسير الرازي ٢٤/ ٨٥: القضية.
(٢) في النهر الماد ٦/ ٤٩٨: وجاز.
(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢١١-٢١٢.

لـ «اتَّخَذَ» و«هواه» الثاني، أي: أقامَ مُقام الإله الذي يعبدهُ هواهُ، فهو جارٍ على ما يكون في هواه، والمعنى أنَّه لم يتَّخذ إلهاً إلَّا هواه، وادِّعاءُ القلب ليس بجيِّدٍ؛ إذ يقدِّره: من اتَّخذ هواهُ إلهه، والبيتُ[١] من ضرائر الشعر ونادرِ الكلامِ، فينزَّهُ كلامُ الله عنه.

كان الرجلُ يعبدُ الصنمَ، فإذا رأى أحسنَ منه رماهُ وأخذَ الأحسنَ. قيل: نزلت في الحارث بن قيس السهميّ، كان إذا هويَ شيئاً عبدَه[٢]. والهوى ميلُ القلب إلى الشيء، أفأنت تجبرُهُ على تركِ هواه؟ أو: أفأنتَ تحفظُه من عظيم جهله؟

وقرأ بعضُ المدنيين[٣]: «من اتَّخذ آلهةً» منوَّنةً على الجمع وفيه تقديم، جعلَ «هواه» أنواعاً أسماءً لأجناسٍ مختلفة، فجعلَ كلَّ جنسٍ من هواه إلهاً آخر.

وقرأ ابنُ هرمز: «إلاهةً»[٤] على وزن فِعَالة، وفيه أيضاً تقديم، أي: هواه إلاهةً، بمعنى معبودةٌ؛ لأنَّها بمعنى المألوهة، فالهاءُ فيها للمبالغة، فلذلك صُرِفت. وقيل: بل الإلاهةُ: الشمس، ويقال لها: أُلاهة، بضمِّ الهمزة، وهي غيرُ مصروفةٍ؛ للعلميَّة والتأنيث، لكنَّها لمَّا كانت ممَّا يدخلُها لامُ المعرفة في بعض اللغات، صارت بمنزلة ما كان فيه اللام ثمَّ نُزِعت، فلذلك صُرِفت، وصارت بمنزلة النعوت فتنكَّرت، قاله صاحب «اللوامح».

ومفعولُ «أرأيت» الأوَّل هو «مَن»، والجملة الاستفهاميَّةُ في موضع المفعول الثاني، وتقدَّم الكلامُ في «أرأيت» في أوائل «الأنعام»[٥].

ومعنى «وكيلاً» أي: هل تستطيعُ أن تدعوه إلى الهدى فتتوكَّل عليه وتجبرَه على الإسلام.

و«أم» منقطعةٌ تتقدَّر بـ «بل» والهمزة على المذهب الصحيح، كأنَّه قال: بل

---

(١) كذا، ونقل السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٨٦ عن أبي حيان قال: وادعاء القلب ـ يعني التقديم ـ ليس بجيد؛ لأنه من ضرائر الشعر.
(٢) النكت والعيون ٤/ ١٤٦، والكشاف ٣/ ٩٣.
(٣) في المطبوع: أهل المدينة.
(٤) المحتسب ٢/ ١٢٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢١٢.
(٥) عند تفسير الآية (٤٦) منها.

أتحسبُ، كأنَّ هذه المذمَّة أشدُّ من التي تقدَّمتها حتَّى حفت بالإضراب عنها إليها، وهو كونهم مسلوبي الأسماع والعقول؛ لأنَّهم لا يُلقون إلى استماع الحقِّ أُذناً، ولا إلى تدبُّره عقلاً، ومشبَّهين بالأنعام التي هي مَثَلٌ في الغفلة والضلالة، ونفى ذلك عن أكثرهم؛ لأنَّ فيهم من سَبقت له السعادةُ فأسلمَ، وجُعِلوا أضلَّ من الأنعام؛ لأنَّها تنقادُ لأربابها، وتَعرِفُ من يُحسن إليها ممَّن يسيء إليها، وتطلبُ منفعتَها، وتتجنَّب مضرَّتَها، وتهتدي إلى مراعيها ومشاربِها، وهم لا ينقادون لربِّهم، ولا يعرفونَ إحسانَه إليهم ولا يرغبون في الثواب الذي هو أعظمُ المنافع، ولا يتَّقونَ العقابَ الذي هو أشدُّ المضارِّ، ولا يهتدون للحق(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ
سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾
۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا
مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ
رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

لمَّا بيَّن تعالى جهلَ المعترضين على دلائل الصانع وفسادَ طريقتِهم، ذكرَ أنواعاً من الدلائل الواضحة التي تدلُّ على قدرتهِ التامَّة، لعلَّهم يتدبرونَها، ويؤمنون بمن

(١) الكشاف ٣/ ٩٤.

هذه قدرتُه وتصرُّفه في عالمه، فبدأ بحالِ الظِّلِّ في زيادته ونقصانه وتغيُّره من حالٍ إلى حال، وأنَّ ذلك جارٍ على مشيئته.

وتقدَّمَ الكلامُ على «ألم تر» في البقرة في قصَّة الذي حاجَّ إبراهيم[١]. والمعنى: ألم تر إلى صنعِ ربك وقدرته.

و«كيف» سؤالٌ عن حال في موضع نصب بـ«مدَّ»، والجملةُ في موضع متعلَّق «ألم تر»؛ لأنَّ «تر» معلَّقة، والجملةُ الاستفهاميَّةُ التي هي معلَّقٌ عنها فعلُ القلبِ ليس باقياً على حقيقةِ الاستفهام، فالمعنى: ألم تر إلى مَدِّ ربِّك الظلَّ.

وقال الجمهور: الظلُّ هنا: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، مثل ظلِّ الجنَّة، ظلٌّ ممدودٌ، لا شمسَ فيه ولا ظلمة. واعترضَ بأنَّه في غير النهار، بل في بقايا الليل، ولا يسمَّى ظلًّا[٢].

وقيل: الظلُّ: الليل، لا ظلُّ الأرض، وهو يغمرُ الدُّنيا كلَّها.

وقيل: من غيبوبة الشمس إلى طلوعها[٣]، وهذا هو القولُ الذي قبله، ولكن أورده كذا.

وقيل: ظلالُ الأشياء كلها، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل: ٤٨].

وقال أبو عبيدة: الظلُّ بالغداة، والفيءُ بالعشيّ[٤].

وقال ابنُ السكِّيت: الظلُّ: ما نسخَتْهُ الشمسُ، والفيءُ ما نَسَخَ الشمسَ[٥]. وقيل: ما لم تكن عليه الشمسُ ظلٌّ، وما كانت عليه فزالت فيءٌ[٦].

(١) في تفسير الآية (٢٥٨).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٢.
(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٤٧.
(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٢٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤١٩. وانظر مجاز القرآن ٢/ ٧٥-٧٦.
(٥) إصلاح المنطق ص٣٥٤.
(٦) قاله رؤبة، كما في الصحاح (فيأ)، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤١٩. وعنه نقل المصنف.

«ولو شاء لجعله ساكناً» قال ابنُ عباس وقتادة وابن زيد: يعني: كظلِّ الجنَّة الذي لا شمسَ تذهبُه(١).

وقال مجاهد: لا تصيبُه الشمسُ ولا تزول(٢).

وقال الحسن: لو شاءَ لتركه ظلًا كما هو.

وقيل: لأدامَهُ أبداً، بمنع طلوع الشمس بعد غيبوبتها، فلمَّا طلعت الشمسُ دلَّت على زوال الظل، وبدا فيه النقصانُ، فبطلوعِ الشمسِ يبدو النقصانُ في الظلِّ، وبغروبها تبدو الزيادةُ في الظلّ، فبالشمسِ استدلَّ أهلُ الأرض على الظلِّ وزيادتِهِ ونقصِهِ، وكلَّما علتِ الشمسُ نقص الظلُّ، وكلَّما دنت للغروب زاد، وهو قوله: «ثمَّ قبضناهُ إلينا قبضاً يسيراً» يعني: في وقتِ علوِّ الشمس بالنهار ينقصُ الظلُّ نقصاناً يسيراً بعد يسير، وكذلك زيادتُه بعد نصف النهار يزيدُ يسيراً بعد يسير، حتى يعمَّ الأرضَ كلَّها، فأمَّا زوالُ الظلِّ كلِّه، فإنَّما يكونُ في البلدان المتوسطة في وقت.

وقال الزمخشريُّ: ومعنى «مدَّ الظلَّ»: أنْ جعلَهُ يمتدُّ وينبسطُ، فينتفع به الناس، «ولو شاءَ لجعلَهُ ساكناً» أي: لاصقاً بأصلِ كلِّ مُظِلٍّ من جبلٍ وبناءٍ وشجرٍ غيرَ منبسطٍ، فلم ينتفع به أحدٌ، سمَّى انبساطَ الظلِّ وامتدادَه تحرُّكاً منه وعدمَ ذلك سكوناً. ومعنى كون الشمسِ دليلاً أنَّ الناس يستدلُّون بالشمسِ وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظلِّ، من كونه ثابتاً في مكانٍ وزائلاً ومُتَّسعاً ومتقلِّصاً، فيبنونَ حاجَتهم إلى الظلِّ واستغناءَهم عنه على حسب ذلك. وقبضُه إليه أن ينسَخَه بضِحِّ(٣) الشمسِ «يسيراً»، أي: على مهلٍ، وفي هذا القبضِ اليسيرِ شيئاً بعد شيء من المنافع ما لا يعدُّ ولا يحصى، ولو قُبِضَ دفعة لتعطَّلت أكثرُ مرافقِ الناس بالظلِّ والشمسِ جميعاً.

---

(١) أخرج الطبري ١٧/ ٤٦٢ عن ابن عباس وابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: يعني: دائماً لا يزول.

(٢) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٦٢.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: بظل. والمثبت من الكشاف ٣/ ٩٤.
والضِّحُّ بالكسر: الشمس وضوءها. القاموس (ضحح).

فإن قلت: «ثُمَّ» في هذين الموضعين، كيف موقعها؟ قلت: موقعُها لبيانِ تفاضل الأمور الثلاثة، كأنَّ الثانيَ أعظمُ من الأول، والثالثَ أعظمُ من الثاني[1]؛ تشبيهاً لتباعدِ ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت.

ووجهٌ آخر، وهو أنَّه بنى[2] الظل حين بنى السماء كالقبَّةِ المضروبة، ودحا الأرضَ تحتها، فألقت القبَّةُ ظلَّها على الأرض فيناناً ما في أديمها جُوَبٌ[3]؛ لعدم النَّيِّر، «ولو شاء لجعَله ساكناً» مستقِرًّا على تلك الحالة، ثمَّ خلقَ الشمسَ وجعلها[4] على ذلك الظلِّ؛ سلَّطها عليه، وجعلَها دليلاً متبوعاً له، كما يُتْبَعُ الدليلُ في الطريق، فهو يزيدُ بها وينقص، ويمتدُّ ويَقْلِص، ثم نسخَهُ بها؛ قبضَه قبضاً سهلاً يسيراً غيرَ عسير.

ويحتملُ أنْ يريدَ قبضَه عند قيام الساعة بقبضِ أسبابه، وهي الأجرامُ التي تُلْقي الظلَّ، فيكونُ قد ذكرَ إعدامَه بإعدامِ أسبابه، كما ذكرَ إنشاءَهُ بإنشاء أسبابه، وقولُه: «قبضناه إلينا» يدلُّ عليه، وكذلك قوله: «يسيراً»، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]. انتهى[5].

وقوله: سمَّى انبساطَ الظلِّ وامتدادَهُ تحرُّكاً منه. لم يسمِّ اللهُ ذلك، إنما قال: «كيف مدَّ الظلَّ».

وقوله: ويحتملُ أن يريدَ قبضَه عند قيام الساعة. فهذا يبعدُ احتمالُه؛ لأنَّه إنَّما ذكرَ آثارَ صنعته وقدرتِهِ؛ لتشاهَدَ، ثم قال: «مدَّ الظلَّ»، وعطفَ عليه ماضياً مثلَه، فيبعدُ أنْ يكون التقديرُ: ثم قبضَهُ عند قيامِ الساعة، مع ظهورِ كونه ماضياً مستداماً أمثاله.

وقال ابن عطية: «ولو شاء لجعله ساكناً» أي: ثابتاً غيرَ متحرِّكٍ ولا منسوخ،

---

(١) في الكشاف: منهما. بدل: من الثاني.
(٢) في الكشاف: مدَّ.
(٣) في (ح): فتنانا عن أديمها جوب. ومكانها في (أ) و(ع) بياض. والمثبت من الكشاف ٣/ ٩٤. والجُوَب، جمع جَوْبٍ، وهو الخرق. القاموس (جوب).
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وجعله. والمثبت من الكشاف.
(٥) الكشاف ٣/ ٩٤.

لكنَّه جَعَلَ الشمسَ ونسخَها إيَّاه بطردها له من موضعٍ إلى موضعٍ دليلاً عليه، مبيِّناً لوجوده ولوجهِ العبرةِ فيه. وحكى الطبريُّ[(١)] أنَّه لولا الشمس لم يُعْلَم أنَّ الظلَّ شيءٌ، إذ الأشياءُ إنَّما تُعْرَفُ بأضدادها[(٢)].

وقال ابن عباس: «يسيراً» معجَّلاً[(٣)].

وقال مجاهد: لطيفاً، أي: شيئاً بعد شيء، ويحتمل أن يريد: سهلاً قريبَ التناول[(٤)].

وقال أبو عبد الله الرازي: أكثرَ الناس في تأويلِ هذه الآية، ويرجعُ الكلام فيها إلى وجهين:

الأول: أنَّ الظلَّ لا ضوءٌ خالص، ولا ظلمةٌ خالصة، وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وكذلك الكيفيَّات الحاصلةُ داخلَ السقف وأفنية[(٥)] الجدران، وهيَ أطيبُ الأحوال؛ لأنَّ الظلمةَ الخالصةَ يكرهُها الطبعُ، وينفرُ عنها الحسُّ، والضوءُ الخالصُ يُحيِّرُ الحسَّ البصريَّ ويحدثُ السخونةَ القويَّةَ، وهي مؤذيةٌ، ولهذا قيل في الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] والناظرُ إلى الجسم الملوَّن، كأنَّه يشاهدُ بالظلِّ شيئاً سوى الجسم وسوى اللون، والظلُّ ليس أمراً ثالثاً، ولا معرفةَ به إلَّا أنَّه إذا طلعت الشمسُ، ووقعَ[(٦)] ضوءُها على الجسم، ثمَّ مال، عرف للظلِّ وجودٌ وماهية، ولولاها ما عُرِف؛ لأنَّ الأشياءَ تُدْرَكُ بأضدادها، فظهر للعقل أنَّ الظلَّ كيفيَّةٌ زائدةٌ على الجسم واللون، ولذلك قال: «ثمَّ جعلنا الشمسَ عليه دليلاً» أي: جعلنا الظلَّ أوَّلاً بما فيه من المنافع واللذات، ثمَّ هدينا العقولَ إلى معرفة وجوده بأنْ أطلَعْنا الشمسَ فكانت دليلاً على وجود الظلِّ «ثم قبضناه» أي: أزلناهُ، لا دفعةً، بل يسيراً يسيراً، كلَّما ازدادَ

(١) في تفسيره ١٧/ ٤٦٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٢.
(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٦٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٢.
(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وأبنية. والمثبت من تفسير الرازي.
(٦) في (أ) و(ح): ورفع.

ارتفاعُ الشمس، ازدادَ نقصان الظلِّ من جانب المغرب، ولمَّا كانت الحركاتُ المكانيَّةُ لا توجدُ دفعةً، بل يسيراً يسيراً، كان زوالُ الأظْلال كذلك.

والثاني: أنَّه تعالى لمَّا خلقَ السماءَ والأرض، وقعَ ظلُّ السماء على الأرض، فجعل الشمسَ دليلاً؛ لأنَّه بحسب حركاتِ الأضواء تتحرَّكُ الأظلال، فهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما، فبمقدارِ ما يزدادُ أحدُهما ينقصُ الآخر، فكما أنَّ المهتدي يقتدي بالهادي والدليلِ ويلازمُه، فكذلك الأظلال ملازمةٌ للأضواء، ولذلك جَعَلَ الشمسَ دليلاً عليه. انتهى[1] ملخَّصاً. وهو مأخوذٌ من كلام الزمخشريِّ ومحسَّنٌ بعضَ تحسين، والآيةُ في غاية الظهور، ولا تحتاجُ إلى هذا التكثير.

وقال أيضاً: الظِّلُّ ليس عدماً محضاً، بل هو أضواءٌ مخلوطةٌ بظلام، فهو أمرٌ وجوديٌّ وفي تحقيقه تدقيقٌ يُرْجَع فيه إلى كتب[2] العقليَّة. انتهى.

والآيةُ في غاية الوضوح ولا تحتاجُ إلى هذا التكثير، وقد تركتُ أشياء من كلام المفسِّرين ممَّا لا تمسُّ إليه الحاجة.

«جعل الليل لباساً» تشبيهاً بالثوب الذي يُغطِّي البدنَ ويستره، من حيث الليلُ يسترُ الأشياءَ.

والسُّباتُ: ضربٌ من الإغماء يعتري اليقظانَ مرضاً، فشبَّه النومَ به، والسبتُ: الإقامةُ في المكان، فكانَ السباتُ سكوناً تامًّا. والنشور هنا: الإحياء، شبَّه اليقظةَ به؛ ليتطابق الإحياءُ مع الإماتة اللذينِ يتضمَّنُهما النومُ والسبات. انتهى من كلام ابن عطية[3].

وقال غيره: السباتُ: الراحةُ[4]، جعل النوم سُبَاتاً، أي: سبب راحة.

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٨٨-٨٩.
(٢) كذا في (ح) و(ع)، وفي المطبوع: الكتب. وفي تفسير الرازي ٢٤/ ٨٩: كتبنا.
(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٢.
(٤) هو قول أبي مسلم الأصفهاني، كما في تفسير الرازي ٢٤/ ٨٩.

وقال الزمخشريُّ: السباتُ: الموتُ، وهو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، فإن قلت: هلا فسَّرتَه بالراحة؟ قلت: النشورُ في مقابلته يأباه[١]. انتهى، ولا يأباهُ إلَّا لو تعيَّن تفسيرُ النشور بالحياة.

وقال أبو مسلم: «نشوراً» هو بمعنى الانتشار والحركة[٢].

وقال ابنُ عطيَّة: ويحتملُ أن يريد بالنشور وقتَ انتشارٍ وتفرُّقٍ لطلب المعاش وابتغاءِ فضل الله، و«النهار نشورا» وما قبلَه من باب: ليلٌ نائم، ونهارٌ صائم[٣].

وهذه الآية مع دلالتها على قدرةِ الخالق، فيها إظهارٌ لنعمته على خلقه؛ لأنَّ الاحتجابَ بستر الليل، كم فيه لكثيرٍ من الناس فوائدُ دينيَّةٌ ودنيويةٌ، وقال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك[٤] من يدٍ   تُخَبِّرُ أنَّ المانويةَ تَكْذِبُ[٥]

والنومُ واليقظةُ وشبههما بالموت والحياة أيُّ عبرةٍ فيهما لمن اعتبر، وعن لقمان أنَّه قال لابنه: يا بنيَّ كما تنامُ فتوقَّظُ، فكذلك تموتُ فتُنْشَرُ[٦].

وتقدَّم الخلافُ في قراءة الريح بالإفراد والجمع في «البقرة»[٧].

قال ابن عطية: وقراءةُ الجمع أوجهُ؛ لأنَّ عرفَ الريح متى وردَت في القرآن مفردةً فإنَّما هي للعذاب، ومتى كانت للمطر والرحمة فإنَّما هي رياح؛ لأنَّ ريحَ المطر تتشعَّب وتَتَذَأَّبُ[٨] وتتفرَّقُ، وتأتي لينةً من هاهنا وهاهنا، وشيئاً إثر شيءٍ، وريحُ العذاب خرجت لا تتذأَّب، وإنَّما تأتي جسداً واحداً، ألا ترى أنَّها تُحَطِّمُ

(١) الكشاف ٣/ ٩٤.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ٨٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٢.
(٤) في المطبوع: عندي.
(٥) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ١/ ٣٠٢، والمانوية هم أصحاب ماني بن فاتك، وكان يزعم أن العالم مركبٌ من أصلين قديمين؛ أحدهما نور، والآخر ظلمة. انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٤٤.
(٦) الكشاف ٣/ ٩٥.
(٧) عند تفسير الآية (١٦٤) منها.
(٨) تذأبت الريح: جاءت في ضعفٍ من هنا وهنا. القاموس (ذأب).

ما تجدُ وتهدمه. قال الرمانيُّ: جمعت رياح الرحمة؛ لأنَّها ثلاثةٌ لواقحُ؛ الجنوب، والصَّبا، والشمال، وأُفردت ريحُ العذاب، لأنَّها واحدةٌ لا تُلَقِّح، وهي الدَّبور. قال: أي ابن عطية: يَرُدُّ هذا قولُ النبيِّ ﷺ إذا هبت الريح: «اللهمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». انتهى[١].

ولا يسوغُ أن يُقَال: هذه القراءةُ أوجه؛ لأنَّ كلًّا من القراءتين متواتر. والألف واللام في الريح للجنس، فتعمّ، وما ذَكَر من أنَّ قول الرُّمانيّ يردُّهُ الحديث فلا يظهر؛ لأنَّه يجوزُ أن يريد بقوله عليه الصلاة والسلام: «رياحاً» الثلاثةَ اللواقحَ، وبقوله: «ولا تجعلها ريحاً» الدبورَ، فيكون ما قاله الرمانيُّ مطابقاً للحديث على هذا المفهوم.

وتقدَّم الخلافُ في قراءة «نشراً»، وفي مدلوله في الأعراف[٢].

«بين يدي رحمته» استعارةٌ حسنةٌ، أي: قُدَّامَ المطر؛ لأنَّها تجيءُ مُعْلِمةً به[٣].

والطَّهورُ فَعولٌ، إمَّا للمبالغة، كـ: نَؤُوم، فهو معدولٌ عن طاهر، وإمَّا أن يكون اسماً لما يُتَطهَّر به، كالسَّحور والفَطُور، وإمَّا مصدرٌ لـ: تطهَّر، جاء على غير المصدر، حكاه سيبويه.

والظاهرُ في قوله: «ماءً طهوراً» أن يكون للمبالغة في طهارته، وجهةُ المبالغة كونُه لم يَشُبْهُ شيءٌ، بخلاف ما نبعَ من الأرض ونحوه، فإنَّه تشوبُه أجزاء أرضيَّةٌ من مقرِّه أو ممرِّه أو ممَّا يُطْرَحُ فيه، ويجوزُ أن يوصَفَ بالاسم وبالمصدر.

وقال ثعلب: هو ما كان طاهراً في نفسهِ مطهِّراً لغيره. فإن كان ما قالَهُ شرحاً

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٣، والحديث أخرجه أبو يعلى (٢٤٥٦)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٣)، وابن عدي في الكامل ٢/ ٧٦٣ من طريق الحسين بن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس ﵄، عن النبي ﷺ.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٥-١٣٦: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس، الملقب بحنش، وهو متروك. وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) عند تفسير الآية (٥٧) منها، والقراءة بالنون هي قراءة الجمهور على خلاف في حركة النون والشين، وقرأ عاصم: «بُشْراً» بالباء.

(٣) في المطبوع: كأنه يحبي معلماً به. وفي (أ) و(ح) و(ع): لأنه يجيء معلمة به. والمثبت من النهر الماد ٦/ ٥٠١ (بهامش البحر المحيط).

لمبالغته في الطهارة كان سديداً، ويعضدُهُ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١]، وإلَّا فـ «فعول» لا يكونُ بمعنى مُفَعِّل[١]. ومن استعمالِ طهور للمبالغة قولُه تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر:

إلى رُجَّحِ الأكفالِ غِيدٍ من الظِّبا عِذابِ الثنايا ريقُهنَّ طَهُورُ[٢]

وقرأ عيسى وأبو جعفر: «ميِّتاً» بالتشديد[٣]، ووصف «بلدةً» بصفة المذكر؛ لأنَّ البلدةَ[٤] في معنى[٥] البلد في قوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]، ورجَّحَ الجمهورُ التخفيفَ؛ لأنَّه يماثلُ فَعْلاً من المصادر، فكما وصف المذكر والمؤنث بالمصدر، فكذلك بما أشبهه، بخلاف المشدَّد، فإنَّه يماثلُ فاعلاً من حيث قَبولُه للتاء إلَّا فيما خص المؤنث، نحو: طامث.

وقرأ عبدُ الله وأبو حيوة وابن أبي عبلة والأعمش وعاصم وأبو عمرو في روايةٍ عنهما: «ونَسقيه» بفتح النون، ورُويت عن عمر بن الخطاب[٦].

وقرأ يحيى بنُ الحارث الذماريّ[٧]: «وأناسيَ» بتخفيف الياء، ورويت عن الكسائيّ[٨].

---

(١) الكشاف ٣/ ٩٥.

(٢) ذكره أبو علي القالي في أماليه ١/ ١٨٣ ضمن قصيدة، ونقل عن ابن الأنباري أنها لجميل بن معمر العذري، ثم قال: وليست هذه الأبيات في شعر جميل.

(٣) القراءة عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٢٤، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٩٤ لأبي المتوكل وأبي الجوزاء وأبي جعفر، ونسبها النيسابوري في غرائب القرآن ١٩/ ٥ ليزيد.

(٤) بعدها في (أ): يكون، وفي المطبوع: تكون.

(٥) هنا نهاية الخرم في (يه).

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٣ دون قراءة الأعمش وعاصم، والقراءة عنهما في مختصر في شواذ القرآن ص١٠٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٤٧. والقراءة المتواترة عن أبي عمرو وعاصم كقراءة الجمهور.

(٧) هو أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، ويقال: أبو عليم الغساني الذماري (ذمار قرية باليمن) ثم الدمشقي، إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، يعدُّ من التابعين، لقي واثلة بن الأسقع، وروى عنه وقرأ عليه، مات سنة خمس وأربعين ومئة وله تسعون سنة. معرفة القراء الكبار ١/ ٢٣٩، وطبقات القراء ٢/ ٣٦٧.

(٨) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٥، والقراءة المتواترة عن الكسائي كقراءة الجمهور.

و«أناسيّ» جمعُ إنسان في مذهب سيبويه، وجمعُ إنسيّ في مذهب الفراء[١] والمبرِّد[٢] والزجاج[٣]، والقياس أناسِيَة، كما قالوا في مُهَلَّبيّ: مَهَالِبة، وحكي أناسين في جمع إنسان، ك: سِرحان وسراحين.

ووصف الماء بالطهارة، وعلل إنزاله بالإحياء والسقي؛ لأنَّه لمَّا كان الأناسيُّ من جملة ما أُنزِل له الماء، وُصِفَ بالطُّهور إكراماً له، وتتميماً للنعمة[٤] عليه، والتعليلُ يقتضي أنَّ الطهارةَ شرطٌ في صحَّة ذلك، كما تقول: حملني الأميرُ على فرسٍ جوادٍ لأصيدَ عليه الوحش.

وقدَّم إحياءَ الأرض وسقيَ الأنعام على سقي الأناسيّ؛ لأنَّ حياتَهم بحياةِ أرضهم وحياةِ أنعامهم، فقدَّم ما هو السبب في ذلك، ولأنَّهم إذا وَجَدُوا ما يَسقي أرضَهم ومواشيهم، وَجَدوا سُقياهم.

ونُكِّر الأنعامُ والأناسيُّ، ووُصِفا بالكثرة؛ لأنَّ كثيراً منهم لا يُعَيِّشُهم إلا ما أنزلَ اللهُ من المطر، وكذلك «لنُحْيِيَ به بلدةً ميتاً» يريدُ بعضَ بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظانِّ الماء، بخلاف سكان المدن، فإنَّهم قريبونَ من الأودية والأنهار والعيون، فهم غنيُّون غالباً عن سقي ماء المطر[٥].

وخصَّ الأنعامَ من بين ما خلقَ من الحيوان الشاربِ[٦]؛ لأنَّ الطيورَ والوحش

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٦٩: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ واحدهم: إنسيّ، وإن شئت جعلته إنساناً ثم جمعته: أناسيّ، فتكون الياء عوضاً من النون.

(٢) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧١.

وذكره السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٤٨٩ وقال: وفيه نظر؛ لأن فَعاليّ إنما يكون جمعاً لِمَا فيه ياءٌ مشددةٌ لا تدلُّ على نسب، نحو: كرسيّ وكراسيّ، فلو أريد بـ: كرسي النسبُ، لم يجز جمعه على كراسيّ.

قال الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٧١: وكون ياء إنسيّ ليست للنسب بعيدٌ، فحقه أن يجمع على أناسية، وقال في «التسهيل»: إنَّه أكثري. وعليه لا يَرِدُ ما ذكر. وانظر التسهيل ص٢٧٧.

(٤) في الكشاف ٣/ ٩٥ ـ والكلام منه ـ: للمنة.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ٩٥.

(٦) في (ح) و(ع): السارب.

تُبْعِدُ في طلب الماء، فلا يُعْوِزُها المشربُ[١]، بخلاف الأنعام، فإنَّها قُنيةُ الأناسيّ، ومنافعُهم متعلّقةٌ بها، فكان الإنعامُ عليهم بسقي أنعامهم، كالإنعام بسقيهم.

والضميرُ في «صرَّفناهُ» عائدٌ على الماء المنزَّل من السماء، أي: جعلنا إنزال الماء تذكرةً، بأن يصرفَه عن بعض المواضع إلى بعض، وهو في كلِّ عامٍ بمقدارٍ واحد. قاله الجمهور، منهم ابنُ مسعود وابنُ عباس ومجاهد[٢]، فعلى هذا التأويل «إلا كُفُوراً» هو قولهم بالأنواء والكواكب. قاله عكرمة[٣]. وقيل: «كُفُوراً» على الإطلاق، لمَّا تركوا التذكُّر[٤].

وقال ابنُ عباس أيضاً: عائدٌ على القرآن، وإن لم يتقدَّم له ذِكْرٌ؛ لوضوح الأمر، ويعضدُه: «وجَاهِدْهُم به»؛ لتوافق الضمائر، وعلى أنَّه للمطر يكون «به» للقرآن. وقال أبو مسلم: راجعٌ إلى المطر والرياح والسحاب وسائر ما ذكرَ فيه من الأدلَّة[٥].

وقال الزمخشريُّ: صرَّفنا هذا القولَ بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصُّحُف التي أُنزلت على الرسل، وهو ذِكْرُ إنشاءِ السَّحاب وإنزالِ المطر؛ ليتفكَّروا ويعتبروا ويعرفوا حقَّ النعمةِ فيه ويشكروا، «فأبى أكثرهم» إلَّا كفرانَ النعمة وجحودَها وقلَّةَ الاكتراث بها.

وقيل: صرَّفنا المطرَ بينهم في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة، وعلى الصفات المتفاوتة، من وابلٍ وطَلٍّ وجَوْدٍ ورَذاذٍ وديمةٍ ورهام[٦]، فأبوا إلَّا الكفور،

---

(١) في المطبوع والكشاف ٣/ ٩٥: الشرب.
(٢) أخرج أقوالهم الطبري ١٧/ ٤٦٨-٤٦٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٣، وقول عكرمة أخرجه الطبري ١٧/ ٤٦٩.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٣.
(٥) تفسير الرازي ٢٤/ ٩٨.
(٦) الوابلُ: المطر الشديد الضخم القطر. والطلُّ: المطر الضعيف، أو أخفُّ المطر وأضعفه. والجَوْد: المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه. والرذاذ: المطر الضعيف، أو هو بعد الطلّ. والديمة: مطرٌ يدوم في سكون بلا رعدٍ وبرق، ورهام، مفرده: رِهْمة، وهو المطر الضعيف الدائم. انظر القاموس (وبل)، (طلل)، (جود)، (رذذ)، (دمم)، (رهم).

وأن يقولوا: مُطِرنا بنَوءِ كذا، ولا يذكروا رحمتَه وصُنْعَه[١]. وعن ابن عباس: ما من عامٍ أقل مطراً من عام، ولكنَّ الله قسَّم ذلك بين عباده على ما يشاء، وتلا هذه الآية[٢].

ويُروى أنَّ الملائكةَ يعرفون عددَ المطر ومقدارَه في كلِّ عام؛ لأنَّه لا يختلفُ، ولكن يختلفُ في البلاد[٣]. ويُنتَزعُ من ها هنا جوابٌ في تنكير البلدة والأنعام والأناسيّ، كأنَّه قال: لنحييَ به بعضَ البلاد الميتة، ونسقيَه بعضَ الأنعام والأناسيّ، وذلك البعضُ كثيرٌ. انتهى[٤].

وقرأ عكرمة: «صَرَفناه» بتخفيف الراء[٥].

«ولو شئنا لبعثنا في كلِّ قريةٍ نذيراً» لمَّا علمَ تعالى ما كابده الرسولُ ﷺ من أذى قومه، أعلمهُ أنَّه تعالى لو أرادَ لَبعثَ في كلِّ قريةٍ نذيراً، فيخفَّ عنك الأمرُ، ولكنَّه أعظمَ أجركَ، وأجلَّكَ؛ إذ جعل إنذاركَ عامَّاً للناس كلِّهم، وخصَّكَ بذلك ليكثُرَ ثوابُك؛ لأنَّه على كثرة المجاهدة يكون الثواب، وليجمعَ لك حسنات من آمنَ بك، إذ أنت مؤسِّسُها.

«فلا تطع الكافرين» يعني كفَّار قريش، فإنَّهم كانوا استمعوا إليه ورغبوا أن يرجعَ إلى دين آبائهم، ويملكونَه عليهم، ويجمعون له مالاً عظيماً، فنهاه تعالى عن طاعتهم، حتى يَظْهَرَ لهم أنَّه لا رغبةَ له في شيءٍ من ذلك، لكن رغبتُه في الدُّعاء إلى الله والإيمان به.

«وجاهدهم به» أي: بالقرآن، أو بالإسلام[٦]، أو بالسيف[٧]، أو بتركِ طاعتهم.

---

(١) في (أ) و(يه) والمطبوع: وصنعته.
(٢) أخرجه الطبري ١٧/٤٦٨، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٠٦ (١٥٢٤٧)، والحاكم ٢/٤٠٣، والبيهقي ٣/٣٦٣.
(٣) عبارة الكشاف: ولكن تختلف فيه البلاد.
(٤) الكشاف ٣/٩٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٢١٣.
(٦) أخرج القولين الطبري ١٧/ ٤٧٠، الأول عن ابن عباس، والثاني عن ابن زيد.
(٧) استبعده القرطبي في تفسيره ١٥/ ٤٥٠ لأن السورة مكية. وانظر تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٠.

و«جهاداً» مصدرٌ وصف بـ «كبيراً»؛ لأنَّه يلزمُه عليه الصلاة والسلام مجاهدةُ جميع العالم، فهو جهادٌ كبير.

و«مَرَجَ»: خلطَ بينهما، أو أفاض أحدَهما في الآخر[١]، أو أجراهما. أقوال[٢].

والظاهرُ أنَّه يُرادُ بالبحرين الماءُ الكثيرُ العذبُ، والماءُ الكثير الملح. وقيل: بحران معيَّنان، فقيل: بحرُ فارس وبحر الروم[٣]. وقيل: بحرُ السماءِ وبحرُ الأرض يلتقيان في كلِّ عام. قاله ابن عباس[٤]. وقال مجاهد: مياهُ الأنهار الواقعة في البحر الأُجاج، وهذا قريبٌ من القول الأول. قال ابنُ عطية: والمقصدُ بالآية التنبيهُ على قدرة الله تعالى وإتقان خلقه للأشياء في أن بثَّ في الأرض مياهاً عذبةً كثيرةً، من الأنهار والعيون والآبار، وجعلها خلال الأُجاج، وجعلَ الأُجاجَ خلالها، فترى البحر قد اكتنفتهُ المياهُ العذبةُ في ضفتيه، وتَلْقَى الماءَ العذب[٥] في الجزائر ونحوها قد اكتنفَه الماء الأجاج. والبَرْزَخُ والحِجْر: ما حجزَ بينهما من الأرض والسدّ، قاله الحسن[٦]. ويتمشَّى هذا على قول من قال: إنَّ «مرج» بمعنى أجرى.

وقيل: البرزخُ: البلاد والقفار، فلا يختلطان إلَّا بزوال الحاجز يوم القيامة. قال الأكثرون: الحاجزُ مانعٌ من قدرة الله[٧]. قال الزجَّاج: فهما مختلطان في مرأى العين منفصلان بقدرة الله[٨]، وسوادُ البصرة ينحدرُ[٩] الماء العذب منه في دجلة

(١) هو قول مجاهد. انظر تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٥٠.
(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ١١/ ٧٣ عن ثعلب عن ابن الأعرابي، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٥/ ٤٥١ لثعلب.
(٣) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٥٠ للحسن.
(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ٤٥١ عن ابن عباس وابن جبير، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٥٠ عن سعيد بن جبير ومجاهد.
(٥) في (أ) و(ع): البحر. والمثبت من (ح) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢١٤.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٤.
(٧) زاد المسير ٦/ ٩٦، وقول الزجاج الآتي منه.
(٨) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٢.
(٩) في (يه): يتحدر.

نحو البحر، ويأتي المدُّ من البحر، فيلتقيان من غير اختلاط، فماءُ البحر إلى الخضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحمرة، فالمستقي يغرفُ من ماء دجلة عذباً[١] لا يخالطُه شيءٌ، ونيلُ مصر في فيضه يشقُّ البحرَ المالح شقًّا، بحيث يبقى نهراً جارياً أحمرَ في وسط المالح؛ ليستقي الناس منه، وترى المياه قطعاً في وسط البحر المالح، فيقولون: هذا ماء ثلج فيستقون منه من وسط البحر.

وقرأ طلحةُ وقتيبةُ عن الكسائيّ: «مَلِح» بفتح الميم وكسر اللام[٢]، وكذا في «فاطر»[٣].

قال أبو حاتم: وهذا منكرٌ في القراءة.

وقال أبو الفتح: أراد مالحاً، وحذفَ الألف، كما حذفت من بَرِد، أي: بارد[٤]. وقال أبو الفضل الرازيُّ في كتاب «اللوامح»: هي لغةٌ شاذَّةٌ قليلةٌ.

وقيل: أراد مالح، فقصره بحذف الألف، فالمالح جائزٌ في صفة الماء؛ لأنَّ الماءَ يوجدُ فيه الصفتان[٥]، بأن يكونَ مملوحاً من جهة غيره، ومالحاً لغيره. وإن كان الأكثر[٦] من صفته أنْ يقال: ماءٌ مِلْحٌ، موصوف بالمصدر، أي: ماءٌ ذو ملح، فالوصف بذلك مثلُ: حِلْف، ونِضْو، من الصفات.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: «حِجراً محجورا» ما معناه؟ قلت: هي الكلمةُ التي يقولُها المتعوِّذُ، وقد فسَّرناها[٧]، وهي هاهنا واقعةٌ على سبيل المجاز،

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع): عندنا. والمثبت من (يه)، وزاد المسير ٦/ ٩٦، والكلام عن دجلة فيه من قول أبي سليمان الدمشقي.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٥، وهي في المحتسب ٢/ ١٢٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٢١٤ عن طلحة بن مصرف فقط.

(٣) عند الآية (١٢) منها.

(٤) المحتسب ٢/ ١٢٤، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٤.

(٥) في (أ): في الصفيان، وفي (ع): في الصيغان، وفي (ح): في الصفنان (لم تنقط)، وفي المطبوع: الضغيان. والمثبت من (يه).

(٦) لفظة: الأكثر. من (يه).

(٧) الكشاف ٣/ ٨٨، عند تفسير الآية (٢٢) من سورة الفرقان.

كأنَّ كلَّ واحدٍ من البحرين متعوِّذٌ[1] من صاحبه، ويقول له: «حجراً محجوراً»، كما قال: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] أي: لا يبغي أحدُهما على صاحبه بالممازجة، فانتفاءُ البغي ثَمَّ كالتعوُّذ ها هنا، جعلَ كلَّ واحدٍ منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعوَّذُ منه، وهي من أحسن الاستعارات وأشهدِها على البلاغة. انتهى[2].

والظاهرُ أنَّ «حِجْراً محجوراً» معطوفٌ على «برزخاً» عطفَ المفعول على المفعول، وكذا أعربه الحَوفيّ، وعلى ما ذكره الزمخشريُّ يكونُ ذلك على إضمار القول المجازيّ، أي: ويقولان، أي: كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه: «حجراً محجوراً».

والظاهرُ عموم البشر، وهم بنو آدم، والبشرُ ينطلقُ على الواحد والجمع.

وقيل: المرادُ بالنسب آدم، وبالصِّهر حوَّاء. وقيل: النسبُ البنون، والصهرُ البنات.

و«من الماء» إمَّا النطفة وإمَّا أنَّه أصلُ خلقةِ كلِّ حيٍّ، والنسبُ والصهرُ يعمَّان كلَّ قربى بينَ آدميين، فالنسبُ أنْ يجتمعَ مع آخر في أبٍ وأمٍّ، قربَ ذلك أو بعد، والصهرُ هو تَوَاشُجُ[3] المناكحة[4].

وقال عليُّ بن أبي طالب: النسبُ ما لا يحلُّ نكاحُهُ، والصهرُ قرابة الرضاع[5].

---

(١) في الكشاف: يتعوَّذُ.

(٢) الكشاف: ٣/ ٩٦.

(٣) في (ح) والمطبوع: نواشج، وفي (يه): نواسخ. والمثبت من (أ) و(ع). الواشجة: الرحم المشتبكة، وقد وشجت بك قرابته تَشِجُ، ووشَّجها الله تعالى توشيجاً. القاموس (وشج).

(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢١٤.

(٥) كذا، وفي هذه العبارة سقط، ونصُّ الكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٤ وعنه نقل المصنف: وقال علي بن أبي طالب ﷺ النسب ما لا يحلُّ نكاحه، والصهر ما يحل نكاحه. وقال الضحاك: الصهر قرابة الرضاع.
فسقط قوله: والصهر ما يحل نكاحه وقال الضحاك.
وسيذكر المصنف قريباً قول علي ﷺ على الجادة.

وعن طاوس: الرضاعةُ من الصهر، وعن عليّ: الصهرُ ما يحلُّ نكاحُه، والنسبُ ما لا يحلُّ نكاحه. وقال الضَّحاك: الصهرُ قَرابةُ الرضاع[١].

وقال ابن سيرين: نزلت في النبيِّ ﷺ وعليّ؛ لأنَّه جمعهُ معه نسبٌ وصهر. قال ابنُ عطية: فاجتماعُهما وكادةُ حرمةٍ إلى يوم القيامة[٢].

«وكان ربك قديراً» حيث خلقَ من النطفة الواحدة بشراً نوعين، ذكراً وأنثى.

ولمَّا ذكر دلائلَ قدرته وما امتنَّ به على عباده من غرائب مصنوعاته، ثبتَ بذلك أنَّه المستحقُّ للعبادة لنفعه وضرِّه؛ بيَّنَ فسادَ عقول المشركين حيث يعبدونَ الأصنام.

والظاهرُ أنَّ الكافرَ اسمُ جنس فيعمّ. وقيل: هو أبو جهل، والآيةُ نزلت فيه[٣]. وقال عكرمة: الكافرُ هنا إبليس[٤].

والظَّهيرُ والمُظاهرُ كالمُعين والمُعاون، قاله مجاهد والحسن وابنُ زيد[٥]، وفَعيل بمعنى مُفاعل كثيرٌ.

والمعنى أنَّ الكافرَ يعاونُ الشيطانَ على ربِّه بالعداوة والشرك.

وقيل: معناه: وكان الذي يفعلُ هذا الفعلَ، وهو عبادةُ ما لا ينفعُ ولا يضرُّ على ربِّه هيِّناً مهيناً، من قولهم: ظهرتُ به، إذا خلَّفتَه خلفَ ظهرك لا يُلتفتُ إليه، وهذا نحو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، قاله الطبري[٦].

وقيل: «على ربِّه» أي: معيناً على أولياء الله. وقيل: معيناً للمشركين على أن لا يوحَّدَ الله[٧].

---

(١) أقوال طاوس وعلي والضحاك في زاد المسير ٦/ ٩٧. وقول الضحاك أخرجه الطبري ١٧/ ٤٧٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٥.
(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٧٨. وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٥.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٥٥.
(٥) أخرج أقوالهم الطبري ١٧/ ٤٧٧-٤٧٨.
(٦) في تفسيره ١٧/ ٤٧٨، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٥.
(٧) زاد المسير ٦/ ٩٧.

«وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً» سلَّى نبيَّه بذلك، أي: لا تهتمَّ بهم، ولا تذهب نفسُك عليهم حسرات، وإنَّما أنت رسولٌ تبشِّرُ المؤمنين بالجنَّة، وتنذرُ الكفرة بالنار ولست بمطلوبٍ بإيمانهم أجمعين.

ثم أمرَه تعالى أن يحتجَّ عليهم مزيلاً لوجوه[1] التُّهم بقوله: «قل ما أسألكم عليه من أجر» أي: لا أطلبُ مالاً ولا نفعاً يختصُّ بي[2].

والضميرُ في «عليه» عائدٌ على التبشير والإنذار، أو على القرآن، أو على إبلاغ الرسالة. أقوال.

والظاهر في «إلَّا من شاء» أنَّه استثناءٌ منقطعٌ، وقاله الجمهور، فعلى هذا قيل تقديره[3]: لكن من شاء أن يتَّخذَ إلى ربه سبيلاً فليفعل.

وقيل: لكن من أنفقَ في سبيل الله ومجاهدةِ أعدائه فهو مسؤولي[4].

وقيل: هو متَّصلٌ على حذف مضاف، تقديره: إلَّا أجرَ من اتَّخذ إلى ربِّه سبيلاً، أي: إلَّا أجرَ من آمن، أي: الأجرُ الحاصلُ لي على دعائه إلى الإيمان وقَبوله؛ لأنَّه تعالى يأجرني على ذلك[5].

وقيل: إلَّا أجر من آمنَ، يعني بالأجر الإنفاقَ في سبيل الله، أي: لا أسألُكم أجراً إلَّا الإنفاقَ في سبيل الله، فجعلَ الإنفاقَ أجراً.

ولما أخبرَ أنَّه فطمَ نفسه عن سؤالهم شيئاً، أمرَهُ تعالى تفويضَ أمره إليه وثقته به واعتماده عليه، فهو المتكفِّلُ بنصره وإظهار دينه، ووصفَ تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكُّل في قوله: «الحيِّ الذي لا يموت»؛ لأنَّ هذا المعنى يختصُّ به تعالى دون كلِّ حي، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

---

(١) في (يه): لوجود.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٥.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع): بعباده. بدل: تقديره. والمثبت من (يه).
(٤) في (يه): مسؤول.
(٥) انظر تفسير القرطبي ١٥/ ٤٥٧.

وقرأ بعض السلف هذه الآيةَ فقال: لا يصحُّ لذي عقلٍ أن يثقَ بعدها بمخلوقٍ[١].

ثمَّ أمره بتنزيهه وتمجيده مقروناً بالثناء عليه؛ لأنَّ التنزيهَ محلُّه اعتقادُ القلب، والمدحَ محلُّه اللسان الموافقُ للاعتقاد، وفي الحديث: «من قال: سبحان الله وبحمده، مئة مرَّةٍ غُفِرت ذنوبه ولو كانت مثلَ زبد البحر»[٢]، وهي الكلمتانِ الخفيفتان على اللسان، الثقيلتانِ في الميزان[٣].

«وكفى به بذنوب عباده خبيراً» أراد أنَّه ليس إليه من أمور عباده شيءٌ، آمنوا أم كفروا، وأنَّه خبيرٌ بأحوالهم كافٍ في جزاء أعمالهم[٤]. وفي هذه الجملة تسليةٌ للرسول، ووعيدٌ للكافر، وفي بعض الأخبار: كفى بك ظَفَراً أن يكون عدوُّك عاصياً، وهي كلمةٌ يُرادُ بها المبالغة، تقول: كفى بالعلم جمالا، وكفى بالأدب مالاً، أي: حسبُك، لا يُحتاجُ معه إلى غيره؛ لأنَّه خبيرٌ بأحوالهم، قادرٌ على مكافأتهم[٥].

ولمَّا أمره بالتوكُّل والتسبيح، وذكرَ صفة الحياة الدائمة، ذكرَ ما دلَّ على القدرة التامَّة، وهو إيجادُ هذا العالم. وتقدَّمَ الكلامُ في نظير هذا الكلام.

واحتمل «الذي» أن يكون صفةً لـ «الحيِّ الذي لا يموت» ويتعيَّنُ على قراءة زيد بن علي «الرحمنِ» بالجرِّ[٦]، وأمَّا على قراءة الجمهور «الرحمنُ» بالرفع فإنَّه يحتملُ أن يكون «الذي» صفةً لـ «الحيّ»، و«الرحمن» خبرَ مبتدأٍ محذوف، ويحتملُ أن يكون «الذي» مبتدأ، و«الرحمن» خبره، وأن يكون «الذي» خبرَ مبتدأ محذوف،

(١) الكشاف ٣/ ٩٧.
(٢) أخرجه أحمد (٨٠٠٩)، والبخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده» أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).
(٤) الكشاف ٣/ ٩٧.
(٥) تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٣.
(٦) لئلا يفصل بين النعت ومنعوته بأجنبيّ. الدر المصون ٨/ ٤٩٢. وقراءة زيد بن علي في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٦.

و«الرحمن» صفةٌ له، أو يكون «الذي» منصوباً على إضمار: أعني، ويجوزُ على مذهب الأخفش أن يكون «الرحمن» مبتدأً، و«فاسأل» خبره[١]، على حدِّ تخريجه قولَ الشاعر:

وقـائـلـةٍ خـولان فـانْـكِـح فَـتـاتـهـمْ[٢]

وجَوَّزوا أيضاً في «الرحمن» أن يكون بدلاً من الضمير المستكنِّ في «استوى».

والظاهرُ تعلُّق «به» بقوله: «فاسأل»، وبقاء الباء غير مضمَّنةٍ معنى «عن»، و«خبيراً» من صفات الله، كما تقول: لقيتُ بزيدٍ أسداً، و: لقيتُ بزيدٍ البحرَ، تريدُ أنَّه هو الأسدُ شجاعةً والبحرُ كرماً، والمعنى أنَّه تعالى اللطيفُ العالمُ الخبيرُ، والمعنى: فاسأل الله الخبيرَ بالأشياء العالمَ بحقائقها. وقال ابنُ عطية: و«خبيراً» على هذا منصوبٌ إمَّا بوقوع السؤال [عليه]، وإمَّا على الحال المؤكِّدة، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، وليست هذه الحالُ متنقلةً، إذ الصفةُ العِلِّيَّة لا تتغيَّر. انتهى[٣].

وبنى هذا الإعراب على أنَّه كما تقول: لو لقيتَ فلاناً للقيتَ به البحرَ كرماً، أي: لقيتَ منه. والمعنى: فاسأل الله عن كلِّ أمرٍ، وكونه منصوباً على الحال المؤكِّدة على هذا التقدير لا يصح، إنَّما يصحُّ أن يكون مفعولاً به، ويجوزُ أن تكون الباء بمعنى «عن»، أي: فاسأل عنه خبيراً، كما قال الشاعر:

فـإن تـسـألـونـي بـالـنـسـاء فـإنـنـي بـصـيـرٌ بـأدواء الـنـسـاءِ طـبـيـبُ[٤]

وهو قولُ الأخفش والزجَّاج[٥]، ويكون «خبيراً» ليس من صفات الله هنا، كأنَّه قيل: اسأل عن الرحمن الخبراء، جبريلَ والعلماءَ وأهل الكتب المنزلَة.

وإن جعلت «به» متعلِّقاً بـ «خبيراً»، كان المعنى: فاسأل عن الله الخبراءَ به.

وقال الكلبيُّ: معناه: فاسأل خبيراً به، و«به» يعودُ إلى ما ذُكِرَ من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش، وذلك الخبيرُ هو الله تعالى؛ لأنَّه

---

(١) انظر الإملاء ٢/ ١٦٤.
(٢) سلف عند تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٦ وما بين حاصرتين منه.
(٤) البيت لعلقمة الفحل، وهو في ديوانه ص٣٥.
(٥) في معاني القرآن له ٤/ ٧٣. وذكره عن الأخفش الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٠٥.

لا دليلَ في العقل على كيفية خلق ذلك، فلا يعلمُها إلا الله[(١)].

وعن ابن عباس: الخبيرُ جبريل، وقُدِّمَ لرؤوس الآي[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: الباء في «به» صلةُ «سل»، كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ﴾ [المعارج: ١]، كما تكون عن صلته في نحو ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، أو صلة «خبيراً»، فتجعل «خبيراً» مفعولاً، أي: فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته، أو: فسل رجلاً خبيراً به وبرحمته، أو: فسل بسؤاله خبيراً، كقولك: رأيتُ به أسداً، أي: رأيت برؤيته، والمعنى: إن سألتَه وجدتَهُ خبيراً أو[(٣)] تجعله حالاً عن «به»، تريد: فسل عنه عالماً بكلِّ شيءٍ.

وقيل: «الرحمن» اسمٌ من أسماء الله مذكورٌ في الكتب المتقدِّمة، ولم يكونوا يعرفونه، فقيل: فسل بهذا الاسم من يُخْبِرُك مِنْ أهل الكتاب حتى يَعْرِفَ مَنْ يُنْكِرُهُ، ومن ثمَّ كانوا يقولون: ما نعرفُ الرحمنَ إلَّا الذي في اليمامة، يعنون مُسَيْلِمَة، وكان يقال له: رحمن اليمامة. انتهى[(٤)].

«وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن»، لما ذُكِر الرحمن[(٥)]، وكانت قريشٌ لا تعرفُ هذا في أسماء الله[(٦)]، غالطت قريشٌ بذلك، فقالت: إنَّ محمداً يأمرُنا بعبادة رحمنِ اليمامة، نزلت: «وإذا قيل لهم».

و«ما» سؤالٌ عن المجهول، فيجوز أن يكون سؤالاً عن المسمَّى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، ويجوزُ أن يكون سؤالاً عن معناه؛ لأنَّه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما يستعمل الرحيم والرحوم والراحم، أو لأنهم أنكروا إطلاقَه على الله. قاله الزمخشريُّ[(٧)].

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٥.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٥.
(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: خبيراً بجعله. بدل: خبيراً أو تجعله. وفي (به): خبيراً أي تجعله. والمثبت من الكشاف ٣/ ٩٨.
(٤) الكشاف ٣/ ٩٨.
(٥) قوله: لما ذكر الرحمن، ساقط من المطبوع.
(٦) بعدها في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٦ ـ والكلام منه ـ: وكان مسيلمة كذاب اليمامة تسمَّى بالرحمن.
(٧) في الكشاف ٣/ ٩٨.

والذي يظهرُ أنَّهم لما قيل لهم: «اسجدوا للرحمن» فذكرت الصفةُ المقتضيةُ للمبالغة في الرحمة، والكلمةُ عربيَّةٌ لا يُنْكَرُ وضعُها، أظهروا التجاهلَ بهذه الصفة التي لله؛ مغالطةً منهم، ووقاحةً، فقالوا: «وما الرحمن؟» وهم عارفون به وبصفتِهِ الرحمانيَّة، وهذا كما قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، حين قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٤]، على سبيل المناكرة، وهو عالمٌ بربِّ العالمين، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، فكذلك كفَّارُ قريش، استفهموا عن الرحمن استفهامَ من يجهلُه، وهم عالمون به، فعلى قول من قال: لم يكونوا يعرفونَ الرحمن إلَّا مسيلِمة[١]، فالمعنى: أنسجدُ لمسيلمةَ؟ وعلى قول من قال: لا يعرفون الرحمن بالكلِّية، فالمعنى: أنسجدُ لما تأمرُنا من غير علمٍ ببيانهِ. والقائل: «اسجدوا» الرسول ﷺ أو الله على لسان رسوله.

وقرأ ابن مسعود والأسود بن يزيد وحمزةُ والكسائيُّ: «يأمرنا» بالياء من تحت، أي: يأمرنا[٢] محمَّدٌ، والكنايةُ عنه، أو المسمَّى الرحمن، ولا نعرفه[٣].

وقرأ باقي السبعة بالتاء خطاباً للرسول، ومفعول «تأمرنا» الثاني محذوفٌ؛ لدلالة الكلام عليه، تقديره: تأمرنا سجودَه، نحو قوله[٤]: أمرتُكَ الخيرَ.

«وزادهم» أي: هذا القولُ، وهو الأمرُ بالسجود للرحمن، زادَهم ضلالاً [لا][٥] يختصُّ به مع ضلالهم السابق، وكان حقُّه أن يكون باعثاً على فعلِ السجود والقَبول.

وقال الضحاك: سجد أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعليٌّ وعثمانُ بن مظعون وعمرو بن عبسة[٦]، فرآهم المشركون، فأخذوا في ناحية المسجد يَستهزئون، فهذا

(١) بعدها في (أ) و(ع) والمطبوع: وعلى قول من قال: لا يعرفون الرحمن إلا مسيلمة. وهي مقحمة.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يأمر. بدل: يأمرنا. والمثبت من (يه).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٦، والقراءة عن حمزة والكسائي في السبعة ص٤٦٦، والتيسير ص١٦٤.
(٤) في (أ) و(يه): قولهم. والمثبت من (ح) و(ع) والكشاف ٣/ ٩٨.
(٥) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٤/ ٢١٦.
(٦) في (أ) والمطبوع: غلسة، وفي (ع): غسلة، وفي (يه): عيشة. وفي تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٦ ـ والخبر فيه ـ: عنبسة، والمثبت من (ح).
وهو عمرو بن عَبَسة بن خالد، أبو نجيح السلميّ، أسلم قديماً بمكة، ثم رجع إلى بلاده =

المراد بقوله: «وزادهم نفوراً»، ومعنى «نفوراً»: فراراً.

التفسير ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾.

لما جعلتْ قريشٌ سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالاً عن مجهولٍ، نزلت هذه الآيةُ مُصرِّحةً بصفاته التي تُعرَّفُ به وتوجبُ الإقرارَ بألوهيَّته[1].

ومناسبتُها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أنه خلقَ السماوات والأرض وما بينهما، ووصَفَ نفسَه بالرحمن، وسألوا هم عنه سؤالَ من يَجهله، وزادهم الأمرُ بالسجودِ نُفْرةً، ذَكرَ مالو تَفكَّروا[2] فيه مما وَضعَ في السماء من النَّيِّرات، وما صَرَّفَ من حالِ الليلِ والنهار = لبادروا بالسجودِ والعبادةِ للرحمن، ثمَّ نَبَّههُم على ما لهم به اعتناءٌ تامٌّ، من رَصْدِ الكواكبِ وأحوالها، ووَضعِ أسماءٍ لها.

والظاهرُ أنَّ المرادَ بالبروج المعروفةُ عند العرب، وهي منازلُ الكواكب السيارة، وهي الحَمَل، والثَّور، والجوزاء، والسَّرطان، والأسد، والسُّنبلة،

= فأقام بها، إلى أن هاجر بعد خيبر وقبل الفتح، قال ابن حجر: وأظنه مات في أواخر خلافة عثمان. انظر الإصابة ٧/١٢٧، وانظر خبر إسلامه في صحيح مسلم (٨٣٢).

(١) المحرر الوجيز ٤/٢١٧.

(٢) من قوله: عنه سؤال. . . إلى هنا من (به).

والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.

وسمِّيت بذلك لشبهها بما شُبِّهَت به، وسُمِّيَت بالبروج التي هي القصورُ العالية؛ لأنَّها لهذه الكواكب كالمنازل لسكَّانها، واشتقاق البُرْجِ من التبرُّجِ؛ لظهوره[1].

وقيل: البروج هنا: القصورُ في الجنة. قال الأعمش: وكان أصحاب عبد الله يقرؤونها: «في السماء قصوراً»[2].

وقال أبو صالح: البروج هنا: الكواكبُ العظَام[3].

قال ابن عطية: والقول بأنَّها قصورٌ في الجنَّة يحطُّ من غرض الآية في التنبيه على أشياء مدركات تقومُ بها الحجَّةُ على كلِّ منكرٍ لله، أو جاهل[4].

والضميرُ في «فيها» الظاهرُ أنَّه عائدٌ على السماء. وقيل: على البروج، فالمعنى: وجعلَ في جملتها سراجاً.

وقرأ الجمهور: «سراجاً» على الإفراد، وهو الشمسُ.

وقرأ عبدُ الله وعلقمة والأعمش والأخوان: «سُرُجاً» بالجمع مضموم الراء، وهو يجمع الأنوار، فيكونُ خصَّ القمرَ بالذكر تشريفاً[5].

وقرأ الأعمشُ أيضاً والنخعيُّ وابنُ وثَّاب كذلك بسكون الراء[6].

وقرأ الحسن والأعمش والنخعيُّ وعصمة عن عاصم: «وقُمْراً» بضمِّ القاف وسكون الميم[7]، فالظاهرُ أنَّه لغةٌ في القَمَر، كالرَّشَدِ والرُّشْد والعَرَبِ

---

(١) الكشاف ٣/ ٩٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٧.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٧، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٧/ ٤٨٣. والثعلبي ٤/ ٤٢٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٧، وقراءة الأخوين حمزة والكسائي في السبعة ص٤٦٦، والتيسير ص١٦٤.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٧.

(٧) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٧ من رواية الأعمش، والنخعي، وعصمة بن الحسن، وذكرها ابن خالويه في مختصره ص١٠٥، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٩٨، والرازي في تفسيره ٢٤/ ١٠٦ عن الحسن والأعمش، وأوردها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٦٦، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٤٦١ من رواية عصمة عن الأعمش. قال النحاس: وهذه قراءة شاذة، ولو لم يكن فيها إلا أن أحمد بن حنبل ـ وهو إمام المسلمين في وقته ـ

والعُرْب[١]. وقيل: جمع قمراء، أي: ليلةٌ قمراء، كأنَّه قال: وذا قُمْرٍ منيراً[٢]؛ لأنَّ الليلة تكون قمراء بالقمر، فأضافَهُ إليها، ونظيرهُ في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيامِ المضاف إليه مقامه قولُ حسان:

بـردى يـصـفَّـقُ بـالـرحـيـق الـسَّـلـسـل[٣]

يريد: ماء بردى. فـ «منيراً» وصفٌ لذلك المحذوف، كما قال: يصفِّقُ بالياء من تحت، ولو لم يراعِ المضاف لقال: تصفِّقُ بالتاء.

وقال: «منيراً»، أي: مضيئاً، ولم يجعله سراجاً كالشمس؛ لأنَّه لا توقُّدَ له.

وانتصب «خِلْفَةً» على الحال. فقيل: هو مصدرُ خَلَفَ خِلْفَةً. وقيل: هو اسمُ هيئة، كالرِّكبة، ووقعَ حالاً كما وقع حالاً[٤] اسمُ الهيئة في قولهم: مررتُ بماءٍ قِعْدَةَ رجلٍ، وهي الحالةُ التي يخلفُ عليها الليلُ والنهارُ كلٌّ واحدٍ منهما الآخرَ، والمعنى: جعلَهما ذَوَي خِلفةٍ، أي: ذَوَي عِقْبَةٍ، يعقبُ هذا ذاك وذاك هذا، ويقال: الليلُ والنهار يختلفان، كما يقال: يَعْتَقِبان، ومنه قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤] ويقال: بفلان خِلفَةٌ واختلافٌ، إذا اختلفَ كثيراً إلى مُتَبرَّزِه[٥]، ومن هذا المعنى قولُ زهير:

بـهـا الـعِـيْـنُ والأَرْآمُ يـمـشـيـنَ خِـلْـفَـةً[٦]

= قال: لا تكتبوا ما يَحكيه عصمة الذي يروي القراءات. وقد أولع أبو حاتم السجستاني بذكر ما يرويه عصمة هذا، ولم أقف عليها من رواية عصمة بن عاصم.

(١) الكشاف ٣/ ٩٩.

(٢) في النسخ: منير. والمثبت من الكشاف ٣/ ٩٨ ـ والكلام منه ـ والمعنى كما في الدر المصون ٨/ ٤٩٥: وذا ليالٍ قُمْرٍ منيراً.

(٣) ديوان حسان ص٣٦٥، وصدره: يسقون من ورد البريص عليهِمِ

(٤) قوله: كما وقع حالاً. من (يه).

(٥) الكشاف ٣/ ٩٩.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى ص٥، وعجزه:

وأطـلاؤهـا يـنـهـضـن مـن كـلِّ مـجـثـمِ

قال شارحه ثعلب: العِيْنُ: البقر، الواحدة: عيناء، والذكرُ: أعين، وإنَّما سميت عيناً لسَعةِ

وقول الآخر يَصِفُ امرأةً تنتقلُ من منزلٍ في الشتاء إلى منزل في الصيفِ دأباً:

ولها بالماطِرون[1] إذا أكلَ النملُ الذي جَمعا
خِلْفَةٌ[2] حتى إذا ارتبعت[3] سكنت من جِلَّقٍ بِيَعا
في بيوتٍ وَسْطَ[4] دَسْكَرةٍ[5] حولها الزيتونُ قد يَنَعا[6]

وقيل: «خِلْفَةً» في الزيادة والنقصان. وقال مجاهد وقتادة والكسائي: هذا أسودُ وهذا أبيض، وهذا طويلٌ وهذا قصير[7].

«لمن أرادَ أن يَذَّكَّر» قال عمرُ وابنُ عباس والحسن: معناهُ: لمن أرادَ أن يذكرَ ما فاته من الخير والصلاةِ ونحوه في أحدهما، فيستدركهُ في الذي يليه[8].

= أعينها، والآرام: الظباءُ البيضُ الخوالصُ البياض. وقوله: خِلْفة: إذا مضى فوجٌ جاء آخر. والطلا: ولد البقرة وولد الظبية الصغير.

(١) الماطرون: موضع بالشام قرب دمشق. معجم البلدان ٥/ ٤٢-٤٣.

(٢) في الكامل للمبرد ٢/ ٤٩٨، وكتاب الحيوان للجاحظ ٤/ ١٠، وخزانة الأدب ٧/ ٣١٢ وغيرها: خُرْفَةٌ. وهي برواية المصنف في تفسير الطبري ١٧/ ٤٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢١٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٦٢، ونقل البغدادي في الخزانة أنها رواية صاحب العباب، والخُرْفَة بضم الخاء: المجتنى.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ارتفعت. والمثبت من (يه) والمصادر.

(٤) في الكامل وخزانة الأدب: في قباب حول. بدل: في بيوت وسط، وفي كتاب الحيوان: في قباب وسط، وهو بمثل رواية المصنف في المحرر الوجيز، ولم يرد البيت الثالث في تفسير القرطبي.

(٥) الدسكرة: بناء يشبه قصراً حوله بيوت تكون للملوك، وجمعها: دساكر. خزانة الأدب ٧/ ٣١٣.

(٦) اختلف في نسبة هذه الأبيات، فنقل المبرد في الكامل ٢/ ٤٩٨ عن أبي عبيدة قال: هذا الشعر يختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. وقال أبو الحسن [علي بن سليمان الأخفش]: الصحيح أنه ليزيد. وكذا قال القفطي كما في خزانة الأدب ٧/ ٣١٢. ونسبها الجاحظ في كتاب الحيوان ٤/ ١٠ والعيني كما في الخزانة ٧/ ٣١٥ لأبي دَهبل الجمحي. والله أعلم.

(٧) تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٦. وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٧/ ٤٨٦.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٨، وأقوال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن أخرجها الطبري ١٧/ ٤٨٥-٤٨٦.

وقال مجاهد وغيره: أي: يعتبر بالمصنوعات، ويشكرَ الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم[(١)].

وقال الزمخشريّ: وعن أبيٍّ بن كعب: «يتذكَّر»[(٢)]، والمعنى: لينظرَ في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بدَّ لانتقالهما من حالٍ إلى حال وتغيُّرهما من ناقلٍ ومغيِّر، ويستدلَّ بذلك على عظم قدرته، ويشكرَ الشاكرُ على النعمة، من السكون بالليل، والتصرُّفِ بالنهار، كما قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، أو ليكونا وقتين للمتذكِّر والشاكر، مَنْ فاتَه في أحدِهما وِرْدُهُ من العبادة، قام به في الآخر[(٣)].

وقرأ النخعيُّ وابنُ وثّاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة: «يَذْكُر» مضارع ذَكَرَ خفيفاً[(٤)].

ولمَّا تقدَّمَ ذكرُ الكفَّارِ وذمُّهم، وجاءَ «لمن أرادَ أن يذَّكَّر أو أرادَ شكوراً» ذَكَرَ أحوالَ المؤمنين المتذكِّرين الشاكرين، فقال: «وعباد الرحمن» وهذه إضافةُ تشريفٍ وتفضُّلٍ.

وهو جمع: عبد. وقال ابن بحر: جمعُ عابد، كصاحب وصِحَاب، وتَاجر وتِجَار، وراجِل ورِجال، أي: الذين يعبدونَه حقَّ عبادته.

والظاهر أنَّ «وعباد» مبتدأ، و«الذين يمشون» الخبر. وقيل: «أولئك» الخبرُ، و«الذين» صفةٌ.

وقومٌ من عبد القيس يسمَّون العِباد؛ لأنَّ كسرى ملكهم دون العرب، وقيل: لأنَّهم تألَّهوا مع نصارى الحيرة، فصاروا عباداً لله[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٢١٧.

(٢) وذكر قراءةَ أبي أيضاً الفراء في معانيه ٢/٢٧١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢١٨. والقرطبي في تفسيره ١٥/٦٤.

(٣) الكشاف ٣/٩٩.

(٤) القراءة عنهم ـ عدا قراءة زيد بن علي ـ في المحرر الوجيز ٤/٢١٨. ونسبها النحاس في إعراب القرآن ٣/١٦٦ للأعمش وحمزة. وقراءة حمزة في السبعة ص٤٦٦، والتيسير ص١٦٤. قال القرطبي في تفسيره ١٥/٤٦٤: ويذكُر ويذكَّر بمعنى واحد.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢١٨.

وقرأ اليمانيُّ: «وعُبَّاد»[(١)] جمع عابد، كضارب وضُرَّاب. وقرأ الحسن: «وعُبُد» بضم العين والباء[(٢)].

وقرأ السلميُّ واليمانيُّ: «يُمَشَّون» مبنيًّا للمفعول مشدَّداً[(٣)].

والهَوْن: الرفقُ واللين، وانتصبَ «هوناً» على أنَّه نعتٌ لمصدرٍ محذوف، أي: مشياً هوناً، أو على الحال، أي: يمشون هيِّنين، في تؤدةٍ وسكينة وحُسْنِ سَمْتٍ، لا يضربون بأقدامهم، ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً، ولذلك كرهَ بعضُ العلماء الركوبَ في الأسواق[(٤)]. وقال مجاهد: بالحلم والوقار. وقال ابن عباس: بالطَّاعةِ والعفافِ والتواضع. وقال الحسن: حلماء إنْ جُهِل عليهم لم يجهلوا[(٥)].

وقال ابن عطية: «هوناً» عبارةٌ عن عيشهم ومدَّةِ حياتهم[(٦)] وتصرُّفاتهم، فذكر من ذلك العظم[(٧)]، لا سيما وفي الانتقال في الأرض هي معاشرةُ الناس وخلطتُهم، ثم قال: «هوناً» بمعنى أمرُه كلُّه هُونٌ، أي: ليس بخشن[(٨)].

وذهبت فرقةٌ إلى أن «هوناً» مرتبطٌ بقوله: «يمشونَ على الأرض» أي: إنَّ المشيَ هو الهون، ويُشْبِهُ أنْ يُتَأَوَّلَ هذا على أن يكون أخلاقُ ذلك الماشي هوناً مناسبةً لمشيه، فيرجعُ القول إلى نحو ما بينّا، وأمَّا أن يكونَ المرادُ صفةَ المشي وحدَه، فباطل؛ لأنَّه رُبَّ ماشٍ هوناً رويداً، وهو ذئبٌ أطلس[(٩)]، وقد كان

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٥.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٨، نقلاً عن الثعلبي، ووقع في مطبوع تفسير الثعلبي ٤/ ٤٢٨: و«عبيد الرحمن».
(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٥، وزاد المسير ٦/ ١٠١، وزاد الأخيرُ نسبتها لعليٍّ ﷺ.
(٤) الكشاف ٣/ ٩٩.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٨، وأخرج أقوالهم الطبري ١٧/ ٤٩٠-٤٩٢.
(٦) في (ح): عيشهم مدة حياتهم.
(٧) في المطبوع: المعظم.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٨. وفيه: أي: لين. بدل: ليس بخشن!؟
(٩) الأطلس: الذئب الأمعط الذي تساقط شعره، وهو أخبثها. معجم متن اللغة (طلس).

رسولُ الله ﷺ يتكفَّأُ في مشيه كأنَّما يمشي في صَبَبٍ[١]، وهو عليه الصلاة والسلام الصدرُ في هذه الآية. وقوله عليه الصلاة والسلام: «من مشى منكم في طمع، فليمش رويداً»[٢]، أراد في عمر[٣] نفسه، ولم يرد المشيَ وحده، ألا ترى أنَّ المبطِلين المُتَحلِّينَ بالدِّين تمسَّكوا بصورة المشي فقط، حتى قال فيهم الشاعر:

كلُّهم يمشي رويدْ كلُّهم يطلب صيدْ[٤]

وقال الزهريُّ: سرعة المشي تَذهبُ ببهاء الوجه. يريدُ الإسراعَ الحثيث[٥]؛ لأنَّه يُخِلُّ بالوقار، والخيرُ في التوسُّط. وقال زيد بن أسلم: إنَّه رأى في النوم مَنْ فسَّر له «الذين يمشون على الأرض هوناً» بأنَّهم الذينَ لا يريدونَ أنْ يُفسِدوا في الأرض[٦].

وقال عياض بن موسى: كان عليه الصلاة والسلام يرفع في مشيه رجليه بسرعةٍ ويمدُّ خَطْوَهُ[٧]، خلافَ مِشْيَة المختال، ويقصِدُ سَمْتَهُ[٨]، وكلُّ ذلك برفقٍ وتثبُّتٍ

---

(١) جاء في حديث هند بن أبي هالة في شمائل الترمذي (٧)، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢/(٤١٤): إذا زال زال قلعاً، يخطو تكفيًّا، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب، عليه الصلاة والسلام.

(٢) قطعة من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٩٩)، وفيه إبراهيم بن زياد العجلي، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ٧٢: قال الأزدي: متروك الحديث، وذكرَ هذا الحديث من مناكيره.

(٣) كذا، ولم أتبينها، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢١٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٦٨: عقد.

(٤) في (أ) والمطبوع: رويدا. . . صيدا. . .
والبيت لأبي جعفر المنصور في مدح عمرو بن عبيد، كما في عيون الأخبار ١/ ٢٠٩، والعقد الفريد ٣/ ١٦٥. وفيهما: كلكم. بدل: كلهم. و: خاتل، بدل: يطلب، وبعده: غير عمرو بن عبيد.

(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: الخفيف. والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز.

(٦) هنا نهاية كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٨، وخبر زيد بن أسلم أخرجه الطبري ١٧/ ٤٩١.

(٧) في النسخ: وعدوِ خطوة. والمثبت من الشفا للقاضي عياض ١/ ٣٥٦ (بشرح الملا علي القاري)، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٦٧، وعنه نقل المصنف.

(٨) أي: مقصده في طريقه بدون ميلٍ عن وسطه؛ لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾. شرح الشفا للملا علي القاري ١/ ٣٥٧.

دون عجلةٍ، كما قال كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ[١]، وكان عمرُ يُسرِعُ جِبِلَّةً لا تكلُّفاً[٢].

«وإذا خاطبهمُ الجاهلونَ» أي: بما لا يسوغُ الخطابُ به «قالوا سلاماً» أي: سلامَ توديعٍ لا تحيَّة، كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧]، قاله الأصم[٣].

وقال مجاهد: قولاً سديداً. فهو منصوبٌ بـ «قالوا»[٤].

وقيل: هو على إضمار فعلٍ تقديره: سَلّمنا سلاماً، فهو جزءٌ من متعلَّق الجملةِ المحكيَّة.

قال ابنُ عطية: والذي أقوله: إنَّ «قالوا» هو العاملُ في «سلاماً»؛ لأنَّ المعنى قالوا هذا اللفظ[٥].

وقال الزمخشريُّ: تسلُّماً منكم لا نُجَاهِلكم، ومتاركةً لا خير بيننا ولا شرّ، أي: نتسلَّمُ منكم تسلُّماً[٦]، فأُقيمَ السلامُ مُقام التسلُّم[٧]. وقيل: قالوا سداداً من القولِ يسلمونَ فيه من الأذى والإثم، والمرادُ بالجهل السفَهُ وقلَّةُ الأدب وسُوءُ الرِّعَة[٨]، من قوله:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا[٩]

انتهى.

(١) قال الملا علي القاري في شرح الشفا ١/٣٥٧: وفي رواية: في صَبَب، وهو بفتحتين، أي: منحدر.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤١٧، وتفسير القرطبي ١٥/٤٦٧.

(٣) تفسير الرازي ٢٤/١٠٨.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٢١٨. وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٧/ ٤٩٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢١٨.

(٦) من قوله: لا نجاهلكم... إلى هنا. من (يه).

(٧) في (أ) و(ح) و(ع): التسليم. والمثبت من (يه) والكشاف ٣/ ٩٩.

(٨) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: الرغبة، وفي (يه): الرعية. والمثبت من الكشاف ٣/ ٩٩. والرِّعة: الهدى وحسن الهيئة، يقال: قوم حسنةٌ رعتهم، أي: شأنهم وأمرهم وأدبهم. لسان العرب (ورع).

(٩) هو لعمرو بن كلثوم، من معلقته الشهيرة. انظر شرح القصائد التسع المشهورات ٢/ ٨٣٤، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٢/ ٢٨٨.

وقال الكلبيُّ وأبو العالية: نسختها آيةُ القتال[١].

وقال ابن عطية وهذه الآيةُ كانت قبلَ آية السيف، فنُسِخَ منها ما يَخُصُّ الكفرةَ، وبقي حكمُها في المسلمين إلى يوم القيامة، وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في «كتابه»، وما تكلَّم على نسخ سواه، ورجَّحَ به أنَّ المرادَ السلامةُ لا التسليم؛ لأنَّ المؤمنين لم يؤمروا قطُّ بالسلام على الكفرة، والآيةُ مكيَّةٌ، فنسختها آيةُ السيف[٢].

وفي التاريخ ما معناه أنَّ إبراهيم بن المهدي[٣] كان منحرفاً عن عليٍّ بن أبي طالب، فرآه في النوم قد تقدَّمهُ إلى عبور قنطرة، فقال له: إنما تدَّعي هذا الأمرَ بامرأةٍ، ونحنُ أحقُّ به منك ـ وكان حكى ذلك للمأمون ـ قال: فما رأيتُ له بلاغةً في الجواب كما يُذْكر عنه، فقال له المأمون: فما أجابك به؟ قال: كان يقول لي: سلاماً سلاماً، فنبَّه[٤] المأمونُ على هذه الآية من حضره[٥] وقال: يا عم قد أجابك بأبلغ جوابٍ، فخزيَ إبراهيم واستحيا، وكأنَّ إبراهيمُ لم يحفظ الآية، أو ذهبت عنه حالة الحكاية[٦].

والبَيْتُوتة: هو أن يدركَكَ الليلُ، نمتَ أو لم تنم، وهو خلاف الظلول[٧]، وبجيلةُ وأزدُ السراة يقولون يَبَاتُ، وسائرُ العرب يقولون: يبيتُ.

ولمَّا ذكرَ حالهم بالنهار بأنَّهم يتصرَّفون أحسنَ تصرُّفٍ، ذكر حالهم بالليل.

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/١٠٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٢١٨، وانظر كلام سيبويه في الكتاب ١/ ٣٢٥.
(٣) هو الأمير أبو إسحاق، الهاشمي العباسي، الملقب بالمبارك، كان فصيحاً، بليغاً، عالماً أديباً شاعراً، رأساً في فن الموسيقا، بويع بالخلافة في زمن المأمون، ثم هزم جمع إبراهيم، واختفى زمناً إلى أن ظفر به المأمون، فعفا عنه. توفي سنة أربع وعشرين ومئتين. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥٧-٥٦١.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه): فنبهه. والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٢١٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٧١.
(٥) قوله: من حضره. من (يه).
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٩. وذكر هذه القصة الأصفهاني في الأغاني ١٠/ ١٢٦.
(٧) الكشاف ٣/ ٩٩.

والظاهرُ أنَّه يعني إحياءَ الليل بالصلاة أو أكثرَه. وقيل: من قرأ شيئاً من القرآن بالليل في صلاة فقد باتَ ساجداً وقائماً. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب، والركعتان بعد العشاء[١]. وقيل: من شفع وأوتر بعد أن صلَّى العشاءَ، فقد دخل في هذه الآية[٢].

وفي هذه الآية حَضٌّ على قيام الليل في الصلاة.

وقدَّم السجود وإن كان متأخِّراً في الفعل لأجل الفواصل، ولفضلِ السجود، فإنَّها حالةٌ أقربُ ما يكون العبدُ فيها من الله.

وقرأ أبو البَرَهْسَم: «سُجوداً»[٣] على وزن قعود.

ومَدَحهم تعالى بدعائه أنْ يَصرفَ عنهم عذابَ جهنم، وفيه تحقيقُ إيمانهم بالبعث والجزاء.

قال ابن عباس: «غراماً»: فظيعاً وجيعاً[٤]. وقال الخدريُّ: لازماً ملحَّاً دائماً[٥] قال الحسن: كلُّ غريم يفارقُ غريمَه إلَّا غريم جهنم[٦]. وقال السُّدِّي: شديداً، وأنشدوا على أنَّ «غراماً»: لازماً؛ قولَ الشاعر، وهو بشرُ بن أبي خازم[٧]:

ويومُ النِّسارِ ويومُ الجِفارِ ... كانا عذاباً وكانا غراما

وقال الأعشى[٨]:

---

(١) الكشاف ٣/ ٩٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢١٩.
(٤) زاد المسير ٦/ ١٠٢.
(٥) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٠٢ من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ مرفوعاً: «غراماً»: دائماً.
(٦) أخرجه الطبري ١٧/ ٤٩٦.
(٧) في (أ) و(ع) والمطبوع: حاتم. والمثبت من (ح) و(يه) وهو في ديوان بشر ص١٩٨ ونسبه ابن منظور في لسان العرب (غرم) للطرماح، وهو في ذيل ديوانه ص٥٨٤.
(٨) ديوان الأعشى ص٥٩.

إن يُعاقبْ يكن غَراماً وإن يُعْـ ـطِ جَزيلاً فإنَّه لا يبالي[١]

وصفَهم بإحياء الليل ساجدين، ثمَّ عقَّبه بذكر دعائهم هذا؛ إيذاناً بأنَّهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم[٢].

«وساءت» احتمل أنْ يكونَ بمعنى «بئست»، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ، وفي «ساءت» ضميرٌ مبهمٌ، ويتعين أن يكون «مستقراً ومقاماً» تمييزٌ، والتقدير: ساءت مستقراً ومقاماً هي، وهذا المخصوص بالذمِّ هو رابطُ الجملة الواقعة خبراً لـ«إنَّ». ويجوز أن يكون «ساءت» بمعنى: أَحْزَنَتْ، فيكون المفعولُ محذوفاً، أي: ساءتهم، والفاعلُ ضميرُ جهنم، وجاز في: مستقر ومقام، أن يكونا تمييزين، وأن يكونا حالين قد عُطِف أحدهما على الآخر[٣].

والظاهرُ أنَّ التعليلين غيرُ مترادفين؛ ذكرَ أوَّلاً لزومَ عذابها، وثانياً مساءةَ مكانها، وهما معنيان متغايران، وإن كان يلزمُ من لزوم العذاب في مكانٍ ذمُّ ذلك المكان.

وقيل: هما مترادفان، والظاهرُ أنَّه من كلام الداعين وحكايةٌ لقولهم، وقيل: هو من كلام الله. ويظهر أنَّ قوله: «ومقاماً» معطوفٌ على سبيل التوكيد؛ لأنَّ الاستقرارَ والإقامةَ كأنهما مترادفان.

وقيل: المستقرُّ للعصاة من أهل الإيمان، فإنَّهم يستقرُّون فيها ولا يقيمون، والإقامةُ للكفَّار[٤].

وقرأت فرقةٌ: «ومَقاماً» بفتح الميم[٥]، أي: مكان قيام، والجمهورُ بالضمِّ، أي: مكان إقامة.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٧/ ٤٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢١٩، وغيرها.
(٢) الكشاف ٣/ ١٠٠.
(٣) ذكر هذين التعليلين الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٠٠. وضعف الآلوسي الثاني منهما في روح المعاني ١٩/ ١٠٤.
(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ١٠٩.
(٥) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢١٩.

«لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُروا» قال أبو عبد الرحمن الحُبُليّ[١]: الإنفاقُ في غير طاعةٍ إسراف، والإمساك عن طاعة إقتار، وقال معناه ابنُ عباس ومجاهد وابنُ زيد[٢].

وسمع رجلٌ رجلاً يقول: لا خيرَ في الإسراف، فقال: لا إسراف في الخير[٣].

وقال عون بن عبد الله بن عتبة: الإسرافُ أن تنفقَ مالَ غيرك[٤].

وقال النخعيُّ: هو الذي لا يُجيعُ ولا يعري، ولا ينفقُ نفقةً يقول الناس: قد أسرف.

وقال يزيد بن أبي حبيب: هم الذين لا يَلْبَسون الثياب للجَمال، ولا يأكلون طعاماً للذَّة.

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوَّجَهُ ابنتَه فاطمة: ما نفقتُك؟ قال له عمر: الحسنةُ بين السيئتين، ثم تلا الآية[٥].

والإسرافُ: مجاوزةُ الحدِّ في النفقة، والقترُ: التضييقُ الذي هو نقيض الإسراف[٦]، وعن أنس في «سنن» ابن ماجه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ من السرف أن تأكل كُلَّ ما اشتهيته»[٧].

وقال الشاعر:

ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصِدْ ... كلا طَرَفَي قَصْدِ الأمور ذَميمُ[٨]

(١) هو عبد الله بن يزيد المَعَافري، توفي سنة مئة بإفريقية. من رجال التهذيب.
(٢) ذكره عنهم ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠، وأخرج أقوالهم الطبري ١٧/ ٤٩٨.
(٣) الكشاف ٣/ ١٠٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠، ونص قول عون كما أخرجه الطبري ١٧/ ٥٠١: ليس المسرفُ من يأكلُ ماله، إنما المسرف من يأكل مال غيره.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠، وقولا النخعي ويزيد أخرجهما الطبري ١٧/ ٤٩٩-٥٠٠.
(٦) الكشاف ٣/ ١٠٠.
(٧) سنن ابن ماجه (٣٣٥٢)، وإسناده ضعيف جداً؛ لضعف بقية بن الوليد ونوح بن ذكوان وجهالة يوسف بن أبي كثير.
(٨) البيت لأبي سليمان الخطابي، كما في يتيمة الدهر ٤/ ٣٨٥، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٥٩ وخزانة الأدب ٢/ ١٢٣-١٢٤.

وقال آخر:

إذا المرءُ أعطى نفسَه كُلَّ ما اشتَهَتْ ... ولم يَنْهَها تاقَتْ إلى كلِّ باطلِ
وساقتْ إليه الإثمَ والعارَ بالذي ... دَعَتْهُ إليه من حلاوةِ عاجلِ[1]

وقال حاتم:

إذا أنتَ قد أعطيتَ بطنَك سؤلَهُ ... وفرجَكَ نالا منتهى الذمِّ أجمعا[2]

وقرأ الحسنُ وطلحة والأعمش وحمزةُ والكسائيُّ وعاصم: «يَقتُروا» بفتح الياء وضمِّ التاء، ومجاهدٌ وابنُ كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، ونافعٌ وابنُ عامر بضمِّ الياء وكسر التاء[3]، وقرأ العلاء بن سيابة واليزيديُّ بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة[4]، وكلُّها لغات في التضييق. وأنكر أبو حاتم لغةَ «أقتر» رباعيّاً هنا، وقال: أقتر، إذا افتقر، ومنه: ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وغاب عنه ما حكاهُ الأصمعيُّ وغيره من أقتر بمعنى ضيَّق[5].

والقَوام: الاعتدالُ بين الحالتين. وقرأ حسان بن عبد الرحمن: «قِوَاماً» بالكسر[6]. فقيل: هما لغتان بمعنى واحد. وقيل ـ بالكسر ـ: ما يقامُ به الشيء، يقال: أنت قوامنا بمعنى ما تقامُ به الحاجة، لا يفضلُ عنها ولا ينقص[7]. وقيل: قِواماً بالكسر: مبلغاً وسداداً وملاكَ حال.

و«بينَ ذلكَ» و«قواماً» يصحُّ أن يكونا خبرين عند من يُجيزُ تعداد خبر «كان»[8]،

---

(١) نسبهما ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٠/ ١٥٣ للحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس المعروف بالبارع البغدادي، ثم نسبهما ١٩/ ٤٤ لمحمد بن محمد بن القاسم المعروف بابن أبي المناقب.

(٢) ديوان حاتم ص٦٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤، والسبعة ص٤٦٦، والتيسير ص١٦٤.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٥، ومن قوله: وقرأ العلاء بن سيابة... إلى هنا ساقط من المطبوع.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٦٤.

(٦) مختصر ابن خالويه ص١٠٥، والمحتسب ٢/ ١٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠.

(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٠٠.

(٨) وهم الجمهور، خلافاً لابن درستويه. الدر المصون ٨/ ٥٠١.

وأن يكون «بين» هو الخبر، و«قواماً» حالٌ مؤكِّدة، وأن يكون «قواماً» خبراً، و«بين ذلك» إمَّا معمولٌ لـ «كان» على مذهب من يرى أنَّ «كان» الناقصة تعملُ في الظرف، وأنْ يكون حالاً من «قواماً»؛ لأنَّه لو تأخَّر لكان صفةً. وأجاز الفرَّاء أن يكون «بين ذلك» اسم «كان»[1]، وبُني لإضافته إلى مبنيٍّ، كقوله: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦]، في قراءة من فتح الميم[2]، و«قواماً» الخبر. قال الزمخشريُّ: وهو من جهة الإعراب لا بأس به، ولكنَّ المعنى ليس بقويّ؛ لأنَّ ما بين الإسراف والتقتير قوامٌ لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمدُ الفائدة فائدةٌ، انتهى[3].

وصفَهم تعالى بالقصدِ الذي هو بين الغلوِّ والتقصير، وبمثله خُوطِبَ الرسولُ ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩]. الآية.

«والذين لا يدعون» الآية، سأل ابنُ مسعودٍ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعلَ لله ندّاً وهو خلقك»، قال: ثمَّ أيّ؟ قال: «أن تقتلَ ولدكَ مخافةَ أن يَطْعَم معك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تزانيَ حليلةَ جارك»، فأنزل الله تصديقَها: «والذين لا يدعون» الآية[4].

وقيل: أَتى رسولَ الله ﷺ مشركون قد قتلوا فأكثروا، وزنَوا فأكثروا، فقالوا: إنَّ الذي تقول وتدعو إليه لحسنٌ، أو تخبرنا[5] أنَّ لما عملنا كفارة، فنزلت إلى «غفوراً رحيماً»[6].

وقيل: سببُ نزولها قصةُ وحشيٍّ في إسلامه في حديثٍ طويل[7].

قال الزمخشريُّ: نفيُ هذه التقبيحات[8] العظام عن الموصوفين بتلك الخلال

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٧٣.
(٢) هي قراءة نافع والكسائي كما سلف عند تفسير الآية.
(٣) الكشاف ٣/ ١٠٠. وقال السمين: قلت: هو يشبه قولك: كان سيدُ الجارية مالكها.
(٤) أخرجه أحمد (٤١٣٤)، والبخاري (٦٠٠١).
(٥) في المصادر: لو تخبرنا.
(٦) أخرجه البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢): (١٩٣) من حديث ابن عباس ﷺ.
(٧) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص٣٤٩.
(٨) في الكشاف ٣/ ١٠٠: المقبَّحات.

العظيمة في الدين؛ للتعريض بما كان عليه أعداءُ المؤمنين من قريش وغيرهم، كأنه قيل: والذينَ برَّأهمُ الله وطهّرهم مما أنتم عليه[1].

وقال ابن عطية: إخراجٌ لعباده المؤمنين من صفات الكَفَرة في عبادتهم الأوثان، وقتلهم النفسَ بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات، وبالزنى الذي كان عندهم مباحاً. انتهى[2].

وتقدَّم تفسيرُ نظير «ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّم الله إلا بالحق» في سورة الأنعام.

وقرئ: «يُلَقَّ» بضمِّ الياء وفتح اللام والقاف مشددة[3]، وابن مسعود وأبو رجاء: «يَلقى» بألف[4]، كأنَّه نوى حَذْفَ الضمَّةِ المقدَّرةِ على الألف، فأقرَّ الألف.

والأثام في اللغة: العقاب، وهو جزاء الإثم. قال الشاعر:

جزَى اللهُ ابنَ عُروة حيثُ أمسى عُقوقاً والعُقوقُ له أثامُ[5]

أي: جدٌّ وعقوبةٌ، وبه فسره قتادة وابنُ زيد. وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد وعكرمة وابنُ جبير: أثام: وادٍ في جهنم، هذا اسمُه جعلَهُ الله عقاباً للكفرة[6].

وقال أبو مسلم: الأثام: الإثم، ومعناه: يلق جزاء أثامٍ، فأطلق اسم الشيء على جزائه.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٠٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠.

(٣) القراءة في الكشاف ٣/ ١٠١ دون نسبة، ونسبها ابن خالويه في مختصره ص١٠٥ لابن مسعود وأبي رجاء. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٠٥ لسعيد بن جبير وأبي المتوكل.

(٤) هي في الكشاف ٣/ ١٠١ دون نسبة.

(٥) نسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨١، والطبري في تفسيره ١٧/ ٥٠٥ لبلعاء بن قيس الكناني، ونسبه محمد بن حبيب البغدادي في كتاب أسماء المغتالين ٢/ ٢٣٤ (نوادر المخطوطات) لبنت حارثة بن قيس الكناني، ونسبه الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٣٢ لمسافع الليثي، ونسبه ابن منظور في اللسان (أثم) لشافع الليثي. ولعل الأخير محرف عن مسافع، كما هو في تفسير الثعلبي. والله أعلم.

(٦) أقوالهم عدا قول ابن جبير في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠، وأخرجها الطبري ١٧/ ٥١٣-٥١٤.

وقال الحسن: الأثامُ اسمٌ من أسماء جهنم[١].

وقيل: بئرٌ فيها. وقيل: جبل.

وقرأ ابنُ مسعود: «يلقَ أيَّاماً» جمع يوم، يعني: شدائد، يقال: يوم ذو أيَّام، لليوم العصيب[٢].

و«ذلك» في قوله: «ومن يفعل ذلك» يظهرُ أنَّه إشارةٌ إلى المجموع من دعاءِ إلهٍ آخر، وقتلِ النفس بغير حقٍّ، والزنى، فيكون التضعيفُ مرتَّباً على مجموع هذه المعاصي، ولا يلزمُ ذلك التضعيفُ على كلٍّ واحدٍ منها، ولا شكَّ أنَّ عذاب الكفَّار يتفاوتُ بحسب جرائمهم.

وقرأ نافعٌ وابن عامر[٣] وحمزة والكسائيُّ: «يضاعَفْ له العذابُ» مبنيًّا للمفعول وبألف، و«يَخلُدْ» مبنيّاً للفاعل، والحسنُ وأبو جعفر وابنُ كثير كذلك، إلَّا أنَّهم شدَّدوا العينَ وطرحوا الألف[٤].

وقرأ أبو جعفر أيضاً وشيبةُ وطلحةُ بن سليمان: «نُضَعِّف» بالنون مضمومةً وكسر العين مشدَّدة «العذابَ» نصب[٥].

وطلحةُ بن مُصَرِّفُ: «يُضَاعِف» بالياء مبنيًّا للفاعل «العذابَ» نصباً.

وقرأ طلحةُ بن سليمان: «وتَخلدُ»[٦] بتاء الخطاب على الالتفات مرفوعاً، أي: وتخلدُ أيُّها الكافر.

---

(١) قولا أبي مسلم والحسن في تفسير الرازي ٢٤/ ١١١.

(٢) الكشاف ٣/ ١٠١، وتحرفت أياما في مختصر ابن خالويه إلى: أيامى.

(٣) نسبةُ هذه القراءة لابن عامر وهمٌ، تابع فيه المصنف ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠، وتابعه أيضاً القرطبي في تفسيره ١٥/ ٤٨٠. وأشار إلى وهم أبي حيان السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٠٣.
والصواب أنها قراءة أبي عمرو لا ابن عامر، وهي أيضاً قراءة حفص بن عاصم. أما ابن عامر، فإنه قرأ: «يضعَّفُ... ويَخْلُدُ». انظر السبعة ص٤٦٧، والتيسير ص١٦٤.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٠، وقراءة ابن كثير في السبعة ص٤٦٧، والتيسير ص١٦٤. وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٣٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢١، وذكر قراءة طلحة بن سليمان ابنُ جني في المحتسب ٢/ ١٢٥.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٨٠، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٢٥ وهي عنده بالجزم.

وقرأ أبو حيوة: «ويُخَلَّدْ» مبنيًّا للمفعول مشدّدَ اللّام مجزوماً[١]، ورويت عن أبي عمرو، وعنه كذلك مخفَّفاً[٢].

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يُضَاعَفُ ويَخلُدُ» بالرفع عنهما[٣]، وكذا ابنُ عامر[٤].

والمفضَّلُ عن عاصم: «يُضاعَفُ ويُخْلَدُ» مبنيًّا للمفعول مرفوعاً مخفَّفاً[٥].

والأعمش بضمِّ الياء مبنيًّا للمفعول مرفوعاً مخفَّفاً، والأعمش بضمِّ الياء[٦] مبنيًّا للمفعول مشدَّداً مرفوعاً[٧]، فالرفعُ على الاستئناف أو الحال، والجزمُ على البدل من يَلْقَ، كما قال الشاعر:

متى تأتنا تُلْمِم بنا في ديارنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تأجَّجا[٨]

والضمير في «فيه» عائدٌ على العذاب.

والظاهرُ أنَّ توبةَ المسلم القاتلِ النفسَ بغير حقٍّ مقبولةٌ، خلافاً لابن عباس[٩]، وتقدَّم ذلك في «النساء»[١٠].

(١) مختصر ابن خالويه ص١٠٥، وهي أيضاً قراءة عاصم الجحدري وابن يعمر كما في زاد المسير ٦/ ١٠٦.
(٢) قال ابن مجاهد في السبعة ص٤٦٧: وروى حسين الجعفيّ عن أبي عمرو: ويُخْلَدْ، بضم الياء وفتح اللام، وهو غلط. وغلطه أبو علي في الحجة ٥/ ٣٥٢ من طريق الرواية. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٠٦ لأبي حيوة وقتادة والأعمش.
(٣) السبعة ص٤٦٧، والتيسير ص١٦٤.
(٤) لكن المتواتر عن ابن عامر أنّه شدَّد العين وألقى الألف، فقرأ: «يضعَّفُ».
(٥) مختصر ابن خالويه ص١٠٥.
(٦) من قوله: مبنياً للمفعول مشدد اللام. . . إلى هنا. ساقط من (يه).
(٧) الكشاف ٣/ ١٠١ من دون نسبة.
(٨) هو في الكتاب ٣/ ٨٦ دون نسبة، ونسبه البغدادي في خزانة الأدب ٩/ ٩٠ لعبيد الله بن الحر. وقوله: تلمم، بدل من: تأتنا. والحطب الجَزلُ: الغليظ منه، يريد أنهم يوقدون الجزلَ من الحطب لتقوى نارهم، فينظر إليها الضيوف على بعدٍ ويقصدونها. خزانة الأدب ٩/ ٩٦-٩٧. وسلف عند تفسير الآية (٤٩) من سورة البقرة.
(٩) أخرجه الطبري ١٧/ ٥٠٨.
(١٠) عند تفسير الآية (٤٨) منها.

وتبديلُ سيئاتهم حسنات هو جعلُ أعمالهم بدلَ معاصيهم الأُوَل طاعةً، ويكون ذلك سببَ رحمة الله إيَّاهم، قاله ابنُ عباس وابنُ جبير والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد، ورَدُّوا على من قال: هو في يوم القيامة[١].

وقال الزَّجاج: السيئةُ بعينها لا تصيرُ حسنةً، ولكنَّ السيئةَ تُمْحى بالتوبة، وتكتبُ الحسنةُ مع التوبة، والكافرُ يحبَطُ عملُه، وتثبتُ عليه السيئات[٢].

وتأوَّلَ ابنُ المسيَّب ومكحول أنَّ ذلك يوم القيامة، وهو معنى كرم العفو، وفي كتاب مسلم أنَّ الله يُبَدِّلُ يومَ القيامة لمن يريدُ المغفرةَ له من الموحِّدين بدَل سيئاتٍ حسنات[٣]. وقالا[٤]: تمحى السيئةُ ويُثبتُ بدلَها حسنةٌ.

وقال القفَّال والقاضي: يُبْدَلُ العقابُ بالثواب، فذكرَهما وأرادَ ما يُستَحَقُّ بهما[٥].

وقالوا: «إلا من تاب» استثناءٌ متَّصِلٌ من الجنس[٦]. ولا يظهر؛ لأنَّ المستثنى منه محكومٌ عليه بأنَّه يضاعفُ له العذاب، فيصير التقدير: إلَّا من تاب وآمنَ وعملَ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢١ دون قول مجاهد وقتادة، وانظر القول عنهما وعن غيرهما في زاد المسير ٦/ ١٠٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٦.

(٣) ورد هذا المعنى في صحيح مسلم (١٩٠): (٣١٤) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها؛ رجلٌ يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر. وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال: إنَّ لك مكان كلِّ سيئةٍ حسنة، فيقول: قد عملتُ أشياء لا أراها ها هنا».

(٤) يعني ابن المسيب ومكحول، انظر تفسير الرازي ٢٤/ ١١٢، وقول ابن المسيب أخرجه الطبري ١٧/ ٥١٩.

(٥) تفسير الرازي ٢٤/ ١١٢.

(٦) الإملاء ٢/ ١٦٥. وعبر السمين عن هذا القول في الدر المصون ٨/ ٥٠٤ بأنه لم يعرف الناس غيره.

عملاً صالحاً فلا يضاعَفُ له العذاب.

ولا يلزمُ من انتفاء التضعيف انتفاءُ[(١)] العذاب غيرِ المضعَّف، فالأولَى عندي أنْ يكون استثناءً منقطعاً، أي: لكن مَنْ تابَ وآمنَ وعملَ عملاً صالحاً فأولئك يبدِّلُ الله سيئاتهم حسنات، وإذا كان كذلك، فلا يلقى عذاباً البتة[(٢)].

و«سيئاتهم» هو المفعول الثاني، وهو أصله أن يكون مقيَّداً بحرف الجر، أي: بسيئاتهم. و«حسنات»: هو المفعولُ الأول، وهو المسرَّح، كما قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]، وقال الراجز:

تضحكُ منِّي أختَ ذات النِّحْيَيْن[(٣)]

أبدَلَكِ اللهُ بلونٍ لونَيْنْ

سوادَ وجهٍ وبياضَ عينَيْنْ[(٤)]

الظاهرُ أنَّ «ومن تابَ» أي: من أنشأ التوبةَ «فإنَّه يتوب إلى الله» أي: يرجعُ إلى ثوابه وإحسانه، قال ابن عطية: ومن تاب فإنَّه قد تمسَّكَ بأمرٍ وثيقٍ، كما تقول لمن يُستحسن قوله في أمرٍ: لقد قلتَ يا فلانُ قولاً، فكذلك الآيةُ معناها مدحُ المَتاب، كأنَّه قال: فإنَّه يجدُ باباً للفرَج[(٥)] والمغفرةِ عظيماً.

---

(١) في (أ) و(ع) و(يه) ومخطوط روح المعاني ـ كما أشار إليه محققه ١٩/ ١١٣: لقاء. والمثبت من (ح) والدر المصون ٨/ ٥٠٤.

(٢) قال السمين الحلبي: والظاهر قول الجمهور ـ يعني أنه استثناء متصل ـ وأما ما قاله (يعني أبا حيان) فلا يلزم؛ إذ المقصود الإخبار بأن من فعل كذا فإنه يحلُّ به ما ذكر إلا أن يتوب. وأمَّا إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرُّض في الآية له.

(٣) النِّحْيُ: الزق يكون فيه السمن. انظر اللسان (نحا).

(٤) الرجزُ بألفاظ قريبة في الحماسة ٤/ ١٨٤١ (بشرح المرزوقي) وروايته فيها:

من أيْنا تضحك ذات الحِجْلَيْنْ

أبدلها الله بلون لونَيْنْ

سوادَ وجهٍ وبياض عينَيْنْ

(٥) في (أ) و(ح) و(ع): فإنه يجد الفرج. والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢.

وقال الزمخشريُّ: ومَن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنَّه بذلك تائبٌ إلى الله [متاباً مرضيّاً عنده، مُكفِّراً للخطايا، مُحَصِّلاً للثواب، أو: فإنَّه تائبٌ متاباً إلى الله] الذي يعرفُ حقَّ التائبين، ويفعلُ بهم ما يستوجبونَ، والله يحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهرين(١). انتهى.

وقيل: من عزم على التوبة، فإنَّه يتوبُ إلى الله، فليبادر إليها ويتوجَّه بها إلى الله.

وقيل: من تابَ من ذنوبه، فإنَّه يتوبُ إلى مَنْ يقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات.

وقيل: ومن تابَ واستقامَ على التوبة، فإنَّه يتوبُ إلى الله، أي: فهو التائبُ حقًّا عند الله.

«والذين لا يشهدونَ الزُّور» عاد إلى ذكر أوصاف عباد الرحمن، والظاهرُ أنَّ المعنى: لا يشهدونَ بالزور أو شهادةَ الزور، قاله عليٌّ(٢) والباقر، فهو من الشهادة.

وقيل: المعنى لا يَحْضُرون، من المُشاهَدة.

والزُّور: الشِّرك والصنم، أو الكذب، أو آلة الغناء، أو أعيادُ النصارى، أو لعبةٌ كانت في الجاهلية، أو النَّوْح، أو مجالس يُعَابُ فيها الصالحون. أقوال. فالشرك قاله الضحَّاك وابن زيد، والغناءُ قاله مجاهد، والكذبُ قاله ابن جريج(٣).

وفي «الكشاف» عن قتادة: مجالس الباطل، وعن ابن الحنفية: اللهو والغناء، وعن مجاهد: أعياد المشركين. واللغو كل ما ينبغي أنْ يُلْغَى ويُطْرح(٤)، والمعنى:

(١) الكشاف ٣/ ١٠١. وما بين حاصرتين منه.
(٢) هو علي بن أبي طلحة، كما في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٣٤، وزاد المسير ٦/ ١٠٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٨٥، ووقع في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢: علي بن أبي طالب، ومثله في روح المعاني ١٧/ ١١٦.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢، وأقوالهم أخرجها الطبري ١٧/ ٥٢٢.
(٤) هنا نهاية الخرم في النسخة (ت).

وإذا مرُّوا بأهل اللغو مرُّوا معرضِين عنهم، مُكْرِمينَ أنفسَهم عن التوقُّف عليهم والخوضِ معهم، لقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] انتهى[١].

«بآيات ربِّهم» هي القرآن «لم يخرُّوا عليها صُمّاً وعمياناً» النفيُ متوجِّهٌ إلى القيد الذي هو صمٌّ وعُميان، لا للخُرور الداخل عليه، وهذا الأكثر في لسان العرب أنَّ النفيَ يتسلَّطُ على القيد، والمعنى أنَّهم إذا ذكِّروا بها أكبُّوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكِّر بها بآذانٍ واعيةٍ وأعينٍ راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم، فإنَّهم إذا ذُكِّروا بها كانوا مكبِّينَ عليها مقبلين على من يُذَكِّر بها في ظاهر الأمر، وكانوا صمّاً وعمياناً، حيث لا يعونَها، ولا يتبصَّرون ما فيها[٢].

قال ابن عطية: بل يكون خرورُهم سجَّداً وبُكِيّاً، كما تقول: لم يخرج زيدٌ إلى الحرب جَزَعاً، أي: إنَّما خرج جريئاً مُقْدِماً، وكان المستمعُ للذِّكر[٣] قائمَ القناة، قويمَ الأمر، فإذا أعرضَ كان ذلك خروراً، وهو السقوطُ على غيرِ نظامٍ وترتيب، وإن كان قد أشبَه الذي يخرُّ ساجداً، لكن أصله أنَّه على غير ترتيب. انتهى[٤].

وقال السُّدِّيُّ[٥]: «لم يَخِرُّوا صمّاً وعُمياناً» هي صفةٌ للكفَّار، وهي عبارةٌ عن إعراضهم وجَهدهم في ذلك، وقَرَنَ ذلك بقولِك: قعدَ فلانٌ يشتمني[٦]، وقامَ فلان يبكي، وأنت لم تقصد الإخبارَ بقعودٍ ولا قيام، وإنَّما هي تَوْطِئاتٌ في الكلام والعبارة.

«قرَّةَ أعيُنٍ» كنايةٌ عن السرور والفرح، وهو مأخوذٌ من القُرِّ وهو البرد، يقال: دمعُ السرور باردٌ، ودمعُ الحزن سُخْنٌ، ويقال: أقرَّ الله عينكَ، وأسخنَ الله عين العدوِّ[٧]، وقال أبو تمام:

---

(١) الكشاف ٣/ ١٠١.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٠٢.
(٣) في المطبوع: المسمع المذكر.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢.
(٥) كذا في النسخ، وهو تحريف. والصواب: الطبري، كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢، وانظر كلام الطبري في تفسيره ١٧/ ٥٢٨.
(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: يتمنى. والمثبت من (ت) و(ح) و(يه).
(٧) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢.

فأمَّا عيونُ العاشقينَ فأُسْخِنَتْ وأمَّا عيونُ الشامتينَ فقَرَّتِ[1]

وقيل: هو مأخوذٌ من القَرار، أي: يَقَرُّ النظرُ به ولا ينظرُ إلى غيره.

وقال أبو عمرو: وقرَّةُ العين: النوم، أي: آمناً؛ لأنَّ الأمنَ لا يأتي مع الخوف، حكاه القفَّال.

وقُرَّة العين فيمن ذُكِرَوا رؤيتُهم مطيعينَ لله، قاله ابن عباس والحسنُ وحضرميّ[2]، كانوا في أول الإسلام يهتدي الأبُ، والابنُ كافر، والزوجُ، والزوجةُ كافرة، وكانت قرَّةُ عيونهم في إيمان أحبابهم[3].

وقال ابن عباس: قُرَّةُ عين الولدِ أن تراه يكتبُ الفقهَ[4].

والظاهر أنهم دَعَوا بذلك ليجابوا في الدنيا فيُسَرُّوا بهم.

وقيل: سألوا أن يُلْحِقَ الله بهم أولئك في الجنَّة ليتمَّ لهم سرورُهم. انتهى[5].

ويتضمَّن هذا القولَ الأولَ الذي هو في الدُّنيا؛ لأنَّ ذلك نتيجةُ إيمانهم في الدنيا.

و«من» الظاهرُ أنَّها لابتداء الغاية، أي: هَبْ لنا من جهتهم ما تَقَرُّ به عيونُنا من طاعةٍ وصلاحٍ، وجُوِّزَ أن تكون للبيان، قاله الزمخشريُّ، قال: كأنَّه قيل: هَبْ لنا قرَّة أعينٍ، ثم بُيِّنَتِ القُرَّة وفسِّرَت بقوله: «من أزواجنا وذريَّتِنا»، ومعناه أنْ يجعلهمُ اللهُ لهم قرَّة أعين، من قولك: رأيتُ منك أسداً، أي: أنتَ أسدٌ. انتهى[6].

وتقدم لنا[7] أنَّ «مِن» التي لبيان الجنس لا بدَّ أن يتقدَّم المبيَّن، ثم يُؤتى بـ «من»

(١) ديوان أبي تمام ١/ ٣٠٠ (بشرح التبريزي).
(٢) أخرج أقوالهم الطبري ١٧/ ٥٣٠.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢ من قول المقداد بن الأسود، وأخرج قوله الطبري ١٧/ ٥٣١.
(٤) الكشاف ٣/ ١٠٢.
(٥) الكشاف ٣/ ١٠٢.
(٦) الكشاف ٣/ ١٠٢.
(٧) عند تفسير الآية (٢١) من سورة إبراهيم.

البيانية، وهذا على مذهب من أثبتَ أنَّها تكون لبيان الجنس، والصحيحُ أنَّ هذا المعنى ليس بثابتٍ لـ «من».

وقرأ ابنُ عامر والحِرميَّان وحفص: «وذريَّاتنا» على الجمع، وباقي السبعة وعيسى[١] وطلحة على الإفراد[٢].

وقرأ عبدُ الله وأبو الدرداء وأبو هريرة: «قُرَّاتِ» على الجمع[٣]، والجمهورُ على الإفراد.

ونُكِّرت القرَّةُ؛ لتنكير الأعين؛ كأنَّه قال: هبْ لنا منهم سروراً وفرحاً.

وجاء «أعْيُن» بصيغة جمع القلة دون: عيون، الذي هو صيغةُ جمع الكثرة؛ لأنه أريد أعينُ المتقين، وهي قليلةٌ بالإضافة إلى عيون غيرهم، قاله الزمخشريُّ[٤]. وليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ «أعين» تنطلقُ على العشرة فما دونه من الجمع، والمتقونَ ليست أعينُهم عشرةً، بل هي عيونٌ كثيرةٌ جدًّا، وإن كانت عيونُهم قليلةً بالنسبة إلى عيون غيرهم، فهيَ من الكثرة بحيث تفوتُ العدَّ.

وأفرد «إماماً» إمَّا اكتفاءً بالواحد عن الجمع، وحسَّنه كونُه فاصلةً، ويدلُّ على الجنسِ ولا لبس، وإمَّا لأنَّ المعنى: واجعل كلَّ واحدٍ إماماً، وإمَّا أن يكون جمع آمّ، كحالٍّ وحلال، وإمَّا لاتِّحادهم واتفاقِ كلمتهم[٥] قالوا: واجعلنا إماماً واحداً، دعوا الله أن يكونوا قدوةً في الدين، ولم يطلبوا الرئاسة. قاله النخعيُّ[٦].

وقيل: في الآية ما يدلُّ على أن الرياسةَ في الدين يجبُ أن تطلبَ. قيل: ونزلت في العشرة المبشرين بالجنة[٧].

---

(١) لفظة: وعيسى. من (ت) و(به).
(٢) السبعة ص٤٦٧ والتيسير ص١٦٤، والحرميان هما نافع وابن كثير. والقراءة عن عيسى وطلحة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢ وعنه نقل المصنف.
(٣) مختصر في شواذ القراءات ص١٠٥.
(٤) في الكشاف ٣/ ١٠٢.
(٥) الكشاف ٣/ ١٠٢.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٢.
(٧) الكشاف ٣/ ١٠٢.

«أولئك» إشارةٌ إلى الموصوفين بهذه الصفات العشرة[١].

و«الغُرْفَةَ» اسمٌ معرَّفٌ بأل، فيعمّ، أي: الغرف، كما جاء: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وهي العَلالي. قال ابن عباس: وهي بيوتٌ من زبَرْجَدٍ ودُرٍّ وياقوت[٢].

وقيل: الغرفةُ من أسماء الجنة. وقيل: السماءُ السابعة غرفة. وقيل: هي أعلى منازلِ الجنة. وقيل: المراد العُلوُّ في الدرجات.

والباء في «بما صبروا» للسبب. وقيل: للبدل، أي: بدل صبرهم، كما قال:

فليتَ لي بهمُ قوماً إذا ركبوا[٣]

أي: فليتَ لي بدلَهم قوماً.

ولم يذكر متعلَّق الصبر مخصَّصاً؛ ليعمَّ جميعَ مُتَعلَّقاته.

وقرأ الحسنُ وشيبةُ وأبو جعفر والحِرْميَّانِ وأبو عمرو وأبو بكر[٤]: «ويُلَقَّون» بضمِّ الياء وفتح اللام والقاف مشددة[٥]. وقرأ طلحةُ ومحمد اليماني وباقي السبعة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف[٦].

---

(١) وتعدادها إحدى عشرة كما ذكره القرطبي في تفسيره ١٥/ ٤٩١، وهي: التواضع، والحلم، والتهجُّد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك والزنى والقتل، والتوبة، وتجنُّب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله تعالى.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وذكر عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١١٢ أنه قال: يعني الجنة، ثم نقل عن غيره قال: الغرفة كلُّ بناءٍ عال مرتفع، والمراد غرف الجنة، وهي من الزبرجد والدرِّ والياقوت.

(٣) سلف عند تفسير أوائل الفاتحة.

(٤) في نسبتها لأبي بكر عن عاصم خطأ، والصواب أنها قراءة حفص عن عاصم.

(٥) القراءة عن الحرميان نافع وابن كثير وعن أبي عمرو في السبعة ص٤٦٨، والتيسير ص١٦٥ وهي أيضاً قراءة حفص عن عاصم.
والقراءة عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٣٥ وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة. والقراءة عن الحسن وشيبة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣. وهي قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وأبي بكر عن عاصم من السبعة وخلف من العشرة. السبعة ص٤٦٨، والتيسير ص١٦٥، والنشر ٢/ ٣٣٥.

والتحيَّةُ دعاءٌ بالتَّعمير، والسلامُ دعاءٌ بالسلامة، أي: تُحَيِّيهم الملائكة، أو يحيي بعضُهم بعضاً[1]. وقيل: يُحَيَّون بالتُّحَف، جمعَ لهم بين المنافع والتعظيم.

«حَسُنَت مُستقرًّا ومقاماً» معادلٌ لقوله في جهنم: «ساءت مستقرًّا ومقاماً».

ولمَّا وصفَ عبادَه العبَّاد، وعدَّد ما لهم من صالح الأعمال، أمر رسولَه ﷺ أن يصرِّحَ للناس بأنْ الاكتراثَ لهم عند ربهم إنَّما هو للعبادة[2]، والدعاءُ في قوله: «لولا دعاؤكم» هو العبادة.

والظاهرُ أنَّ «ما» نفيٌ، أي: ليس يَعْبَأُ بكم ربِّي لولا دعاؤكم، ويجوز أن تكون استفهاميَّةً فيها معنى النفي، أي: أيُّ عبءٍ يعبأ بكم.

و«دعاؤكم» مصدرٌ أضيف إلى الفاعل، أي: لولا عبادتكم إيَّاه، أي: لولا دعاؤكم وتضرُّعكم إليه، أو ما يعبأ بتعذيبكم لولا دعاؤكم الأصنامَ آلهةً. وقيل: أضيف إلى المفعول، أي: لولا دعاؤه إيَّاكم إلى طاعته[3].

والذي يظهرُ أنَّ قولَه: «قل ما يعبأ بكم» خطابٌ لكفَّار قريشٍ القائلين: أنَسجدُ لما تأمرنا؟ أي: لا يَحْفِلُ بكم ربِّي لولا تضرُّعكم إليه واستغاثتكم إيَّاه في الشدائد.

«فقد كذَّبتم» بما جاء به الرسولُ ﷺ، فتستحقُّون العقابَ، فسوف يكونُ العقاب، وهو ما أنتجه تكذيبُكم، ونفَّسَ لهم في حلوله بلفظة: «فسوف».

«يكون لزاماً» أي: لازماً لهم لا ينفكُّون منه.

وقرأ عبد الله وابنُ عباس وابنُ الزبير: «فقد كذَّب الكافرون»[4] وهو محمولٌ على أنَّه تفسيرٌ لا قرآن.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٠٢.

(٢) الكشاف ٣/ ١٠٣.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٢٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٩٤، وهي عن ابن الزبير وابن عباس في المحتسب ٢/ ١٢٦، وأخرجها عنهما الطبري ١٧/ ٥٣٧-٥٣٨، وذكرها ابن خالويه في =

والأكثرون على أنَّ اللزامَ هنا هو يومُ بدر، وهو قول ابنِ مسعود وأُبيّ. وقيل: عذاب الآخرة. وقيل: الموت، ولا يحملُ على الموت المعتاد، بل القتل ببدر[١].

وقيل التقدير: «فسوف يكون» هو أي: العذاب، وقد صرَّحَ به من قرأ: «فسوف يكون العذابُ لزاماً»[٢] والوجهُ أن يتركَ اسم «كان» غير منطوقٍ به بعدما عُلِمَ أنَّه ممَّا توعِّد به؛ لأجلِ الإبهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف[٣].

وعن ابن عباس[٤]: «فسوف يكون» هو، أي: التكذيبُ لزاماً، أي: لازماً لكم لا تعطونَ توبةً. ذكره الزهراوي.

قال الزمخشريُّ: والخطابُ إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنونَ عابدون، ومكذِّبون عاصون، فخُوطِبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب.

«فقد كذبتم» يقول: إذا أعلمتكم أنَّ حكمي أنِّي لا أعتدُّ بعبادي إلَّا لعبادتهم[٥]، فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمُكم أثرُ تكذيبِكم حتى يَكُبَّكم في النار، ونظيرُه في الكلام أن يقول الملك لمن عصى[٦] عليه: إنَّ من عادتي أن أُحْسِنَ إلى من يطيعني ويتَّبعُ أمري، فقد عصيتَ فسوف ترى ما أُحِلُّ بك بسبب عصيانك.

وقرأ ابنُ جريج: «فسوف تكون» بتاء التأنيث[٧]، أي: فسوف تكونُ العاقبة.

وقرأ الجمهور: «لِزاماً» بكسر اللام، وقرأ المنهال وأبانُ بن ثعلب وأبو السمَّال

= مختصره ص١٠٥ عن ابن عباس فقط، ونسبها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٧٠ لابن عباس وابن مسعود ﷺ.

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣، وقولا ابن مسعود وأبيّ أخرجهما الطبري ١٧/ ٥٣٨-٥٣٩.

(٢) في تفسير الرازي ٢٤/ ١١٧: وقرئ: فقد كذب الكافرون فسوف يكون العذاب لزاماً؟! فالظاهر أن قوله: «فسوف يكون...» كلام جديدٌ لا تتمة للقراءة المذكورة. والله أعلم.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٠٣.

(٤) كذا، والقول في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٩٥ عن ابن مسعود ﷺ.

(٥) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: بعبادتهم. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٠٣.

(٦) في الكشاف: استعصى.

(٧) مختصر ابن خالويه ص١٠٥.

بفتحها[١] مصدراً تقول: لزمَ لزوماً ولَزاماً، مثل: ثبتَ ثبوتاً وثباتاً، وأنشدَ أبو عبيدة على كسر اللام لصخر الغيّ:

فإمَّا يَنْجُوَا من حتفِ أرضٍ فقد لقيا حُتوفَهما لزاما[٢]

ونقل ابنُ خالويه عن أبي السمَّال أنَّه قرأ: «لَزامِ» على وزن حَذَامِ[٣]، جعله مصدراً معدولاً عن اللَّزْمَةِ، كفَجَار معدولٌ عن الفَجْرَة.

---

(١) ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٧٠، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ١٧٠ عن أبي السمَّال.
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٢، والبيت في شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٩١.
(٣) مختصر ابن خالويه ص١٠٥.

سورة الشعراء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن
نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ
إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى
ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا
يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ
هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ
﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ
نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا
وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا
تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ
﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي
لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ

لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ
ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟
هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ
وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ
قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ
خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا
خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾
قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ
يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ
أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾
وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ
﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

المفردات الشِّرْذِمةُ: الجمعُ القليلُ المحتقَر، وشرذمةُ كلِّ شيءٍ بقيَّتُه الخسيسة، وأنشد أبو عبيدة:

فـــــي شَـــــراذم الـــــنِّـــــعـــــال[1]

وقال آخر:

جـاء الـشـتـاء وقـمـيـصـي أخـلاق شـراذمٌ يـضـحـكُ مـنـه[2] ....

وقال الجوهريُّ: الشرذمةُ: الطائفةُ من الناس، والقطعةُ من الشيء، وثوبٌ شراذم، أي قطع. انتهى[3]. وقيل: السَّفِلَةُ من الناس.

كَبْكَبَه: قَلَبَ بعضَه على بعضٍ، وحروفُه كلُّها أصولٌ عند جمهور البصريين[4].

وقال الزمخشريُّ: الكبكبة: تكريرُ الكبِّ، جَعَلَ التكريرَ في اللفظِ دليلاً على التكريرِ في المعنى[5].

وقال ابنُ عطيَّة: «كبكبَ» مضاعفٌ من: كَبَّ. هذا قولُ الجمهور، وهو

---

(١) في المطبوع: البغال. والرجز في مجاز القرآن ٢/ ٨٦، والفروق للعسكري ص ٥٠٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ ـ وعنه نقل المصنف ـ دون نسبة، وتمامه:

يـحـذيـن فـي شـراذم الـنـعـالِ

(٢) تمام البيت الثاني من الرجز:

شـراذمٌ يـضـحـك مـنـه الـتَّـوَّاق

وهو في العين ٦/ ٣٠٢، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٧، ٢/ ٨٧، وتفسير الطبري ١٤/ ٤١، ١٧/ ٥٧٢، وتهذيب اللغة ٧/ ٣٠، ٩/ ٢٥٦، والصحاح واللسان (توق) دون نسبة، ونسبه الدينوري في كتاب النبات ـ كما في خزانة الأدب ١/ ٢٣٤ ـ لبعض الأعراب. وقال الجوهري بعد ذكر البيت: فيقال: هو ابنه (يعني التَّوَّاق)، ويروى: النواق.

(٣) الصحاح (شرذم).

(٤) في (ت): الجمهور. بدل: جمهور البصريين.

(٥) الكشاف ٣/ ١١٩.

الصحيحُ؛ لأنَّ معناهما واحد، والتضعيفُ في الفعل بَيِّنٌ[١]، نحو: صَرَّ وصرصر. انتهى[٢].

وقولُ الزمخشريِّ وابنِ عطيَّة هو قولُ الزجاج[٣]، وهو أنَّه يزعم أنَّ نحو كبكبه ـ ممَّا يُفْهِمُ المعنى بسقوطِ ثالثِه ـ هو ممَّا ضُوعِفَ فيه الباء[٤]، وذهب الكوفيون إلى أنَّ الثالثَ بدلٌ من مثلِ الثاني، فكأنَّ أصلَه: كَبَّبَ، فأُبدِل من الباءِ الثانية كافٌ[٥].

الحَميمُ: الوليُّ القريب، وحامَّةُ الرجلِ: خاصَّتُه[٦]، وقال الزمخشريُّ: الحميمُ من الاحتمام، وهو الاهتمام، وهو الذي يُهِمُّه ما أهمَّكَ، أو من الحامَّة، بمعنى الخاصَّة، وهو الصديقُ الخالصُ[٧].

* * *

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ[٨]

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن
نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى
ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا

(١) قوله: بين. من (يه).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٦.
(٣) انظر معاني القرآن له ٤/ ٩٤.
(٤) في (ت) و(يه): الفاء.
(٥) انظر ارتشاف الضرب ١/ ٢٢٦.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.
(٧) الكشاف ٣/ ١١٩.
(٨) بعدها في (يه): وبه ثقتي. وقوله: سورة الشعراء بسم الله الرحمن الرحيم. ليس في (ت).

يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

التفسير

هذه السورةُ مكيَّةٌ كلُّها في قول الجمهور[١]، إلَّا أربع آيات، من: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الآية: ٢٢٤] إلى آخر السورة. قاله ابن عباس وعطاء وقتادة[٢].

وقال مقاتل: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ [الشعراء: ١٩٧] الآية مدنيةٌ[٣].

ومناسبةُ أوَّلها لآخر ما قبلها أنَّه قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ [الفرقان: ٧٧] ذكرَ تلهُّفَ رسول الله ﷺ على كونهم لم يؤمنوا، وكونِهم كذَّبوا بالحقِّ لمَّا جاءهم، ولمَّا أوعدَهم في آخر السورة بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ أوعدَهم في أوَّل هذه، فقال في إثر إخباره بتكذيبهم: «فسوفَ يأتيهم[٤] أنباءُ ما كانوا به يستهزؤون».

و«تلك» إشارةٌ إلى آيات السورة، أو آيات القرآن.

وأمال فتحة الطَّاء حمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر، وباقي السبعة بالفتح، وحمزة بإظهار نون «سين»، وباقي السبعة بإدغامها[٥]، وعيسى بكسر الميم من «طسم» هنا وفي «القصص» وجاء كذلك عن نافع[٦]، وفي مصحف عبد الله: «ط س م» مقطوع، وهي قراءةُ أبي جعفر[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٥.
(٢) النكت والعيون ٤/ ١٦٣، وزاد المسير ٦/ ١١٤ عن ابن عباس وقتادة.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٥. وذكر الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ١٩/ ٩٠ قول مقاتل ثم قال: وكأن الذي دعاه إلى ذلك أن مخالطة علماء بني إسرائيل كانت بعد الهجرة، ولا يخفى أن الحجَّةَ لا تتوقف على وقوع مخالطة علماء بني إسرائيل، فقد ذكر القرآن مثل هذه الحجة في آيات نزلت بمكة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في سورة الرعد [الآية: ٤٣] وهي مكية...
(٤) كذا، ونصُّ الآية: «فسيأتيهم...».
(٥) السبعة ص ٤٧٠، والتيسير ص ١٦٥.
(٦) القراءات الشاذة للكرماني (مخطوط ص ١٧٧).
(٧) قراءة ابن مسعود ﷺ وأبي جعفر في مختصر ابن خالويه ص ١٠٦، وهي في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٤ عن أبي جعفر ونافع.

وتكلَّموا على هذه الحروف بما يُشبهُ اللغزَ والأحاجيّ، فتركتُ نقلَه؛ إذ لا دليلَ على شيءٍ ممَّا قالوه.

و«الكتاب المبين» هو القرآن، هو بيِّنٌ في نفسِه ومبيِّنٌ غيرَه من الأحكام والشرائع وسائرِ ما اشتمل عليه، أو مبينٌ إعجازُه وصحتُه[١] أنَّه من عند الله.

وتقدَّم تفسير «باخعٌ نفسَك» في أول «الكهف»[٢].

«ألا يكونوا» أي: لئلَّا يؤمنوا، أو خيفةَ أن لا يؤمنوا. وقرأ قتادةُ وزيدُ بن عليّ: «باخعُ نفسِك» على الإضافة[٣].

«إن نشأ نُنَزِّل» دخلت «إن» على «نشأ»، و«إن» للممكن أو المحقَّق المنبهم زمانُه. قال ابنُ عطيَّة: ما في الشرط من الإبهام هو في هذه الآية في حيزنا، وأمَّا اللهُ تعالى فقد عُلِمَ أنَّه لا ينزِّلُ عليهم آيةَ اضطرارٍ، وإنَّما جَعَلَ اللهُ آيات الأنبياء والآيات الدالَّةَ عليه مُعَرَّضةً للنظرِ والفكر؛ ليهتديَ من سبقَ في علمه هُدَاه، ويضلَّ من سَبق ضلالُه، وليكونَ للنظرة كَسْبٌ[٤] به يتعلَّق الثوابُ والعقاب، وآيةُ الاضطِّرار تدفعُ جميعَ هذا أن لو كانت. انتهى[٥].

ومعنى «آية» أي: ملجئةٌ إلى الإيمان تقهرُ عليه.

وقرأ أبو عمرو في رواية هارون عنه: «إن يشأ يُنَزِّل» بالياء على الغيبة[٦]، أي: إنْ يشأ اللهُ ينزِّل، وفي بعض المصاحف: «لو شئنا لأنزلنا»[٧].

وقرأ الجمهور: «فظلَّت» ماضياً بمعنى المستقبل؛ لأنَّه معطوفٌ على «يُنَزِّل».

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: وصحة. والمثبت من (ت).
(٢) عند تفسير الآية (٦) منها.
(٣) مختصر ابن خالويه ص ١٠٦ عن قتادة.
(٤) في المحرر الوجيز: للنظر تكسب.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٤-٢٢٥.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٥، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١١٦ لأبي رزين وأبي المتوكل.
(٧) مختصر ابن خالويه ص ١٠٦، والكشاف ٣/ ١٠٤.

وقرأ طلحة: «فتَظْلَلْ»[١] أعناقهم»[٢].

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف صحَّ مجيءُ «خاضعين» خبراً عن الأعناق؟ قلت: أصل الكلام: فظلُّوا لها خاضعين، فأُقحِمت الأعناقُ لبيان موضع الخشوع[٣]، وتُرِكَ الكلامُ على أصله، كقولهم: ذَهبتْ أهلُ اليمامة، كأنَّ الأهلَ غيرُ مذكور. انتهى.

وقال مجاهد وابنُ زيد والأخفش: جماعاتهم[٤]، يقال: جاءني عُنُقٌ من الناس، أي: جماعةٌ، ومنه قول الشاعر:

أنَّ العـراقَ وأهـلَـه عُـنُـقٌ إليـك فـهَـيْـت هـيـتـا[٥]

وقيل: أعناقُ الناس: رؤساؤهم ومقدَّموهم، شُبِّهوا بالأعناق، كما قيل لهم: الرؤوسُ والنَّواصي والصُّدور، قال الشاعر:

في مَحْفِلٍ من نواصي الناسِ[٦] مشهودِ[٧]

---

(١) قراءة طلحة في مختصر ابن خالويه ص ١٠٦: «فيَظْلِل»، وقراءة طلحة في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٥: فتظل أعناقهم (كذا)، وهي دون نسبة في الكشاف ٣/ ١٠٤، وفي مطبوعه: فتظل. والصواب ـ كما في مخطوط الكشاف الجزء الثاني ورقة ١١٦ ـ: فتَظْلَل.

(٢) في النسخ: وأعناقهم.

(٣) في الكشاف ٣/ ١٠٤: الخضوع.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٥. وانظر قولي مجاهد وابن زيد في تفسير الطبري ١٧/ ٥٤٤-٥٤٥. وقول الأخفش في معاني القرآن له ٢/ ٦٤٣-٦٤٤.

(٥) هو لرجل يقوله في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وقبله:

أبـلـغ أمـيـر المـؤمـنـيـ ـنَ أخـا الـعـراق إذا أتـيـتـا

وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠، والمحتسب ١/ ٣٣٧، والخصائص ١/ ٢٧٩، وشرح المفصل ٤/ ٣٢، وتهذيب اللغة ١/ ٢٥٢، ولسان العرب (عنق). ورواية الفراء وابن يعيش: سلم. بدل: عنق. ولا شاهد فيه بهذه الرواية.

(٦) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع والدر المصون ٨/ ٥١٠: الخيل. والمثبت من (به) والمصادر.

(٧) عجز بيت لأم قيس الضبيَّة، كما في ديوان الحماسة ٣/ ١٠٥٩-١٠٦٠ (شرح المرزوقي) وصدره:

ومـشـهـدٍ قـد كَـفَـيـتَ الـغـائـبـيـن بـه

=

وقيل: أريد الجارحة، فقال ابنُ عيسى: هو على حذف مضاف، أي: أصحاب الأعناق[١]، ورُوعي هذا المحذوفُ في قوله: «خاضعين» حيث جاء جمعاً للمذكر العاقل. أو لا حَذْفَ، ولكنه اكتسى من إضافته للمذكَّر العاقل وَصْفَه، فأخبر عنه إخبارَه، كما يكتسي المذكَّرُ التأنيثَ من إضافته إلى المؤنث في نحو:

كما شَرِقَتْ صدرُ القناةِ من الدمِ[٢]

أو لا حذفَ، ولكنَّه لمَّا وُصِفَت بفعلٍ[٣] لا يكون إلا مقصوداً للعاقل، وهو الخضوعُ، جُمعت جمعَه، كما جاء: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقرأ عيسى وابنُ أبي عبلة: «خاضعة»[٤].

وعن ابن عباس: نزلت هذه الآيةُ فينا وفي بني أمية، ستكونُ لنا عليهم الدولة، فتذلُّ أعناقُهم بعد معاوية[٥]، ويلحقُهم هوانٌ بعد عِزّ.

«وما يأتيهم من ذكرٍ من الرحمن مُحْدَث» تقدَّمَ تفسيره في «الأنبياء».

= ونسبه أبو الفرج في الأغاني ١٨/ ٣٠٣ لامرأة من بني أسد. وهو في الصحاح وأساس البلاغة (نصا) دون نسبة. واسم قائلته في لسان العرب (نصا): أم قبيس الضبية، فلعله محرف عن أم قيس. والله أعلم.

(١) النكت والعيون ٤/ ١٦٥.

(٢) عجز بيت للأعشى، وصدره:

وتَشْرَقَ بالقولِ الذي قد أذَعْتَهُ

ديوان الأعشى ص ١٧٣. والشرق بالماء كالغصصِ بالطعام، والأعشى يخاطب بالبيت يزيدَ بن مُسْهِر الشيباني، وكانت بينهما مباينة ومهاجاة، فيقول له: يعود عليك مكروه ما أذعت عني من القول، ونَسَبْتَهُ إليَّ من القبيح، فلا تجد مخلصاً منه، كمن شرق بالماء لا يجد منه مخلصاً. شرح الشواهد للشنتمري ص ٨٠.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وضعت لفعل، وفي (ت): وصف بفعل، والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٥.

(٤) القراءة في مختصر ابن خالويه ص ١٠٦ عن عيسى، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٥ عن ابن أبي عبلة.

(٥) كذا في النسخ، وهو خطأ أو تحريف، والصواب كما في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٤٠، والكشاف ٣/ ١٠٥: صعوبة.

«إلَّا كانوا» جملةٌ حاليَّةٌ، أي: إلَّا يكونون[(١)] عنها، و«كان» يدلُّ على أنَّ[(٢)] ديدنَهم وعادتَهم الإعراضُ عن ذكر الله. قال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيفَ خُولف بين الألفاظ والغرضُ واحدٌ وهي[(٣)] الإعراضُ والتكذيب والاستهزاء[(٤)]؟ قلت: إنما خُولِفَ بينها لاختلاف الأغراض[(٥)]، كأنَّه قيل[(٦)] حين أعرضوا عن الذِّكرِ: فقد كذَّبوا به، وحين كذَّبوا به فقد خفَّ عندهم[(٧)] قدرُه وصارَ عرضةَ الاستهزاء بالسخرية[(٨)]؛ لأنَّ من كان قابلاً للحقِّ مقبلاً عليه، كان مصدِّقاً به لا محالة، ولم يُظَنَّ به التكذيب، ومن كان مصدِّقاً به، كان موقِّراً له. انتهى.

«فسيأتيهم» وعيدٌ بعذاب الدنيا كيوم بدر، وعذاب الآخرة، ولمَّا كان إعراضُهم عن النظر في صانع الوجود وتكذيبُ ما جاءتهم به رسلُه من أعظم الكفر، وكانوا يجعلونَ الأصنامَ آلهةً؛ نبَّهَ تعالى على قدرته، وأنَّه الخالقُ المنشئُ الذي يستحقُّ العبادةَ بقوله: «أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ كريم».

والزوجُ: النوع[(٩)]. وقيل: الشيء وشَكْلُه. وقيل: أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلوٌ وحامض. وقال الفرَّاء: الزوجُ: اللون[(١٠)].

والكريم: الحسَن، قاله مجاهدٌ وقتادة[(١١)]. وقيل: ما يأكلُه الناسُ والبهائم. وقيل: الكثيرُ المنفعة. وقيل: الكريمُ صفةٌ لكلِّ ما يُرْضى ويُحْمَدُ؛ وجهٌ كريم:

---

(١) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع): يكون. وفي المطبوع: يكونوا. والمثبت من (يه).
(٢) بعدها في (أ) و(ت) و(ح) و(ع): ذلك، وفي المطبوع: وكان يدل ذلك أن. . .
(٣) في النسخ عدا (ت): وهو. والمثبت من (ت) والكشاف.
(٤) قوله: والتكذيب والاستهزاء. من (ت).
(٥) قوله: إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض. من (ت).
(٦) في (ح) و(ع) والمطبوع: كان قبل، وفي (أ) و(يه): كان قيل. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٠٥.
(٧) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: عليهم. والمثبت من (ت).
(٨) في (ت): الاستهزاء والسخرية. وفي الكشاف ٣/ ١٠٥: للاستهزاء والسخرية.
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦.
(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٨.
(١١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦. وأخرج قوليهما الطبري ١٧/ ٥٥٠.

مرضيٌّ في حسنه وجماله، وكتابٌ كريم: مرضيٌّ في معانيه وفوائده، وقال:

حتى يَشُقَّ الصفوفَ مِنْ كَرَمِهْ[1]

أي: من كونه مرضيًّا في شجاعته وبأسه[2].

ويُراد الأشياءُ التي بها قِوام الأمور والأغذية والنباتات، ويدخلُ في ذلك الحيوان؛ لأنَّه عن إنبات[3]، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح:١٧]، قال الشعبيُّ: الناسُ من نبات الأرض، فمن صار إلى الجنَّة فهو كريم، ومن صار إلى النار فبضدِّ ذلك[4].

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما معنى الجمع بين «كم» و«كل»؟ ولو قيل: كم[5] أنبتنا فيها من[6] زوجٍ كريم، كان كافياً[7]. قلت: قد دلَّ «كلّ» على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، و«كم» على أنَّ هذا المحيطَ متكاثرٌ مفرطُ الكثرة، فهذا معنى الجمع بينهما، وبه نبَّه على كمال قدرته. انتهى.

وأفرد «لآيةً» وإن كان قد سبقَ ما دلَّ على الكثرة في الأزواج، وهو «كم»، وعلى الإحاطة بالعموم في الأزواج؛ لأنَّ المشارَ إليه واحدٌ، وهو الإنبات وإن اختلفت متعلَّقاتُه، أو أريد أنَّ في كلِّ واحدٍ من تلك الأزواج لآيةً[8].

«وما كان أكثرهم مؤمنين» تسجيلٌ على أكثرهم بالكفر.

---

(١) هو لبعض شعراء حمير، وصدره:

ولا يخيمُ اللقاءُ فارسهم

وهو في الحماسة بشرح المرزوقي ١/ ٣٣٣.

(٢) الكشاف ٣/ ١٠٥.

(٣) في (أ) و(ع): اثنان، فظنه ناشرو البحر المحيط خطأً نحوياً فعدلوه إلى: اثنين!؟

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦.

(٥) لفظة: كم. من (ت).

(٦) بعدها في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: كل. وهو خطأ والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٠٥.

(٧) قوله: كان كافياً. من (ت).

(٨) انظر الكشاف ٣/ ١٠٦.

«وإنَّ ربَّك لهو العزيزُ الرحيم» أي: الغالبُ القاهرُ، ولمَّا كان الموضعُ موضعَ بيان القدرة، قدَّم صفةَ العزَّةِ على صفة الرحمة، فالرحمةُ إذا كانت عن قدرةٍ كانتَ أعظم وقعاً، والمعنى أنَّه عزَّ في نقمته من الكفَّار، ورَحِمَ مؤمني كلِّ أمَّةٍ.

ولمَّا ذكر تعالى تكذيبَ قريشٍ بما جاءهم من الحقِّ وإعراضَهم عنه، ذكرَ قصَّة موسى عليه السلام وما قاسى مع فرعون وقومه؛ ليكونَ ذلك مَسْلاةً لما كان يلقاه[١] عليه الصلاة والسلام من كفَّار قريش، وإذْ[٢] كانت قريشٌ قد اتَّخذت آلهةً من دون الله، وكان قومُ فرعون قد اتَّخذوه إلهاً، وكان أتباعُ ملَّة موسى عليه السلام هم المجاورون مَنْ آمن بالرسول ﷺ = بدأ بقصَّة موسى، ثمَّ ذكرَ بعد ذلك ما يأتي ذكرُه من القَصص.

والعاملُ في «إذ» قال الزَّجَّاج: «اتلُ» مضمرةً، أي: اتل هذه القصة فيما تتلو إذ نادى، ودليلُ ذلك: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذۡ قَالَ﴾[٣] [الشعراء:٦٩-٧٠]. وقيل: العاملُ: اذكر، وهو مثل: واتل.

ومعنى «نادى»: دعا، وقيل: أمر. و«أن» يجوزُ أن تكون مصدريَّةً وأن تكون تفسيريَّةً. وسَجَّل عليهم بالظلم؛ لظلم أنفسهم بالكفر، وظلمِ بني إسرائيل بالاستعباد وذبحِ الأولاد.

و«قومَ فرعون» قيل بدلٌ من «القوم الظالمين»، والأجودُ أن يكون عطف بيان؛ لأنَّهما عبارتان يعتقبان على مدلولٍ واحد، إذ كلُّ واحدٍ من عطف البيان ومتبوعه[٤] مستقلٌّ بالإسناد، ولمَّا كان «القومَ الظالمين» يوهمُ الاشتراكَ، أتى عطفُ البيان بإزالته؛ إذ هو أشهر.

وقرأ الجمهور: «ألا يتَّقون» بالياء على الغيبة، وقرأ عبد الله بن مسلم بن

---

(١) في (يه): يقاسي.
(٢) في (ت) و(يه): وإذا.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٤.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: إذ كل واحد عطف البيان وسوغه.

يسار وشقيق بنُ سلمة وحماد بن سلمة[١] وأبو قلابة بتاء الخطاب[٢] على طريقة الالتفات إليهم؛ إنكاراً وغضباً عليهم وإن لم يكونوا حاضرين؛ لأنَّه مبلِّغُهم ذلك ومكافحهم به[٣].

قال ابن عطية: معناه: قل لهم، فجمع في هذه العبارة من المعاني نفيَ التقوى عنهم، وأمرَهم بالتقوى[٤].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: بم تعلَّق قوله: «ألا يتَّقون»؟ قلت: هو كلامٌ مستأنفٌ، أتبعَهُ عزَّ وجل إرسالَه إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم؛ تعجيباً لموسى عليه السلام من حالهم التي شَنُعت[٥] في الظلم والعسف، ومِنْ أَمْنِهم العواقبَ، وقِلَّةِ خوفِهم وحذرِهم من أيَّام الله، ويحتملُ أن يكون «ألا يتَّقون» حالاً من الضمير في «الظالمين» أي: يظلمون غيرَ متَّقينَ الله وعقابَه، فأُدْخِلت همزةُ الإنكار على الحال. انتهى.

وهذا الاحتمالُ الذي أوردَه خطأٌ فاحشٌ؛ لأنَّه جعلَه حالاً من الضمير في «الظالمين»، وقد أعربَ هو «قومَ فرعون» عطفَ بيان، فصار فيه الفصلُ بين العامل والمعمول بأجنبيٍّ منهما[٦]؛ لأنَّ «قومَ فرعون» معمولٌ لقوله: «ائت»، والذي زعم أنَّه حالٌ معمول لقوله: «الظالمين»، وذلك لا يجوز، وأيضاً لو لم يفصل بينهما بقوله: «قوم فرعون» لم يجز أن تكون الجملةُ حالاً؛ لأنَّ ما بعدَ الهمزة يمتنعُ أن يكون معمولاً لما قبلها، وقولك: جئتُ أمسرعاً، على أن يكون أمسرعاً، حالاً من الضمير في جئت، لا يجوز، فلو أَضْمَرتَ عاملاً بعد الهمزة جاز.

---

(١) قوله: وحماد بن سلمة. ليس في (ت).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦ دون ذكر شقيق، وهي في المحتسب ٢/ ١٢٧ عن عبد الله بن مسلم وحماد، وفي مختصر ابن خالويه ص ١٠٦ عن عبد الله بن مسلم، ونسبها القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٢ لعبيد بن عمير وأبي حازم.

(٣) لفظة: به. من (يه).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦.

(٥) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: سعت. والمثبت من (ت) وهو الموافق لما في الكشاف ٣/ ١٠٦.

(٦) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: بينهما.

وقرئ بفتح النون وكسرها[١]، التقدير: أفلا يتقونني، فحذفت نونُ الرفع لالتقاء النون[٢] وياء المتكلِّم اكتفاءً بالكسرة. وقال الزمخشريُّ: في «ألا يتَّقون» بالياء وكسرِ النون وجهٌ آخر، وهو أن يكون المعنى: ألا يا ناس اتقون، كقوله: «ألا يا اسجدوا»[٣]. انتهى[٤] يعني: وحذف ألف «يا» خطًّا ونطقاً؛ لالتقاء الساكنين. وهذا تخريجٌ بعيدٌ.

والظاهرُ أنَّ «ألا» للعرض المضمَّنِ الحضَّ على التقوى، وقولُ من قال: إنَّها للتنبيه، لا يصحّ، وكذلك قولُ الزمخشريِّ المتقدِّم[٥]: إنها للنفي دخلتْ عليها همزةُ الإنكار.

ولمَّا كان فرعونُ عظيمَ النخوة حتى ادَّعى الإلهيَّة، كثيرَ المهابةِ، قد أُشرِبَت القلوبُ الخوفَ منه، خصوصاً مَنْ كان من بني إسرائيل؛ قال موسى عليه السلام: «إنِّي أخافُ أن يُكَذبون».

وقرأ الجمهور: «ويضيقُ ولا ينطلقُ» بالرفع فيهما عطفاً على «أخاف»، فالمعنى أنَّه يفيدُ ثلاثَ علل[٦]: خوف التكذيب، وضيقَ الصدر، وامتناع انطلاق اللسان.

وقرأ الأعرجُ وطلحةُ وعيسى وزيد بن عليّ وأبو حيوة وزائدة عن الأعمش ويعقوب بالنصب فيهما[٧] عطفاً على «يُكذبون»، فيكون التكذيبُ وما بعدَهُ يتعلَّقُ بالخوف.

---

(١) الكشاف ٣/١٠٦، والقراءة بفتح النون هي قراءة الجمهور، وذكر ابن خالويه في مختصره ص ١٠٦ أن عيسى أجاز كسر النون.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: الساكنين، والمثبت من (ت) و(يه). وفي الكشاف: النونين.

(٣) هي قراءة الكسائي في الآية (٢٥) من سورة النمل، وقراءة الجمهور: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ التيسير ص ١٦٧.

(٤) الكشاف ٣/١٠٦.

(٥) قوله: المتقدم. من (يه).

(٦) كذا، ونص العبارة في الكشاف ٣/١٠٦: أنَّ الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل.

(٧) القراءة عن الأعرج وطلحة وعيسى في المحرر الوجيز ٤/٢٢٦، وفي تفسير القرطبي ١٣/١٦ عن يعقوب وعيسى بن عمر وأبي حيوة. وقراءة يعقوب ـ من العشرة ـ في النشر ٢/٣٣٥.

وحكى أبو عمرو الداني عن الأعرج أنَّه قرأ بنصب: «ويضيقَ» ورفع «ولا ينطلقُ»[(١)].

وعدمُ انطلاقِ اللسان هو بما يحصلُ من الخوف وضيق الصدر؛ لأنَّ اللسانَ إذ ذاك يتلجلجُ، ولا يكادُ يبين عن مقصود الإنسان.

وقال ابن عطية: وقد يكونُ عدمُ انطلاق اللسان بالقول؛ لغموضِ المعاني التي تُطْلَبُ لها ألفاظٌ محرَّرةٌ، فإذا كان هذا في وقتِ ضيق الصدرِ، لم ينطلق اللسان.

«فأرسل إلى هارون» معناه: يعينني ويؤازرني، وكان هارونُ عليه السلام فصيحاً واسعَ الصدر، فحذفَ بعضَ المراد من القول؛ إذ باقيه دالٌّ عليه. انتهى[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: ومعنى «فأرسل إلى هارون»: أرسل إليه جبريل عليه السلام، واجعلهُ نبيًّا، وآزرني به واشدد به عضدي. وهذا كلامٌ مختصرٌ، وقد أحسن في الاختصار حيث قال: «فأرسل إلى هارون» فجاء بما يتضمَّن معنى الاستنباء[(٣)].

وقوله: «إنِّي أخافُ» إلى آخره بعد أن أمرَه الله بأن يأتي القومَ الظالمين ليس توقُّفاً فيما أمرَه الله تعالى به، ولكنَّه طلبٌ من الله أن يعضدهُ بأخيه حتى يتعاونا على إنفاذ أمره تعالى وتبليغ رسالته، فمهَّد قبلَ طلب ذلك عذرَهُ، ثمَّ طلبَ، وطلبُ العون دليلٌ على القَبول، لا على التوقُّف والتعلُّل[(٤)].

ومفعول «أرسلْ» محذوفٌ، فقيل: جبريل، كما تقدَّم ذكرُه، وفي الخبر أنَّ الله أرسلَ موسى إلى هارون، وكان هارون بمصرَ حين بعثَ الله موسى نبيًّا بالشام[(٥)]. قال السُّدِّيُّ: سار بأهله إلى مصر، فالتقى بهارون وهو لا يعرفه، فقال: أنا موسى،

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦.
(٣) في (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: الاستثناء. وهو تحريف. والمثبت من (ح) والكشاف ٣/ ١٠٦.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٠٧.
(٥) انظر النكت والعيون ٤/ ١٦٦.

فتعارفا، وأمرهما أن ينطلقا إلى فرعون لأداء الرسالة، فصاحت أمُّهما لخوفها عليهما، فذهبا إليه[(١)].

«ولهم عليَّ ذنبٌ» أي: قِبَلي قَوَدُ ذنبٍ أو عقوبة ذنبٍ، وهو قتلُه القبطيَّ الكافرَ خبَّازَ فرعون بالوكزةِ التي وكزها، أو سمَّى تبعةَ الذنب ذنباً، كما سمَّى جزاءَ السيئة سيئةً، وليس قولُ موسى ذلك تلكُّأً في أداء الرسالة، بل قال ذلك استدفاعاً لما يتوقَّعهُ منهم من القتل، وخافَ أن يُقْتَلَ قبلَ أداء الرسالة، ويدلُّ على ذلك قوله: «كلا»، وهي كلمة الرَّدْع، ثم وعدَه تعالى بالكلاءة والدفع[(٢)]، و«كلَّا» ردٌّ لقوله: «إنِّي أخاف» أي: لا تخف ذلك فإنِّي قضيتُ بنصرك وظهورك[(٣)].

وقوله: «فاذهبا» أمرٌ لهما بخطابٍ لموسى فقط؛ لأنَّ هارون ليس بمكلَّمٍ بإجماع، ولكنه قال لموسى: اذهب أنت وأخوك[(٤)].

قال الزمخشريُّ: جمعَ الله له الاستجابتين معاً في قوله: «كلَّا فاذهبا»؛ لأنَّه استدفعَه بلاءَهم فوعدهُ الدفعَ بردعِهِ عن الخوف، والتمسَ المؤازرةَ بأخيه فأجابَه بقوله: «اذهبا»[(٥)]، أي: اذهب أنت والذي طلبتَه وهو هارون. فإن قلت: علامَ عطف قولَه: «اذهبا»؟ قلت: على الفعل الذي يدلُّ عليه «كلَّا»، كأنَّه قيل: ارتدع يا موسى عمَّا تَظنُّ، فاذهب أنتَ وهارون.

«بآياتنا» يعمُّ جميعَ ما بعثَهما الله به، وأعظمُ ذلك العصا، وبها وقعَ العَجْزُ[(٦)]. قال ابن عطية: ولا خلافَ أنَّ موسى هو الذي حمَّلهُ اللهُ أمرَ النبوَّةِ وكُلِّفَها[(٧)]، وأنَّ هارون كان نبيًّا رسولاً معيناً له ووزيراً. انتهى.

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ١١٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٣ (١٥١٥٢).
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١٠٧.
(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧.
(٤) كذا، ونص العبارة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧ ـ والكلام منه ـ: ولكن قال لموسى: «اذهبا» أي: أنت وأخوك.
(٥) في النسخ عدا (ت): اذهب. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٠٧.
(٦) في (ح): المعجز.
(٧) في (ت) و(يه): كلها. وفي مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧: وكلها.

و«معكم» قيل: من وضع الجمع موضعَ المثنَّى، أي: معكما. وقيل: هو على ظاهره من الجمع، والمراد: موسى وهارون ومَنْ أرسلا إليه، وكان شيخُنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يُرَجِّحُ أن يكون أريد بصورة الجمع والخطابُ موسى[١] وهارون فقط، قال: لأنَّ لفظة «مع» تُبَايِنُ من يكون كافراً، فإنَّه لا يقال: الله معه. وعلى أنَّه أُرِيدَ بالجمع التثنية حملَه سيبويه رحمه الله، وكأنَّهما لشرفهما عند الله عاملَهما في الخطاب معاملةَ الجمع، إذ كان ذلك جائزاً أنْ يُعامَل به الواحد لشرفِه وعظمتِه.

قال ابن عطية: «مستمعون» تعطي اهتبالاً ليس في صيغة سامعون، وإلَّا فليس يُوصَفُ الله تعالى بطلب الاستماع، وإنَّما القصدُ إظهارُ التهمُّم ليعظُم أنسُ موسى، أو تكون الملائكة بأمر الله إيَّاها تستمع.

وقال الزمخشريُّ: «معكم مستمعون» من مجاز الكلام، يريد: إنَّا لكما ولعدوِّكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضرَ واستمعَ ما يجري بينكما وبينه، فأظهرَكُما وغلَّبَكُما وكسرَ شوكتَه عنكما ونكسَه. انتهى[٢].

ويجوز أن يكون «معكم» متعلقاً بـ «مستمعون»، وأن يكون خبراً، و«مستمعون» خبرٌ ثانٍ.

والمعيَّةُ هنا مجازٌ وكذلك الاستماع؛ لأنَّه بمعنى الإصغاء، ولا يلزمُ من الاستماع السماع، تقول: استمعَ إليه فما سمع، واستمعَ إليه فسمع[٣]، كما قال: ﴿أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ [الجن: ١].

وأفرد «رسولُ» هنا ولم يُثَنَّ كما في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، إمَّا لأنَّه مصدرٌ بمعنى الرسالة، فجاز أن يقع مفرداً خبراً لمفردٍ فما فوقه، وإمَّا لكونهما ذوي شريعةٍ واحدةٍ، فكأنَّهما رسولٌ واحد، أو أريدَ بقوله: «إنَّا» أنَّ[٤] كلَّ واحدٍ منَّا رسولٌ.

---

(١) في المطبوع: بصورة الجمع المثنى والخطاب لموسى...
(٢) الكشاف ٣/ ١٠٧.
(٣) في النسخ عدا (ت): اسمع إليه فما سمع واستمع إليه فسمع.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: أو، بدل: أن. وانظر الكشاف ٣/ ١٠٨.

و«رسولُ ربِّ العالمين» فيه ردٌّ عليه وأنَّه مربوبٌ لله تعالى، بادَهَهُ بنقضِ ما كان أبرمَهُ من ادِّعاءِ الإلهيَّة، ولذلك أنكرَ فقال: «وما ربُّ العالمين»، والمعنى: إليك. و«أن أرسل» يجوزُ أن تكون تفسيريَّةً لما في «رسول» من معنى القول، وأنْ تكون مصدريَّةً، و«أرسل» بمعنى أطلق وسَرِّح، كما تقول: أرسلتُ الحجرَ من يدي، و: أرسلتُ الصقرَ.

وكان موسى عليه السلام مبعوثاً إلى فرعون في أمرين؛ إرسال بني إسرائيل لتزولَ عنهم العبودية، والإيمان بالله، وبُعِثَ بالعبادات والشرع إلى بني إسرائيل[١]، وإرسالُهم معهما كان إلى فلسطين، وكانت مسكنَ موسى وهارون.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

ويُروى أنَّهما انطلقا إلى باب فرعون ولم يؤذن لهما سنة، حتى قال البواب: إنَّ هنا إنساناً يزعمُ أنَّه رسولُ ربِّ العالمين، فقال له: ائذن له لعلنا نضحك منه، فأدّيا إليه الرسالةَ، فعرفَ موسى، فقال له: «ألم نربِّكَ فينا وليداً»، وفي الكلام حذفٌ يدلُّ عليه المعنى: تقديرُه: فأَتيَا فرعونَ فقالا له ذلك[٢].

ولمَّا بادهَهُ موسى بأنَّه رسولُ ربِّ العالمين وأمرَهُ بإرسال بني إسرائيل معه، أخذ يستحقرُه ويُضرِبُ عن المُرسِل وعن ما جاء به من عنده، ويذكِّرُه بحالة الصغر والمنِّ عليه بالتربية.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧.
(٢) الكشاف ٣/ ١٠٨.

والوليدُ: الصبيُّ، وهو فعيلٌ بمعنى مفعول، أطلق ذلك عليه لقربه من الولادة.

وقرأ أبو عمرو في رواية: «من عُمْرك» بإسكان الميم[١]، وتَقَدَّمَ ذكرُ الخلافِ في كمية هذه السنين في «طه».

وقرأ الجمهور: «فَعْلتك» بفتح الفاء، إذ كانت وكزةً واحدةً، والشَّعبيُّ بكسر الفاء[٢]، يريد الهيئة؛ لأنَّ الوكزة نوعٌ من القَتل، عدَّد عليه نعمةَ التربية ومبلغَهُ عنده مبلغَ الرجال، حيث كان يقتلُ نظراءَهُ من بني إسرائيل، وذكَّره ما جرى على يده من قتل القبطيّ، وعظَّم ذلك بقوله: «وفعلت فعلتك التي فعلت» لأنَّ هذا الإبهام[٣] بكونه لم يصرِّح أنَّها القتلُ تهويلٌ للواقعة[٤] وتعظيم شأن.

«وأنت من الكافرين» يجوز أن يكون حالاً، أي: قتلتَهُ وأنتَ إذ ذاك من الكافرين، فافترى فرعون بنسبة هذه الحال إليه إذ ذاك، والأنبياءُ عليهم السلام معصومون، ويجوز أن يكون إخباراً مستأنفاً من فرعون، حكم عليه بأنَّه من الكافرين بالنعمة التي له عليه[٥] من التربية والإحسان، قاله ابنُ زيد، أو من الكافرين بي في أنَّني إلهك، قاله الحسن، أو من الكافرين بالله لأنَّك كنتَ معنا على ديننا هذا الذي تعيبُه الآن، قاله السُّدِّيّ[٦].

«قال فعلتها إذاً» أجابه موسى عن كلامه الأخير المتضمِّن للقتل، إذ كان الاعتذارُ فيه أهمَّ من الجواب في ذكر النعمة بالتربية؛ لأنَّه فيه إزهاقُ النفس.

قال ابن عطية: «إذاً» صلةٌ في الكلام، وكأنها بمعنى: حينئذٍ. انتهى[٧].

---

(١) مختصر ابن خالويه ص ١٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧، والكشاف ٣/ ١٠٨، وانظر السبعة ص ٤٧١.
(٢) مختصر ابن خالويه ص ١٠٦، والمحتسب ٢/ ١٢٧.
(٣) في (ت) و(يه) والنهر الماد: لأن في هذا الإبهام.
(٤) في (يه): تهويل الواقعة.
(٥) في النسخ عدا (ت): لي عليك. والمثبت من (ت).
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧، وقولا ابن زيد والسدي أخرجهما الطبري ١٧/ ٥٥٦.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.

وليس بصلةٍ، بل هي حرفُ معنى. وقوله: وكأنَّها بمعنى: حينئذ. ينبغي أن يجعل قولُه تفسيرَ معنى، لا تفسير إعراب[١]؛ إذ لا يذهبُ أحدٌ إلى أنَّ «إذاً» ترادفُ من حيث الإعراب حينئذ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت «إذاً» جوابٌ وجزاءٌ معاً، والكلامُ وقعَ جواباً لفرعون، فكيف وقع جزاءً؟ قلت: قول فرعون: «وفعلت فعلتك» فيه معنى أنَّك جازيتَ نعمتي بما فعلتَ، فقال له موسى: نعم فعلتُها مجازياً لك، تسليماً لقوله، كأنَّ نعمتَه كانت عنده جديرةٌ بأن تُجَازى بنحو ذلك الجزاء. انتهى[٢].

وهذا الذي ذكره من أنَّ «إذاً» جوابٌ وجزاءٌ معاً هو قول سيبويه[٣]، لكنَّ الشُّرَّاحَ فهموا أنَّها قد تكون جواباً وجزاءً معاً، وقد تكون جواباً فقط دون جزاء، فالمعنى اللازمُ لها هو الجواب، وقد يكونُ مع ذلك جزاء، وجعلوا[٤] قولَه: «فعلتُها إذاً» من المواضع التي جاءت فيها جواباً لا جزاء، على أن بعض أئمتنا تكلَّف هنا كونها جزاءً وجواباً، وهذا كلُّه محرَّرٌ فيما كتبناه في «إذاً» في «شرح التسهيل»، وإنَّما أردنا أن نذكرَ أنَّ ما قاله الزمخشريُّ ليس هو الصحيح ولا قول الأكثرين.

«وأنا من الضَّالين» قال ابنُ زيد: معناه: من الجاهلين بأنَّ وكزتي إيَّاه تأتي على نفسه[٥]. وقال أبو عبيدة: من الناسين[٦]، ونزعَ لقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وفي قراءة عبد الله وابن عباس: «وأنا من الجاهلين»[٧]، ويظهرُ أنَّه تفسير لـ «الضَّالين»، لا قراءة مرويَّة عن الرسول ﷺ.

---

(١) قوله: لا تفسير إعراب. من (ت).
(٢) الكشاف ٣/ ١٠٩.
(٣) في الكتاب ٤/ ٢٣٤.
(٤) في النسخ: وحملوا. ولعل المثبت هو الصواب.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨، وأخرج قول ابن زيد الطبري ١٧/ ٥٥٨.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨، وذكره أيضاً عن أبي عبيدة النحاس في معاني القرآن ٥/ ٧١، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١١٩، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ١٧.
(٧) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.

وقال الزمخشريُّ: من الفاعلين فِعْلَ أولي الجهل، كما قال يوسف لإخوته: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]، أو المخطئين[١] كمن يَقتلُ خطأً من غير تعمُّدٍ للقتل، أو الذاهبين عن الصواب، وكَذَّبَ فرعونَ، ودفعَ الوصفَ بالكفر عن نفسه، وبرَّأ ساحتَهُ بأن وَضع «الضَّالين» موضع الكافرين [رَبأً] بمحلٍّ مَنْ رُشِّحَ للنبوَّة عن[٢] تلك الصفة. انتهى.

وقيل: «من الضَّالين» يعني عن النبوَّة، ولم يأتني عن الله فيه شيءٌ، فليس عليَّ فيما فعلتُه في تلك الحالة توبيخٌ[٣]. ومن غريب ما شُرِحَ به أنَّ معنى «وأنا من الضالين» أي: من المحبِّينَ لله، وما قتلتُ القبطيَّ إلَّا غيرةً لله، قيل: والضلالُ يطلقُ ويرادُ به المحبة، كما في قوله: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥]، أي: في محبَّتك القديمة.

وجمع ضمير الخطاب في «منكم» و«خفتُكم» وإن كان قد أفرد في «تمنُّها» و«عَبَّدتَ»؛ لأنَّ الخوفَ والفرار لم يكونا منه وحدَه، وإنَّما منه ومن ملئِه المذكورين قبلُ، «أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون» وهم كانوا قوماً يأتمرون بقتله، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ [القصص:٢٠][٤]؟

وقرأ الجمهور: «لمَّا»، حرف وجوبٍ لوجوب على قول سيبويه[٥]، وظرفاً بمعنى «حين» على مذهب الفارسيّ[٦]، وقرأ حمزة في رواية: «لِمَا» بكسر اللام وتخفيف الميم[٧]، أي: لخوفكم[٨].

(١) في المطبوع: المخلصين. وهو تحريف قبيح.
(٢) من قوله: الصواب وكذب... إلى هنا من (ت)، وما بين حاصرتين وقع مكانها بياض فيها فاستدركته من الكشاف ٣/ ١٠٩.
(٣) تفسير القرطبي ١٦/ ١٧.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٠٩.
(٥) الكتاب ٤/ ٢٣٤.
(٦) انظر كتاب الشعر للفارسي ١/ ٧٠.
(٧) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٦. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٠ لعاصم الجحدري والضحاك وابن يعمر.
(٨) في (أ) و(ع) والمطبوع: يخوفكم.

وقرأ عيسى: «حُكُماً» بضمِّ الكاف[١]، والجمهورُ بالإسكان، والحكم: النبوَّة.

«وجعلني من المُرْسَلين» درجةٌ ثانيةٌ للنبوَّةِ، فرُبَّ نبيٍّ ليس برسول[٢]. وقيل: الحكم: العلمُ والفهمُ[٣].

«وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ» «وتلك» إشارةٌ إلى المصدر المفهوم من قوله: «ألم نُرَبِّك فينا وليداً» وذكَّرَ بهذا آخراً على ما بدأ به فرعون في قوله: «ألم نُرَبِّك»، والظاهرُ أنَّ هذا الكلامَ إقرارٌ من موسى عليه السلام بالنعمة، كأنَّه يقول: وتربيتُك لي نعمةٌ عليَّ من حيث عَبَّدْتَ غيري وتركتَني واتَّخذتني ولداً، ولكن لا يدفعُ ذلك رسالتي. وإلى هذا التأويلِ ذهب السُّدِّيُّ والطبريُّ[٤].

وقال قتادة: هذا منه على جهة الإنكار عليه أن تكونَ نعمةً، كأنَّه يقول: أو يصحُّ لك أن تعتدَّ عليَّ نعمةَ تركِ قتلي من أجل أنَّك ظلمتَ بني إسرائيل وقتلتَهم[٥]؟ أي: ليست بنعمة؛ لأنَّ الواجبَ كان أن لا تقتلَني ولا تقتلَهم ولا تستعبدَهم بالقتلِ والخدمةِ وغير ذلك، وقرأ الضحَّاك: «وتلك نعمةٌ مالك أن تمنَّها»[٦]. وهذه قراءةٌ تؤيِّدُ هذا التأويل.

وهذا التأويلُ فيه مخالفةٌ لفرعون ونقضُ كلامِه كلِّه، والقولُ الأوَّلُ فيه إنصافٌ واعترافٌ.

وقال الأخفشُ[٧] والفرَّاء: قبل الواو همزةُ استفهام يراد به الإنكار، وحذفت لدلالة المعنى عليها. وردَّهُ النحاس بأنَّها لا تحذفُ؛ لأنَّها حرفٌ يحدثُ معها معنى، إلَّا إن كان في الكلام «أم»، لا خلاف في ذلك إلَّا شيئاً قاله الفرَّاءُ من أنَّه

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.
(٣) هو قول مقاتل، كما في زاد المسير ٦/ ١٢٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨، وانظر كلام الطبري في تفسيره ١٧/ ٥٥٩، وقول السدي مخرَّج فيه ١٧/ ٥٦١.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٧/ ٥٦١.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.
(٧) في معاني القرآن له ٢/ ٦٤٥-٦٤٦.

يجوزُ حذفُها مع أفعال الشكِّ، وحكى: تُرى زيداً منطلقاً، بمعنى: أتُرى[١]، وكان الأخفش الأصغر يقول: أخذَه من ألفاظ العامة[٢].

وقال الضحَّاك: الكلامُ إذا خرج مخرجَ التبكيتِ يكون باستفهامٍ وبغير استفهام، والمعنى: لو لم تقتلْ بني إسرائيل لربَّاني أبواي، فأيُّ نعمةٍ لك عليَّ؟! فأنتَ تَمنُّ عليَّ بما لا يجبُ أن تمنَّ به[٣].

وقيل: اتِّخاذُكَ بني إسرائيل عبيداً أحبطَ نعمتَك التي تمنُّ بها عليَّ. وقال الزمخشري: وأبى ـ يعني موسى عليه السلام ـ أن يسمِّيَ نعمتَه إلَّا نقمةً حيثُ بيَّن أنَّ حقيقة إنعامه تعبيدُ بني إسرائيل؛ لأنَّ تعبيدَهُم وقصدَهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيتِه، فكأنَّه امتنَّ عليه بتعبيدِ قومه إذا حَقَّقْتَ، وتعبيدُهم تذليلُهم واتِّخاذُهم عبيداً، يقال: عبَّدتُ الرجلَ وأعبدته، إذا اتخذتَه عبداً، قال الشاعر:

علامَ يُعْبِدُني قومي وقد كَثُرَت ... فيهم أباعِرُ ما شاؤوا وعُبدانُ[٤]

فإن قلت: «وتلك» إشارةٌ إلى ماذا، و«أن عبَّدتَ» ما محلُّها من الإعراب؟ قلت: «تلك» إشارةٌ إلى خصلةٍ شنعاءَ مبهمةٍ، لا يُدْرَى ما هي إلَّا بتفسيرها، ومحلُّ «أنْ عبَّدتَ» الرفعُ عطف بيانٍ لـ «تلك»، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٦٦]، والمعنى: تعبيدُك بني إسرائيل نعمةٌ تمنُّها عليَّ. وقال الزجاج[٥]: يجوزُ أن يكونَ في موضع نصبٍ، المعنى إنَّما[٦] صارتْ نعمةً عليَّ لأنْ عبَّدتَ بني إسرائيل، أي: لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يُلقوني في اليم. انتهى.

---

(١) في المطبوع: ألا ترى. وهو خطأ.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٧٦-١٧٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٨-١٩.
(٣) تفسير القرطبي ١٦/ ١٩، وقوله: الكلام إذا خرج مخرج التبكيت... إلى: باستفهام وبغير استفهام هو من تفسير النحاس لكلام الضحاك. انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٧٧.
(٤) البيت دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٩، والنوادر لأبي زيد ص ٨٧، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٣٣، والصحاح وأساس البلاغة (عبد). وعزاه ابن منظور في لسان العرب (عبد) للفرزدق. وليس في ديوانه.
(٥) في معاني القرآن له ٤/ ٨٧.
(٦) في النسخ: أنها. والمثبت من معاني الزجاج، والكشاف ٣/ ١٠٩.

وقال الحَوفيُّ: «أن عبَّدت بني إسرائيل» في موضع نصب مفعول من أجله. وقال أبو البقاء[1]: بدل.

ولمَّا أخبرَ موسى فرعونَ بأنَّه رسولُ ربِّ العالمين، لم يسأل إذ ذاك فيقول: وما ربُّ العالمين، بل أخذَ في المداهاة وتذكَار التربية والتقبيحِ لما فعلهُ من قتلِ القبطيِّ،فلمَّا أجابَهُ عن ذلك انقطعت حُجَّتُه في التربية والقتل، وكان في قوله: «رسولُ ربِّ العالمين» دعاءٌ إلى الإقرارِ بربوبيَّةِ الله، وإلى طاعة ربِّ العالم، فأخذ فرعونُ يستفهمُ عن الذي ذكرَ موسى أنَّه رسولٌ من عنده، والظاهرُ أنَّ سؤالَه إنَّما كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمرادَّة، وكان عالماً بالله، ويدلُّ عليه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ولكنَّه تعامى عن ذلك طلباً للرياسة ودعوى الإلهية، واستفهم بـ «ما» استفهاماً عن مجهولٍ من الأشياء. قال مكِّي[2]: كما يستفهم عن الأجناس، وقد وردَ له استفهامٌ بـ «من» في موضعٍ آخر، ويشبهُ أنها مواطِن. انتهى[3]. والموضعُ الآخر قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

ولمَّا سألَهُ فرعون وكان السؤال بـ «ما» التي هي سؤالٌ عن الماهية، ولم يمكن الجوابُ بالماهية، أجاب بالصفاتِ التي تبيِّنُ للسامع أنَّه لا مشاركةَ لفرعون فيها، وهي ربوبيَّة السماوات والأرض وما بينهما.

وقال الزمخشريُّ: وهذا السؤالُ لا يخلو [إمَّا] أنْ يريدَ به: أيُّ شيءٍ هو من الأشياء التي شُوهدت وعُرِفت أجناسُها، فأجابَ بما يُستدلُّ [به] عليه من أفعاله الخاصة ليُعَرِّفَهُ أنَّه ليسَ [بشيءٍ] ممَّا شوهد وعُرِفَ من الأجرام والأعراض، وأنَّه شيءٌ مخالفٌ لجميع الأشياء، ليس كمثله شيء، وإمَّا أن يريد به: أيُّ شيءٍ هو[4]

---

(١) في الإملاء ٢/ ١٦٧.
(٢) في الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٢٨٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يريد أنه شيء. وفي (يه): يريد أي شيء. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٠٩، وما بين حاصرتين منه.

على الإطلاق؛ تفتيشاً عن حقيقته الخاصَّة ما هي؟ فأجابَ بأنَّ الذي[١] إليه سبيلٌ ـ وهو الكافي في معرفته ـ معرفةُ بيانه[٢] بصفاته، استدلالاً بأفعاله الخاصَّة على ذلك، وأمَّا التفتيشُ عن حقيقته الخاصَّة التي هي فوق فِطَرِ العقول، فتفتيشٌ عمَّا لا سبيلَ إليه، والسائلُ عنه متعنِّتٌ غيرُ طالبٍ للحقِّ، والذي يليقُ بحالِ فرعون ويدلُّ عليه الكلام أن يكون سؤالُه إنكاراً لأن يكونَ للعالمين ربٌّ سواه؛ لادِّعائه الإلهيَّة. انتهى.

ولا يَظهرُ أنَّ فرعون كان سؤالُهُ إنكاراً لأنْ يكونَ للعالمين ربٌّ سواه[٣]، ألا ترى أنَّه يعلمُ حدوثَه بعدَ العدم، وأنَّه محلٌّ للحوادث، ويعلم أنَّه لم يدَّعِ الإلهيَّةَ إلَّا في محلِّ ملكه مصر، وأنَّه لم يكن ملكَ الأرض، بل كان فيها ملوكٌ غيرُه وأنبياءُ في ذلك الزمان يدعون إلى الله، كشعيب عليه السلام، وأنَّه كان مقرًّا بالله تعالى في باطن أمره.

وجاء قولُه: «وما بينهما» على التثنية، والعائدُ عليه الضميرُ مجموعٌ؛ اعتباراً للجنسين[٤]، جنس السماء وجنس الأرض، كما ثنَّى المظهَر في قوله:

بين رماحَي مالكٍ ونهشلِ[٥]

اعتباراً للجنسين.

وقال أبو عبد الله الرازي: يحتملُ أن يُقَال: كان عالماً بالله، ولكنَّه قال ما قال طلباً للملك والرياسة، وقد ذكرَ تعالى في كتابه ما يدلُّ على أنَّه كان عارفاً بالله، وهو قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ الآية [الإسراء:١٠٢]، ويحتملُ أنَّه كان على مذهب الدهريَّة من أنَّ الأفلاكَ واجبةُ الوجود لذواتها، وأنَّ حركَاتها أسبابٌ لحصول الحوادث [في هذا العالم، أو يقال: إنه كان من الفلاسفة القائلين بالعلَّة الواجبة][٦]، لا بالفاعل

(١) بعدها في النسخ: سألت عنه ليس. وهي مقحمة، ولا يستقيم الكلام بها، وأثبت العبارة كما جاءت في الكشاف ٣/ ١٠٩ بعد مراجعة مخطوطه الجزء ٢، الورقة ١١٨.
(٢) في الكشاف ٣/ ١٠٩، مخطوط ٢/ (١١٨): ثباته.
(٣) من قوله: لادعائه الإلهية... إلى هنا. ساقط من (يه) والمطبوع.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٠٩.
(٥) الرجز لأبي النجم العجلي، وسلف عند تفسير الآية (١٦٠) من سورة الأعراف.
(٦) ما بين حاصرتين من تفسير الرازي ٢٤/ ١٢٨.

المختار، ثم اعتقدَ أنَّه بمنزلة إلهٍ لأهل إقليمه من حيثُ استعبدَهم وملكَ زمامَ أمرهم، ويحتملُ أنْ يقال: كان على مذهب الحلوليَّة القائلين بأنَّ ذاتَ الإله تُقَرَّرُ بجسد إنسانٍ معيَّنٍ حتى يكون الإلهُ سبحانه بمنزلةِ روحِ كلِّ إنسانٍ بالنسبة إلى جسده، وبهذه التقديرات كان يسمِّي نفسَه إلهاً. انتهى[١].

ومعنى «إن كنتم موقنين»: إن كان يُرجَى منكم الإيقانُ الذي يؤدِّي إلى[٢] النظر الصحيح؛ نَفَعَكُم هذا الجواب وإلَّا لم ينفعكم، أو: إن كنتم موقنين بشيءٍ قطُّ، فهذا أولى ما توقنون به؛ لظهورِه وإنارة دليله، وهذه المحاورةُ من فرعون تدلُّ على أنَّ موسى عليه السلام دعاهُ إلى التوحيد.

«قال لِمَن حولَه» هم أشرافُ قومه، قيل: كانوا خمس مئة رجلٍ عليهم الأساور، وكانت للملوك خاصة[٣].

«ألا تستمعون» أي: ألا تُصغونَ إلى هذه المقالة، إغراءً به وتعجُّباً؛ إذ كانت عقيدتُهم أنَّ فرعونَ ربُّهم ومعبودُهم، قال ابن عطية: والفراعنةُ قبلَه كذلك، وهذه ضلالةٌ، منها في مصر وديارها[٤] إلى اليوم بقيَّة. انتهى[٥].

يشيرُ إلى ما أدركَهُ في عصره من ملوكِ العبيديين الذين كان أتباعُهم تَدَّعي فيهم الإلهيَّة، وأقاموا ملوكاً بمصر من زمان المعزِّ[٦] إلى زمان العاضد، إلى أنْ محا الله دولتَهم بظهورِ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي[٧] ﷺ، فلقد

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ١٢٧-١٢٨.

(٢) في الكشاف ٣/ ١١٠ ـ والكلام منه ـ: إليه.

(٣) الكشاف ٣/ ١١٠، ونسبه الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٤٥ لابن عباس ﵄.

(٤) في المطبوع: وديارنا.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩.

(٦) هو أبو تميم، معدُّ بن المنصور إسماعيل، العبيديُّ المهدويُّ المغربيُّ، بنيت له القاهرة المُعِزِّيَّه، وكان صاحب المغرب، مات سنة (٣٦٥هـ) بالقاهرة. سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥٩-١٦٧.

(٧) هو السلطان الكبير، أبو المظفر، الأمير المجاهد، هازم الصليبيين في حطين، وله الفتوح الكثيرة والمآثر الساطعة، توفي سنة (٥٨٩هـ) بقلعة دمشق. رحمه الله. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٨-٢٩١.

كانت له مآثرُ في الإسلام، منها فتحُ بيت المقدس، وبلادٍ كثيرةٍ من سواحل الشام كان النصارى مستولين عليها، فاستنقذَها منهم.

«قال ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين» نبَّههم على منشئِهم ومنشئ آبائهم، وجاء في قوله: «الأوَّلين» دلالةٌ على إماتتهم بعد إيجادهم، وانتقلَ من الاستدلال بالعامِّ إلى ما يَخُصُّهم؛ ليكونَ أوضحَ لهم في بيان بُطْلِ دعوى فرعونَ الإلهيَّة، إذ كان آباؤهم الأوَّلون تقدَّموا فرعونَ في الوجود، فمحالٌ أن يكونَ وهو في العدم إلهاً لهم.

«قال إنَّ رسولَكُم الذي أُرْسِلَ إليكم لمجنون» قال أبو عبد الله الرازي: التعريفُ بهذا الأثر أظهرُ، فلهذا عَدَلَ موسى عليه السلام من الكلام الأول إليه، إذ كان لا يمكنُ أن يعتقدَ العاقلُ في نفسِه وفي آبائِه كونَهم واجبي الوجود لذواتهم؛ لأنَّ المشاهدةَ دلَّت على وجودِهم بعد عدمِهم، وعدمِهم بعدَ وجودِهم، فعند ذلك قال فرعونُ ما قال، يعني أنَّ المقصودَ من سؤال «ما»: طَلَبْتُ الماهيَّةَ وخصوصيةَ الحقيقة، والتعريفُ بهذه الآثارِ الخارجية لا تفيد تلك الخصوصيَّة، فهذا الذي يدَّعي الرسالةَ مجنونٌ لا يفهمُ السؤالَ، فضلاً عن أن يجيبَ عنه، فقال موسى عليه السلام: «ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون»، فعدلَ إلى طريقٍ أوضحَ من الثاني، وذلك أنَّه أرادَ بـ «المشرق» طلوع الشمس وظهور النهار، وأرادَ بـ «المغرب» غروبَ الشمس وزوالَ النهار، وهذا التقديرُ المستمرُّ على الوجه العجيب لا يتمُّ إلا بتدبيرِ مدبِّرٍ، وهذا بعينه طريقةُ إبراهيم عليه السلام مع نمروذ، فإنَّه استدلَّ أوَّلاً بالإحياء والإماتة، وهو الذي ذكرَه موسى عليه السلام هنا بقوله: «ربُّكم وربُّ آبائكم الأوَّلين»، فأجابه نمروذ بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وهو الذي ذكرَهُ موسى عليه السلام هنا بقوله: «ربُّ المشرقِ والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون» أي: إنْ كنتم من العقلاء عرفتُم أنَّه لا جوابَ عن السؤال إلَّا ما ذكرتُ. انتهى، وفيه بعض تلخيص[١].

(١) تفسير الرازي ٢٤/١٢٩.

وقال ابن عطية: زادَهُ موسى عليه السلام في بيان الصفاتِ التي تُظْهِرُ نقصَ فرعون، وتُبَيِّنُ أنَّه في غاية البعدِ عن القدرة عليها، وهي ربوبيةُ المشرق والمغرب، ولم يكن لفرعون إلَّا ملكُ مصر من البحر إلى أسوان وأرض الإسكندرية.

وقرأ مجاهدٌ وحميدٌ والأعرج[1]: «أَرْسَلَ إليكم» على بناء الفاعل، أي: أرسلَهُ ربُّه إليكم.

وقرأ عبدُ الله وأصحابُه والأعمش: «ربُّ المشارق والمغارب»[2] على الجمع فيهما.

ولمَّا انقطعَ فرعون في باب الاحتجاج، رجعَ إلى الاستعلاء والغَلَب ـ وهذا أبينُ علاماتِ الانقطاع ـ فتوعَّدَ موسى بالسجن حين أعياهُ خطابه[3]«قال لئن اتَّخذتَ إلهاً غيري لأجعلنَّك من المسجونين».

وقال الزمخشريُّ: لمَّا أجابَ موسى بما أجاب عَجَّبَ قومَهُ من جوابه، حيث نسبَ الربوبيَّة إلى غيره، فلما ثَنَّى بتقرير قوله، جَنَّنَهُ إلى قومه وطَنَزَ[4] به، حيث سمَّاه «رسولهم»، فلما ثَلَّث بتقريرٍ آخر[5]، احتدَّ واحتدم وقال: «لئن اتَّخذتَ إلهاً غيري».

فإن قلت: كيف قال أوَّلاً: «إن كنتم موقنين» وآخراً: «إن كنتم تعقلون»؟ قلت: لَايَنَ أوَّلاً، فلمَّا رأى شدَّةَ الشكيمة في العناد وقلَّةَ الإصغاء إلى عرض الحُجج، خاشنَ وعارضَ: إنَّ رسولَكم لمجنون، بقوله: «إن كنتم تعقلون».

فإن قلت: ألم يكن: لأسجننَّك، أخصرَ من: «لأجعلنَّك من المسجونين» ومؤدِّياً مؤدَّاهُ؟ قلت: أمَّا أخصر، فنعم، وأمَّا مؤدِّياً مؤدَّاه، فلا؛ لأنَّ معناه:

(١) كذا في النسخ وروح المعاني ١٩/ ١٦٤، وهو خطأ، والصواب كما في مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩ ـ وعنه نقل المصنف ـ: عن مجاهد وحميد الأعرج. وانظر ترجمة حميد بن قيس الأعرج في معرفة القراء الكبار ١/ ٢١٩-٢٢١.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: وظنن. وقوله: طنز، معناه: سخر. انظر مختار الصحاح (طنز).

(٥) قوله: بتقريرٍ آخر. من (ت).

لأجعلنَّك واحداً ممَّن عرفت حالَهم في سجوني، وكان من عادتِه أن يأخذَ من يريد سَجْنَه، فيطرحَه في هُوَّةٍ ذاهبةٍ في الأرض، بعيدةِ العمق فرداً لا يبصرُ فيها ولا يسمع، فكان ذلكَ أشدَّ من القتل. انتهى[١].

ولمَّا كان عند موسى عليه السلام من أمر الله[٢] ما لا يروِّعهُ معه توعُّدُ فرعون قال له على جهة اللطف به والطمعِ في إيمانه: «أولو جئتُك بشيءٍ مبين» أي: يوضحُ لك صدقي، أفكنت تسجنني؟

قال الزمخشريُّ: «أولو جئتك» واو الحال دخلت عليها همزةُ الاستفهام، معناه: أتفعلُ بي ذلك ولو جئتك بشيءٍ مبين؟ انتهى[٣].

وتقدَّم لنا الكلامُ على هذه الواو الداخلة على «لو» في مثل هذا السياق في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، فأغنى عن إعادته.

وقال الحوفيّ: واوُ العطف دخلت عليها همزةُ الاستفهام للتقرير، والمعنى: أتسجنني حتى في هذه الحالة التي لا تناسبُ أن أسجنَ وأنا ملتبسٌ[٤] بها.

ولمَّا سمعَ فرعونُ هذا من موسى، طمعَ أن يجدَ موضعَ معارضةٍ، فقال له: فائت به إن كنتَ من الصادقين أنَّ لك ربًّا بعثَك رسولاً إلينا.

قال الزمخشريُّ: وفي قوله: «إن كنت من الصادقين» دليلٌ على أنَّه لا يأتي بالمعجزة إلَّا الصادقُ في دعواه؛ لأنَّ المعجزةَ تصديقٌ من الله لمدَّعي النبوَّة، والحكيمُ لا يصدِّقُ الكاذبَ، ومن العجب أنَّ مثلَ فرعون لم يَخْفَ عليه مثلُ هذا، وخَفيَ على ناسٍ من أهل القبلة، حيث جوَّزوا القبيحَ على الله، حتى لزمَهم تصديقُ الكاذبين بالمعجزات. انتهى[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٠٩-١١٠.
(٢) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: أمر فرعون. والمثبت من (ت) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩.
(٣) الكشاف ٣/ ١١٠.
(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: متلبس.
(٥) الكشاف ٣/ ١١٠-١١١.

وتقديره: إن كنت من الصادقين فائت به، حذف الجزاءَ؛ لأنَّ الأمرَ بالإتيان يدلُّ عليه.

وقدَّره الزمخشريُّ: إن كنت من الصادقين في دعواك أتيتَ به[1]، جعل الجوابَ المحذوفَ فعلاً ماضياً، ولا يقدَّرُ إلَّا من جنسِ الدليل، فقولهم: أنتَ ظالمٌ إن فعلتَ. تقديره: أنت ظالمٌ[2] إن فعلتَ فأنتَ ظالم.

وقال الحوفيُّ: «إن»حرفُ شرطٍ يجوزُ أن يكونَ ما تقدَّمَ جوابَه، وجازَ تقديمُ الجواب لأنَّ حرفَ[3] الشرط لم يعمل في اللفظ شيئاً، ويجوزُ أن يكون الجوابُ محذوفاً تقديرُه: فائت به.

وقولُ الزمخشريِّ: حتى لزمَهم تصديقُ الكاذبين بالمعجزات. إشارةٌ إلى إنكار الكراماتِ التي ذهبَ أهلُ السنَّة إلى إثباتها، والمعجزُ عندهم هو ما كان خارقاً للعادة، ولا يكون إلا لنبيٍّ، أو في زمان نبيٍّ إن جرى على يد غيره، فتكونُ معجزةً لذلك النبيّ، أو على سبيل الإرهاص لمجيء نبيٍّ.

«فألقى عصاه» أي: رماها من يده، وتقدَّمَ الكلامُ على عصا موسى عليه السلام. والثعبان أعظمُ ما يكون من الحيَّات. ومعنى «مبين» ظاهرُ الثعبانيَّة، ليست من الأشياء التي تُزَوَّر[4] بالشعبذةِ والسحر.

«ونزع يده» من جيبه فإذا هي تَلألأُ كأنَّها قطعةٌ من الشمس[5]. ومعنى «للناظرين» أي: بياضُها يجتمعُ النظَّارةُ على النظر إليه؛ لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورانيًّا. رويَ أنَّه لما أبصرَ أمرَ العصا قال: فهل غيرها، فأخرج يدَه فقال: ما هذه؟ قال: يدُك، فأدخلَها في إبطه ثم نزعَها ولها شعاعٌ يكاد يُغْشِي الأبصارَ ويَسُدُّ الأفقَ[6].

---

(١) الكشاف ٣/١١١.
(٢) قوله: أنت ظالم. ليس في (ت).
(٣) في المطبوع: حذف.
(٤) في (ت): تصور.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٢٩.
(٦) الكشاف ٣/١١١.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ
﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟
حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ
مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن
يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

قال ابنُ عطيّة[١]: وانتصبَ «حوله» على الظرف، وهو في موضع الحال، أي: كائنين حولَه، فالعاملُ فيه محذوفٌ، والعامل فيه هو الحالُ حقيقةً، والناصب له «قال»؛ لأنَّه هو العامل في ذي الحال بواسطة لام الجر، نحو: مررتُ بهندٍ ضاحكةً، والكوفيُّون يجعلون «الملأ» موصولاً، فكأنَّه قيل: قال للذين[٢] حولَه، فلا موضعَ للعامل في الظرف؛ لأنَّه وقعَ صلةً[٣].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما العاملُ في «حوله»؟ قلت: هو منصوبٌ نصبين؛ نصب في اللفظ، ونصب في المحل، فالعاملُ في النصب اللفظيّ ما يقدَّرُ في الظرف، وذلك: استقرُّوا حولَه، وهذا يقدَّرُ في جميع الظروف، والعاملُ في النصب المحليّ، وهو النصبُ على الحال. انتهى[٤].

وهو تكثيرٌ وشقشقةُ كلامٍ في أمرٍ واضحٍ من أوائل علم العربيَّة.

ولـمَّا رأى فرعونُ أمرَ العصا واليد، وما ظهر فيهما من الآيات، هاله ذلك،

---

(١) لم أقف على كلام ابن عطية هذا في مطبوع المحرر الوجيز.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: للذي.
(٣) تعجب الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ١٩/ ١٧١ من هذا النقل عن الكوفيين.
(٤) الكشاف ٣/ ١١١.

ولم يكن له فيه مدفعٌ غير أنَّه[١] فزِعَ إلى رميه بالسحر، وطمعَ لغلبة علم السحر في ذلك الزمان أنْ يكونَ ثَمَّ مَنْ يقاومه، أو كان عَلِمَ صحَّة المعجزة، وعَمَّى تلكَ الحجَّةَ على قومه برميه بالسحر، وبأنَّه «يريدُ أن يخرجكُم من أرضكم بسحره»؛ ليقوَى تنفيرُهم عنه، وابتغاؤهم الغوائلَ له، وأن لا يقبلوا قولَه؛ إذ من أصعبِ الأشياء على النفوس مفارقةُ الوطن الذي نشؤوا فيه، ثم استأمرَهم فيما يفعلُ معه، وذلك لما حلَّ به من التحيُّرِ والدَّهَش وانحطاطِه عن مرتبة ألوهيَّتِه إلى أنْ صارَ يستشيرُهم في أمرِه فيأمرونه بما يظهرُ لهم فيه، فصار مأموراً بعد أن كان آمراً. وتقدَّمَ الكلامُ في «ماذا تأمرون»، وفي الألفاظ التي وافقت ما في سورة الأعراف، فأغنى عن إعادته.

ولمَّا قال: «إنَّ هذا لساحرٌ عليم» عارضوا بقولهم: «بكلِّ سحارٍ عليم»، فجاؤوا بكلمة الاستغراقِ والبناء الذي للمبالغة؛ لينفِّسوا عنه بعضَ ما لحقَه من الكَرْب[٢].

وقرأ الأعمشُ وعاصمٌ في رواية: «بكلِّ ساحر»[٣].

واليومُ المعلوم: يومُ الزينة، وتقدَّمَ الكلامُ عليه في سورة طه.

وقوله: «هل أنتم مجتمعون» استبطاءٌ لهم في الاجتماع، والمرادُ منه استعجالُهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلقٌ؟ إذا أراد أن يحرِّكَ منه، ويحثَّه على الانطلاق، كأنَّما[٤] يخيِّلُ إليه أنَّ الناسَ قد انطلقوا وهو واقف، ومنه قول تأبَّط شرًّا:

هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتِنا ... أو عَبْدَ ربٍّ أخا عونِ بن مخراقِ[٥]

يريدُ: ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطئ به.

---

(١) قوله: غير أنه. من (ح) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩.
(٢) انظر الكشاف ٣/ ١١٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٠، وهي في مختصر ابن خالويه ص ١٠٦ عن الأعمش فقط، وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجمهور.
(٤) في النسخ: كما. والمثبت من الكشاف ٣/ ١١٢، والكلام منه.
(٥) تابع المصنف الزمخشري في الكشاف ٣/ ١١٢ في نسبته لتأبط شراً، وهو في ديوانه ص٢٤٥ فيما نسب إليه وليس من شعره. وهو من شواهد كتاب سيبويه ١/ ١٧١.
=

وترجَّوا اتِّباعَ السحرةِ، أي: في دينهم إن غلبوا موسى عليه السلام، ولا يتبعونَ موسى في دينه، وساقوا الكلامَ سياقَ الكناية؛ لأنَّهم إذا اتَّبعوهم لم يتَّبعوا موسى عليه السلام[1].

ودخلت «إذاً» هنا بين اسم «إنَّ» وخبرِها، وهي جوابٌ وجزاء.

و«بعزَّةِ فرعون» الظاهرُ أنَّ الباء للقسم، وفعلُ القسَم الذي تتعلَّقُ به الباءُ محذوفٌ، وعَدلوا عن الخطاب إلى اسم الغيبة تعظيماً، كما يقال للملوك: أمروا رضي اللهُ عنهم بكذا، فيخبرُ عنه إخبارَ الغائب، وهذا من نوع أيمان الجاهلية، وقد سلكَ كثيرٌ من المسلمين في الأيمان ما هو أشنعُ من أيمان الجاهلية، لا يرضونَ بالقسم بالله ولا يعتدُّون به حتَّى يحلفَ أحدُهم بنعمةِ السلطان وبرأس المحلِّف، فحينئذٍ يستوثَقُ منه.

وقال ابنُ عطية بعدَ أن ذكرَ أنَّه قسم قال: والآخر[2] أنْ يكونَ على جهة التعظيم والتبرُّك باسمه، إذ كانوا يعبدونَه، كما تقول إذا ابتدأتَ بعملِ شيءٍ: بسم الله، وعلى بركة الله، ونحو هذا.

وبين قوله: «قال لهم موسى»، وقوله: «لمن المقربين» كلامٌ محذوفٌ، وهو ما ثبتَ في «الأعراف» من تخييرهم إيَّاه في البداءة مَنْ يُلْقي. قال الزمخشريُّ: فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صُرِّحَ به؟ قلت: هو الله عزَّ وجلَّ بما خَوَّلهم من التوفيق، أو إيمانُهم، أو ما عاينوا[3] من المعجزة الباهرة، ولك أن لا تقدِّرَ فاعلاً؛ لأنَّ: أُلقوا[4]، بمعنى خَرُّوا وسَقَطوا. انتهى.

= قال البغدادي في خزانة الأدب ٨/ ٢١٩: والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها، وقال ابن خلف: وقيل: هو لجابر بن رألان السِّنْبِسيّ، ونسبه غير خَدَمة سيبويه إلى جرير وإلى تأبط شراً وإلى أنه مصنوع، والله أعلم بالحال.

(١) انظر الكشاف ٣/ ١١٢.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: والأجر. وهو تحريف، والمثبت من (ت) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٠. وفي مطبوع روح المعاني ١٩/ ١٧٦ (طبعة الرسالة): والأحرى، وهو تحريف أيضاً.

(٣) في النسخ: بما عاينوا. والمثبت من الكشاف ٣/ ١١٣.

(٤) في (ح): ألقي. والمثبت من (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع والكشاف.

وهذا القولُ الآخِرُ ليس بشيءٍ، لا يمكن أن يُبْنَى الفعلُ للمفعول الذي لم يسمَّ فاعلُه إلَّا وقد حُذِفَ الفاعلُ، فنابَ ذلك عنه، أمَّا أنَّه لا يقدَّرُ فاعلٌ، فقولٌ ذاهبٌ عن الصواب[١].

وقال ابنُ عطية: قرأ البزي وابن فُلَيح عن ابن كثير بشدِّ التاء وفتحِ اللام وشدِّ القاف[٢]، ويلزمُ على هذه القراءة إذا ابتدأ أن يَجْلِبَ[٣] همزةَ الوصل، وهمزةُ الوصل لا تدخلُ على الأفعالِ المضارعة، كما لا تدخلُ على أسماء الفاعلين. انتهى.

كأنَّه تخيَّل أنَّه لا يمكنُ الابتداءُ بالكلمة إلَّا باجتلابِ همزة الوصل، وليس ذلك بلازم، كثيراً ما يكونُ الوصلُ مخالفاً للوقف، والوقفُ مخالفاً للوصل[٤]، ومَنْ له تمرُّنٌ في القراءات عرف ذلك.

«قالوا لا ضير» أي: لا ضررَ علينا في وقوعِ ما توعدتَنا[٥] به من قطعِ الأيدي والأرجل والتصليب، بل لنا فيه المنفعةُ التامَّةُ بالصبر عليه، يقال: ضَارَه يضيرُه ضيراً، وضارَهُ يضورُه ضوراً. «إنَّا إلى ربِّنا» أي: إلى عظيمِ ثوابِه.

أو: لا ضيرَ علينا؛ إذِ انقلابُنا إلى الله بسببٍ من أسبابِ الموت، والقتلُ أهونُ أسبابه.

وقال أبو عبد الله الرازي: لمَّا آمنوا بأجمعهم، لم يأمن فرعونُ أن يقولَ قومُه: لم تؤمنِ السحرةُ على كثرتهم إلَّا عن معرفةٍ بصحَّةِ أمرِ موسى، فيؤمنون، فبالغَ في

(١) ونقل الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ١٧٧ توجيهين لكلام الزمخشري، الأول لصاحب الكشف والثاني للطيبي ثم قال: وبالجملة لابد من تأويل كلام صاحب الكشاف، فإنَّه أجلُّ من أن يريد ظاهرَه الذي يَرِدُ عليه ما أورده أبو حيان.

(٢) يعني من كلمة «تلقف» ذكرها عنهما عن ابن كثير ابنُ مجاهد في السبعة ص ٤٧١، وذكرها الداني في التيسير ص٨٣ فقط عن البزي عن ابن كثير.

(٣) في النسخ والدر المصون ٨/ ٥٢٠: يحذف. وهو تحريف، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٢٣١، ويؤيده ما سيأتي بعده.

(٤) استحسن السمين في الدر المصون ٨/ ٥٢١ جواب الشيخ أبي حيان، ثم تعقبه بأنه كان ينبغي أن يبدل لفظة الوقف بالابتداء؛ لأنه هو الذي وقع الكلام فيه، يعني الابتداء بكلمة: «تَّلَقَّفُ».

(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وعدتنا. وفي (يه): توعدنا. والمثبت من (ت).

التنفير من جهة قوله: «آمنتم له قبل أن آذن لكم» موهماً أنَّ مسارعتَهم للإيمان دليلٌ على ميلهم إليه قبلُ، وبقوله: «إنَّه لكبيركم» صرَّحَ بما رمزهُ أوَّلاً من مواطأتهم وتقصيرِهم؛ ليظهرَ أمرُ كبيرِهم، وبقوله: «فلسوف تعلمون» حيثُ أوعدَهم وعيداً مطلقاً، وبتصريحه بما هدَّدهم به من العذاب، فأجابوا بأنَّ ذلك إنْ وقع لن يضير، وفي قولهم: «إنَّا إلى ربنا منقلبون» نكتةٌ شريفةٌ، وهو أنَّهم آمنوا لا رغبةً ولا رهبةً، إنَّما قصدوا محضَ الوصولِ إلى مرضاة الله والاستغراقَ في أنوار معرفته. انتهى ملخصاً[1]، ويدفعُ هذا الأخيرَ قولُهم: «إنَّا نطمعُ» إلى آخره، ولا يكون ذلك إلَّا من خوفِ تبعاتِ الخطايا.

والظاهرُ بقاءُ الطمع على بابه، كقوله: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤]. وقيل: يحتملُ اليقين، قيل: كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقرأ الجمهورُ: «أنْ كنَّا» بفتح الهمزة، وفيه الجزمُ بإيمانهم.

وقرأ أبانُ بن تغلب وأبو معاذ: «إن كنَّا» بكسر الهمزة[2]، قال صاحب «اللوامح»: على الشرط، وجازَ حذفُ الفاء من الجواب لأنَّه متقدِّم، وتقديرُه: إن كنَّا أولَ المؤمنين، فإنَّا نطمعُ، وحَسُنَ الشرطُ لأنَّهم لم يتحقَّقوا ما لهم عند الله من قبول الإيمان. انتهى. وهذا التخريجُ على مذهب الكوفيين وأبي زيد والمبرِّد، حيث يجيزونَ تقديمَ جواب الشرط عليه، ومذهبُ جمهورِ البصريين أنَّ ذلك لا يجوز، وجوابُ مثل هذا الشرط محذوفٌ لدلالة ما قبلَه عليه.

وقال الزمخشريُّ: هو من الشرطِ الذي يجيءُ به المُدِلُّ[3] بأمره المتحقِّقُ لصحَّته، وهم كانوا متحقِّقين أنَّهم أولُ المؤمنين، ونظيرُه قولُ العامل لمن يؤخِّر جُعْلَه: إن كنتُ عملتُ لك[4] فوفِّني حقِّي، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ١٣٥-١٣٦.
(٢) القراءة عن أبان في المحتسب ٢/ ١٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣١. ونقلها ابن خالويه في مختصره ص ١٠٦ عن بعضهم.
(٣) في (ع) والمطبوع: المدلول!
(٤) لفظ: لك. من (ت) و(يه).

﴿فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ﴾ [الممتحنة: ١]، مع علمه أنَّهم لم يخرجوا إلا لذلك[(١)].

وقال ابن عطية: بمعنى أنَّ طمعَهم إنَّما هو بهذا الشرط. انتهى[(٢)].

ويحتملُ أن تكون «إن» هي المخففةُ من الثقيلة، وجاز حذفُ اللام الفارقةِ؛ لدلالة الكلام على أنَّهم مؤمنون، فلا يحتمل النفي، والتقديرُ: إن كنَّا لأول المؤمنين، وجاء في الحديث: إنْ كان رسولُ الله ﷺ يحبُّ العسلَ[(٣)]، أي: لَيحبُّ، وقال الشاعر:

ونحنُ أباةُ الضيمِ من آل مالكٍ وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادنِ[(٤)]

أي: وإنْ مالكٌ لكانت كرامَ المعادن.

و«أول» يعني أول المؤمنين من القبط، أو أول المؤمنين من حاضري ذلك المجمع. وقال الزمخشري: وكانوا أوَّلَ جماعةٍ مؤمنين من أهل زمانهم[(٥)]. وهذا لا يصحُّ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا مؤمنين قبلَ إيمان السحرة[(٦)].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾
فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

تقدَّمَ الخلافُ في «أَسْرِ» وأنَّه قُرِئَ بوصلِ الهمزة وبقطعها في سورة هود.

(١) الكشاف ٣/ ١١٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣١.
(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (٥٢٦٨) عن عائشة ﵂ بلفظ: كان رسول الله ﷺ يحبُّ العسل والحلوى...
(٤) البيت للطرماح، وهو في ديوانه ص ٥١٢ بلفظ: أنا ابن أباةٌ. بدل: ونحن أباةُ.
(٥) الكشاف ٣/ ١١٣.
(٦) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٣١.

وقرأ اليمانيُّ: «أنْ سِرْ»[١] أمراً، من سار يسير، أمرَ الله موسى عليه السلام أنْ يخرجَ ببني إسرائيل ليلاً من مصرَ إلى تجاه البحر، وأخبرَه أنَّهم سيُتَّبعونَ، فخرجَ سَحَراً جاعلاً طريقَ الشام على يساره، وتوجَّه نحو البحر، فيُقَالُ له في ترك الطريق، فيقول: هكذا أُمِرْتُ، فلمَّا أصبحَ، علم فرعون بسُريِّ موسى ببني إسرائيل، فخرجَ في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر، وذكروا أعداداً في أتباع فرعون وفي بني إسرائيل، اللهُ أعلمُ بصحَّة ذلك[٢].

«إنَّ هؤلاء لشِرْذِمةٌ» أي: قال: إنَّ هؤلاء، وصفَهم بالقلَّة فجمعهم[٣]، ثمَّ جمعَ القليلَ، فجعلَ كلَّ حزبٍ قليلاً جمع السلامة الذي هو للقلَّة، وقد يجمعُ القليلُ على أقلَّة وقُلُل، والظاهرُ تقليلُ العدد. قال الزمخشريُّ: ويجوزُ أن يريدَ بالقلَّةِ الذلَّةَ والقماءة، ولا يريد قلَّةَ العدد، والمعنى: إنَّهم لقلَّتهم لا يُبَالى[٤] بهم، ولا يتوقَّع غَلَبَتُهم[٥]، ولكنَّهم يفعلون أفعالاً تغيظُنا وتُضَيِّقُ صدورَنا، ونحن قومٌ من عادتنا التيقُّظ والحذرُ واستعمالُ الحزمِ في الأمور، فإذا خرجَ علينا خارجٌ، سارعنا إلى حسم فساده[٦]، وهذه معاذيرُ اعتذَرَ بها إلى أهل المدائن؛ لئلَّا يُظَنَّ به ما يكسرُ من قهره وسلطانه. انتهى[٧].

قال أبو حاتم: وقرأ مَن لا يؤخذ عنه: «الشرُّ دَمَّةٍ[٨] قليلون»، وليست هذه موقوفةً. انتهى.

يعني أنَّ هذه القراءةَ ليست موقوفةً على أحدٍ رواها عن رسول الله ﷺ.

وقيل: «الغائظون» أي: بخلافهم وأخذِهم الأموال حين استعاروها ولم يردُّوها، وخرجوا هاربين.

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٦.
(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٣١.
(٣) قوله: فجمعهم. من (ت).
(٤) في (ت) و(يه): نبالي.
(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: غفلتهم.
(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: يساره.
(٧) الكشاف ٣/ ١١٤.
(٨) كذا شكلت في (ح) و(ع) و(يه)، وقول أبي حاتم في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.

وقرأ الكوفيُّون وابنُ ذكوان وزيدُ بن علي: «حاذرون» بالألف[١]، وهو الذي قد أخذَ يحذرُ ويجدِّدُ حذرَه. وحذرَ متعدٍّ، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الزمر:٩]، وقال العباسُ بن مرداس:

وإنِّـي حـاذرٌ أَنْـمـي سـلاحـي ... إلـى أوصـال ذَيَّـالٍ صَـنـيـعِ[٢]

وقرأ باقي السبعة بغير ألفٍ، وهو المتيقِّظ.

وقال الزجَّاج: مُؤْدون، أي: ذوو أدواتٍ وسلاح، أي: متسلِّحين[٣].

وقيل: حذرون في الحال، وحاذرون في المآل.

وقال الفراء: الحاذرُ: الخائفُ ما يرى، والحذِرُ: المخلوق حذراً[٤].

وقال أبو عبيدة: رجلٌ حَذِرٌ وحَذُرٌ وحاذر، بمعنى واحد[٥]. وذهب سيبويه إلى أن: حَذِراً يكون للمبالغة، وأنَّه يعملُ كما يعمل حاذر، فينصبُ المفعولَ به، وأنشد:

حَـذِرٌ أمـوراً لا تَـضـيـرُ وآمِـنٌ ... مـا لـيـس مُـنْـجِـيَـهُ مـنَ الأقـدارِ[٦]

---

(١) القراءة عن الكوفيين حمزة والكسائي وعاصم، وابن ذكوان راوية ابن عامر في السبعة ص٤٧١، والتيسير ص ١٦٥.

(٢) البيت في مجاز القرآن ٢/ ٨٦، ولسان العرب (ذيل)، وديوان العباس بن مرداس ص١١٣، ووقع فيها وفي الدر المصون ٨/ ٥٣٢: منيع. بدل: صنيع. والبيت برواية المصنف في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ ـ وعنه نقل المصنف.
وصنعة الفرس: حسن القيام عليه، ومنه: فرس صنيع. انظر الصحاح والقاموس المحيط (صنع) والذيال ـ كما قال أبو عبيدة في المجاز ـ: الفرس الطويل الذنب.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٠. وذكره عن الفراء أيضاً الثعلبيُّ في تفسيره ٤/ ٤٤٨.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٨٦.

(٦) البيت في الكتاب ١/ ١١٣، والمقتضب ٢/ ١١٦، والحلل للبطليوسي ص ١٣١، وشرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٤٤٩، وخزانة الأدب ٨/ ١٦٩ دون نسبة.
وزُعم أن هذا البيت مصنوع على سيبويه ورُدَّ ذلك.
قال ابنُ مالك في شرح التسهيل: وروي عن المازني أنَّ اللاحقي قال: سألني سيبويه عن شاهد في تعدِّي «فَعِل» فعملت له هذا البيت، وينسبُ مثل هذا القول إلى ابن المقفع، ولا اختلاف في تسمية هذا المدَّعى بشعرٍ بأنها موضوعة، ووقوع مثل هذا مستبعد، فإن

وقد نُوزِعَ في ذلك بما هو مذكورٌ في كتب النحو.

وعن الفرَّاء أيضاً والكسائيِّ: رجلٌ حذرٌ إذا كان الحذرُ في خلقته، فهو متيقظٌ منتبهٌ[1].

وقرأ سُمَيط بن عجلان وابنُ أبي عمار وابنُ السميفع: «حادِرون» بالدال المهملة[2]، من قولهم: عينُ حَدْرَة، أي: عظيمةٌ، والحادِرُ: المتورِّمُ. قال ابنُ عطية: فالمعنى: ممتلئونَ غيظاً وأنفةً[3]. وقال ابن خالويه: الحادرُ السمينُ القويُّ الشديد، يقال: غلامٌ حَدْرٌ بَدْرٌ. وقال صاحب «اللوامح»: حَدَرَ الرجلُ: قويَ بأسُه، يقال منه: رجلٌ حَدْرٌ بَدْرٌ، إذا كان شديدَ البأس في الحرب، ويقال: رجلٌ حَدُر، بضمِّ الدال للمبالغة، مثل: يَقُظ. وقال الشاعر:

أحِبُّ الصبيَّ السَّوْءَ من أجلِ أمِّه ... وأبغضُه من بغضِها وهو حادرُ[4]

أي: سمينٌ قويّ.

وقيل: مُدَجَّجون في السلاح[5].

= سيبويه لم يكن يحتج بشاهد لا يثق بانتسابه إلى من يحتجُّ بقوله، وإنما يحمل القدح في البيت المذكور على أنه من وضع الحاسدين وتقول المتقولين.
ثم ذكر ابن مالك شواهد أخر لإعمال «فَعِل» فانظرها ثمة وفي خزانة الأدب ٨/ ١٦٩، وقال البغدادي في الخزانة ٨/ ١٧١: وإذا حكى أبو يحيى اللاحقي مثل هذا عن نفسه ورضيَ بأن يخبر أنه قليل الأمانة، وأنه ائتمن على الرواية الصحيحة فخان، لم يكن مثله يُقْبَلُ قوله ويعترض به على ما قد أثبته سيبويه. وهذا الرجل أحبَّ أن يتجمَّل بأن سيبويه سأله عن شيءٍ فخبَّر عن نفسه بأنه فعل ما يبطل الجمال، ومن كانت هذه صفته بَعُدَ في النفوس أن يسأله سيبويه عن شيء.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٣٠٥. وقول الفراء هذا قطعة من قوله الذي سلف قريباً.

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٢٨ عن ابن أبي عمار، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٠٦ عن ابن أبي عمار وابن السميفع، وذكرها ابن عطية في المحرر ٤/ ٢٣٢ عن ابن أبي عمار وسميط.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.

(٤) البيت دون نسبة في العين ٣/ ١٧٨، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٠٨، وشرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٤٠٣، والكشاف ٣/ ١١٤.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١١٤.

«فأخرجناهم» الضميرُ عائدٌ على القبط «من جنَّاتٍ وعيون» بحافَّتي النيل من أسوان إلى رشيد، قاله ابنُ عمر وغيرُه[١]، والجمهورُ على أنَّها عيون الماء، وقال ابنُ جبير: المراد عيونُ الذهب[٢].

«وكنوز» هي الأموالُ التي خَزَنوها[٣]. قال مجاهد: سمَّاها كنوزاً لأنَّها لم تُنْفَق[٤] في طاعةِ الله قط.

وقال الضحَّاك: الكنوزُ: الأنهار. قال صاحبُ «التحبير»: وهذا فيه نظرٌ؛ لأنَّ العيونَ تشملها.

وقيل: هي كنوزُ المقطَّم ومطالبُه. قال ابنُ عطيَّة: هي باقيةٌ إلى اليوم. انتهى[٥].

وأهلُ مصر في زماننا في غاية الطَّلبِ لهذه الكنوز التي زعموا أنَّها مدفونةٌ في المقطَّم، فينفقونَ على حفرِ المواضع[٦] في المقطَّم الأموالَ الجزيلةَ، ويبلغونَ في العمق إلى أقصى غايةٍ، ولا يظهرُ لهم إلَّا الترابُ، أو حجرُ الكَذَّان[٧] الذي المقطَّم مخلوقٌ منه، وأيُّ مغربيٍّ يردُ عليهم سألوهُ عن علم المطالب، فكثيرٌ منهم يضعُ في ذلك أوراقاً ليأكلوا أموالَ المصريين بالباطل، ولا يزالُ الرجلُ منهم يذهبُ ماله في ذلك حتى يفتقر، وهو لا يزدادُ إلَّا طلباً لذلك حتى يموت، وقد أقمتُ بين ظهرانَيهم إلى حين كتابة هذه الأسطر نحواً من خمسةٍ وأربعين عاماً، فلم أعلم أنَّ أحداً منهم حصَّل على شيءٍ غيرَ الفقر، وكذلك رأيُهم في تغويرِ الماء، يزعمونَ أنَّ ثمَّ آباراً، وأنَّه يُكْتَبُ أسماء في شقفة، فتلقى في البئر، فيغورُ الماء، وينزلُ إلى بابٍ في البئر، يُدْخَلُ منه إلى قاعةٍ مملوءةٍ ذهباً وفضَّةً وجوهراً وياقوتاً، فهم دائماً

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: خربوها.
(٤) بعدها في (ح): منها شيء. وانظر قول مجاهد في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢. وتحرف في مطبوعه: المقطم. إلى: المعظم.
(٦) في (أ) و(ع): حفر هذه المواضع، وفي (ح): حفر مواضع. والمثبت من (ت) و(يه).
(٧) الكَذَّان: حجارةٌ فيها رخاوةٌ، وربما كانت نخرة. المعجم الوسيط (كذذ).

يسألون من يَرِدُ من المغاربة عمَّن يحفظُ تلك الأسماء التي تُكْتَبُ في الشقفة، فيأخذُ شياطينُ المغاربةِ منهم مالاً جزيلاً، ويستأكلونَهم، ولا يحصلونَ على شيءٍ غير ذهابِ أموالهم، ولهم أشياء من نحو هذهِ الخرافات يركنونَ إليها، ويقولونَ بها، وإنَّما أطلتُ في هذا على سبيل التحذير لمن يعقل.

وقوله تعالى: «ومقامٍ كريم» قال ابن لهيعة: هو الفَيُّوم[١]. وقال ابنُ عبَّاس ومجاهد والضحاك: هو المنابرُ للخطباء[٢]. وقيل: الأسِرَّة في الكِلَل[٣]. وقيل: مجالسُ الأمراء والأشرافِ والحكام، وقال النقَّاش: المساكنُ الحسان[٤]. وقيل: مرابطُ الخيل. حكاه الماورديُّ[٥].

وقرأ قتادةُ والأعرج: «ومُقَام» بضمِّ الميم[٦]، من: أقام.

«كذلك» قال الزمخشريُّ: يحتملُ ثلاثةَ أوجه: النصب على: أخرجناهُم مثلَ ذلك الإخراج الذي وصفنا، والجرّ على أنَّه وصفٌ لـ «مقام»، أي: ومقام كريم مثلِ ذلك المقام الذي كان لهم، والرفع على أنَّه خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: الأمرُ كذلك. انتهى[٧].

فالوجهُ الأوَّلُ لا يسوغ؛ لأنَّه يَؤُولُ إلى تشبيه الشيء بنفسه، وكذلك الوجه الثاني؛ لأنَّ المقامَ الذي كان لهم هو المقامُ الكريم، ولا يشبَّهُ الشيءُ بنفسه[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.

(٢) الأثر عن ابن عباس ومجاهد في النكت والعيون ٤/ ١٧٢، وعن الضحاك في الكشاف ٣/ ١١٥.

(٣) في الكشاف: الحجال، والكِلَل: جمع كِلَّة، وهي سترٌ رقيق مثقَّبٌ يتوقَّى به من البعوض وغيره. المعجم الوسيط (كلل).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.

(٥) في النكت والعيون ٤/ ١٧٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢، وذكرها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٧ عن الأعرج.

(٧) الكشاف ٣/ ١١٥.

(٨) ذكر هذا التعقُّبَ السمين في الدر المصون ٨/ ٥٢٤، ثم تعقبه فقال: وليس في ذلك تشبيه الشيء بنفسه؛ لأن المراد في الأول: أخرجناهم إخراجاً مثل الإخراج المعروف المشهور، وكذلك الثاني.

والظاهرُ أنَّ قوله: «وأورثناها بني إسرائيل» أنَّهم ملكوا ديارَ مصر بعدَ غرقِ فرعونَ وقومِه؛ لأنَّه اعتقبَ قولَه: «وأورثناها» قولَه: «فأخرجناهم»، وقاله الحسن[١]، قال: كما عَبرُوا النهرَ رجعوا وورثُوا ديارَهم وأموالهم. وقيل: ذهبوا إلى الشام وملكُوا مصرَ زمن سليمان عليه السلام.

وقرأ الجمهور: «فأتْبَعُوهم» أي: فلحقوهم. وقرأ الحسنُ والذماريُّ: «فاتَّبعوهم» بوصل الألف وشدِّ التاء[٢].

«مُشْرِقين» داخلين في وقت الشروقِ، من: شَرَقتِ الشمسُ شروقاً إذا طلعت[٣]، كأصبح؛ دخلَ في وقت الصباح، وأمسى؛ دخل في وقت المساء.

وقال أبو عبيدة: فاتبعوهم نحوَ الشرق، كأنجد، إذا قصد نحو نجد[٤]. والظاهرُ أنَّ «مشرقين» حالٌ من الفاعل. وقيل: «مشرقين»، أي: في ضياء، وكان فرعون وقومُه في ضبابٍ وظلمةٍ تحيَّروا فيها حتَّى جاوز بنو إسرائيل البحرَ، فعلى هذا يكون «مشرقين» حالاً من المفعول.

«فلمَّا تراءى الجمعان» أي: رأى أحدُهما الآخر «قال أصحاب موسى إنَّا لمُدْرَكُون» أي: مُلْحَقون، قالوا ذلك حينَ رأوا العدوَّ القويَّ وراءَهم، والبحرَ أمامهم، وساءت ظنونُهم.

وقرأ الأعمش وابن وثَّاب: «تَرَاى» الجمعانِ بغير همز على مذهب التخفيف بين بين، ولا يصحُّ القلبُ؛ لوقوعِ الهمزة بين ألفين؛ إحداهما ألفُ تفاعل الزائدة بعد الفاء، والثانيةُ اللام المعتلَّةُ من الفعل، فلو خُفِّفَتْ بالقلب لاجتمعَ ثلاثُ ألفات متَّسقة، وذلك ممَّا لا يكونُ أبداً، قاله أبو الفضل الرازي.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٧، وهي في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ عن الحسن فقط. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٦ للحسن وأيوب السختياني.

(٣) الكشاف ٣/ ١١٥.

(٤) انظر الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٣٠٨، ونص قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٦: مجاز المشرق مجاز المصبح. ونقل الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٧٣، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٣٠ عن أبي عبيدة أن المعنى: بناحية المشرق.

وقال ابن عطية: وقرأ حمزة: «تَرِائى» بكسر الراء ويُمَدُّ ثمَّ يهمز، ورويَ مثلُه عن عاصم[١]، ورويَ عنه أيضاً مفتوحاً ممدوداً، والجمهورُ يقرؤونه مثل: تَرَاعى، وهذا هو الصواب؛ لأنه تفاعَل.

وقال أبو حاتم: وقراءةُ حمزة هذا الحرف محالٌ، وحملَ عليه، قال: وما رويَ عن ابن وثَّاب والأعمش خطأ. انتهى[٢].

وقال الأستاذ أبو جعفر أحمد ابنُ الأستاذ أبي الحسن عليِّ بن أحمد بن خلف الأنصاري وهو ابن الباذش في كتاب «الإقناع» من تأليفه: «تراءى الجمعان» في «الشعراء» إذا وقَفَ عليها حمزةُ والكسائيُّ أمالا الألفَ المنقلبةَ عن لام الفعل، وحمزةُ يميلُ ألف تَفَاعَل وصلاً ووقفاً[٣]؛ لإمالةِ الألف المنقلبةِ، ففي قراءته إمالةٌ لإمالة[٤]، وفي هذا الفعل وفي رأى[٥] إذا استقبلَه ألفُ وصلٍ لمن أمال للإمالة حذفُ السبب وإبقاءُ المسبَّب، كما قالوا: صِعَقيّ في النسب إلى الصَّعِق[٦].

وقرأ الجمهور: «لَمُدْرَكُون» بإسكان الدال، والأعرجُ وعبيدُ بن عمير بفتح الدَّال مشدَّدةً وكسرِ الراء[٧]، على وزن: مُفْتَعِلون، وهو لازمٌ بمعنى الفناء والاضمحلال، يقال منه: ادَّرَكَ الشيءُ بنفسِه، إذا فنيَ تتابُعاً، ولذلك كُسِرَت الرَّاء على هذه القراءة؛ نصَّ على كسرِها أبو الفضل الرازي في كتاب «اللوامح» والزمخشريُّ في «كشافه» وغيرهما.

---

(١) ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٤٧١ من رواية هبيرة عن حفص، والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣.
(٣) انظر قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٤٧١-٤٧٢، والتيسير ص ١٦٥.
(٤) في (ت) والمطبوع: الإمالة.
(٥) في المطبوع: راءى.
(٦) القاعدة في النسبة إلى «فَعِل» المكسور العين؛ فتح عينه في النسب، كنَمِر ونَمَريّ. انظر شذا العرف ص ٩٥، والصَعِق ينسب صَعَقيّ حسب القاعدة، وصِعَقِي، على غير قياس؛ لأنهم يقولون فيه قبل النسب: صِعِق على ما يطَّرد في هذا النحو مما ثانيه حرفٌ من حروف الحلق في الاسم والفعل والصفة. انظر تاج العروس (صعق).
(٧) مختصر ابن خالويه ص ١٠٧، والمحتسب ٢/ ١٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣، والكشاف ٣/ ١١٥.

وقال أبو الفضل الرازيّ: وقد يكون ادَّركَ على افتعلَ، بمعنى أَفْعَلَ متعدِّياً، فلو كانت القراءةُ من ذلك لوجبَ فتحُ الراء، ولم يبلغني ذلك عنهما، يعني: عن الأعرج وعبيد بن عمير.

قال الزمخشريُّ[١]: المعنى: إنَّا لمتتابعونَ في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منَّا أحدٌ، ومنه بيتُ الحماسة:

أَبَعْدَ بني أمِّي الذينَ تتابعوا أُرَجِّي الحياةَ أم من الموتِ أجزعُ[٢]

«قال كلَّا إنَّ معي ربِّي سيهدين» زجرَهم وردعَهم بحرف الردع، وهو «كلَّا»، والمعنى: لن يدركوكم؛ لأنَّ الله وعدَكم بالنصرِ والخلاص منهم؛ «إنَّ معي ربي سيهدين» عن قريبٍ إلى طريق النجاة ويُعَرِّفنيهِ. وقيل: سيكفيني أمرَهم.

ولمَّا انتهى موسى إلى البحر، قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى: أين أمرت وهذا البحرُ أمامك، وقد غشيكَ آل فرعون، قال: أُمِرْتُ بالبحر. ولا يدري موسى ما يصنع، ورُويت هذه المقالةُ عن يوشع، قالها لموسى عليه السلام، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاكَ البحرَ، فخاضَ يوشعُ الماءَ لمَّا قال موسى: أُمِرْت بالبحر[٣]، وضربَ موسى بعصاه، فصارَ فيه اثنا عشر طريقاً، لكلِّ سبطٍ طريق[٤].

أرادَ تعالى أنْ يجعل هذه الآيةَ متَّصلةً بموسى، ومتعلِّقةً بفعلٍ فعلَه ولكنَّه بقدرة الله، إذْ ضربُ البحرِ بالعصا لا يوجبُ انفلاقَ البحر بذاتِه[٥]، ولو شاءَ تعالى لفلقَه دون ضربهِ بالعصا.

وتقدَّمَ الخلافُ في مكان هذا البحر.

---

(١) في الكشاف ٣/ ١١٥.

(٢) هو للبراء بن ربعي الفقعسي، كما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٢/ ٨٤٩، والمؤتلف والمختلف للآمدي ص ١١٩.

(٣) قوله: لما قال موسى أمرت بالبحر. من (ح)، ومكانها في (يه): وجاء.

(٤) انظر الكشاف ٣/ ١١٥.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٣٢.

«فانفلقَ» ثَمَّ محذوفٌ تقديرُه: فضربَ فانفلق، وزعم ابنُ عصفور في مثل هذا التركيبِ أنَّ المحذوفَ هو: ضرب وفاء «انفلق»، والفاءُ في «انفلق» هي فاء ضرب، فأُبْقِيَ من كلٍّ ما يدلُّ على المحذوف، أبقيت الفاءُ من: فضرب، واتَّصلت بـ «انفلق»؛ ليدلَّ على ضرب المحذوفة، وأُبْقِيَ انفلقَ؛ ليدلَّ على الفاء المحذوفة منه. وهذا قولٌ شبيهٌ بقول صاحب البِرْسام[١]، ويحتاج إلى وحي يُسْفِرُ عن هذا القول، وإذا نظرتَ القرآنَ وجدتَ جملاً كثيرةً محذوفةً وفيها الفاء، نحو قوله: ﴿فَأَرْسِلُونِ ... يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٥-٤٦] أي: فأَرْسَلُوه فقالَ: يوسف أيُّها الصديق.

والفِرْقُ: الجزءُ المنفصلُ، والطودُ: الجبلُ العظيم المنطادُ[٢] في السماء.

وحكى يعقوب عن بعض القراء أنه قرأ: «كلُّ فِلْقٍ» باللام عوض الراء[٣].

«وأزْلَفْنا» أي: قرَّبنا «ثَمَّ» أي: هناك، و«ثَمَّ» ظرفُ مكانٍ للبعد. «الآخرين» أي: قومَ فرعون، أي: قرَّبناهم ولم يذكر من قُرِّبوا منه، فاحتملَ أن يكون المعنى: قرَّبناهم حيثُ انفلقَ البحرُ من بني إسرائيل، أو قرَّبنا بعضَهم من بعض حتَّى لا ينجو أحدٌ، أو قرَّبناهم مِنَ البحر.

وقرأ الحسنُ وأبو حيوة: «وزَلفنا» بغير ألف[٤].

وقرأ أبيّ وابنُ عباس وعبدُ الله بن الحارث: «وأزْلَقْنا» بالقاف عوضَ الفاء[٥]، أي: أزْلَلْنا، قال[٦] صاحب «اللوامح»: قيل: من قرأ بالقاف صار «الآخرين» فرعونُ وقومُه، ومَنْ قرأ بالعامَّة ـ يعني بالقراءة العامة ـ فالآخرون هم موسى وأصحابه[٧]. أي: جمعنا شملَهم وقرَّبناهُم بالنَّجاة. انتهى.

---

(١) البرسام: علة يُهْذَى فيها. القاموس (برسم).
(٢) في (ح): المتطاول. والمنطاد: المرتفع، يقال: بناء منطاد، أي: مرتفع. القاموس (طود).
(٣) مختصر ابن خالويه ص ١٠٧.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣ وفيه أن ابن عباس روى القراءة عن أبيّ، وذكرها ابن خالويه في مختصره ص ١٠٧ عن أبيّ وابن عباس، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٢٩ عن عبد الله بن الحارث.
(٦) في المطبوع: قاله.
(٧) انظر المحتسب ٢/ ١٢٩.

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: ودخلَ موسى وبنو إسرائيل البحرَ وأنجينا. قيل: دخلُوا البحرَ بالطّول وخرجُوا في الضِّفَّةِ التي دخلوا منها بعد مسافةٍ، وكان بين موضع الدُّخول وموضع الخروج أَوْعَارٌ وجبالٌ لا تُسلك[١].

«إنَّ في ذلك لآيةً» أي: لَعلامةً واضحةً، عاينَها الناسُ وشاعَ أمرُها.

قال الزمخشريُّ: «وما كان أكثرُهم مؤمنين» أي: ما تنبَّه أكثرُهم عليها ولا آمنوا، وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحابَ موسى المخصوصين بالإنجاء قدْ سألوهُ بقرةً يعبدونَها، واتخذوا العجلَ، وطلبوا رؤيةَ الله جهرةً. انتهى[٢].

والذي يظهرُ أنَّ قولَه: «وما كان أكثرهم مؤمنين» أي: أكثر قوم فرعون، وهم القبط؛ إذ قد آمنَ السحرةُ، وآمنت آسية امرأة فرعون، ومؤمنُ آل فرعون، وعجوزٌ اسمُها مريم دلَّت موسى على قبر يوسف عليه السلام، فاستخرجوه، وحملوه معهم حين خرجوا من مصر[٣].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ
لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ
ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ
عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا
مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١) وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي
يَوۡمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ (٨٤) وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ
يُبۡعَثُونَ (٨٧) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ (٨٩) وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ
لِلۡمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ
أَوۡ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ (٩٥) قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا
يَخۡتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٩٧) إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٩٨) وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ (١٠١) فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٠٢)
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)﴾.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣.

(٢) الكشاف ٣/ ١١٥-١١٦.

(٣) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٤٤٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٤.

لمَّا كانتِ العربُ لها خصوصية بإبراهيم عليه السلام، أمر اللهُ نبيَّه ﷺ أنْ يتلوَ عليهم قَصصه وما جَرى له مع قومه، ولم يأتِ في قصةٍ من قَصَص هذه السورة أمرُه عليه الصلاة والسلام بتلاوة قصَّة إلَّا في هذه.

و«إذ» العاملُ فيه؛ قال الحوفيُّ: «اُتْلُ». ولا يُتَصوَّر ما قال إلَّا بإخراجِه عن الظرفيَّة وجعلِهِ بدلاً من «نبأ» واعتقادِ أنَّ العاملَ في البدلِ والمبدل منه واحد.

وقال أبو البقاء: العاملُ في «إذ» «نبأ»[1].

والظاهرُ أنَّ الضمير في «وقومِه» عائدٌ على «إبراهيم»، وقيل: على «أبيه»، أي: وقوم أبيه، كما قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

و«ما» استفهامٌ بمعنى التحقير والتقرير، وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلمُ أنَّهم عبدةُ أصنام، ولكن سألَهم ليريَهم أنَّ ما كانوا يعبدونَه ليس مستحِقًّا للعبادة؛ لما ترتَّب على جوابهم من أوصاف معبوداتهم التي هي منافيةٌ للعبادة، ولمَّا سألَهم عن الذي يعبدونَه، ولم يقتصرُوا على ذكره فقط، بل أجابوا بالفعل ومتعلَّقِه وما عُطِفَ عليه من تمام صفتِهم مع معبودِهم، ف «قالوا نعبدُ أصناماً فنظلُّ لها عاكفين» على سبيل الابتهاج والافتخار، فأتوا بقصَّتهم معهم كاملة، ولم يقتصروا على أن يجيبوا بقولهم: «أصناماً» كما جاء: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ [النحل: ٣٠]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ولذلك عطفوا على ذلك الفعلِ قولَهم: «فنظلُّ» قال[2]: كما تقول لرئيسٍ: ما تلبس؟ فقال: ألبس مطرفَ الخزِّ فأجرُّ ذيولَه، يريد الجوابَ وحالَه مع ملبوسه.

وقالوا: «فنظلُّ» لأنَّهم كانوا يعبدونَهم بالنهار دونَ الليل ولمَّا أجابوا إبراهيم، أخذ يوقفهم على قلَّة عقولهم باستفهامه عن أوصافٍ مسلوبةٍ عنهم لا يكونُ ثبوتُها إلَّا لله تعالى.

وقرأ الجمهورُ: «يسمعونكم» من: سَمِعَ، وسَمِعَ إن دخلتْ على مسموعٍ تعدَّت إلى واحدٍ، نحو: سمعتُ كلامَ زيدٍ، وإن دخلَتْ على غير مسموع، فمذهبُ

(١) الإملاء ٢/ ١٦٨.

(٢) في (ت): لها عاكفين. بدل: قال.

الفارسيّ أنّها تتعدَّى إلى اثنين، وشرطُ الثاني منهما أنْ يكونَ ممَّا يُسْمَع، نحو: سمعتُ زيداً يقرأ[١]. والصحيحُ أنَّها تتعدَّى إلى واحد، وذلك الفعلُ في موضع الحال. والترجيحُ بين المذهبين مذكورٌ في النحو، وهنا لم تدخل إلَّا على واحد، ولكنه ليس بمسموعٍ، فتأوَّلوه على حذف مضافٍ تقديره: هل يسمعونَ دعاءَكم؟ أو على حذف الفعل لدلالة «إذ تدعون» عليه[٢]، تقديرُه: هل يسمعونكم تدعون؟ وقيل: «هل يسمعونكم» بمعنى: يجيبونكم.

وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بضمِّ الياء وكسر الميم[٣]، من: أسمع، والمفعول الثاني محذوفٌ تقديره: الجوابَ، أو الكلام.

و«إذ» ظرفٌ لما مضى، فإمَّا أن يُتجاوزَ فيه فيكون بمعنى «إذا»، وإمَّا أن يتجاوزَ في المضارع فيكون قد وقعَ موقعَ الماضي، فيكون التقدير: هل سمعوكم إذ دعوتم؟ وقد ذكر أصحابُنا أنَّ من قرائن صرفِ المضارع إلى الماضي إضافةَ «إذ» إلى جملةٍ مصدَّرةٍ بالمضارع، ومثَّلوا بقوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي: وإذ قلت.

وقال الزمخشريُّ: وجاء مضارعاً مع إيقاعه في «إذ»[٤] على حكاية الحال الماضية ومعناه: استحضروا الأحوال الماضية[٥] التي كنتم تدعونها فيها، وقولوا: هل سمعوا أو أسمعوا قَطّ؟ وهذا أبلغُ في التبكيت. انتهى.

وقرئ بإظهار ذال «إذ» وبإدغامها في تاء «تَدْعون»، قال ابنُ عطية: ويجوزُ فيه قياسُ: مُدَّكِر[٦]، ولم يقرأ به أحدٌ، والقياسُ أن يكون اللفظ به: إذْ دَّعون[٧]،

---

(١) انظر ما سلف عند تفسير الآية (٦٠) من سورة الأنبياء.
(٢) من قوله: تقديره: هل يسمعون دعاءكم... إلى هنا من (ت) و(يه).
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٧. والقراءة في المحتسب ٢/ ١٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٤، والكشاف ٣/ ١١٦ عن قتادة فقط.
(٤) في (ت): في حيز إذ. والمثبت من بقية النسخ، وهو موافق لما في الكشاف ٣/ ١١٦.
(٥) قوله: ومعناه: استحضروا الأحوال الماضية. من (ت) و(ح) وليس في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع.
(٦) في النسخ عدا (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٤: مذكر. في هذا الموضع والذي بعده، والمثبت من (يه) وانظر الدر المصون ٨/ ٥٢٩.
(٧) في النسخ والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٤: إذ ددعون. وفسر السمين في الدر المصون ٨/ ٥٢٩ =

فالذي منعَ من هذا اللفظ اتِّصالُ الدال الأصليَّة في الفعل، فكثُرت المتماثلات. انتهى.

وهذا الذي ذَكر أنَّه يجوزُ فيه قياسُ مُدَّكِر لا يجوز؛ لأنَّ ذلك الإبدال ـ وهو إبدالُ التاء دالاً ـ لا يكون إلَّا في افتعل ممَّا فاؤه ذالٌ أو زايٌ أو دالٌ، نحو: اذدكر وازدجر وادَّهن، أصلُه اذتكر، وازتجر، وادتهن، أو جيمٌ شذوذاً، قالوا: اجْدَمَع، في: اجتمع، ومن تاء الضمير بعد الزاي والدال، ومثَّلوا بتاء الضمير للمتكلِّم، فقالوا في: فزتَ: فزدَ، وفي جلدت: جلدَّ، ومن تاء تولَّج شذوذاً، قالوا: دولَّج، وتاء المضارعة ليس شيئاً ممَّا ذكرنا، فلا تبدلُ تاءً، وقولُ ابن عطية: والذي منع من هذا اللفظ. إلى آخره، يدلُّ على أنَّه لولا ذلك لجاز إبدالُ تاء المضارعة دالاً وإدغامُ الذال فيها، فكنت تقول في إذ تخرج: اذَّخرج، وذلك لا يقولُه أحدٌ، بل إذا أدغم مثل هذا أبدل من الذال تاءً، وأدغم في التاء، فتقول: اتَّخرج.

«أو ينفعونكم» بتقرُّبكم إليهم ودعائكم إيَّاهم «أو يضرُّون» بتركِ عبادتكم إيَّاهم، فإذا لم ينفعوا ولم يضرُّوا، فما معنى عبادتكم لها؟

«قالوا بل وَجَدْنا» هذه حَيْدَةٌ عن جواب الاستفهام؛ لأنَّهم لو قالوا: يسمعوننا وينفعوننا ويضرُّوننا، فضحُوا أنفسَهم بالكذب الذي لا يُمْتَرى فيه، ولو قالوا: ما[1] يسمعوننا ولا ينفعوننا[2] ولا يضرُّوننا، أسجلُوا على أنفسِهم بالخطأ المحض، فعدلُوا إلى التقليدِ البحت لآبائهم في عبادتها من غير برهانٍ ولا حجَّةٍ.

والكافُ في موضع نصب بـ «يفعلون»، أي: يفعلون في عبادتهم تلكَ الأصنام مثلَ ذلك الفعل الذي نفعلُه وهو عبادتُهم، والحيدةُ عن الجوابِ من علامات انقطاعِ الحجَّة.

و«بل» هنا إضرابٌ عن جوابه لما سأل، وأخذٌ في شيءٍ آخر لم يسألهم عنه؛ انقطاعاً وإقراراً بالعجز.

= قول ابن عطية هذا فقال: يعني فيكون اللفظ بدالٍ مشددة مهملة ثم بدالٍ ساكنة مهملة أيضاً.

(١) لفظة: ما. من (ت) و(يه).

(٢) قوله: ولا ينفعوننا. من (ت) و(يه).

«وآباؤكم الأقدمون» وصفَهم بالأقدمين دلالةٌ على تقادُمِ عبادةِ الأصنام فيهم؛ إذ كانوا قد عَبَدوها في زمان نوح عليه السلام فزمان من بعده.

و«عَدُوّ» يكون للمفرد والجمع، كما قال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، قيل: شبه بالمصدر، كالقَبول والوَلوع. قال الزمخشريُّ: وإنَّما قال «عدوٌّ لي» تصوُّراً للمسألة في نفسه على معنى: إنِّي[1] فكرتُ في أمري، فرأيتُ عبادتي لها عبادةَ للعدوِّ، فاجتنبتُها وآثرتُ عبادةَ مَنِ الخيرُ كلُّه منه، وأراهم بذلك أنَّها نصيحةٌ نصحَ بها نفسه أوَّلاً، وبنى عليها تدبيرَ أمره؛ لينظروا ويقولوا: ما نصحَنا إبراهيمُ إلَّا بما نصحَ به نفسه، وما أرادَ لنا إلَّا ما أرادَ لروحه؛ ليكونَ أدنى[2] لهم إلى القبول وأبعثَ على الاستماع منه، ولو قال: فإنَّه عدوٌّ لكم، لم يكن بتلك المثابة، ولأنَّه دخل في بابٍ من التعريض، وقد يبلغُ التعريضُ للمنصوحِ ما لا يبلغُ التصريح؛ لأنَّه ربَّما يتأمَّلُ فيه، فربَّما قادَه التأميلُ إلى التقبُّل، ومنه ما يحكى عن الشافعي ﷺ أنَّ رجلاً واجهَهُ بشيءٍ فقال: لو كنتُ بحيثُ أنتَ لاحتجتُ إلى أدبٍ. وسمعَ رجلٌ ناساً يتحدَّثون في الحجر، فقال: ما هو بيتي ولا بيتكم. انتهى. وهو كلامٌ فيه تكثيرٌ على عادته.

وذهابُ من ذَهب إلى أنَّ قوله: «فإنَّهم عدوٌّ لي» من المقلوب[3]، والأصل: فإنِّي عدوٌّ لهم؛ لأنَّ الأصنام لا تعادي؛ لكونها جماداً، وإنَّما هو عاداها = ليس بشيءٍ، ولا ضرورةَ تدعو إلى ذلك، ألا ترى إلى قوله: ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]، فهذا معنى العداوة، ولأنَّ المغري على عبادتها عدوُّ الإنسان، وهو الشيطان.

وقيل: لأنَّه تعالى يحيي ما عبدُوه من الأصنام حتَّى يتبرؤوا ممن عَبدهم[4] ويوبخوهم.

وقيل: هو على حذف، أي: فإنَّ عبادهم عدوٌّ لي. والظاهرُ إقرارُ الاستثناء في موضِعه من غير تقديمٍ ولا تأخير.

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: أي. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١١٦.
(٢) في الكشاف: أدعى.
(٣) نقله البغوي في تفسيره ٣/ ٣٨٩، والقرطبي ٦/ ٣٧ عن الفراء.
(٤) في المطبوع: من عبدتهم، وفي النسخ عدا (ح): من عبدهم. والمثبت من (ح).

وقال الجُرجانيّ: تقديرُه: أفرأيتُم ما كنتم تعبدونَ أنتم وآباؤكم الأقدمون إلَّا رب العالمين فإنَّهم عدوٌّ لي، و«إلَّا» بمعنى: دون وسوى. انتهى[١].

فجعلَه مستثنًى ممَّا بعد «كنتم تعبدون»، ولا حاجةَ إلى هذا التقدير؛ لصحَّة أن يكون مستثنًى من قوله: «فإنَّهم عدوٌّ لي».

وجعله جماعةٌ منهم الفرَّاء واتَّبعَه الزمخشريُّ استثناءً منقطعاً[٢]، أي: لكن ربَّ العالمين؛ لأنَّهم فهموا من قوله: «ما كنتم تعبدون» أنَّهم الأصنام.

وأجاز الزَّجَّاج[٣] أن يكون استثناءً متَّصِلاً، على أنَّهم كانوا يعبدونَ الله ويعبدونَ معه الأصنامَ، فأعلمهم أنَّه تبرَّأ ممَّا يعبدونَ إلَّا الله.

وأجازوا في «الذي خلقني» النصبَ على الصفة لـ «ربَّ العالمين» أو بإضمار: أعني، والرفعَ خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو الذي.

وقال الحَوفيُّ: ويجوزُ أن يكونَ «الذي خلقني» رفعاً بالابتداء، «فهو يهدين» ابتداءٌ وخبرٌ في موضع الخبر عن «الذي»، ودخلت الفاءُ لما في الكلام من معنى الشرط. انتهى.

وليس الذي هنا فيه معنى اسم الشرط؛ لأنَّه خاصّ، ولا يُتَخيَّلُ فيه العموم، فليس نظير: الذي يأتيني فله درهمٌ، وأيضاً نفس[٤] الفعل الذي هو «خلق» لا يمكنُ فيه تجدُّدٌ بالنسبة إلى إبراهيم[٥].

وتابع أبو البقاء[٦] الحوفيَّ في إعرابه هذا، لكنَّه لم يقل: ودخلت الفاءُ لما في الكلام من معنى الشرط، فإن كان أراد ذلك، فليس بجيدٍ لما ذكرناه، وإن لم يرده،

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٣٨.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨١، والكشاف ٣/ ١١٧.
(٣) في معاني القرآن له ٤/ ٩٣.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ليس. بدل: نفس.
(٥) قال الإمام الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٢١٤: وأجيب بأن اشتراط العموم غير مسلَّم وإنما هو أغلبي، وبأن مطلق الخلق مما يمكن فيه التجدد، وهو ممكن الإرادة وإن ظهر في صورة المخصوص، وتسبب الخلق للهداية بمقتضى الحكمة.
(٦) في الإملاء ٢/ ١٦٨.

فلا يجوزُ ذلك إلَّا على زيادةِ الفاء على مذهب الأخفش في نحو: زيدٌ فاضربه.

«الذي خلقني» بقدرته، «فهو يهدين» إلى طاعته. وقيل: إلى جنَّته[١].

وقال الزمخشريُّ: «فهو يهدين» يريدُ أنَّه حين أتمَّ خلقَه، ونفخَ فيه الروحَ، عقَّبَ [ذلك] هدايتَه المتصلةَ التي لا تنقطع إلى ما يصلحُه ويعينُه، وإلَّا فمن هداهُ إلى أنْ يغتذيَ بالدم في البطن امتصاصاً، ومَنْ هداهُ إلى معرفة الثدي عند الولادة وإلى معرفة مكانه، ومَنْ هداهُ لكيفيَّة[٢] الارتضاعِ، إلى غير ذلك من هدايات المعاشِ والمعاد. انتهى[٣].

والظاهرُ أنَّ قوله: «يطعمني ويسقين» الطعام المعروف[٤] المعهودَ والسقيَ المعهودَ، وفيه تعديدُ نعمةِ الرزق. وقال أبو بكر الورَّاق: يطعمني بلا طعام، ويسقيني بلا شراب، كما جاء: «إني أبيتُ يطعمني ربِّي ويسقين»[٥].

ولـمَّا كان الخلقُ لا يمكنُ أن يدَّعيَه أحدٌ، لم يؤكد فيه بـ «هو»، فلم يكن التركيب: الذي هو خلقني، ولـمَّا كانت الهدايةُ قد يمكنُ ادِّعاؤها، والإطعامُ والسقيُ كذلك، أكَّد بـ «هو»، في قوله: «فهو يهدين، والذي هو يطعمني» وذكرَ بعد نعمة الخلق والهداية ما تدومُ به الحياةُ ويستمرُّ به نظامُ الخلقِ، وهو الغذاءُ والشربُ، ولما كان ذلك سبباً لغلبةِ إحدى الكيفيَّات على الأخرى، بزيادة الغذاءِ أو نقصانه، فيحدثُ بذلك مرضٌ، ذكرَ نعمتَه بإزالة ما حدثَ من السقم، وأضافَ المرض إلى نفسه، ولم يأتِ التركيب: وإذا أمرضني؛ لأنه ينبغي أنْ لا يُسْنَدَ ما فيه تأذٍّ إليه تعالى، وذلك على سبيل الأدب[٦]، وإن كان تعالى هو الفاعل لذلك.

(١) انظر النكت والعيون ٤/ ١٧٥.
(٢) في (ت): إلى معرفة كيفية.
(٣) الكشاف ٣/ ١١٧، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٤) لفظة: المعروف. ليست في (ت) و(يه).
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٥١، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥. وحديث: «إني أبيت...» أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٦) من قوله: لأنه ينبغي أن لا.... إلى هنا. من (ت) و(يه).

وإبراهيمُ عليه السلام عدَّدَ نعمَ الله تعالى عليه، والشفاءُ محبوبٌ، والمرضُ مكروهٌ، ولمَّا لم يكن المرضُ منها، لم يضِفهُ إلى الله[١].

وعن الصادق جعفر ـ ولعلَّه لا يصحّ ـ: وإذا مرضتُ بالذنوب، شفاني بالتوبة[٢].

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما قال: «مرضت» دون: أمرضني؛ لأنَّ كثيراً من أسباب المرض يحدثُ[٣] بتفريطٍ من الإنسان في مطاعمِه ومشاربِه وغير ذلك، ومِنْ ثمَّ قال الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سببُ آجالكم؟ لقالوا: التُّخَم[٤].

ولمَّا كان الشفاءُ قد يُعْزى إلى الطبيب وإلى الدواء على سبيل المجاز، كما قال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل:٦٩] أكَّد بقوله: «فهو يشفين»، أي: الذي هو يهدين ويطعمني ويسقين ويشفيني هو الله لا غيرُه.

ولمَّا كانت الإماتةُ بعد البعث لا يمكنُ إسنادها إلَّا إلى الله، لم يحتج إلى توكيد، ودعوى نمروذ الإماتةَ والإحياءَ، هي منه على سبيل المخرقة والقحة[٥]. وكذلك لم يحتج إلى تأكيدٍ في «والذي أطمعُ».

وأثبتَ ابنُ أبي إسحاق ياءَ المتكلِّم في «يهديني» وما بعده، وهي روايةٌ عن نافع[٦].

والطمعُ عبارةٌ عن الرجاء، وإبراهيم عليه السلام كان جازماً بالمغفرة، فقال الزمخشريُّ: لم يجزم القولَ بالمغفرة، وفيه تعليمٌ لأممهم، وليكونَ لطفاً بهم في اجتنابِ المعاصي والحذرِ منها وطلبِ المغفرة ممَّا يفرطُ منهم. انتهى[٧]، وردَّه

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ١٤٥.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥. وذكره الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٢١٧ وقال: ولعله لا يصح، وإن صحَّ فهو من باب الإشارة لا العبارة.
(٣) في (ت) و(يه): يحصل.
(٤) الكشاف ٣/ ١١٧.
(٥) في (ت): والخفة. بدل: والقحة.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥، وذكرها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٨٤، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٣٩ عن ابن أبي إسحاق. قلت: وقراءة نافع المتواترة عنه كقراءة الجمهور.
(٧) الكشاف ٣/ ١١٧.

الرازي، قال: لأنَّ حاصلَه يرجعُ إلى أنَّه، ونطقَ[١] بكلمةٍ لا أذكرُها، وبعدها: على نفسِه لأجل تعليم الأمَّةِ، وهو باطلٌ قطعاً.

وقال الجبائي: أرادَ به سائرَ المؤمنين؛ لأنَّهم الذين يطمعونَ ولا يقطعون، وردَّه الرازي بأنَّ جَعْلَ كلامِ الواحدِ من كلامِ غيرِه ممَّا يُبْطِلُ نظمَ الكلام[٢].

وقال الحسن[٣]: المرادُ بالطمع اليقين.

وقال الرازي: لا يستقيمُ هذا إلَّا على مذهبنا، حيث قلنا: إنَّه لا يجبُ على الله شيءٌ، وإنَّه يحسنُ منه كلُّ شيءٍ، ولا اعتراضَ لأحدٍ عليه في فعله[٤].

وقال ابنُ عطية: أوقفَ عليه الصلاة والسلام نفسَه على الطمع في المغفرة، وهذا دليلٌ على شدَّةِ خوفه مع منزلتِه وخُلَّتِه[٥]. وقرأ الجمهور: «خطيئتي» على الإفراد، والحسن: «خطاياي» على الجمع[٦].

وذهب الأكثرون إلى أنَّها قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩] و: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣]، و: هي أختي، في سارة[٧].

وقالت فرقةٌ: أرادَ بالخطيئة اسمَ الجنس، قدَّرَها[٨] في كلِّ أمرِه من غير تعيين. قال ابنُ عطية: وهذا أظهرُ عندي؛ لأنَّ تلكَ الثلاث قد خرَّجَها كثيرٌ من العلماء على المعاريض.

---

(١) يعني الرازي، فراجع الكلمة إن شئت في تفسيره ٢٤/ ١٤٦، وحذفها من الشيخ أبي حيان رحمه الله أدبٌ عالٍ منه مع مقام النبيين المشرفين.

(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ١٤٥.

(٣) وهو أيضاً قولٌ ثانٍ للجبائي، كما في تفسير الرازي ٢٤/ ١٤٥. وتعقبه الرازي بأنه على خلاف اللغة.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.

(٧) جاء ذكر هذه الثلاثة في حديث أبي هريرة ﷺ، عند أحمد (٩٢٤١)، والبخاري (٣٣٥٧)، (٣٣٥٨)، (٥٠٨٤)، ومسلم (٢٣٧١).

(٨) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥: فدعا. بدل: قدرها.

وقال الزمخشريُّ: المرادُ ما يندرُ منه في[١] بعض الصغائر؛ لأنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام معصومون مختارونَ على العالمين. وقيل: هي قوله، وذكرَ الثلاثةَ، ثم قال: وما هي إلَّا معاريضُ كلامٍ وتخيلات[٢] للكفرة، وليست بخطايا يُطْلَبُ لها الاستغفار، فإن قلت: إذا لم يندُر منهم إلَّا الصغائر، وهي تقعُ مكفرة، فماله أثبتَ لنفسِه خطيئةً أو خطايا، وطمع أن تغفر له؟ قلت: الجواب ما سبق أنَّ استغفارَ الأنبياء تواضعٌ منهم لربِّهم، وهضمٌ لأنفسهم، ويدل عليه قوله: «أطمع»، ولم يجزم القولَ. انتهى.

و«يوم الدين» ظرف، والعامل فيه «يغفر»، والغفرانُ وإن كان في الدنيا، فأثرُه لا يتبيَّنُ إلَّا يومَ الجزاء، وهو في الدنيا لا يعلمُ إلَّا بإعلام الله تعالى.

وضعَّفَ أبو عبد الله الرازي حملَ الخطيئة على تلك الثلاث؛ لأنَّ نسبةَ ما لا يُطَابقُ إلى إبراهيم غيرُ جائز، وحملَه على سبيل التواضع، قال: لأنَّه إن طابقَ في هذا الموضع زال[٣] الإشكال، وإن لم يطابق رجعَ حاصلُ الجواب إلى إلحاق المعصيةِ به لأجلِ تنزيههِ عن المعصية. قال: والجوابُ الصحيح أن يُحْمَل ذلك على تركِ الأَوْلى، وقد يُسَمَّى خطأً، فإنَّ من باعَ جوهرةً تساوي ألفاً بدينار قيل: أخطأ، وتركُ الأولى على الأنبياء جائزٌ. انتهى، وفيه بعضُ تلخيصٍ وتبديلُ ألفاظٍ للأدب بما يناسبُ مقام النبوَّة.

وقدَّم إبراهيم عليه السلام الثناءَ على الله تعالى، وذِكْرَهُ بالأوصاف الحسنة بين يدي طِلْبَتِه ومسألتِه، ثمَّ سألَه تعالى فقال: «ربِّ هب لي حكماً» فدلَّ على أنَّ تقديمَ الثناء على المسألة من المهمَّات. والظاهرُ أنَّ الحكمَ هو الفصلُ بين الناس بالحق. وقيل الحكم: الحكمة والنبوَّة[٤]؛ لأنَّ النبيَّ ذو حكمةٍ وذو حكمٍ بين الناس.

وقال أبو عبد الله الرازي: لا يجوزُ تفسيرُ الحكم بالنبوَّة؛ لأنَّها حاصلةٌ، فلو

---

(١) في (ت) والكشاف: من.
(٢) كذا، وفي الكشاف ٣/ ١١٧: وتخييلات. وهو الأشبه.
(٣) كذا، وفي تفسير الرازي ٢٤/ ١٤٦: لزم. بدل: زال.
(٤) بعدها في المطبوع: لأنها حاصلة تلو طلب النبوة. وهي مقحمة.

طلب النبوَّةَ لكانت المطلوبةُ[١] إمَّا عينَ الحاصلة، أو غيرها، والأوَّلُ محالٌ؛ لأنَّ تحصيلَ الحاصلِ محالٌ، والثاني محالٌ لأنه يمتنع أن يكون الشخصُ الواحدُ نبيًّا مرَّتين، بل المرادُ من الحكم ما هو [كمال القوَّة النظريَّة، وذلك بإدراك الحقِّ، ومن قوله: «وألحقني بالصالحين»] كمال القوَّة[٢] العمليَّة، وذلكَ بأنْ يكون عالماً بالخير لأجل العمل به. انتهى[٣]. وقال ابن عطية ـ وقد فَسَّر الحكم بالحكمة والنبوة ـ قال: ودعاؤه عليه السلام في مثل هذا هو في التثبيت[٤] والدوام.

وإلحاقُه بالصالحين: توفيقُه لعملٍ ينتظمُه في جملتهم، أو يجمعُ بينه وبينهم في الجنَّة، وقد أجابَهُ تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٥] [البقرة: ١٣٠].

قال أبو عبد الله الرازي: وإنَّما قدَّم قوله: «هب لي حكماً» على قوله: «وألحقني بالصالحين» لأنَّ القوَّةَ النظريَّةَ مقدَّمةٌ على القوة العمليَّة؛ لأنَّه يمكنُه أن يعلمَ الحقَّ وإن لم يعمل به، وعكسُه غيرُ ممكنٍ؛ لأنَّ العلمَ صفةُ الروح، والعملَ صفةُ البدن، وكما أنَّ الروحَ أشرفُ من البدن، كذلك العلمُ أفضل من الصلاح. انتهى[٦].

و«لسانَ صدقٍ» قال ابنُ عطيَّة: هو الثناءُ وتخليدُ المكانة بإجماعٍ من المفسرين، وكذلك[٧] أجابَ الله دعوتَه، فكلُّ ملَّةٍ تتمسَّك به وتعظِّمُه، وهو على الحنيفيةِ التي جاء بها محمدٌ ﷺ. قال مكي: وقيل: معنى سؤاله أنْ يكونَ مِنْ ذُرِّيَّتِه في آخر الزمان مَنْ يقومُ بالحقِّ، فأجيبتِ الدعوةُ في محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا معنًى حسن، إلَّا أنَّ لفظَ الآية لا يعطيهِ إلَّا بتحكمٍ على اللفظ. انتهى[٨].

(١) في النسخ: مطلوبة. والمثبت من تفسير الرازي.
(٢) في النسخ: النبوة. والمثبت من تفسير الرازي.
(٣) تفسير الرازي ٢٤/ ١٤٧-١٤٨ وما سلف بين حاصرتين منه.
(٤) في النسخ: التثبت. والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.
(٥) الكشاف ٣/ ١١٧.
(٦) تفسير الرازي ٢٤/ ١٤٨.
(٧) في (ت) و(ح) و(ع) و(يه): ولذلك. والمثبت من (أ) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.
(٨) قوله: وهذا معنى حسن... إلخ هو من كلام القاضي ابن عطية تعقيباً على قول مكي. وانظر كلام مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٣٢١.

ولمَّا طلبَ سعادة الدنيا، طلبَ سعادة الآخرة، وهي جنَّةُ النعيم، وشبهها بما يُورَث؛ لأنَّه الذي يُقْسَم[(١)] في الدنيا، شبَّهَ غنيمةَ الدنيا بغنيمة الآخرة[(٢)]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣].

ولمَّا فرغَ من مطالب الدُّنيا والآخرة لنفسِه، طلبَ لأشدِّ الناس التصاقاً به، وهو أصلُه الذي كان ناشئاً عنه، وهو أبوه، فقال: «واغفر لأبي» وطلبُ[(٣)] المغفرة مشروطٌ بالإسلام، وطلبُ المشروطِ يتضمَّن طلبَ الشرط، فحاصله أنَّه دعاءٌ بالإسلام، وكان وَعدَهُ ذلك، يوضحه قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ أي: بموافاته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[(٤)][التوبة:١١٤].

وقيل: كان قال له: إنَّه على دينه باطناً، وعلى دين نمروذ ظاهراً؛ تقيَّةً وخوفاً، فدعا له لاعتقاده أنَّ الأمرَ كذلك، فلما تبيَّنَ له خلافُ ذلك تبرَّأ منه، ولذلك قال في دعائه: «واغفر لأبي إنَّه كان من الضالين»، فلولا اعتقادُه فيه أنَّه في الحال ليس بضالٍّ، ما قال ذلك.

«ولا تخزني» إمَّا من الخزي، وهو الهوان، وإمَّا من الخزاية، وهي الحياء[(٥)].

والضميرُ في «يبعثون» ضمير العباد؛ لأنَّه معلومٌ، أو ضميرُ «الضالين»، ويكون من جملة الاستغفار؛ لأنَّه يكونُ المعنى: يوم يبعثُ الضالُّون وأتى فيهم «يومَ لا ينفع» بدلٌ من «يوم يبعثون».

«مالٌ ولا بنون» أي: كما ينفعُ في الدنيا؛ يفديهِ مالهُ، ويَذُبُّ عنه بنوه. وقيل: المرادُ بالبنين جميعُ الأعوان[(٦)]. وقيل: المعنى يومَ لا ينفعُ إعلاقٌ بالدنيا

(١) في تفسير الرازي ٢٤/ ١٥٠ ـ والكلام منه ـ: يغتنم.
(٢) كذا، وصوابه ـ كما في تفسير الرازي ٢٤/ ١٥٠ ـ: شبه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا.
(٣) في المطبوع: وطلبه.
(٤) وضعفه الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٥٠ بأن الدعاء بهذا الشرط جائز للكافر، فلو كان دعاؤه مشروطاً، لما منعه الله عنه.
(٥) الكشاف ٣/ ١١٧-١١٨.
(٦) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٤٣.

ومحاسنِها، فقصد من ذلك الذِّكرِ العُظْم والأكثر؛ لأنَّ المالَ والبنين هي زينةُ الحياة الدنيا[١].

والظاهرُ أنَّ الاستثناءَ منقطعٌ، أي: لكن من أتى الله بقلبٍ سليم ينفعُه سلامةُ قلبه. قال الزمخشريُّ: ولك أن تجعلَ الاستثناءَ منقطعاً، ولا بدَّ لك مع ذلك من تقدير المضاف، وهو الحالُ المراد بها السلامة، وليست من جنس المال والبنين، حتَّى يَؤول المعنى إلى أنَّ المالَ والبنين لا ينفعان، وإنَّما ينفعُ سلامةُ القلب، ولو لم يُقَدّر المضافُ، لم يتحصَّل للاستثناء معنى. انتهى[٢].

ولا ضرورة تدعو إلى حذف مضاف كما ذَكَر؛ إذ قد قدَّرناه: لكن من أتى الله بقلبٍ سليمٍ ينفعُه ذلك، وقد جعلَهُ الزمخشريُّ في أوَّل توجيهه متَّصلاً بتأويل قال: «إلَّا من أتى الله»: إلَّا حال من أتى الله بقلبٍ سليم، وهو من قوله:

تـحـيـةُ بـيـنـهـم ضـربٌ وجـيـعُ[٣]

و: ماثَوَابُه إلَّا السيف، ومثاله[٤] أن يُقَال: هل لزيدٍ مالٌ وبنون؟ فتقول: مالُه وبنوهُ سلامةُ قلبه، تريد نفيَ المال والبنين عنه، وإثباتَ سلامةِ القلبِ له بدلاً عن ذلك. وإن شئتَ حملتَ الكلامَ على المعنى، وجعلتَ المالَ والبنين في معنى الغنى، كأنَّه قيل: يوم لا ينفعُ غنى إلَّا غنى مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم؛ لأنَّ غنى الرجلِ في دينه بسلامةِ قلبه، كما أنَّ غناهُ في دنياه بماله وبنيه. انتهى[٥].

وجعلَهُ بعضُهم استثناءً مفرَّغاً، فـ «مَنْ» مفعولٌ، والتقدير: لا ينفع مالٌ ولا بنون أحداً إلَّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليمٍ فإنَّه ينفعُهُ مالُه المصروفُ في وجوه البرِّ وبنوهُ الصُّلحاءُ؛ إذا كان أنفقَه في طاعة الله، وأرشد بنيه إلى الدين، وعلَّمهم الشرائعَ.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.

(٢) الكشاف ٣/ ١١٨.

(٣) سلف عند تفسير الآية (٢٠٦) من سورة البقرة، وهو لعمرو بن معدي كرب، وصدره:

وخـيـلٍ قـد دلـفـت لـهـا بـخـيـل

(٤) في الكشاف: وبيانه. بدل: ومثاله.

(٥) الكشاف ٣/ ١١٨.

وسلامةُ القلبِ: خلوصُه من الشرك والمعاصي وعلقِ الدُّنيا المتروكةِ وإن كانت مباحةً، كالمال والبنين. وقال سفيان: هو الذي يَلْقَى ربَّه وليس في قلبه شيءٌ غيرُه. وهذا يقتضي عمومَ اللفظ، ولكنَّ السليم من الشرك هو الأعمّ[١]. وقال الجنيد: بقلبٍ لديغٍ من خشية الله، والسليم اللديغ[٢]. وقال الزمخشريُّ: هو من بِدَع التفاسير[٣]. وصدق.

«وأزلفتِ الجنَّةُ» قُرِّبَت لينظروا إليها ويغتبطُوا بحشرِهم إليها.

«وبُرِّزَت الجحيمُ» أُظْهِرت وكُشِفت بحيث كانت بمرأى منهم، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك:٢٧].

«وقيل لهم أينَ ما كنتم تعبدون * من دون الله» وذلك على سبيل التوبيخ، «هل ينفعونَكم» بنصرِهم إيَّاكم، أو ينتصرون هم فينفعونَ أنفسهم بحمايتها، إذ هم وأنتم وقود النار؟

وقرأ الأعمش: «فبُرِّزَت» بالفاء[٤]، جعل تبريزَ الجحيم بعد تقريبِ الجنَّة يعقبه[٥]، وذلك لأنَّ الواوَ للجمع، فيمكنُ أن يكون كلُّ واحدٍ منهما ظهورُه قبلَ الآخر، وهو من تقديم الرَّحمة على العذاب، وهو حسنٌ لولا أنَّ رسمَ المصحف بالواو.

وقرأ مالكُ بن دينار: «وبَرَزَت» بالفتح والتخفيف، «الجحيمُ» بالرفع[٦]، بإسناد الفعلِ إليها؛ اتِّساعاً.

ولمَّا وبَّخهم وقرَّعهم أخبرَ عن حال يوم القيامة، وجيء في ذلك كلِّه بلفظِ الماضي في «أتى» و«أُزْلِفت» و«بُرِّزت» ـ وقيل و«كُبكبوا» ـ لتحقُّق وقوعِ ذلك، وإن كان لم يقع.

---

(١) في (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥ ـ والكلام منه ـ: الأهم.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥-٢٣٦.
(٣) الكشاف ٣/ ١١٨.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.
(٥) في (أ) و(يه): بعقبه، ولم ينقط حرف المضارعة في (ت) و(ح).
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

والضميرُ في «فكبكبوا» عائدٌ على الأصنام، أجريت مُجْرَى مَنْ يعقِل من حيث ذُكِرَت بعبادةٍ، وأسنِدَ إليها فعل من يعقل(١).

قال الكرمانيُّ: «فكبكبوا»: قُذِفوا فيها، وقيل: جُمِعوا(٢)، وقيل: دُهْوِروا(٣). وقيل: نُكِسوا على رؤوسهم(٤) يموجُ بعضُهم في بعض. وقيل: أُلْقُوا في جهنَّم، ينكَبونَ مرَّةً بعد مرَّة، حتى يستقرُّوا في قعرِها(٥).

و«الغاوون» هم الكفرةُ الذين شَمِلَتهم الغوايةُ(٦). وقيل: الضميرُ يعودُ على الكفَّار، و«الغاوون»: الشياطين، و«جنودُ إبليس» قبيلُه، وكلُّ من تَبِعه فهو جندٌ له وعون. وقال السُّدِّيُّ: «هم» مشركو العرب «والغاوون» سائرُ المشركين(٧). وقيل: هم القادةُ والسَّفِلة.

«قالوا» أي: عُبَّادُ الأصنام، والجملةُ بعدَه حالٌ، والمقولُ جملةُ القَسم ومتعلَّقُه، والخطاب في «نسوِّيكم» للأصنام على جهة الإقرار والاعتراف بالحقِّ، قال ابن عطية: أقسموا بالله: إنْ كنا إلَّا ضالِّين في أن نعبدَكم ونجعلَكم سواءً مع الله تعالى، الذي هو ربُّ العالمين وخالقُهم ومالكهم. انتهى(٨).

---

(١) من قوله: من حيث ذكرت... إلى هنا. من (ت) و(يه). وانظر الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

(٢) مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة. قاله الهروي. تفسير القرطبي ١٦/ ٤٦.

(٣) في (أ) و(ع): وهدروا، وفي (ت): وهددوا، وفي (ح): دهدوا، وفي (يه): دهدروا، وفي المطبوع: هدروا. والمثبت هو الصواب، وهو قول مجاهد أخرجه عنه الطبري ١٧/ ٥٩٧. وانظر تفسير القرطبي ١٦/ ٤٦.
يقال: دهوره: جمعه وقذفه في مَهْواةٍ. القاموس المحيط (دهر). ووقع في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٤: هُوِّروا. فجعَلَه محققه مأخوذاً من الهدم؟!!

(٤) هو قول السدي وابن قتيبة، كما في النكت والعيون ٤/ ١٧٨.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١١٩، وزاد المسير ٦/ ١٣٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

(٧) قول السدي كما في معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٤٦. الضمير في «كبكبوا» لمشركي العرب، و«الغاوون» الآلهة، و«جنود إبليس» من كان من ذريته.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

وقولُه[١]: إن كنَّا إلَّا ضالين. إنْ أرادَ تفسيرَ المعنى فهو صحيحٌ، وإن أرادَ أنَّ «إنْ» هنا نافيةٌ، واللام في «لفي» بمعنى إلَّا، فليسَ مذهبَ البصريين، وإنَّما هو مذهبُ الكوفيين، ومذهبُ البصريين في مثل هذا أنَّ «إنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، وأنَّ اللام هي الداخلةُ للفرقِ بين «إنْ» النافية و«إن» التي هي لتأكيدِ مضمون الجملة.

«وما أضلَّنا إلَّا المجرمون» أي: أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجرأة، وهم ساداتُهم ذوو المكانةِ في الدنيا والاستتباعِ، كقولهم: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧].

وقال السُّدِّيُّ: هم الأوَّلونَ الذين اقتدوا بهم[٢].

وقيل: «المجرمون»: الشياطين.

وقيل: مَنْ دعاهُم إلى عبادة الأصنام مِن الجنِّ والإنس.

وقال ابنُ جريج: إبليس وابنُ آدم القاتل؛ لأنَّه أولُ من سنَّ القتلَ وأنواعَ المعاصي[٣].

وحين رأوا شفاعةَ الملائكةِ والأنبياء والعلماء نافعةً في أهلِ الإيمان، وشفاعةَ الصديقِ في صديقهِ خاصَّةً، قالوا على جهةِ التلهُّفِ والتأسُّف: «فمالنا من شافعين ولا صديقٍ حميم».

وقال ابنُ جريج: «شافعين» من الملائكة، و«صديق» من الناس[٤]. ولفظة الشفيع تقتضي رفعةَ مكانةٍ[٥] عند المشفوع عنده، ولفظة الصديق تقتضي شدَّة مساهمةٍ ونُصْرَة، وهو فَعِيلٌ مِنْ صدقِ الودِّ، من أبنية المبالغة[٦].

---

(١) يعني قول ابن عطية رحمه الله.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٢ دون نسبة.

(٣) الكشاف ٣/ ١١٩، وذكره الثعلبي ٤/ ٤٥٥، والقرطبي ١٦/ ٤٧ عن أبي العالية وعكرمة. وأخرجه الطبري ١٧/ ٥٩٩ من طريق ابن جريج عن عكرمة.

(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٠٠.

(٥) في (ع): المكانة.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

ونفيُ الشفعاء والصديق يَحتملُ أن يكون نفياً لوجودِهم إذ ذاك، وهم موجودون للمؤمنين، إذ تشفعُ الملائكةُ ويتصادقُ المؤمنون، كما قال: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، أو ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم أنَّهم شفعاؤهم عند الله، وأنَّ لهم أصدقاء من الإنس والشياطين، فقصدُوا بنفيهم نفيَ ما يتعلَّقُ بهم من النفع؛ لأنَّ ما لا ينفعُ حكمُه حكمُ المعدوم[١]، فصار المعنى: فما لنا من نفعٍ من كنَّا نعتقدُ أنَّهم شفعاء وأصدقاء.

وجُمعَ الشفعاء لكثرتهم في العادة، ألا ترى أنَّه يشفعُ فيمن وقع في ورطةٍ مَنْ لا يعرفُه، وأُفردَ الصديقُ لقلَّته، أو أريد به الجمع[٢]، إذ يقال: هم صديقٌ، أي: أصدقاء، كما يقال: هم عدوٌّ، أي: أعداء.

والظاهرُ أنَّ «لو» هنا أُشْرِبت معنى التمنِّي، و«فنكون» الجواب، كأنَّه قيل: يا ليتَ لنا كرَّةً فنكون. وقيل: هي الخالصة للدلالة لما كان سيقعُ لوقوع غيره، فيكونُ قوله: «فنكون» معطوفاً على «كرة» أي: فكوناً من المؤمنين، وجواب «لو» محذوف، أي: لكان لنا شفعاء وأصدقاء، أو لخلصنا من العذاب.

والظاهرُ أنَّ هذه الجملَ كلَّها متعلِّقةٌ بقول إبراهيم، أخبرَ بما أعلمَهُ الله من أحوال يوم القيامة وما يكونُ فيها من حال قومه.

وقال ابن عطية: وهذه الآياتُ من قوله: «يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون» هي عندي منقطعةٌ من كلام إبراهيم عليه السلام، وهي إخبارٌ من الله عزَّ وجلَّ تعلَّقَ بصفةِ ذلك اليوم الذي وقفَ إبراهيم عليه السلام عندَه في دعائه أنْ لا يُخْزَى فيه. انتهى.

وكأنَّ ابنَ عطية قد أعربَ «يوم لا ينفع» بدلاً من «يوم يبعثون»، وعلى هذا لا يتأتَّى هذا الذي ذكَره من تفكيكِ الكلام، وجعلِ بعضِه من كلام إبراهيم وبعضِه من كلام الله؛ لأنَّ العاملَ في البدل على مذهب الجمهور فعلٌ آخر من لفظ الأول، أو الأول، وعلى كِلا التقديرين لا يصحُّ أن يكون من كلام الله؛ إذ يصيرُ التقدير: ولا تُخزِني يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

والإشارةُ بقوله: «إنَّ في ذلك لآية» إلى قصة إبراهيم عليه السلام ومحاورتِه لقومه. «وما كان أكثرهم» أي: أكثر قوم إبراهيم، بيَّنَ تعالى أنَّ أكثرَ قومه لم يؤمنوا مع ظهورِ هذه الدلائل التي استدلَّ بها إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك مَسْلاةٌ لرسول الله ﷺ في تكذيب قومه إيَّاه عليه الصلاة والسلام.

* * *

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
(١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧)
فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
(١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا
بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ
بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ
(١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ (١٤٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ
(١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ
(١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ
مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧)

فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ
﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ
دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟
بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ
رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ
﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ
عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾
ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ
﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ
فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾
تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ

﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

المفردات المَشْحون: المملوءُ بما ينبغي له من قدرِ ما يُحَمَّل، يقال: شحنَها عليهم خيلاً ورجالاً.

الرِّيع: ـ بكسر الراء وفتحها ـ جمعُ رِيعة، وهو المكانُ المرتفع، قال ذو الرمة:

طِراقُ الخوافي مُشْرِفٌ[1] فوق رِيْعَةٍ ندى ليلهِ في ريشِه يترقرقُ[2]

وقال أبو عبيدة: الريع: الطريق[3]. قال المُسيب[4] بن عَلَس يصف ظعناً:

في الآل يخفضُها ويرفعُها رِيْعٌ يلوحُ كأنَّه سَحْلُ[5]

الطَّلْع: الكُفُرَّى، وهو عنقودُ التمر قبلَ أن يخرجَ من الكمِّ في أوَّل نباتِه[6]. وقال الزمخشريُّ: الطلعة: هي التي تَطْلُع من النخلة كنصلِ السَّيفِ في جوفِه شماريخ القنو، والقنوُ: اسمٌ للخارجِ من الجِذع كما هو بعرجونه[7].

الفَراهةُ: جودةُ منظرِ الشيء وقوته وكمالُه في نوعه[8]. وقيل: الكيس والنشاط[9].

---

(١) في (ت) والمطبوع: مشرق. والمثبت من بقية النسخ ومجاز القرآن ٢/ ٨٨، وتفسير الطبري ١٧/ ٦٠٧.

(٢) ديوان ذي الرمة ١/ ٤٨٨، يصف فيه بازياً، وفيه: واقع. بدل: مشرف. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت، وعن الأصمعي: هي ما دون العشر من مقدم الجناح، وطراقها: ركوب بعضها على بعض. رغبة الآمل ٢/ ١٦١.

(٣) نص كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٨: «بكل ريع» وهو الارتفاع من الأرض والطريق.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: ابن المسيب.

(٥) البيت في جمهرة أشعار العرب ١/ ٥٤٨، وفيه: كأنّ متونها. بدل: يلوح كأنه، والصحاح (ريع) و(سحل)، والنكت والعيون ٤/ ١٨٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨، والكشاف ٣/ ١٢١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٥٥. شبَّه الطريق بثوب أبيض.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩.

(٧) الكشاف ٣/ ١٢٣.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠.

(٩) الكشاف ٣/ ١٢٣.

القالي: المُبْغِض، قلى يَقْلِي ويَقْلَى، ومجيئُه على يفعَل بفتح العين شاذٌ[١].

الجِبِلَّة: الخَلْقُ[٢] المتجسِّدُ[٣] الغليظُ، مأخوذٌ من الجَبَل، قال الشاعر:

والــمــوتُ أعــظــمُ حــادثٍ مــمَّــا يــمــرُّ عــلــى الــجِــبِــلَّــه[٤]

ويقال: بسكون الباء، مثلث الجيم، وقال الهرويُّ: الجَبْلُ والجِبِلُّ والجُبُلُّ لغات، وهو الجمع الكثير العدد من الناس. انتهى[٥].

هام: ذهبَ على وجهِه، قاله الكسائيُّ. وقال أبو عبيدة: حادَ عن القصد[٦].

* * *

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾
فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

التفسير القومُ مؤنثٌ مجازيُّ التأنيث، ويصغر: قُوَيمة، فلذلك جاء: «كذبَتْ قومُ نوحٍ»[٧]، ولمَّا كان مدلولُه أفراداً ذكوراً عقلاء، عاد الضميرُ عليه كما يعودُ على جمعِ المذكر العاقل.

(١) وهي لغة طيء كما في الصحاح (قلا).
(٢) في (يه): الجبلة: الحق، وقيل: الحق. بدل: الجبلة الخلق.
(٣) تحرفت في الدر المصون ٨/ ٥٥٠، واللباب ١٥/ ٧٦ إلى: المتحد.
(٤) هو لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو في ديوانه ص ٧٣.
(٥) الغريبين للهروي ١/ ٣١١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٧٣.
(٦) مجاز القرآن ٢/ ٩١.
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١١٩-١٢٠.

وقيل: «قوم» مذكَّرٌ وأُنِّثَ، لأنَّه في معنى الأمَّةِ والجماعة[١].

وتقدَّمَ معنى تكذيبِ قوم نوحٍ المرسلين وإن كان المرسلُ إليهم واحداً في «الفرقان» في قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الآية: ٣٧].

وإخوة نوحٍ، قيل: في النسب، وقيل: في المجانسة، كقولك: يا أخا تميم، تريد يا واحداً منهم[٢]، وقال الشاعر:

لا يسألونَ أخاهم حين يَنْدُبُهم في النائباتِ على ما قالَ بُرْهانا[٣]

ومتعلَّق التقوى محذوف، فقيل: ألا تتقونَ عذابَ الله وعقابَه على شرككم. وقيل: ألا تتقونَ مخالفةَ أمرِ الله، فتتركوا عبادتَكم للأصنام.

وأمانتُه كونُه مشهوراً في قومه بذلك، أو مؤتمَناً على أداءِ رسالة الله.

ولمَّا عرضَ عليهم برفقٍ تقوى الله فقال: «ألا تتقون» انتقلَ من العرض إلى الأمر، فقال: فاتقوا الله وأطيعون في نصحي لكم، وفيما دعوتُكم إليه من توحيد الله وإفرادِه بالعبادة.

«وما أسألكم عليه» أي: على دعائي إلى الله والأمر بتقواه. وقيل: الضميرُ في «عليه» يعودُ على النصح، أو على التبليغ، والمعنى: لا أسألكم عليه شيئاً من أموالكم.

وقدَّم الأمرَ بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأنَّ تقوى الله سببٌ لطاعةِ نوحٍ عليه السلام، ثمَّ كرَّرَ الأمر بالتَّقوى والطاعة؛ ليؤكِّدَ عليهم، ويُقَرِّرَ ذلكَ في نفوسِهم، وإن اختلف التعليل، جعلَ الأول معلولاً لأمانته، والثاني لانتفاءِ أخذ الأجر[٤].

ثمَّ لم ينظروا في أمر رسالته، ولا تفكَّروا فيما أمرَهم به، لما جُبِلُوا عليه ونُشِّئوا من حبِّ الرئاسة، وهي التي تَطْبَعُ على قلوبهم، فشرعَ أشرافُهم في تنقُّص

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٧.
(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: يا واحد أمته. وفي (يه): يا واحداً منه. والمثبت من (ت) و(ح).
(٣) هو من أبيات الحماسة، ونسبه التبريزي في شرحها ١/ ٥، والبغدادي في الخزانة ٧/ ٤٤٤ لقريط بن أنيف.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٢٠.

متَّبعيه، وأنَّ الحاملَ على انتفاءِ إيمانهم له كونُه اتبعَه الأرذلون، وقوله: «واتَّبعكَ الأرذلون» جملةٌ حاليَّةٌ، أي: كيفَ نؤمن وقد اتَّبعك أراذلُنا، فنتساوى معهم في اتِّباعك، وكذا فعلت قريشٌ في شأن عمَّارٍ وصهيب[1]، والضعفاءُ أكثرُ استجابةً من الرؤساء؛ لأنَّ أذهانَهم ليستْ مملوءةً بزخارف الدنيا، فهم أدركُ للحقِّ وأقبلُ له من الرؤساء.

وقرأ الجمهور: «واتَّبَعَكَ» فعلاً ماضياً.

وقرأ عبدُ الله وابنُ عباس والأعمشُ وأبو حيوة والضحَّاك وابنُ السميفع وسعيدُ بن أبي سعد[2] الأنصاريّ وطلحة ويعقوب: «وأتباعُك»[3] جمع تابع، كصاحب وأصحاب. وقيل: جمع تَبيع، كشريف وأشراف. وقيل: جمع تَبَعْ كبَرَم وأبرام[4]، والواو في هذه القراءة للحال. وقيل: للعطف على الضمير الذي في قوله: «أنؤمنُ لك» وحَسُن ذلك للفصلِ بـ «لك»، قالهُ أبو الفضل الرازيّ وابنُ عطية وأبو البقاء[5].

وعن اليمانيّ: «وأتباعِك»[6] بالجرِّ عطفاً على الضمير في «لكَ»، وهو قليلٌ، وقاسَهُ الكوفيُّون، و«الأرذلون» رُفِع بإضمار «هم».

قيل: والذين آمنوا به بنوهُ ونساؤه وكَنَّاتُه وبنو بنيه[7]، فعلى هذا لا تكونُ

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٧.

(٢) في (ت) و(يه): سعيد، والمثبت من (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع والمحتسب ٢/ ١٣١ وروح المعاني ١٩/ ٢٣٨-٢٣٩، وفي مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٧ ـ وعنه نقل المصنف ـ: سعيد بن أسعد. ولم أقف على ترجمته.

(٣) قراءة يعقوب من العشرة في النشر ٢/ ٣٣٥، وهي عن البقية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٧، والمحتسب ٢/ ١٣١.

(٤) البَرَم: من لا يدخل مع القوم في الميسر. القاموس (برم). وقاسه الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٢٠ على بطل وأبطال.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٧، والإملاء ٢/ ١٦٩.

(٦) لم أقف عليها، ونقلها عن المصنف السمين في الدر المصون ٨/ ٥٣٧، والآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٢٣٩.

(٧) في تفسير القرطبي ١٦/ ٥٢: أبيه، وفي بعض نسخه: ابنه.

الرذالة دناءةَ المكاسِب، وتقدَّم الكلامُ في الرذالة في «هود» في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [الآية:٢٧]، وأرادوا بذلكَ تنقيصَ نوحٍ عليه السلام، إذ لم يعلموا أنَّ ضعفاءَ الناسِ هم أتباعُ الرسل، كما ورد في حديثِ هرقل[١].

وهذا الذي أجابوا به في غاية السخافة، إذ هو مبعوثٌ إلى الخلق كافَّةً، فلا يختلفُ الحالُ بسبب الفقر والغنى، ولا شرفِ المكاسب ودناءتها[٢].

وقال ابنُ عطية: ويظهرُ من الآية أنَّ مرادَ قوم نوح نسبةَ الرذيلة إلى المؤمنين بتهجين أفعالهم، لا النظر إلى صنائعهم، يدلُّ على ذلك قولُ نوح: «وما علمي» الآية؛ لأنَّ معنى كلامه ليس في نظري وعلمي بأعمالهم ومعتقداتِهم فائدةٌ، فإنَّما أقنعُ بظاهرهم، وأجتزئ به، ثمَّ حسابُهم على الله تعالى، وهذا نحو ما قال رسول الله ﷺ: «أمرتُ أنْ أقاتلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلَّا الله» الحديث بجملته. انتهى[٣].

وقال الكرماني: لا أطلبُ العلم بما عملُوه، وإنَّما عليَّ أنْ أدعوَهم.

وقال الزمخشريُّ: «وما علمي»: وأيُّ شيءٍ علمي، والمراد انتفاءُ علمه بإخلاصِ أعمالهم، واطِّلاعه على سرائرهم، وإنَّما قال هذا؛ لأنَّهم قد طعنوا في استرذالهم[٤] في إيمانهم، وأنَّهم لم يؤمنوا عن نظرٍ وبصيرة، وإنَّما آمنوا هوىً وبديهةً، كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧]، ويجوز أن يَتَغابى[٥] لهم نوحٌ عليه السلام، فيفسِّرَ قولَهم «الأرذلون» بما هو الرذالة عنده من سوءِ الأعمال وفساد العقائد، ولا يلتفتَ إلى ما هو الرذالةُ عندهم، ثم يَبني[٦] جوابَه على ذلك، فيقول: ما عليَّ إلا اعتبار الظواهر دون التفتيشِ على

(١) أخرجه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ١٥٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٧، وحديث «أمرت أن أقاتل» أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠): (١٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) في الكشاف ٣/ ١٢٠: مع استرذالهم.
(٥) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: يتعالى. وموضعها في (ت) بياض. والمثبت من (ح) والكشاف ٣/ ١٢٠. واستخدام هذا التعبير في حق الأنبياء مما لا ينبغي.
(٦) في النسخ عدا (يه): بنى. والمثبت من (يه) والكشاف.

أسرارهم والشقَّ عن قلوبهم، وإن كان لهم عملٌ سيىء[1] فالله محاسبُهم ومجازيهم، وما أنا إلّا منذرٌ، لا محاسبٌ ولا مجازٍ «لو تشعرون» ذلك، ولكنكم تجهلونَ فتنساقونَ مع الجهلِ حيث سَيَّركم، وقصدَ بذلك ردَّ اعتقادهم وإنكارَ أنْ يُسمَّى المؤمنُ رَذْلاً وإنْ كان أفقرَ الناس وأوضعَهم نسباً، فإنَّ الغنى غنى الدين، والنسبَ نسبُ التقوى. انتهى، وهو تكثيرٌ.

وقال الحوفي: «وما علمي» «ما» نافيةٌ، والباءُ متعلِّقةٌ بـ «علمي». انتهى. وهذا التخريجُ يُحْتَاجُ فيه إلى إضمار خبرٍ حتى تصيرَ جملةً.

ولمَّا كانوا لا يُصَدِّقون بالحساب ولا بالبعث أردفَه بقوله: «لو تشعرون» أي بأنَّ المعادَ حقٌّ، والحسابَ حقٌّ. وقرأ الجمهورُ: «تشعرون» بتاء الخطاب، وقرأ الأعرجُ وأبو زُرعة وعيسى بن عمر الهَمْدَاني بياء الغيبة[2].

«وما أنا بطاردِ المؤمنين» هذا مشعرٌ بأنَّهم طلبوا منه ذلك، فأجابَهم بذلك، كما طلبَ رؤساءُ قريشٍ من رسول الله ﷺ أنْ يطردَ مَنْ آمنَ من الضعفاء، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية [الأنعام:٥٢]، أي: لا أطردُهم عنِّي لاتِّباع شهواتكُم والطمعِ في إيمانكم «إنْ أنا إلا نذيرٌ مبين» ما جئتُ به بالبرهان[3] الصحيح الذي يُمَيَّز به الحقُّ من الباطل.

ولمَّا اعتلُّوا في ترك إيمانهم بإيمان من هو دونَهم، دلَّ ذلك على أنَّهم لم تثلج صدورُهم للإيمان، إذ اتِّباعُ الحقِّ لا يأنفُ منه أحدٌ لوجود الشركة فيه، أخذوا في التهديد والوعيد، «قالوا لئن لم تنتهِ يا نوح» عن تقبيحِ ما نحنُ عليه وادِّعائكَ الرسالة من الله «لتكوننَّ من المرجومين» أي: بالحجارة، وقيل: بالشتم.

وأيِسَ إذ ذاك من فلاحهم، فنادى ربَّه وهو أعلم بحاله: «إنَّ قومي كذبون» فدعائي ليس لأجل أنَّهم آذوني، ولكن لأجل دينك.

---

(١) في النسخ عدا (يه): وإن كان لهم شيء.
(٢) القراءة عن الأعرج وأبي زرعة في القراءات الشاذة ص ١٠٧، وعن عيسى بن عمر الهمداني في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٧. ونسبها القرطبي ١٦/ ٥٣ لابن أبي عبلة ومحمد بن السميفع.
(٣) في (ت): بما جئت به من البرهان. . . وانظر الكشاف ٣/ ١٢١.

«فافتح» أي: فاحكم، ودعا لنفسه ولمن آمنَ به بالنجاة، وفي ذلك إشعارٌ بحلول العذاب بقومه، أي: ونجِّني ممَّا يحلُّ بهم. وقيل: ونجِّني من عملهم؛ لأنَّه سببُ العقوبةِ.

و«الفلك» واحدٌ وجمعٌ، وغالبُ استعماله جمعاً؛ كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل:١٤]، ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] فحيث أتى في غير فاصلةٍ استعملَ جمعاً، وحيثُ كان فاصلةً استعمل مفرداً لمراعاة الفواصل، كهذا الموضع والذي في سورة يس[١]، وتقدَّمَ الخلافُ إذا كان مدلولُه جمعاً، أهو جمعُ تكسيرٍ أم اسم جمع[٢].

و«المشحون» قال ابنُ عباس: الموقَرُ. وقال عطاء: المُثْقَل[٣].

«ثمَّ أغرقنا بعد» أي: بعد نجاةِ نوحٍ والمؤمنين.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا
بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾
أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾
قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا
نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

كان أخاهم مِنَ النَّسب، وكان تاجراً جميلاً، أشبه الخَلْقِ بآدمَ عليه السلام، عاش أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنةً، وبينه وبين ثمود مئةُ سنة، وكانت منازلُ عادٍ ما بين عُمان إلى حضرموت أمرعَ البلاد، فجعلَها الله مفاوزَ ورِمالاً، أمرَهم أوَّلاً بما أمر به نوحٌ قومَه، ثم نَعى عليهم من سوء أعمالهم مع كفرهم، فقال:

(١) الآية (٤١).
(٢) عند مفردات الآية (١٦٤) من سورة البقرة.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/٤٥٧، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٧/ ٦٠٤-٦٠٥.

«أتبنونَ بكلِّ رِيْعٍ» قال ابن عباس: هو رأس الزقاق[١]. وقال مجاهد: فجٌّ بين جبلين[٢]. وقال عطاء: عيون فيها الماء. وقال ابن بحر: جبل. وقيل: الثنية الصغيرة[٣].

وقرأ الجمهور: «رِيْعٍ» بكسر الراء، وابنُ أبي عبلة بفتحها[٤].

قال ابنُ عباس: «آيةً»: عَلَماً. وقال مجاهد: أبراجَ الحمام. وقال النقَّاش: وغيرُه: القصورَ الطِّوال[٥]. وقيل: بيت عشَّار[٦]. وقيل: نادياً للتصلُّف. وقيل: أعلاماً طوالاً ليهتدوا بها في أسفارهم، عبثُوا بها، لأنَّهم كانوا يَهتدون بالنجوم[٧]. وقيل: علامةً يجتمعُ إليها من يَعبثُ بالمارِّ في الطريق.

وفي قوله إنكارٌ للبناء على صورة العبث كما يفعلُ المترفون في الدنيا.

والمصانعُ: جمع مَصْنَعة، قيل: وهي البناءُ على الماء. وقيل: القصورُ المشيَّدةُ المحكمةُ. وقيل: الحصون[٨]. وقال قتادة: برِكُ الماء[٩]. وقيل: بروجُ الحمام[١٠]. وقيل: المنازل.

واتخذ هنا بمعنى عمل، أي: وتعملونَ مصانع، أي: تبنون، وقال لبيد:

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبري ١٧/٦٠٨ عن ابن عباس ﷺ قال: «بكلِّ ريعٍ»: بكل طريق.
(٢) أخرجه الطبري ١٧/٦٠٨.
(٣) أخرجه الطبري ١٧/٦٠٨ عن مجاهد.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٣٨، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٣٥ نسبتها لعاصم الجحدري وأبي حيوة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٣٨، وقولا ابن عباس ومجاهد أخرجهما الطبري ١٧/٦٠٩-٦١٠.
(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/١٨١ عن الكلبي، ونصه: عبثُ العشَّارين بأموال من يمرُّ بهم. انتهى.
(٧) الكشاف ٣/١٢١.
(٨) القولان الأخيران ذكرهما الزمخشري في الكشاف ٣/١٢١.
(٩) أخرج الطبري ١٧/٦١١ عن قتادة قال: «مصانع»: مآخذ للماء. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير عن قتادة أنه قال: مصانع الماء تحت الأرض.
(١٠) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/١٨١، وابن الجوزي ٦/١٣٦ من قول السُّدِّي.

وتبقى جبالٌ بعدنا ومصانعُ[١]

«لعلَّكم تَخْلُدون» الظاهرُ أنَّ «لعلّ» على بابها من الرجاء، وكأنَّه تعليلٌ للبناء والاتِّخاذ، أي: الحاملُ لكم على ذلك هو الرجاءُ للخلودِ، ولا خلود. وفي قراءة عبد الله: «كي تخلدون»[٢].

أو يكون المعنى: يشبهُ حالكُم حالَ من يخلُد، فلذلك بنيتُم واتَّخذتُم. وقال ابن زيد: معناه: الاستفهام على سبيل التوبيخ والهزء بهم[٣]، أي: هل أنتم تخلدون.

وكون «لعلَّ» للاستفهام مذهبٌ كوفيٌّ.

وقال ابن عباس: المعنى: كأنَّكم خالدون، وفي حرف أُبَيٍّ: «كأنَّكم تخلدون»[٤]. وقرئ: «كأنَّكم خالدون»[٥].

وقرأ الجمهور: «تَخْلُدُون» مبنيًّا للفاعل، وقتادةُ مبنيًّا للمفعول[٦]، ويقال: خَلَدَ الشيءُ وأخلَدَهُ غيرُه. وقرأ أبيٌّ وعلقمةُ وأبو العالية مبنيًّا للمفعول مشدَّداً[٧]، كما قال الشاعر:

وهل يَعِمَنْ إلَّا سعيدٌ مُخَلَّدٌ   قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوجالِ[٨]

«وإذا بطشتم» أي: أردتُم البطشَ، وحُمِلَ على الإرادة؛ لئلَّا يتحدَ الشرطُ وجوابه، كقوله:

---

(١) ديوان لبيد ص ١٦٨، وتمامه فيه:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع   وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانع

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٦١٢-٦١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨، والكشاف ٣/ ١٢٢.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٨١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٥٧.

(٦) بضم التاء وفتح اللام. المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨.

(٧) القراءة عن أبي وعلقمة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨، وعن أبي العالية في مختصر ابن خالويه ص ١٠٧، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٦ لعاصم الجحدري وأبي حصين.

(٨) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٢٧، قال شارحه: الأوجال جمع وَجَل، وهو الفزع.

متى تَبْعَثوها تبعثوها ذَميمةً[١]

أي: متى أردتُم بعثَها.

قال الحسن: بادَرُوا تعذيبَ الناس من غير تثبُّتٍ ولا فكرٍ في العواقب[٢]. وقيل: المعنى أنَّكم كفارُ الغضب، لكمُ السطوات المفرطةُ والبوادر[٣]، فبناءُ الأبنية العالية يدلُّ على حبِّ العلوِّ، واتخاذُ المصانع رجاءَ الخلود يدلُّ على البقاء، والجباريَّةُ تدل على [حبِّ] التفرُّد بالعلوّ، وهذه صفاتُ الإلهية، وهي ممتنعةُ الحصولِ للعبد، ودلَّ ذلك على استيلاء حبِّ الدنيا عليهم، بحيث خرجوا عن حدِّ العبوديَّةِ، وحبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ[٤].

ولمَّا نبَّههم ووبَّخهم على أفعالهم القبيحةِ، أمرهم ثانياً بتقوى الله وطاعة نبيه، ثمَّ أمرَهم ثالثاً بالتقوى تنبيهاً لهم على إحسانه تعالى إليهم وسبوغِ نعمته عليهم، وأبرزَ صلةَ «الذي» متعلِّقةً بعلمهم؛ تنبيهاً لهم، وتحريضاً على الطاعة والتقوى، إذ شكرُ المحسن واجبٌ وطاعتُه متعيِّنَةٌ، ومشيراً إليهم بأنَّ من أمدَّ بالإحسان هو قادرٌ على سلبه، وعلى تعذيبِ من لم يتَّقه، إذ هذا الإمدادُ ليس من جهتكم، وإنَّما هو من تفضُّله تعالى عليكم، بحيثُ أتبعَكُم إحسانَه شيئاً بعد شيء.

ولمَّا أتى بذكر ما أمدَّهم به مجملاً مُحَالاً على علمهم، أتى به مفصَّلاً، فبدأ بالأنعام، وهي التي تحصلُ بها الرئاسةُ في الدنيا والقوَّةُ على من عاداهم، والغنى هو السببُ في حصول الذريَّة غالباً لوحده، ولحصول[٥] القوة أيضاً بالبنين، فلذلك

---

(١) في (أ) و(يه): دميمة. وهي رواية، ذميمة، أي: مذمومة، ودميمة: حقيرة. وهو صدر بيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته الشهيرة، وعجزه:

وتَضْرَ إذا ضرَّيتموها فتَضْرَمِ

انظر ديوان زهير ص ١٩، وشرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ١/ ٣٢٩، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص١٤١.

(٢) الكشاف ٣/ ١٢٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩.

(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ١٥٧، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: وبحصول.

قرنَهم بالأنعام، ولأنَّهم يستعينونَ بهم في حفظها والقيامِ عليها، وأتبعَ ذلك بالبساتين والمياهِ المطَّردة، إذ الإمدادُ بذلك من إتمام النعمة.

و«بأنعام» ذهبَ بعضُ النحويين إلى أنَّه بدلٌ من قوله: «بما تَعلمون» وأعيدَ العاملُ، كقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ... ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ﴾ [يس:٢٠] والأكثرونَ لا يجعلونَ مثلَ هذا إبدالاً[١]، وإنَّما هو عندَهم من تكرار الجمل، وإن كان المعنى واحداً، ويسمَّى التتبيع، وإنَّما يجوزُ أن يُعَاد عندهم العاملُ إذا كان حرفَ جرٍّ دون ما يتعلَّق به، نحو: مررتُ بزيدٍ بأخيك.

ثم حذَّرهم عذابَ الله، وأبرزَ ذلك في صورة الخوف، لا على سبيل الجزم؛ إذ كان راجياً لإيمانهم، فكان من جوابهم أنْ قالوا: سواءٌ علينا وعظُك وعدمُه. وجعلوا قولَه وعظاً؛ إذ لم يعتقدوا صحَّة ما جاء به، وأنَّه كاذبٌ فيما ادَّعاه، وقولُهم ذلك على سبيل الاستخفاف وعدمِ المبالاة بما خوَّفهم به.

وقرأ الجمهور: «أوَعَظْتَ» بإظهار الظاء، وروي عن أبي عمرو والكسائي وعاصم إدغامُ الظاء في التاء[٢]، وبالإدغام قرأ ابنُ محيصِن[٣] والأعمش، إلَّا أنَّ الأعمشَ زادَ ضميرَ المفعول، فقرأ: «أوعظتَنا» وينبغي أن يكون إخفاءً؛ لأنَّ الظاءَ مجهورةٌ مطبقةٌ، والتاء مهموسَةٌ منفتحة، فالظَّاءُ أقوى من التَّاء، والإدغام إنَّما يحسنُ في المتماثلين، أو في المتقاربين إذا كان الأوَّلُ أنقصَ من الثاني، وأمَّا إدغامُ الأقوى في الأضعف فلا يحسنُ، على أنَّه قد جاء من ذلك أشياء في القرآن بنقلِ الثقات، فوجب قَبولها، وإن كان غيرُها هو أفصح وأقيس.

وعادلَ «أوعظتَ» بقوله: «أم لم تكن من الواعظين»، وإن كان قد يعادله: أم لم تعظ، كما قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم:٢١] لأجل الفاصلة، كما عادلت في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف:١٩٣] ولم يأت التركيبُ: أم صَمَتُّم، وكثيراً ما يحسنُ مع الفواصل ما لا يحسنُ دونَه.

---

(١) في (ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: بدلاً. والمثبت من (أ) و(ح).
(٢) الرواية عن أبي عمرو والكسائي ذكرها الثعلبي في تفسيره ٤/٤٥٨، والقرطبي ١٦/٥٩.
(٣) قراءة ابن محيصن ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٣٩.

وقال الزمخشريُّ: بينهما فرق ـ يعني بين ما جاء في الآية وبين أم لم تعظ ـ قال: لأنَّ المراد: سواءٌ علينا أفعلتَ هذا الفعلَ الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه[١]، فهو أبلغُ في قلَّة اعتدادِهم بوعظِه من قولك[٢]: أم لم تعظ.

ولمَّا لم يبالوا بما أمرَهم به وبما ذكَّرهم من نعمِ الله وتخويفِه الانتقامَ منهم، أجابوه بأن قالوا: «إنْ هذا إلَّا خُلُقُ الأولين».

وقرأ عبدُ الله وعلقمةُ والحسن وأبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير والكسائيّ: «خَلْق» بفتح الخاء وسكون اللام[٣]، فهو يحتملُ أنْ يكونَ المعنى: إنْ هذا الذي تقولُه وتدَّعيه إلَّا اختلاقُ الأوَّلين من الكَذَبة قبلَك، فأنت على مناهجهم[٤].

ورَوى علقمةُ عن عبد الله: «إنْ هذا إلَّا اختلاق الأولين» ويحتملُ أن يكون المعنى: ما هذه البنية التي نحنُ عليها إلَّا البنيةُ التي عليها الأولون؛ حياةٌ وموت، ولا بعثَ ولا تعذيب[٥].

وقرأ باقي السبعة: «خُلُق» بضمتين[٦]، وأبو قلابة والأصمعيّ عن نافع بضمِّ الخاء وسكون اللام[٧]، وتحتملُ هذه القراءةُ ذينك الاحتمالين اللذين في «خَلْق».

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ

(١) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: ومباشرته. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٢٢.
(٢) من قوله: أم لم تكن أصلاً.. إلى هنا ليس في (ع).
(٣) القراءة عن أبي عمرو وابن كثير والكسائي في السبعة ص ٤٧٢، والتيسير ص ١٦٦. وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٣٥، وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة، والقراءة عن عبد الله وعلقمة والحسن في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩.
(٤) في (ع) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩: منهاجهم.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩.
(٦) السبعة ص ٤٧٢، والتيسير ص ١٦٦.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩، وذكرها القرطبي ١٦/ ٦٠ من رواية ابن جبير عن أصحاب نافع عنه. وذكرها ابن خالويه في مختصره ص ١٠٧ عن أبي قلابة فقط.

﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

«أَتُتْرَكُون» يجوز أن يكون إنكاراً لأنْ يُتْرَكوا مخلَّدين في نعيمهم لا يزالون[١] عنه، وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخليةِ الله إيَّاهم وما يتنعَّمونَ فيه من الجنَّات وغيرِ ذلك، مع الأمن والدعة. قالهُ الزمخشريُّ[٢].

وقال ابن عطية: تخويفٌ لهم بمعنى: أتطمعونَ أنْ تُقَرُّوا[٣] في النِّعم على معاصيكم.

وقيل: «أتتركون» استفهامٌ في معنى التوبيخ، أي: أيترككم ربُّكم «فيما هاهنا» أي: فيما أنتم عليه في الدنيا «آمنين» لا تخافون بطشَه؟ انتهى.

و«ما» موصولة، و«هاهنا» إشارةٌ إلى المكان الحاضر القريب، أي: في الذي استقرَّ في مكانكم هذا من النعيم، و«في جنات» بدلٌ من «ما ههنا»، أجملَ ثمَّ فصَّل[٤]، كما أجمل هودٌ عليه السلام في قوله: «أمدَّكم بما تعلمون»، ثمَّ فصَّل في قوله: «أمدَّكم بأنعامٍ وبنين».

وكانت أرض ثمود كثيرةَ البساتين والماء والنخل.

و«الهضيم» قال ابن عباس: إذا أينعَ وبلغ[٥]. وقال الزهريُّ: الرَّخْصُ اللطيفُ أوَّلَ ما يخرج. وقال الزجَّاج[٦]: الذي رطبُه بغير نوى. وقال الضحَّاك: المنضَّدُ

(١) في النسخ عدا (ع): يزولون. والمثبت من (ع) والكشاف ٣/ ١٢٢.
(٢) في الكشاف ٣/ ١٢٢-١٢٣.
(٣) في النسخ: كفرتم. والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٢٣.
(٥) أخرجه الطبري ١٧/ ٦١٩.
(٦) في معاني القرآن له ٤/ ٩٦.

بعضُه على بعض[١]. وقيل: الرُّطبُ المذنِّب. وقيل: النضيجُ من الرطب. وقيل: الرطبُ المتفتِّت[٢]. وقيل: انْخِماصُ[٣] الطلعِ[٤]، وتقاربُ[٥] قشريه[٦] من الجانبين، من قولهم: خصرٌ هضيمٌ. وقيل: العِذْقُ المتدلِّي. وقيل: الجُمَّار الرخو.

وجاء قوله: «ونَخْلٍ» بعد قوله: «في جناتٍ» وإن كانت الجنَّةُ تتناولُ النخل أوَّل شيءٍ، ويطلقونَ الجنَّةَ ولا يريدون بها إلَّا النخل، كما قال الشاعر:

كأنَّ عينيَّ في غَرْبَي مُقَتَّلةٍ ... مِن النواضحِ تَسْقي جنَّةً سُحُقا[٧]

أراد هنا النخلَ، والسُّحُق جمع سَحوق، وهي التي ذهبت بجردتِها[٨] صُعُداً فطالت. فأفردَ «ونخلٍ» بالذكر بعد اندراجِه في لفظ «جنات» تنبيهاً على انفرادِه عن شجر الجنَّةِ بفضلِه، أو أراد بجنات غيرَ النخل من الشجر، لأنَّ اللفظَ صالحٌ لهذه الإرادة، ثمَّ عطفَ عليه: «ونخلٍ»[٩].

ذكَّرهم تعالى نعمَه في أنْ وهبَ لهم أجودَ النخلِ وأنفعَه[١٠]؛ لأنَّ الإناثَ ولَّادة التمرِ، وطلعُها فيه لطفٌ، والهضيمُ اللطيفُ الضامر، والبَرنيُّ ألطفُ من طلع اللون، ويحتملُ اللطفُ في الطَّلع أن يكون بسببِ كثرة الحمل، فإنَّه متى كَثُر لطف، فكان هضيماً، وإذا قل الحمل جاء التمرُ فاخراً، ولمَّا كانت منابتُ النخل جيِّدةً، وكان السقيُ لها كثيراً، وسَلِمَتْ من العاهة، كثر الحملُ بلطفِ الحب.

---

(١) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٠، وضعفه ابن عطية ٤/ ٢٤٠، وعنه نقل المصنف الأقوال السابقة.
(٢) انظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٤/ ١٨٢-١٨٣، وزاد المسير ٦/ ١٣٨.
(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: الحماض. والمثبت من (يه).
(٤) في (أ): للطلع.
(٥) في (ع) والمطبوع: ويقارب.
(٦) في (ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: قشرته.
(٧) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ٣٧. قال شارحه: الغَرْبان: الدلوان الضخمان، والمقتَّلَة: المذللة، يعني الناقة، يقول: كأن عينيَّ من كثرة دموعهما في غربي ناقةٍ ينضح عليها قد قُتِّلت بالعمل حتى ذلَّت.
(٨) في (ت): لجردتها. وفي (يه): جردتها. ونقل ابن منظور في اللسان (سحق) عن الأصمعي قال: إذا طالت النخلة مع انجراد فهي سحوق.
(٩) الكشاف ٣/ ١٢٣.
(١٠) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وأينعه. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ١٢٣.

وقرأ الجمهور: «وتَنْحِتون» بالتاء للخطاب. وكسر الحاء، وأبو حيوة وعيسى والحسن بفتحها[١]، وتقدَّمَ ذكرُه[٢]، وعنه بألفٍ بعد الحاء إشباعاً[٣]، وعن عبد الرحمن بن محمد عن أبيه بالياء من أسفل وكسر الحاء[٤]، وعن أبي حيوة والحسن أيضاً بالياء من أسفل وفتح الحاء[٥].

وقرأ عبدُ الله وابنُ عباس وزيدُ بن علي والكوفيُّون وابنُ عامر: «فارهين» بألف، وباقي السبعة بغير ألف[٦]، ومجاهد: «متفرِّهين» اسم فاعل من تفرَّه، والمعنى: نشطِين مهتمين[٧]، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: شَرِهين. وقال ابن زيد: أقوياء[٨]. وقال ابنُ عباس أيضاً وأبو عمرو بن العلاء: أشرين بطرين[٩]. وقال عبدُ الله بن شداد: بمعنى مستفرهين، أي: مبالغين في استجادةِ المغارات ليحفظُوا أموالهُم فيها[١٠].

وقال قتادة: آمنين. وقال الكلبيُّ: متجبِّرين. وقال خصيف: معجبين[١١].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠. وذكرها ابن خالويه في مختصره ص ١٠٧ والزمخشري في الكشاف ٣/ ١٢٣ عن الحسن فقط.
(٢) عند تفسير الآية (٧٤) من سورة الأعراف.
(٣) وذكرها عنه ابن خالويه في مختصره ص ١٠٧ ولكن بالياء التحتية بدل التاء.
(٤) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص ١٠٧، وذكرها النحاس في إعراب القرآن له ٣/ ١٨٧ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٥) مختصر ابن خالويه ص ١٠٧.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠ دون قراءة زيد بن علي، وانظر السبعة ص٤٧٢، والتيسير ص١٦٦.
(٧) في (أ) و(ح) و(ع): نشيطين مهتمين، وفي مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠: كيسين متهممين. وأخرج الطبري ١٧/ ٦٢٢ عن ابن عباس ﷺ قال: «فارهين»: أشرين، ويقال: كيِّسين. وفسر الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ١٢٣ الفراهة بأنها الكيس والنشاط.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠، وأخرج قوليهما الطبري ١٧/ ٦٢٣.
(٩) قول ابن عباس في النكت والعيون ٤/ ١٨٣، وقول أبي العلاء في المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠.
(١٠) كذا، وهو غريبٌ جداً، فقد نقله المصنف رحمه الله عن المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠، وتمام الكلام فيه: مبالغين في استجادة الفاره من كل ما تصنعونه وتشتهونه! فتحريفه إلى ما ذكره المصنف غريب جداً!؟ وقول عبد الله بن شداد أخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٢.
(١١) الأقوال الثلاثة الأخيرة في النكت والعيون ٤/ ١٨٣ وتفسير القرطبي ١٦/ ٦٤ وتحرَّف: متجبرين فيهما إلى: متخيرين. وهما استشهدا لهذا المعنى بقول الشاعر:
=

وقال عكرمة: ناعمين[١]. وقال الضحاك: كيسين[٢]. وقال أبو صالح: حاذقين. وقال ابن بحر: قادرين. وقال أبو عبيدة: مرحين[٣].

وظاهرُ هذه الآيات أنَّ الغالبَ على قوم هود اللذاتُ الخياليَّةُ[٤]، من طلب الاستعلاء والبقاء والتفرُّد والتجبُّر، وعلى قوم صالح اللذاتُ الحسيَّةُ، من المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة.

«ولا تطيعوا» خطابٌ لجمهورِ قومه، والمسرفونَ هم كبراؤهم وأعلامُهم في الكفر والإضلال[٥]، وكانوا تسعةَ رهطٍ.

«يفسدون في الأرض» أي: أرض ثمود، وقيل: في الأرض كلِّها؛ لأنَّ بمعاصيهم امتناعُ الغيث، ولمَّا كان «يفسدون» دلالتُه دلالة المطلق، أتى بقوله: «ولا يصلحون»، فنفى عنهم الصلاح، وهو نفيٌ لمطلق الصلاح، فيلزمُ منه نفي الصَّلاح كائناً ما كان، فلا يحصلُ منهم صلاحٌ ألبتة.

والمسحَّر الذي سُحِرَ كثيراً حتى غلبَ على عقله. وقيل من السَّحْر، وهو الرِّئة، أي: أنت بشرٌ لا تصلحُ للرسالة[٦].

ويضعِّفُ هذا القول قولُهم بعد: «ما أنت إلَّا بشرٌ مثلُنا» إذ تكون هذه الجملةُ توكيداً لما قبلها، والأصلُ التأسيس.

= إلى فرهٍ يماجدُ كلَّ أمرٍ قصدت له لأختبر الطباعا

فقوله: فره. يعني متجبر. ولا معنى للتخير فيها. والله أعلم.

(١) والأقوال الأربعة الأخيرة في تفسير قراءة «فرهين» والتي بعدها في تفسير «فارهين» كما في النكت والعيون وتفسير الثعلبي.

(٢) قولا عكرمة والضحاك في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٥٩-٤٦٠. وقول الضحاك أخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٢.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٨٣-١٨٤، وقول أبي صالح أخرجه الطبري ١٧/ ٦٢١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٨.

(٤) في مطبوع تفسير الرازي ٢٤/ ١٥٩ ـ والكلام منه -: الحالية. بدل: الخيالية.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠.

(٦) الكشاف ٣/ ١٢٣.

و«مثلُنا» أي: في الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر، فلا اختصاصَ لك بالرسالة.

«فائت بآيةٍ» أي: بعلامةٍ على صحّة دعواك، وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: قال: آتي بها، قالوا: ما هي، «قال: هذه ناقةٌ» رويَ أنَّهم اقترحُوا عليه ناقةً عُشَراء، تَخرجُ من هذه الصخرةِ تلد سَقْباً[١]، فقعدَ صالحٌ يتفكَّر، فقال له جبريل عليه السلام: صلِّ ركعتين، وسَلْ ربَّك الناقةَ، ففعل، فخرجت الناقةُ، وبركت بين أيديهم، ونَتَجَتْ سَقْباً مثلها في العِظَم. وتقدَّم في «الأعراف» طرفٌ من قصَّة ثمود والناقة.

والشِّربُ: النصيبُ المشروب من الماء، نحو السقي[٢].

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «شُرب» بضمِّ الشين فيهما[٣].

وظاهرُ هذا العذاب أنَّه في الدنيا، وكذا وقع، ووُصِفَ بالعظم لحلول العذاب فيه، ووَصْفُه به أبلغُ من وصفِ العذابِ به؛ لأنَّ الوقت إذا عَظُمَ بسببِ العذاب، كان موقع العذاب من العظمِ أشدّ[٤].

ونسبَ العقرَ إلى جميعهم؛ لكونهم راضين بذلك، حتى رويَ أنَّهم استرضَوا المرأةَ في خِدرها والصبيان، فرضُوا جميعاً[٥].

«فأصبحوا نادمين» لا ندم توبة، بل ندم خوفٍ أن يحلَّ بهم العذابُ عاجلاً، وذلك عند معاينة العذابِ، وذلك في غير وقت التوبة «أصبحوا» وقد تغيَّرت ألوانُهم حسبما كانَ أخبرَهم به صالح عليه السلام، وكان العذابُ صيحةً خمدتْ لها

---

(١) العشراء من النوق: ما مضى على حملها عشرة أشهر، والسقب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد. المعجم الوسيط (عشر) و(سقب).
(٢) الكشاف ٣/ ١٢٣.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٩ نسبتها لأبي بن كعب وأبي المتوكل وأبي الجوزاء.
(٤) الكشاف ٣/ ١٢٣.
(٥) الكشاف ٣/ ١٢٣-١٢٤.

أبدانهم، وانشقَّت قلوبُهم، وماتوا عن آخرهم، وصُبَّ عليهم حجارةٌ خلال ذلك[١].

وقيل: كانت ندامتهم على تركِ عقر الولد. وهو قولٌ بعيدٌ[٢].

و«أل» في «فأخذهم العذاب» للعهدِ في العذاب السابق أي[٣]: عذابُ ذلك اليوم العظيم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

«أتأتون» استفهامُ إنكارٍ وتقريعٍ وتوبيخٍ، و«الذكران» جمعُ ذَكَر مقابل الأنثى، والإتيانُ كنايةٌ عن وطء الرجال، وقد سمَّاه تعالى بالفاحشة، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

«من العالمين» هو مخصوصٌ بذكران بني آدم. وقيل: مخصوصٌ بالغرباء.

«وتذرون ما خلقَ» ظاهرٌ في كونهم لا يأتونَ النساء إمَّا ألبتة، وإمَّا غلبة.

«ما خلقَ لكم ربُّكم» يدلُّ على الإباحة بشرطها. «من أزواجكم» أي: من الإناث، و«من» إمَّا للتبيين لقوله: «ما خلق»، وإمَّا للتبعيض، أي: العضو المخلوق للوطء، وهو الفرج، وهو على حذف مضاف، أي: وتذرونَ إتيان، فإن كان «ما خلق» لا يرادُ به العضو، فلا بدَّ من تقدير مضافٍ آخر، أي: وتذرونَ إتيانَ فروجِ ما خلق[٤].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠.
(٢) الكشاف ٣/ ١٢٤.
(٣) لفظة: أي. من (ت) و(ب).
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٢٤.

«بل أنتم قوم عادون» أي: متجاوزون الحدَّ في الظلم، وهو إضرابٌ بمعنى الانتقال من شيءٍ إلى شيء، لا أنَّه إبطالٌ لما سبقَ من الإنكار عليهم وتقبيحِ أفعالهم، واعتداؤهم إمَّا في المعاصي التي هذه المعصيةُ من جملتها، أو من حيث ارتكابُ هذه الفعلة الشنيعة.

وجاء تصديرُ الجملةِ بضمير الخطاب تعظيماً لقبح فعلهم، وتنبيهاً على أنَّهم هم مختصُّون بذلك، كما تقول: أنت فعلت كذا، أي: لا غيرك.

ولمَّا نهاهم عن هذا الفعلِ القبيح توعَّدوه بالإخراج، وهو النفيُ من بلده الذي نشأ فيه، أي: لئن لم تنتهِ عن دعواكَ النبوَّةَ، وعن الإنكار علينا فيما نأتيه من الذكران، لننفينَّك كما نفينا من نهانا قبلك. ودلَّ قولُه: «من المخرجين» على أنَّه سبقَ من نهاهم عن ذلك فنفوه بسبب النهي، أو من المخرجين بسببٍ غيرِ هذا السبب، كأنَّه من خالفَهم في شيءٍ نفوه، سواءٌ كان الخلاف في هذا الفعلِ الخاصِّ أم في غيره.

«قال إنِّي لعملِكم» أي: للفاحشة التي أنتم تعملونَها، و«لعملِكم» يتعلَّق إمَّا بـ «القالين»، وإن كان فيه «أل»؛ لأنَّه يسوغُ في المجرورات والظروف ما لا يسوغُ في غيرها؛ لاتِّساع العرب في تقديمها حيثُ لا يتقدَّم غيرُها، وإمَّا بمحذوفٍ دلَّ عليه «القالين»، تقديره: إنِّي قَالٍ لعملكم. وإمَّا أن تكون للتبيين، أي: لعملكم، أعني من القالين.

وكونُه بعضَ القالين يدلُّ على أنَّه يبغضُ هذا الفعلَ ناسٌ غيرُه هو بعضُهم، ونبَّه ذلك على أنَّ هذا الفعلَ موجبٌ للبغض حتَّى يبغضَه الناسُ[١].

و«من القالين» أبلغُ من: قالٍ؛ لما ذكرنا من أنَّ الناسَ يبغضونَه، ولتضمُّنِه أنَّه معدودٌ ممَّن يبغضُه، ألا ترى أنَّ قولَك: زيدٌ من العلماء، أبلغُ من: زيد عالم؛ لأنَّ في ذلك شهادةً بأنَّه معدودٌ في زمرتهم.

وقال أبو عبد الله الرازي: القَلْيُ: البغضُ الشديدُ، كأنَّه بغضٌ يَقْلي الفؤادَ والكبدَ. انتهى[٢].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٢٥.

(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ١٦١ نقلاً عن الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٢٥.

ولا يكونُ قَلَى بمعنى أبغض وقَلا من الطبخ والشيِّ من مادَّةٍ واحدةٍ؛ لاختلافِ التركيب، فمادة قلا ـ من الشيِّ ـ من ذوات الواو، تقول: قلوت اللحمَ، فهو مقلوٌّ، ومادَّة قَلى ـ من البغض ـ من ذوات الياء؛ قليتُ الرجلَ، فهو مقليٌّ[1]، قال الشاعر:

ولستُ بمَقْليِّ الخِلالِ ولا قالِ[2]

ولمَّا توعَّدوه بالإخراج أخبرَهم ببغض عملهم، ثمَّ دعا ربَّه فقال: «ربِّ نجِّني وأهلي ممَّا يعملون» أي: من عقوبةِ ما يعملون من المعاصي، ويَحتملُ أنْ يكونَ دعاءً لأهله بالعصمة منْ أن يقعَ واحدٌ منهم في مثل فعلِ قومه، ودلَّ دعاؤه بالتنجية لأهله على أنَّهم كانوا مؤمنين، ولما كانت زوجتُه مندرجةً في الأهل، وكان ظاهرُ دعائه دخولَها في التنجية، وكانت كافرةً استُثنيت في قوله: «فنجيناهُ وأهلَه أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين»، ودلَّ قوله: «عجوزاً» على أنَّها قد عَسِيَت[3] في الكفر ودامت فيه إلى أن صارت عجوزاً.

و«من الغابرين» صفةٌ، أي: من الباقين مِن لِدَاتها وأهل بيتها، قاله أبو عبيدة[4]. وقال قتادة: من الباقين في العذاب النازلِ بهم[5].

وتقدَّمَ القولُ في غَبَرَ وأنَّه يُستعمل بمعنى: بقيَ، وهو المشهور، وبمعنى: مضى[6].

---

(١) ونقل الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٢٥٨ عن الراغب في «مفرداته» ما ملخصه أنه يقال: قلاه يقلوه ويقليه، فمن جعله من الواو فهو من القلو، أي: الرمي، ومن جعله من الياء، فهو من قليت السويق، فكأن شدَّة البغض تقلي الفؤاد والكبد وتشويهما.
ثم قال: فقول أبي حيان: إنَّ قلى بمعنى أبغض يائي، والذي بمعنى طبخ وشوى واوي: ناشٍ من قلَّة الاطلاع.

(٢) هو لامرئ القيس، وسلف عند تفسير الآية (٣١) من سورة إبراهيم.

(٣) عسيت: كَبِرَت. القاموس (عسا).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤١، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٩.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤١، وقول قتادة أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٩ (١٥٨٩١).

(٦) تقدم عند مفردات الآية (٨٣) من سورة الأعراف. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٤١.

ونجاتُه عليه السلام أنْ أمرَهُ تعالى بالرِّحلة ليلاً، وكانت امرأتُه كافرةً تعينُ عليه قومَه، فأصابها حجرٌ فهلكت فيمن هلك.

قال قتادةُ: أمطر الله على شُذَّاذِ القومِ حجارةً من السماء فأهلكهم.

وقال قتادة[١]: أتبعَ الائتفاكَ مطراً من الحجارة.

و«ساء» بمعنى بئس، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ، أي: مَطرهم.

وقال مقاتل: خسفَ الله بقومِ لوطٍ وأرسل الحجارةَ إلى من كان خارجاً من القرية[٢]، ولم يكن فيها مؤمنٌ إلَّا بيت لوط.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

قرأ الحِرْميان وابنُ عامر «لَيْكَة» هنا وفي «ص» بغير لامٍ ممنوع الصرف، وقرأ باقي السبعة: «الأيكة» بلامِ التعريف[٣].

فأمَّا قراءةُ الفتح، فقال أبو عبيد: وجدنَا في بعض التفسير أنَّ «ليكة» اسمٌ للقرية، و«الأيكة» البلادُ كلُّها، كمكَّة وبكَّة، ورأيتُها في الإمام مصحف عثمان في «الحجر» و«ق»: «الأيكة»، وفي «الشعراء» و«ص»: «ليكة»، واجتمعتْ مصاحفُ الأمصار كلُّها بعدُ على ذلك، ولم تختلف. انتهى[٤].

(١) كذا، والصواب أن القائل ابن زيد، كما في الكشاف ٣/ ١٢٦.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٧٠.
(٣) السبعة ص ٤٧٣، والتيسير ص ١٦٦.
(٤) انظر نص كلام أبي عبيد في إبراز المعاني ص ٦٢١، والدر المصون ٨/ ٥٤٤.

وقد طعنَ في هذه القراءة المبرِّدُ[١] وابنُ قتيبة[٢] والزجَّاج[٣] وأبو عليٍّ الفارسيّ[٤] والنحَّاس[٥]، وتبعَهم الزمخشريُّ[٦]، ووهَّموا القرَّاء، وقالوا: حملَهم على ذلك كونُ الذي كَتَبَ المصحف كَتَبَ[٧] في هذين الموضعين على اللفظ في من[٨] نقلَ حركة الهمزة إلى اللام وأسقط الهمزة، فتوهَّمَ أنَّ اللامَ من بنية الكلمة، ففتحَ التاء، وكان الصواب أن يَجُرَّ، ثمَّ مادّةُ: ل ي ك لم يوجد منها تركيبٌ، فهي مادَّةٌ مهملة، كما أهملوا مادّة: خ ذ ج منقوطات.

وهذه نزعةٌ اعتزاليَّة، يعتقدونَ أنَّ بعضَ القراءة بالرأي لا بالرواية، وهذه قراءةٌ متواترةٌ لا يمكنُ الطعنُ فيها، ويقربُ إنكارها من الردَّة والعياذُ بالله، أمَّا نافع فقرأ على سبعين من التَّابعين، وهم عربٌ فصحاء، ثم هي قراءةُ أهل المدينة قاطبةً، وأمَّا ابنُ كثيرٍ فقرأ على سادة التابعين ممَّن كان بمكَّة، كمجاهد وغيره، وقد قرأ عليه إمامُ البصرة أبو عمرو بن العلاء، وسألَهُ بعضُ العلماء: أقرأتَ على ابن كثير؟ قال: نعم، ختمتُ على ابن كثير بعدما ختمتُ على مجاهد، وكان ابنُ كثير أعلمَ من مجاهد باللغة. قال أبو عمرو: ولم يكن بين القراءتين كبيرٌ، يعني خلافاً، وأمَّا ابنُ عامر فهو إمامُ أهل الشام، وهو عربيٌّ قحّ، قد سبق اللحنَ، أخذ عن عثمان وعن أبي الدرداء وغيرهما، فهذه أمصارٌ ثلاثةٌ اجتمعت على هذه القراءة، الحرمان مكَّة والمدينة، والشام، وأمَّا كونُ هذه المادَّة مفقودةً في لسان العرب، فإن صحَّ ذلك، كانت الكلمةُ عجميَّةً، وموادُّ كلام العجم مخالفةٌ في كثيرٍ موادَّ كلام العرب، فيكون قد اجتمعَ على منع صرفِها العلميَّةُ والعجمةُ والتأنيث.

وتقدَّم مدلولُ الأيكة في «الحجر»[٩].

(١) في كتاب «الخط» كما ذكر السمين في الدر المصون ٨/ ٥٤٦.
(٢) نقله عن ابن قتيبة مكيّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢-٣٣.
(٣) في معاني القرآن له ٤/ ٩٨.
(٤) في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٧-٣٦٨.
(٥) انظر إعراب القرآن له ٣/ ١٩٠.
(٦) في الكشاف ٣/ ١٢٦.
(٧) قوله: المصحف كتب. من (ت) و(يه).
(٨) في (ت): اللفظين فمن. بدل: اللفظ في من.
(٩) عند تفسير الآية (٧٨) منها.

وكان شعيبٌ عليه السلام من أهل مَدْيَن، فلذلك جاءَ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ﴾ [الأعراف:٨٥]، ولم يكن من أهل الأيكة، فلذلك قال هنا: «إذ قال لهم شعيبٌ».

ومن غريب النقل ما رُويَ عن ابن عباس أنَّ أصحاب الأيكة هم أصحابُ مدين[١]، وعن غيره أنَّ أصحابَ الأيكة هم أهلُ البادية، وأصحاب مدين هم الحاضرة[٢]، ورويَ في الحديث أنَّ شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة[٣].

أمرَهم بإيفاء الكيل، وهو الواجب، ونهاهم عن الإخسار وهو التطفيف، ولم يذكر الزيادةَ على الواجب؛ لأنَّ النفوسَ قد تشحُّ بذلك، فمن فعلَه فقد أحسن، ومن تركَه فلا حرج[٤].

وتقدَّمَ تفسير «القسطاس» في سورة الإسراء[٥].

وقال الزمخشريُّ: إن كان من القسط، وهو العدل، وجُعِلَت العينُ مكرَّرةً، فوزنه فعلاع[٦]، وإلَّا فهو رُباعيٌّ. انتهى. ولو تكرَّر ما يماثلُ العينَ في النطق لم

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠١ و١٧/ ٦٣٣.
(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٦١ من قول ابن زيد.
(٣) أخرجه ابن عساكر، كما في مختصر ابن منظور ١٠/ ٣٠٩، وتفسير ابن كثير ٦/ ١٥٩ واستغربه ورجح وقفه، وقال في البداية والنهاية ١/ ٤٣٩: حديث غريب، وفي رجاله من تكلم فيه، والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزاملتين من أخبار بني إسرائيل. اهـ.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٢٦.
(٥) عند تفسير الآية (٣٥) منها.
(٦) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: فعلا، وفي الكشاف ٣/ ١٢٦، وتفسير البيضاوي ٤/ ١٠٩ وتفسير أبي السعود ٦/ ٢٦٢: فعلاس، والمثبت من (يه) وحاشية الشهاب ٧/ ٢٦، وروح المعاني ١٩/ ٢٦٣.
وقال الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي ٣/ ٤٧٨ تعليقاً على قول البيضاوي: ففعلاس بتكرير العين، قال: الظاهر أن يقال: فعلاع؛ لأن التكرير يقتضي أن يوزن المكرر بلفظ ما قابله. انتهى. ووقع في تفسير البيضاوي (مع حاشية الشهاب) ٧/ ٢٦: فعلاع. قال الشهاب: قوله: فعلاع بتكرير العين، يعني شذوذاً، إذ هي لا تكرر وحدها مع الفصل =

يكن عند البصريين إلَّا رباعيًّا.

وقال ابنُ عطية: هو بناء مبالغةٍ من القسط. انتهى[١].

والظاهرُ أنَّ قوله: «وزنوا» هو أمرٌ بالوزنِ، إذ عادل قوله: «أوفوا الكيل» فشمَل ما يُكَال وما يوزن ممَّا هو معتادٌ فيه ذلك. وقال ابن عباس ومجاهد: معناه: عدِّلوا أمورَكم كلَّها بميزانِ العدلِ الذي جعلَه الله لعباده[٢].

«ولا تبخسوا الناس أشياءهم» الجملةُ والتي تليها تقدَّم الكلامُ عليهما[٣].

ولمَّا تقدَّم أمرُه عليه السلام إيَّاهم بتقوى الله، أمرَهم ثانياً بتقوى مَنْ أوجدَهم وأوجدَ من قبلهم؛ تنبيهاً على أنَّ من أوجدَهم قادرٌ على أنْ يعذِّبهم ويهلكَهم، وعطفَ عليهم «والجبلَّةَ» إيذاناً بذلك، فكأنَّه قيل: يصيِّركُم إلى ما صار إليه أوَّلوكم، فاتقوا الله الذي تصيرون إليه.

وقرأ الجمهور: «والجِبلَّة» بكسر الجيم والباء وشدِّ اللام، وقرأ أبو حصين والأعمش والحسن ـ بخلافٍ عنه ـ بضمِّها والشدِّ للام[٤]، وقرأ السُّلميُّ: «والجِبْلَة» بكسر الجيم وسكون الباء[٥]، وفي نسخةٍ عنه فتح الجيم وسكون الباء[٦]، وهي من جُبِلوا على كذا، أي: خلقوا. قيل: وتشديدُ اللام في القراءتين في بناءين للمبالغة.

وعن ابن عباس: الجبلة: عشرة آلاف.

= باللام، ومن قال: إنها مكررة صورة لا حقيقة فقد وهمَ؛ لأنَّه يتحد مع القول الثاني، ولذا قال الزمخشري: وزنه: فعلاس، كما وقع في بعض النسخ تحقيقاً لزيادتها.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢.

(٣) عند تفسير الآية (٨٥) من سورة الأعراف، والآية (٨٥) من سورة هود.

(٤) القراءة في مختصر ابن خالويه ص ١٠٧، والمحتسب ٢/ ١٣٢ عن الحسن وأبي حصين، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢ عن الحسن وابن محيصن (لعلها محرفة عن أبي حصين)، وفي زاد المسير ٦/ ١٤٢ عن الحسن وأبي مجلز وأبي رجاء وابن يعمر وابن أبي عبلة، وفي تفسير القرطبي عن الحسن وشيبة والأعرج.

(٥) زاد المسير ٦/ ١٤٢ وزاد نسبتها للضحاك وعاصم الجحدري.

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٧.

«وما أنت» جاء هنا بالواو، وفي قصة ثمود[(١)]: ﴿مَآ أَنتَ﴾ [الشعراء:١٥٤] بغير واو. فقال الزمخشريُّ: إذا دخلت الواو فقد قُصِدَ معنيان كلاهما مخالفٌ للرسالة عندهم؛ التسحيرُ والبشريَّة، وأنَّ الرسولَ لا يجوزُ أن يكونَ مسحَّراً، ولا يجوزُ أنْ يكون بشراً، وإذا تُرِكت الواو، فلم يقصد إلَّا معنًى واحد، وهو كونُه مُسَحَّراً، ثمَّ قرَّر بكونه بشراً. انتهى[(٢)].

«وإن نظنُّك لمن الكاذبين» «إن» هي المخفَّفةُ من الثقيلة، واللام في «لَمن» هي الفارقة، خلافاً للكوفيين، فـ «إن» عندهم نافية، واللامُ بمعنى إلَّا، وتقدَّم الخلافُ في نحو ذلك في قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ في «البقرة»[الآية:١٤٣].

ثمَّ طلبوا منه إسقاطَ كِسَفٍ من السماء عليهم، وليس له ذلك، فالمعنى: إن كنتَ صادقاً فادعُ الذي أرسلك أن يسقطَ علينا كسفاً، أي: قطعةً أو قطعاً، على حسب التسكين والتحريك. وقال الزمخشريُّ: وكلاهما جمع كِسْفة، نحو: قِطَع وسِدْر[(٣)]. وقيل: الكِسْف والكِسْفَة، كالرِّيْع والرِّيعة، وهي القطعةُ، وكَسَفَهُ: قَطَعَهُ، والسماءُ: السحاب، أو المظلَّةُ. ودلَّ طلبُهم ذلكَ على التصميم على الجحود والتكذيب.

ولمَّا طلبوا منه ما طلبوا أحالَ عِلْم ذلك إلى الله تعالى، وأنَّه هو العالم بأعمالكم، وبما تستوجبونَ عليها من العقاب، فهو يعاقبكم بما شاء[(٤)].

«فكذبوه فأخذهم عذابُ يوم الظُّلَّة» وهو نحو ممَّا اقترحوا، ولم يذكر الله كيفيَّةَ عذابِ يوم الظلة، حتَّى إنَّ ابنَ عباس قال: من حدَّثك ما عذابُ يوم الظُّلَّة فقد كذب[(٥)]. وذُكِر في حديثها تطويلاتٌ، فروي أنَّه حبس عنهم الريح سبعاً، فابتُلوا بحرٍّ عظيمٍ يأخذُ بأنفاسهم، لا ينفعُهم ظلٌّ ولا ماء، فاضطروا إلى أن خرجُوا إلى

(١) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: هود، وفي (يه): صالح، والمثبت من الكشاف ١٢٧/٣: ثمود، فقد تحرفت ثمود إلى هود، ورأى ناسخ (يه) أن «هود» خطأ فصوبها إلى صالح. والله أعلم.

(٢) الكشاف ٣/ ١٢٧.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وشذر. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ١٢٧.

(٤) الكشاف ٣/ ١٢٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٣٩.

البريَّة، فأظلَّتهم سحابةٌ وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا تحتَها، فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم[١].

وكرَّر ما كرَّر في أوائل هذه القَصص تنبيهاً على أنَّ طريقةَ الأنبياء واحدةٌ لا اختلافَ فيها، وهي الدعاء إلى توحيد الله وعبادتِه ورفضِ ما سواه، وأنَّهم ورسولَ الله ﷺ مشتركون في ذلك، وأنَّ ما جاءَ به ﷺ هو ما جاءت به الرسلُ قبلَه، وتلك عادةُ الأنبياء.

قال ابن عطية: وجاءت الألفاظ في دعاء كلِّ واحدٍ من هؤلاء الأنبياء واحدةً بعينها؛ إذ كان الإيمانُ المدعوُّ إليه معنًى واحداً بعينه[٢].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف كرَّر في هذه السورة في أوَّلِ كلِّ قصَّةٍ وآخرها ما كرَّر؟ قلت: كلُّ قصَّة منها كتنزيلٍ برأسه، وفيها من الاعتبارِ مثلُ ما في غيرها، فكانت كلُّ واحدةٍ منها تدلي بحقٍّ إلى[٣] أن تُفتَتح بمثل ما افتُتحت به صاحبتُها، وأنْ تُختَتم بمثل ذلك مما اختتمت به، ولأنَّ التكريرَ تقريرٌ للمعاني في النفوس، وتثبيتٌ لها في الصدور، ولأنَّ هذه القصصَ طُرِقَت بها آذانٌ وُقْرٌ عن الإنصاتِ للحقِّ وقلوبٌ غُلْفٌ عن تدبُّره، فأوثرت[٤] بالوعظ والتذكير، ورُوجِعت بالترديد والتكرير.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ
﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾
كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن
مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾
وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٧.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢.
(٣) في الكشاف ٣/ ١٢٧: في. بدل: إلى.
(٤) كذا، وفي الكشاف: فكوثرت.

الضميرُ في «وإنَّه» عائدٌ على القرآن، أي: إنَّه ليس بكهانةٍ ولا سحرٍ، بل هو من عند الله[١]، وكأنه عادَ أيضاً إلى ما افتتحَ به السورةَ من إعراض المشركين عمَّا يأتيهم من الذكر؛ ليتناسبَ المفتتحُ والمختتم.

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو وحفص: «نَزَلَ» مخففاً، و«الروحُ الأمين» مرفوعان، وباقي السبعة بالتشديد ونصبهما[٢]. و«الروح» هنا جبريل عليه السلام، وتقدَّم في سورة مريم[٣] لمَ أطلقَ عليه الروح.

و«به» قال ابنُ عطية في موضع الحال، كقوله: ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٦١]. انتهى[٤].

والظاهرُ تعلُّقُ «على قلبك» و«لتكون» بـ «نزلَ»، وخَصَّ القلب والمعنى: عليك؛ لأنَّه محلُّ الوعي والتثبيت، وليُعلَمَ أنَّ المنزَلَ على قلبه عليه الصلاة والسلام محفوظٌ لا يجوزُ عليه التبديلُ ولا التغيير، و«لتكون» علَّةٌ في التنزيل أو النزول، اقتصر عليها لأنَّ ذلك أزجرُ للسامع، وإن كان القرآن نزلَ للإنذار والتبشير.

والظاهرُ تعلُّق «بلسانٍ» بـ «نزل»، فكان يسمعُ من جبريل حروفاً عربيَّةً، قال ابنُ عطية: وهو القولُ الصحيح، وتكونُ صَلْصَلَةُ الجَرَس[٥] صفةً لشدَّة الصوت وتداخلِ حروفِه وعجَلةِ مورده وإغلاظه، ويمكن أنْ يتعلَّق بقوله: «لتكون»، وتمسَّكَ بهذا من رأى أنَّ النبيَّ ﷺ كان يسمعُ أحياناً مثلَ صلصلة الجرس، يتفهَّمُ له منه القرآن. وهذا مردودٌ. انتهى[٦].

وقال الزمخشريُّ: «بلسانٍ» إمَّا أنْ يتعلَّق: بـ «المنذرين»، فيكون المعنى:

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٧.
(٢) السبعة ص ٤٧٣، والتيسير ص ١٦٦.
(٣) عند تفسير الآية (١٧) منها.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.
(٥) يشير إلى الحديث الذي يبين فيه ﷺ للحارث بن هشام كيفية مجيء الوحي، وهو في صحيح البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣): (٨٧) من حديث عائشة ﵂.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.

ليكونَ[1] من الذين أنذروا بهذا اللسان، وهم خمسةٌ؛ هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ وإسماعيلُ ومحمدٌ ﷺ وعليهم، وإما أن يتعلَّق بـ «نزل»، فيكون المعنى: نَزَّلَهُ باللسان العربيِّ المبين لتنذرَ به؛ لأنَّه لو نزَّله باللسان الأعجميِّ لتجافوا عنه أصلاً وقالوا: ما نصنعُ بما لا نفهمه، فيتعذر الإنذار به، وفي هذا الوجهِ أنَّ تنزيلَه بالعربيَّة التي هي لسانُك ولسانُ قومك تنزيلٌ له على قلبك؛ لأنَّك تفهمُه وتُفْهِمُه[2] قومَك، ولو كان أعجميًّا لكان نازلاً على سمعِك دونَ قلبك؛ لأنَّكَ تسمعُ أجراسَ حروفٍ لا تفهمُ معانيها ولا تعيها، وقد يكونُ الرجلُ عارفاً بعدَّةِ لغاتٍ، فإذا كُلِّمَ بلغته التي لُقِّنَها أولاً ونَشأ عليها وتَطبَّع بها، لم يكن قلبُه إلَّا إلى معاني تلك الكلم، يتلقَّاها بقلبه، ولا يكادُ يفطنُ للألفاظ كيف جرت، وإنْ كُلِّم بغيرِ تلك اللغة ـ وإن كان ماهراً بمعرفتها ـ كان نظرُه أوَّلاً في ألفاظها، ثمَّ في معانيها، فهذا تقريرُ أنَّه نَزَلَ على قلبه لنزوله بلسانٍ عربيٍّ مبين. انتهى. وفيه تطويل.

«وإنه» أي: القرآن «لفي زُبُر الأولين» أي مذكورٌ في الكتب المنزلَة القديمةِ، منبَّهٌ عليه، مشارٌ إليه[3]. وقيل: إنَّ معانيه فيها، وبه يُحْتَجُّ لأبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسيَّة في الصلاة، على أنَّ القرآنَ قرآنٌ إذا تُرْجِم بغير العربية، حيث قيل: «وإنَّه لفي زبر الأوَّلين» لكون معانيه فيها. وقيل: الضمير عائدٌ على رسولِ الله ﷺ[4]، أي: إنَّ ذكرَه ورسالتَه في الكتبِ الإلهيَّة المتقدِّمة، ويكونُ التفاتاً؛ إذ خرجَ من ضميرِ الخطاب في قوله: «على قلبك لتكونَ» إلى ضمير الغيبة. وكذلك قيل في «أنْ يعلمَه» أي: أنْ يَعْلَمَ محمداً ﷺ، وتناسقُ الضمائرِ لشيءٍ واحدٍ أوضح.

وقرأ الأعمش: «لفي زُبْر» بسكون الباء[5]، والأصل الضمّ، ثم احتجَّ عليهم

(١) في المطبوع ومطبوع الكشاف ٣/ ١٢٨: تكون، ولم تنقط في (ح) ولا في النسخة الخطية للكشاف ٢/ ورقة ١٢٦.
(٢) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: ويفهمه.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.
(٤) الكشاف ٣/ ١٢٨.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٦٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣، وزاد المسير ٦/ ١٤٤.

بأنَّهم كان ينبغي أنْ يصحِّحَ عندَهم أمرَه كونُ علماء بني إسرائيل يعلمونَه[١]، أي: أولم يكن لهم علامةٌ على صحَّته علمُ بني إسرائيل به، إذ كانت قريش ترجعُ في كثيرٍ من الأمور النقليَّة إلى بني إسرائيل، ويسألونَهم عنها، ويقولون: هم أصحابُ الكتبِ الإلهيَّة، وقد تهوَّدَ كثيرٌ من العرب، وتنصَّر كثيرٌ؛ لاعتقادِهم في صحة دينهم.

وذكر الثعلبيُّ عن ابن عباس أنَّ أهلَ مكَّة بعثُوا إلى أحبارِ يثرب يسألونهم عن النبيِّ ﷺ، فقالوا: هذا زمانُه، ووصفوا نعتَه، و[٢]خلطوا في أمر محمد عليه السلام، فنزلت الآيةُ في ذلك[٣]. ويؤيِّدُ هذا كون الآية مكيَّة، وقال مقاتل: هي مدنية[٤].

و«علماءُ بني إسرائيل»: عبدُ الله بن سلام ونحوه. قاله ابن عباس ومجاهد[٥]، وذلك أنَّ جماعةً منهم أسلموا ونصُّوا على مواضعَ من التوراة والإنجيل ذُكِر فيها الرسول عليه الصلاة والسلام[٦]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ الآية [القصص:٥٣].

وقيل: علماؤهم: مَنْ أسلمَ منهم ومَنْ لم يسلم.

وقيل: أنبياؤهم حيثُ نَبَّهوا عليه، وأخبروا بصفتِهِ وزمانه ومكانه.

وقرأ الجمهور: «أولم يكن» بالياء من تحت «آيةً» بالنصب، وهي قراءةٌ واضحةُ الإعراب، توسَّطَ خبرُ «يكن»، و«أنْ يعلمه» هو الاسم.

وقرأ ابنُ عامر والجحدريُّ: «تكن» بالتاء من فوق «آيةٌ» بالرفع[٧].

قال الزمخشريُّ: جعلت «آيةٌ» اسماً، و«أنْ يعلمه» خبراً، وليست كالأولى؛

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣ ـ وعنه نقل المصنف ـ: ثم خلطوا.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٦٣-٤٦٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣، وأخرج قوليهما الطبري ١٧/ ٦٤٤-٦٤٥.
(٦) تفسير الرازي ٢٤/ ١٦٩.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣، وقراءة الجمهور وابن عامر في السبعة ص ٤٧٣، والتيسير ص١٦٦.

لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً، وقد خُرِّج لها وجهٌ آخر ليتخلَّصَ من ذلك، فقيل: في «تكن» ضمير القصة، و«آيةٌ أن يعلَمه» جملةٌ واقعةٌ موقعَ الخبر، ويجوز على هذا أن يكون «لهم آية» جملةَ الشأن، و«أن يعلمه» بدلاً من «آية» انتهى[1].

وقرأ ابن عباس: «تكن» بالتاء من فوق «آيةً» بالنصب[2]، كقراءة من قرأ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بتاء التأنيث ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ بالنصب[3] ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكقول لبيد:

فمضى وقدَّمها وكانت عادةً ... منه إذا هي عرَّدَتْ إقدامُها[4]

وذلك[5] إمَّا على تأنيث الاسم لتأنيثِ الخبر، وإمَّا لتأويل «أن يعلمه» بالمعرفة، وتأويل «إلَّا أن قالوا» بالمقالة، وتأويل الإقدام بالإقدامة.

وقرأ الجحدريُّ: «أن تَعْلَمَهُ» بتاء التأنيث[6]، كما قال الشاعر:

قالتْ بنو عامرٍ خالوا بني أسدٍ ... يا بؤسَ للجهل ضرَّاراً لأقوامِ[7]

وكتب في المصحف: «عُلَمَوا» بواو بين الميم والألف، قيل: على لغةِ من يُميل ألفَ «عُلَموا» إلى الواو، كما كتبوا: الصلوة والزكوة والربوا على تلك اللغة.

قال الزمخشريُّ[8]: الأعجميُّ: الذي لا يُفْصِحُ وفي لسانه عُجْمَةٌ واستعجام، والأعجميُّ مثلُه، إلَّا أنَّ فيه لزيادةِ ياءِ النسبة زيادةَ توكيدٍ.

وقال ابن عطية: الأعجمون جمعُ أعجم، وهو الذي لا يُفْصِح، وإن كانَ عربيَّ النسب، يقال له: أعجم، وذلك يقال للحيوانات والجمادات، ومنه قول النبيِّ ﷺ:

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٨.

(٢) ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٤٤ لأبي عمران الجوني وقتادة.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، ونافع، وأبي بكر عن عاصم. التيسير ص ١٠١-١٠٢.

(٤) ديوان لبيد ص ٣٠٦. قوله: عرَّدت. يعني: حادت عن الطريق.

(٥) في المطبوع: ودل ذلك.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٩٢، ومختصر ابن خالويه ص ١٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣، وزاد ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٦/ ١٤٥ للشعبي والضحاك.

(٧) هو للنابغة، ديوانه ص ٨٢ (طبعة دار المعارف)، وسلف عند مفردات الآية (٤١) من سورة البقرة.

(٨) في الكشاف ٣/ ١٢٨ وما قبله منه.

«جرحُ العَجْماء جُبَار»[١]، وأسندَ الطبريُّ عن عبد الله بنِ مطيع أنَّه قال حين قرأ هذه الآية وهو واقف بعرفة: جملي هذا أعجم، فلو أُنْزِلَ عليه ما كانوا يؤمنون[٢]. والعجميُّ هو الذي نسبتُه في العجم وإن كان أفصحَ الناس. انتهى[٣].

وفي «التحرير»: «الأعجمين» جمع أعجمي على التخفيف، ولولا هذا التقدير لم يجز أنْ يجمعَ جمعَ سلامة[٤]. قيل: والمعنى: ولو نزَّلناه بلغة العجم على رجلٍ أعجميٍّ فقرأه على العرب، لم يؤمنوا به حيثُ لم يفهموه، واستنكفوا من اتِّباعه. وقيل: ولو نزَّلنا القرآنَ على بعضِ العجم من الدواب، فقرأَهُ عليهم، لم يؤمنوا لعنادهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، وجُمِعَ جَمْعَ السلامة؛ لأنَّهُ وصِفَ بالإنزال عليه والقراءة، وهو فعلُ العقلاء.

وقيل: ولو نُزِّلَ على بعضِ البهائم، فقرأه عليهم محمدٌ ﷺ، لم تؤمنِ البهائمُ، كذلك هؤلاء؛ لأنَّهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. انتهى.

ولما بيَّن بما تقدَّم مِن أن هذا القرآن في كتب الأولين، وأنَّ علماء بني إسرائيل يعلمونَ ذلك، وكان ذلك دليلين على صدقِ نبوَّة رسول الله ﷺ = بيَّنَ أنَّ هؤلاء الكفَّار لا تجدي فيهم الدلائل، ألا ترى نزولَه على رجلٍ عربيٍّ بلسانٍ عربيٍّ مبين[٥]، وسمعُوه وفهمُوه وأدركوا إعجازَه وتصديقَ كتبِ الله القديمة له، ومع ذلك جحدوا وسمَّوه تارةً شعراً، وتارةً سحراً، ولو نزل على بعضِ الأعاجم الذي لا يحسن العربيَّة، لكفروا به وتمحَّلوا لجحوده[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠): ٤٥ من حديث أبي هريرة ﷺ، وانظر مسند أحمد (٧٢٥٤)، (١٠١٤٨).

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٦٤٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.

(٤) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٥٤-٥٥٥: وكأن سببَ منع جمعه أنه من باب أفْعَل فعلاء، كأحمر حمراء، والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة إلا ضرورة... فلذلك قدره منسوباً فخفف الياء.

(٥) لفظ: مبين. من (يه).

(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: بجحوده. والمثبت موافق لما في تفسير الرازي ٢٤/ ١٦٩. والكلام منه.

وقال الفراء: «الأعجمين» جمع أعجم أو أعجمي ـ على حذف ياء النسب ـ كما قالوا: الأشعرين، وواحدهُم أشعري. وقال ابن الجَهْم: قال الكُميت:

ولـو جَـهَّـزتُ قـافـيـةً شـرودا لـقـد دَخَـلَـتْ بـيـوتَ الأشـعـريـنـا[١]

انتهى.

وقرأ الحسنُ وابنُ مقسم: «الأعجميين» بياء النسب[٢]، جمع أعجميّ.

والضمير في «سلكناه» الظاهرُ أنَّه عائدٌ على ما عادت عليه الضمائر قبل[٣]، وهو القرآن، وقاله الرماني[٤]، والمعنى: مثل ذلك السَّلْكِ ـ وهو الإدخال والتمكين والتفهيم لمعانيه ـ سلكناهُ: أدخلناه ومكَّنّاه في قلوب المجرمين، والمعنيُّ: ما ترتَّب على ذلك السلك من كونهم فهموهُ وأدركوهُ، ولم يزدهم ذلك إلَّا عناداً وجحوداً وكفراً به، أي: على مثل هذه الحالةِ وهذهِ الصفةِ مِنَ الكفر به والتكذيبِ له[٥] وضعناه فيها، فكيف ما يرام إيمانهم به لم يتغيروا[٦] عمَّا هم عليه من الإنكار والجحود، كما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ الآية [الأنعام:٧].

وقال الكرمانيُّ: أدخلناهُ فيها، فعرفوا معانيه وعجزَهم عن الإتيان بمثله، ولم يؤمنوا به.

وقال يحيى بن سلَّام: الضميرُ في «سلكناه» يعود على التكذيب، فذلك الذي منعَهم من الإيمان. انتهى[٧]. ويقويه قوله: «فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين».

---

(١) ديوان الكميت ص ٤٨١.

(٢) هي في مختصر ابن خالويه ص ١٠٧، والمحتسب ٢/ ١٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣، والقرطبي ١٦/ ٧٧ عن الحسن.

(٣) في المطبوع: قيل.

(٤) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤.

(٥) بعدها في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: كما. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ١٢٩.

(٦) كذا، ونص العبارة في الكشاف ٣/ ١٢٩ أوضح مما هنا وأتم، وهاك نصها: فكيفما فعل بهم وصنع، وعلى أي وجه دبر أمرهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا...

(٧) النكت والعيون ٤/ ١٨٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٧٨.

وقال الحسن: الضميرُ يعودُ على الكفر الذي يتضمَّنه قوله: «ما كانوا به مؤمنين». انتهى[١]. وهو قريبٌ من القولِ الذي قبلَه.

وقال عكرمة: «سلكناه» أي: القسوة[٢].

وأسندَ السلكَ تعالى إليه؛ لأنَّه هو موجدُ الأشياء حقيقةً، وهو الهادي وخالقُ الضلال.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف أسند السلكَ بصفةِ التكذيبِ إلى ذاته؟ قلت: أرادَ به الدلالة على تمكُّنه مُكَذَّباً في قلوبهم أشدَّ التمكين وأثبتَه، فجعلهُ بمنزلة أمرٍ قد جُبِلوا عليه، ألا ترى إلى قولهم: هو مجبولٌ على الشحِّ، يريدون تمكُّنَ الشحِّ فيه؛ لأنَّ الأمورَ الخلقيَّةَ أثبتُ من العارضة، والدليل عليه أنَّه أسندَ تَرْكَ الإيمانِ به إليهم على عقبه، وهو قوله: «لا يؤمنون به». انتهى[٣].

وهو على طريقة الاعتزال، والتشبيهُ بين السَّلْكَين يقتضي تغايرَ من حَلَّ به، فالمعنى: مثلَ ذلك السلكِ في قلوب قريشٍ سلكنَاهُ في قلوبِ من أجرمَ؛ لاشتراكهما في علَّة السَّلْكِ، وهو الإجرام.

قال ابنُ عطية: أرادَ بهم مجرمي كلِّ أمَّةٍ، أي: إنَّ هذه عادةُ الله فيهم أنَّهم لا يؤمنون حتَّى يروا العذابَ، فلا ينفعُهم الإيمان بعد تلبُّسِ العذاب بهم، وهذا على جهة المثال لقريش، أي: هؤلاء كذلك، وكُشِف الغيب بما تضمَّنته الآيةُ يومَ بدر[٤].

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما موقع «لا يؤمنون به» من قوله: «سلكناهُ في قلوب المجرمين»؟ قلت: موقعُه منه موقعُ الموضِح والملخِّص؛ لأنَّه مسوقٌ لثباته

---

(١) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٤٩.
(٢) النكت والعيون ٤/ ١٨٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٧٨.
(٣) الكشاف ٣/ ١٢٩.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤. وتعقبه الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٢٨٦: وكأنه جعل ضمير «سلكناه» لمطلق الكفر لا للكفر بالقرآن، وضمير «به» لله تعالى، أو لما أمروا بالإيمان به، لا للقرآن، وإلا فلا يكاد يتسنَّى ذلك، وعلى كلِّ حال، لا ينبغي أن يعول عليه.

مكذَّباً مجحوداً في قلوبهم، فأُتبع بما يقرِّرُ هذا المعنى من أنَّهم لا يزالونَ على التكذيب به وجحودِهِ حتى يعاينوا الوعيدَ، ويجوزُ أن يكونَ حالاً، أي: سلكناه فيها غيرَ مؤمَنٍ به. انتهى[١].

ورؤيتُهم العذابَ، قيل: في الدنيا، وقيل: يومَ القيامة.

وقرأ الجمهور: «فيأتيهم» بياء، أي: العذاب، وقرأ الحسن وعيسى بتاء التأنيث[٢]، أنَّثَ على معنى العذاب؛ لأنَّه العقوبة، أي: فتأتيهم العقوبةُ[٣]، كما قال: أتته كتابي، فلما سُئِل قال: أوليسَ بصحيفةٍ[٤].

قال الزمخشريُّ: «فتأتيهم» بالتاء يعني: الساعة[٥].

وقال أبو الفضل الرازي: أنَّثَ العذابَ لاشتماله على الساعة، فاكتسى منها التأنيثَ، وذلك لأنَّهم كانوا يسألون عذابَ القيامة تكذيباً بها، فلذلك أنَّثَ. انتهى. ولا يكتسي المذكَّرُ من المؤنَّث تأنيثاً إلَّا إن كان مضافاً إليه، نحو: اجتمعت أهلُ اليمامة، و: قُطِعت بعضُ أصابعه.

و:

شَرِقَتْ صدرُ القناةِ[٦]

وليس كذلك هنا[٧].

وقرأ الحسن: «بَغَتَةً» بفتح الغين «فتأتيهم» بالتاء من فوق[٨]، يعني الساعة.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٩.

(٢) هي عن الحسن في المحتسب ٢/ ١٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤، والكشاف ٣/ ١٢٩. ووردت في مختصر ابن خالويه ص ١٠٧ عن الحسن وعيسى، ولكن بالياء. وقال محققه: لعل الصواب بالتاء.

(٣) بعدها في المطبوع: يوم القيامة.

(٤) انظر الخصائص ١/ ٢٤٩، والصحاح (لغب) وغيرها.

(٥) الكشاف ٣/ ١٢٩.

(٦) هو للأعشى، ديوانه ص ١٧٣، وسلف في مطلع هذه السورة.

(٧) قوله: هنا. من (ت) و(يه).

(٨) مختصر ابن خالويه ص ١٠٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤. وقراءة «فتأتيهم» سلف ذكرها قريباً.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله: «فيأتيهم[١] بغتة»؟ قلت: ليس المعنى ترادفَ[٢] رؤية العذاب ومفاجأته وسؤالِ النَّظِرَة فيه في[٣] الوجود، وإنَّما المعنى ترتُّبها في الشدَّة، كأنَّه قيل: لا يؤمنونَ بالقرآن حتَّى تكونَ رؤيتُهم العذابَ فما هو أشدُّ منها، وهو لحوقه بهم مفاجأةً، فما هو أشدُّ منه؛ وهو سؤالهم النَّظِرَة. ومثالُ ذلك أنْ تقولَ لمن تَعِظُه: إنْ أسأتَ مقتَكَ الصالحونَ، فمقتَكَ الله، فإنَّك لا تقصدُ بهذا الترتيب أنَّ مَقْتَ الله يوجدُ عقيبَ مقتِ الصالحين، وإنَّما قصدُك إلى ترتيب شدَّة الأمر على المسيء، وأنَّه يحصلُ له بسبب الإساءة مقتُ الصالحينَ، فما هو أشدُّ من مقتهم، وهو مقتُ الله، وترى «ثمَّ» يقعُ[٤] في هذا الأسلوب فيحِلُّ موقعه. انتهى[٥].

«فيقولوا» أي: كلُّ أمَّةٍ معذَّبة «هل نحن مُنْظَرون» أي: مؤخَّرون، وهذا على جهة التمنِّي منهم والرغبة حيثُ لا تنفعُ الرغبة، ثمَّ رجع لفظُ الآيةِ إلى توبيخ قريش على استعجالهم عذابَ الله في طلبهم سقوطَ السماءِ كسفاً وغير ذلك، وقولهم للرسول: أين ما تعدُنا به؟[٦]

وقال الزمخشريُّ: «أفبعذابنا يستعجلون» تبكيتٌ لهم بإنكاره[٧] وتهكُّمٌ، ومعناه: كيف يستعجلُ العذابَ من هو معرَّضٌ لعذابٍ يَسأل فيه من جنسِ ما هو فيه اليومَ من النَّظِرَة والإمهالِ طرفةَ عينٍ، فلا يُجَاب إليها، ويحتملُ أن يكون هذا حكايةَ توبيخٍ يوبَّخونَ به عند استنظارِهم يومئذٍ، و«يستعجلون» على هذا الوجه حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، ووجهٌ آخرُ متَّصلٌ بما بعده، وذلك أنَّ استعجالَهم بالعذابِ إنَّما كان لاعتقادهم أنَّه غيرُ كائنٍ ولا لاحقٍ بهم، وأنَّهم ممتَّعونَ بأعمارٍ طوالٍ في سلامةٍ وأمنٍ، فقال عزَّ وعلا: «أفبعذابنا يستعجلون» أشراً وبطراً واستهزاءً واتِّكالاً على

(١) في النسخ عدا (يه): فتأتيهم. والمثبت من (يه) والكشاف.
(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: يراد برؤية. بدل: ترادف رؤية.
(٣) قوله: في. من (ح)، وفي (يه): من. وليس في باقي النسخ.
(٤) بعدها في (أ) و(ت) و(ع): هذا. وليست في (ح) و(يه) والكشاف.
(٥) الكشاف ٣/ ١٢٩-١٣٠.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤.
(٧) في الكشاف: بإنكارِ.

الأمل الطويل. ثمَّ قال: وهب أنَّ الأمرَ كما يعتقدونَ من تمتُّعِهم وتعميرِهم، فإذا لحقَهم الوعيدُ بعد ذلك ما ينفعُهم حينئذٍ ما مضى من طولِ أعمارهم وطيبِ معايشِهم. انتهى[١].

وقيل: أتبعَ قوله: «فتأتيهم بغتةً» بما يكونُ منهم عند ذلك على وجهِ الحسرة «فيقولوا هل نحنُ منظَرون» كما يستغيثُ إليه المرءُ عند تعذُّر الخَلاصِ؛ لأنَّهم يعلمون في الآخرةِ أنْ لا ملجأ، لكنَّهم يقولونَ ذلك استرواحاً.

وقيل: يطلبونَ الرجعةَ حين يبغتُهم عذابُ السَّاعة، فلا يجابونَ إليها.

«أفرأيتَ إن متَّعناهم سنين» خطابٌ للرسول عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجَّةِ عليهم في أنَّ مدَّة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تُغني إذا نزلَ العذابُ بعدها. وقال عكرمة: «سنين»: عمر الدنيا. انتهى[٢].

وتقرَّرَ في علم العربية أنَّ «أرأيت» إذا كانت بمعنى أخبرني تعدَّت إلى مفعولين؛ أحدهما منصوبٌ والآخرُ جملةٌ استفهاميَّةٌ في الغالب، تقول العرب: أرأيتَ زيداً ما صنع؟ وما جاءَ ممَّا ظاهرُه خلافُ ذلك أُوِّلَ، وتقدَّمَ الكلام على ذلك مشبعاً في أوائل سورة الأنعام[٣].

ونقول هنا: مفعولُ «أرأيتَ» محذوفٌ؛ لأنَّه تنازع على «ما [كانوا] يوعدون» «أرأيتَ» و«جاءَهم»، فأعملَ الثاني فهو مرفوعٌ بـ «جاءهم»، ويجوز أنْ يكون منصوباً بـ «أرأيت» على إعمال الأول، وأضمرَ الفاعل في «جاءهم»، والمفعولُ الثاني هو قولُه: «ما أغنى عنهم»، و«ما» استفهامية، أي: أيُّ شيءٍ أغنى عنهم تمتُّعهم في تلك السنين التي مُتِّعوها؟ وفي الكلام محذوفٌ يتضمَّنُ الضميرَ العائدَ على المفعول الأول، أي: أيُّ شيءٍ أغنى عنهم تمتُّعهم حينَ حلَّ؟ أي: الموعودُ به، وهو العذاب. وظاهرُ ما فَسَّر به المفسِّرون «ما أغنى» أنْ تكونَ «ما» نافيةً، والاستفهامُ قد يأتي مضمَّناً معنى النفي، كقوله: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤.
(٣) عند تفسير الآية (٤٦) منها.

بعد قوله: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ في سورة الأنعام [الآية:٤٧]، أي: ما يُهلَك إلَّا القومُ الظالمون. وجوَّزَ أبو البقاء في «ما» أنْ تكونَ استفهاماً ونافيةً[1].

وقرئ: «يُمْتَعُون» بإسكان الميم وتخفيف التاء[2].

ثمَّ أخبرَ تعالى أنَّه لم يُهْلِكْ قريةً من القرى إلَّا وقد أرسلَ إليها مَنْ يُنْذِرُها عذابَ الله إنْ هي عَصَتْ ولم تؤمِن، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

وجَمعَ «مُنْذِرُون» لأنَّ «مِنْ قريةٍ» عامٌّ في القُرى الظالمة، كأنَّه قيل: وما أهلكنا القرى الظالمة. والجملةُ من قوله: «لها مُنْذِرُون» في موضع الحال من «قريةٍ»، والأَغْرَبُ[3] أن تكون «لها» في موضع الحال، وارتفع «مُنْذِرون» بالمجرور أي: إلَّا كائناً لها منذِرون، فيكونُ من مجيء الحالِ مفرداً لا جملة، ومجيءُ الحال من المنفيِّ، كقولك: ما مررت بأحدٍ إلَّا قائماً = فصيحٌ.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف عُزِلت الواو عن الجملة بعدَ «إلا»، ولم تُعْزَل عنها في قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤]؟ قلت: الأصلُ عزلُ الواو؛ لأنَّ الجملةَ صفةٌ لـ «قرية»، وإذا زيدت فلتأكيدِ وصلِ الصفةِ بالموصوف، كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢]. انتهى[4].

ولو قدَّرنا «لها منذرون» جملةً لم يَجز أنْ تجيءَ صفةً بعد «إلَّا»، ومذهبُ الجمهورِ أنَّه لا تجيءُ الصفةُ بعد «إلَّا» معتمدةً على أداةِ الاستثناء، نحو: ما جاءني أحدٌ إلَّا راكبٌ، وإذا سُمِعَ مثل هذا خَرَّجوه على البدل، أي: إلَّا رجلٌ راكبٌ، ويدلُّ على صحَّة هذا المذهب أنَّ العربَ تقول: ما مررتُ بأحدٍ إلَّا قائماً، ولا يحفظ من كلامها: ما مررتُ بأحدٍ إلَّا قائم، فلو كانت الجملةُ في موضع الصفةِ للنكرة لوردَ المفردُ بعد «إلَّا» صفةً لها، فإنْ كانت الصفةُ غيرَ معتمدةٍ على

(١) الإملاء ٢/ ١٧٠.
(٢) مختصر ابن خالويه ص ١٠٨، والكشاف ٣/ ١٣٠.
(٣) في (أ) والمطبوع: والإعراب.
(٤) الكشاف ٣/ ١٣٠.

الأداةِ جاءت الصفةُ بعد «إلّا» نحو: ما جاءني أحدٌ إلّا زيدٌ خيرٌ من عمرو، التقدير: ما جاءني أحدٌ خيرٌ من عمرو إلّا زيدٌ، وأمّا كونُ الواو تُزاد لتأكيد وصلِ الصفةِ بالموصوف، فغيرُ معهودٍ في كلام النحويين، لو قلت: جاءني رجلٌ وعاقلٌ، على أن يكون وعاقل صفةً لرجل، لم يجز، وإنما تدخلُ الواو في الصفات جوازاً إذا عُطِفَ بعضُها على بعض وتغايرَ مدلولُها، نحو: مررتُ بزيدٍ الكريم والشجاع والشاعر. وأمّا ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فتقدَّم الكلامُ عليه في موضعه[1].

و«ذكرى» منصوبٌ على الحال عند الكسائيّ، وعلى المصدرِ عند الزجاج[2]، فعلى الحال إمّا أن يُقَدَّر: ذوي ذكرى، أو مُذَكّرين، وعلى المصدر فالعاملُ «مُنْذِرون»؛ لأنَّه في معنى مُذَكِّرون ذكرى، أي: تذكرةً.

وأجاز الزمخشريُّ في «ذكرى» أنْ تكون مفعولاً له، قال: على معنى أنهم ينذرونَ لأجلِ الموعظة والتذكرة، وأن تكونَ مرفوعةً صفةً بمعنى منذرون ذوو ذكرى، أو جُعِلوا ذكرى؛ لإمعانهم في التذكرةِ وإطنابهم فيها. وأجاز هو وابنُ عطية أنْ تكونَ مرفوعة على خبرِ مبتدإٍ محذوفٍ، بمعنى: هذه ذكرى، والجملةُ اعتراضية[3].

قال الزمخشريُّ: ووجهٌ آخر، وهو أنْ يكون «ذكرى» متعلِّقةً بـ «أهلكنا» مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكنا من أهل قريةٍ ظالمين إلّا بعد ما ألزمناهم الحجَّةَ بإرسال المنذِرين إليهم، ليكون إهلاكهم[4] تذكرةً وعبرةً لغيرهم، فلا يَعصُوا مثلَ عصيانهم «وما كنا ظالمين» فنهلكَ قوماً غيرَ ظالمين. وهذا الوجهُ عليه المعول. انتهى.

وهذا لا معوَّل عليه؛ لأنَّ مذهبَ الجمهور أنَّ ما قبل «إلّا» لا يعملُ فيما بعدها إلّا أن يكون مستثنى، أو مستثنى منه، أو تابعاً له غيرَ معتمد على الأداة، نحو:

---

(١) وناقش السمين شيخه أبا حيان في مناقشته للزمخشري، فانظرها في الدر المصون ٨/ ٥٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٨٠ وغيرها. وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ١٠٢.

(٣) الكشاف ٣/ ١٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤.

(٤) لفظ: إهلاكهم. من (ت) والكشاف ٣/ ١٣٠.

ما مررتُ بأحدٍ إلّا زيداً[١] خير من عمرو، والمفعول له ليسَ واحداً من هذه الثلاثة، فلا يجوزُ أن يتعلَّق بـ «أهلكنا». ويتخرَّجُ جوازُ ذلك على مذهب الكسائيِّ والأخفش، وإن كانا لم ينصَّا على المفعول له بخصوصيته[٢].

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

كان مشركو قريشٍ يقولون: إنَّ لمحمدٍ تابعاً من الجنِّ يخبرُه كما تُخْبَرُ الكهنة، فنزلت.

والضمير في «به» يعودُ على القرآن، بل نزلَ به الروحُ الأمين.

وقرأ الحسنُ: «الشياطون»[٣] وتقدَّمَتْ في «البقرة»[٤]، وقد ردَّها أبو حاتم والفرَّاء[٥]، قال أبو حاتم: هي غلطٌ منه أو عليه[٦]. وقال النحاس: هو غلطٌ عند جميع النحويين[٧]. وقال المهدويُّ: هو غير جائزٍ في العربية[٨]. وقال الفرَّاء: غلطَ

(١) في المطبوع: زيد.
(٢) قال السمين في الدر المصون ٨/ ٥٦١: والجواب أنه يختار مذهب الأخفش.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٩٤، ومختصر ابن خالويه ص١٠٨ ـ وزاد نسبتها للأعمش ـ، والمحتسب ٢/ ١٣٣، وتفسير الثعلبي ٤/ ٤٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥، والكشاف ٣/ ١٣١. وزاد الثعلبي والزمخشري نسبتها لابن السميفع.
(٤) عند تفسير الآية (١٠٢) منها.
(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: والقراءة. بدل: والفراء.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥.
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٩٤.
(٨) تفسير القرطبي ١٦/ ٨١.

الشيخُ، ظنَّ أنَّها النون التي على هجائين[١]، فقال النضرُ بن شميل: إن جازَ أن يُحْتَجَّ بقول العجاج ورؤبة، فهلَّا جازَ أن يحتج بقول الحسن وصاحبه، يريدُ محمدَ بن السميفع، مع أنَّا نعلمُ أنَّهما لم يقرأا بها إلَّا وقد سمعا فيه[٢].

وقال يونس بن حبيب: سمعتُ أعرابيًّا يقول: دخلت بساتين من ورائها بساتون، فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن! انتهى[٣].

ووُجِّهَت هذه القراءةُ بأنَّه لما كان آخرُه كآخر: يبرين وفلسطين، فكما أُجْرِيَ إعرابُ هذا على النون تارةً وعلى ما قبلَه تارةً، فقالوا: يبرين ويبرون، وفلسطين وفلسطون، أُجْرِيَ ذلك في الشياطين تشبيهاً به، فقالوا: الشياطين والشياطون[٤].

وقال أبو فَيْد مُؤَرِّج السدوسيّ: إن كان اشتقاقه من شاط ـ أي: احترق ـ يشيطُ شَوْطَةً[٥]، كان لقراءتهما وجهٌ.

قيل: ووجهُها أنَّ بناءَ المبالغة منه: شيَّاط، وجمعُه: الشيَّاطون، فخفَّفا الياء، وقد رُوي عنهما التشديد، وقرأ به غيرهما. انتهى.

وقرأ الأعمشُ «الشياطون»[٦]، كما قرأه الحسنُ وابنُ السميفَع، فهؤلاء الثلاثةُ من نقلة القرآن قرؤوا ذلك، ولا يمكنُ أن يُقَال: غلطوا؛ لأنَّهم من العلم ونقلِ القرآن بمكانٍ[٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣١، ونص عبارة الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٥: وجاء عن الحسن: «الشياطون»، وكأنه من غلط الشيخ، ظن أنه بمنزلة: المسلمين والمسلمون.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٦٥، والكشاف ٣/ ١٣١.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥.

(٤) الكشاف ٣/ ١٣١، ويبرين، ويقال: أبرين: قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء من بني سعيد بالبحرين. معجم البلدان ١/ ٧١، ٥/ ٤٢٧.

(٥) في (يه): شيوطة. وانظر قول مؤرج في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٦٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٨٢.

(٦) كما في مختصر ابن خالويه ص ١٠٨ وسلفت الإشارة إليه.

(٧) وقال الإمام الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٢٩٥: والذي أراه أنه متى صحَّ رفع هذه القراءة إلى هؤلاء الأجلَّة (يعني الحسن وابن السميفع والأعمش) لزم توجيهُها، فإنهم لا يقرؤون إلا عن رواية، كغيرهم من القراء في جميع ما يقرؤونه عندنا. انتهى.

وما أحسنَ ما ترتَّبَ نفيُ هذه الجمل، نَفَى أوّلاً تنزيلَ الشياطين به، والنفيُ في الغالبِ يكونُ في الممكن، وإن كان هنا لا يمكنُ من الشياطين التنزُّل بالقرآنِ، ثمَّ نفى انبغاءَ ذلك والصلاحية، أي: ولو فُرِضَ الإمكان لم يكونوا أهلاً له، ثمَّ نَفَى قدرتَهم على ذلك، وأنَّه مستحيلٌ في حقِّهم التنزُّل به، فارتقى من نفي الإمكان إلى نفي الصلاحية إلى نفي القدرة والاستطاعة، وذلك مبالغةٌ مترتِّبةٌ[١] في نفي تنزيلهم به، ثمَّ علَّلَ انتفاءَ ذلك بأنَّهم[٢] عن استماعِ كلام أهل السماء مرجومون بالشهب.

ثمَّ قال تعالى: «فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر» والخطابُ في الحقيقة للسامع؛ لأنَّه تعالى قد علمَ أنَّ ذلك لا يمكنُ أن يكون من الرسول ﷺ، ولذلك قال المفسِّرون: المعنى: قل يا محمد لمن كفر: «لا تدع مع الله إلهاً آخر»[٣].

ثمَّ أمرَهُ تعالى بإنذار عشيرتِه، والعشيرةُ تحتَ الفَخِذ فوق[٤] الفصيلة، ونبَّه على العشيرة وإن كان مأموراً بإنذار الناسِ كافَّةً، كما قال: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢] لأنَّ في إنذارهم ـ وهم عشيرتُه ـ عدمَ[٥] محاباةٍ ولطفٍ بهم، وأنهم والناسَ[٦] في ذلك شرعٌ واحدٌ في التخويف والإنذار، فإذا كانت القرابةُ قد خوِّفوا وأنذروا، مع ما يلحقُ الإنسانَ في حقِّهم من الرأفة، كان غيرهم في ذلك أوكدَ وأدخلَ، أو لأنَّ البداءةَ تكونُ بمن يليه، ثمَّ مَنْ بعدَه، كما قال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وكما قال عليه الصلاة والسلام حين دخل مكة: «كلُّ ربا في الجاهليةِ موضوعٌ تحت قدميَّ هاتين، فأولُ ما أضعُه ربا العباس»[٧] إذ العشيرةُ مظنَّةُ الطواعية، ويمكنُه من الغلظة عليهم ما لا يمكنُه مع غيرهم، وهم له أشدُّ احتمالاً.

---

(١) في (ت): مرتبة.
(٢) لفظ: بأنهم. من (ح).
(٣) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٨٢.
(٤) في (ت) والمطبوع: وفوق. وفي (يه): وقال. بدل: فوق. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥.
(٥) لفظة: عدم. من (يه) والمطبوع وليست في (أ) و(ح) و(ع).
(٦) من قوله: لأن في إنذارهم... إلى هنا ساقط من (ت).
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٣١، والحديث أخرجه مسلم (١٢١٨) في حديث جابر الطويل في حجة الوداع.

وامتثلَ ﷺ ما أمرَه به ربُّه من إنذار عشيرته، فنادى الأقربَ فالأقربَ فخذاً[١]، ورويَ عنه في ذلك أحاديث[٢].

«واخفض جناحك لمن اتَّبَعك من المؤمنين» تقدَّم الكلامُ على هذه الجملة[٣] في آخر «الحِجْر»، وهو كنايةٌ عن التواضع، وقال بعض الشعراء:

وأنتَ الشهيرُ بخفضِ الجناح ... فلا تكُ في رفعِهِ أَجْدَلا[٤]

نهاهُ عن التكبُّر بعد التواضع، والأجدلُ: الصقر.

و«من المؤمنين» عامٌّ في عشيرته وغيرهم، ولمَّا كان الإنذارُ يترتَّبُ عليه إمَّا الطاعة وإمَّا العصيان، جاءَ التقسيمُ عليهما، فكان المعنى: إنَّ من اتَّبعك مؤمناً فتواضع له، فلذلك جاء قسيمُه: فإنْ عصَوك فتبرَّأ منهم ومِنْ أعمالهم، وفي هذا موادعةٌ نسختها آيةُ السيف[٥].

والظاهرُ عودُ الضمير المرفوع في «عصوك» على مَنْ أُمِرَ بإنذارهم، وهم العشيرة، والذي بَرِئ منه هو عبادتُهم الأصنام واتِّخاذُهم إلهاً آخر.

وقيل: الضميرُ يعودُ على من اتَّبعَه من المؤمنين، أي: فإن عصوكَ يا محمد في الأحكام وفروعِ الإسلام بعدَ تصديقِك والإيمان بك، «فقل: إنِّي بريءٌ ممَّا تعملون»[٦]، لامنكم، أي أظهرْ عدمَ رضاكَ بعملهم، وإنكارَك عليهم، ولو أمرَهُ بالبراءةِ منهم ما بقيَ بعد هذا شفيعاً للعصاة.

---

(١) بعدها في (ح): فخذاً.

(٢) منها ما أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «فإني نذير لكم بين يديْ عذابٍ شديد»... وهذا لفظ البخاري رحمه الله.

(٣) في (ح) و(ع) والمطبوع: الجمل.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٣١.

(٥) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥.

(٦) بعدها في (ت): أي.

ثمَّ أمره تعالى بالتوكل. وقرأ نافعٌ وابنُ عامر وأبو جعفر وشيبة: «فتوكَّل» بالفاء، وباقي السبعة بالواو[١]. وناسب الوصفَ بـ «العزيز»، وهو الذي لا يُغَالب، وبـ «الرحيم» وهو الذي يرحمُك، وهاتان الصفتان هما اللتان جاءتا في أواخر قصصِ هذه السورة، فالتوكُّل على مَنْ هو بهذين الوصفين كافيةٌ شرَّ من يَعْصيه[٢] مِنْ هؤلاء وغيرهم، فهو يقهرُ أعداءَك بعزَّته، وينصرُكَ عليهم برحمته.

والتوكُّل: هو تفويضُ الأمر إلى مَنْ يملكُ الأمر ويقدرُ عليه.

ثمَّ وصف بأنَّه الذي أنتَ منه بمرأى، وذلكَ مِنْ رحمتِه بك أنْ أهَّلَكَ لعبادته وما تفعلُه من تهجُّدك.

وأكثرُ المفسِّرين ـ منهم ابن عباس ـ على أنَّ المعنى: حين تقوم إلى الصلاة[٣].

وقرأ الجمهور: «وتقلُّبَكَ» مصدرُ تقلَّب، وعطف على الكافِ في «يراك». وقرأ جناح بن حبيش: «ويُقَلِّبُكَ»[٤] مضارعُ قَلَّبَ مشدَّداً، عطفاً على «يراك».

وقال مجاهدٌ وقتادة: «في الساجدين»: في المُصَلِّين[٥]. وقال ابن عباس: في أصلابِ آدم ونوحٍ وإبراهيم حتَّى أُخرجت[٦]. وقال عكرمة: يراكَ قائماً [وراكعاً] وساجداً[٧].

---

(١) السبعة ص ٤٧٣، والتيسير ص ١٦٧، والنشر ٢/ ٣٣٦، وهي عنهم وعن شيبة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) في (أ) والمطبوع: بعضه، وفي (ح) و(ع): بغضه. والمثبت من (ت) و(به) وانظر الكشاف ٣/ ١٣١.

(٣) تفسير القرطبي ١٦/ ٨٤، وأخرجه عن ابن عباس ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٧ (١٦٠٢٠).

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٨.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٠٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٨٥، وأخرجه عنهما الطبري ١٧/ ٦٦٦، ٦٦٨ وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٩ (١٦٠٣١)، (١٦٠٣٧).

(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: خرجت. وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٨ (١٦٠٢٩).

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٠٧، وتفسير القرطبي ١٦/ ٨٥، وما بين حاصرتين منهما، وقول عكرمة أخرجه الطبري ١٧/ ٦٦٦، وابن أبي حاتم (١٦٠٣٢). وأخرج الطبري ١٧/ ٦٦٦ نحوه أيضاً عن ابن عباس.

وقيل: معنى «تقوم»: تخلو بنفسِك، وعن مجاهد أيضاً: المرادُ تقلُّب بصرِه فيمن يصلِّي خلفَه[١]، كما قال: «أتمُّوا الركوعَ والسجودَ، فوالله إنِّي لأراكم من خلفي»[٢].

وفي «الوجيز» لابن عطية: ظاهرُ الآية أنَّه يريد قيامَ الصلاة، ويَحتملُ أنْ يريدَ سائر التصرُّفات، وهو تأويلُ مجاهدٍ وقَتادة، و«في الساجدين» أي: صلاتَك مع المصلِّين، قاله ابنُ عباس وعكرمة[٣] وغيرهما. وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: أرادَ: وتقلُّبَك في المؤمنين، فعبَّر عنهم بالساجدين. وقال ابنُ جبير: أرادَ الأنبياءَ، أي: تقلُّبَك كما تَقَلَّب غيرُك من الأنبياء[٤].

وقال الزمخشريُّ: ذَكَرَ ما كان يفعلُه في جوف الليل مِنْ قيامِه للتهجُّد وتقلُّبِه في تصفُّح أحوالِ المتهجِّدين من أصحابه؛ ليطَّلع عليهم من حيث لا يشعرون، ويستبطنَ سرائرهم، وكيفَ يعملونَ لآخرتهم، كما يُحكَى أنَّه حين نُسِخَ فرضُ قيامِ الليل، طافَ تلك الليلة ببيوتِ أصحابه؛ لينظر ما يصنعون لحرصه[٥] عليهم وعلى ما يوجدُ منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات، فوجدها كبيوتِ الزنابيرِ؛ لما سَمِعَ مِنْ دَنْدَنتهم بذكر الله والتلاوة. والمراد بـ «الساجدين»: المصلُّون. وقيل: معناه: «يراكَ حين تقوم» للصلاة بالناسِ جماعةً. وتقلُّبه في الساجدين: تصرُّفه فيما بينهم؛ لقيامه[٦] وركوعِه وسجوده وقعودِه إذا أمَّهم. وعن مقاتل أنَّه سأل أبا حنيفةَ ﷺ: هل تجدُ الصلاةَ في الجماعة في القرآن؟ [فقال: لا يحضرني]،

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٨٥، وأخرجه الطبري ١٦/ ٦٦٧. قال الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٣٠٤: ولا يخفى بُعْدُ حمل ما في الآية على ما ذُكِر.
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٤)، ومسلم (٤٢٥): (١١١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٣) أخرج الطبري ١٧/ ٦٦٨ عن ابن عباس قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ قال: يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم. وأخرج عن عكرمة قال: قيامه وركوعه وسجوده. قلت: وأنت ترى أنهما في معنى قوله: المصلين.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦، وقول ابن جبير أخرجه الطبري ١٧/ ٦٦٩.
(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: بحرصه.
(٦) في الكشاف ٣/ ١٣٢: بقيامه.

فتلا هذه الآية. ويحتملُ أن لا يخفى عليَّ حالُكَ كلَّما قمتَ وتقلَّبتَ مع الساجدين في كفاية أمور الدين. انتهى[١].

«إنَّه هو السميع» لمَا تقولُه «العليمُ» بما تنويه وتعملُه.

وذهبتِ الرافضةُ إلى أنَّ آباءَ النبيِّ ﷺ كانوا مؤمنين، واستدلُّوا بقوله تعالى: «وتقلُّبكَ في الساجدين»، قالوا: فاحتملَ الوجوهَ التي ذُكِرَت واحتملَ أنْ يكون المراد أنَّه تعالى نقلَ روحَهُ من ساجدٍ إلى ساجد، كما نقوله نحن، فإذا احتملَ كلَّ هذه الوجوه وجبَ حملُ الآية على الكلِّ ضرورةً؛ لأنَّه لا منافاة ولا رجحان، وبقوله عليه الصلاة والسلام: «لم أزلْ أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»[٢] وكلُّ من كان كافراً فهو نجس؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، فأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام:٧٤] فلفظُ الأب قد يُطْلَقُ على العمِّ، كما قال[٣] أبناء يعقوب له: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٢]، سمَّوا إسماعيل أباً، مع أنَّه كان عمًّا له[٤].

«قل هل أنبئكم» أي: قل يا محمد، هل أخبرُكم. وهذا استفهامُ توقيفٍ وتقرير[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) كذا أورده الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٧٤، وأخرج أبو نعيم نحوه في دلائل النبوة (١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة...» ووهَّى إسناده الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٣٣٢. وأخرج ابن عساكر نحوه أيضاً في تاريخه ٣/ ٤٠٨ (طبعة دار الفكر) عن ابن عباس أيضاً، ولفظه: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة...» وله طرقٌ أخرى. انظر الدر المنثور ٧/ ٦٠٣-٦٠٤.

(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: قالوا. ويخرج ما في هذه النسخ على لغة: أكلوني البراغيثُ.

(٤) نقل المصنف كلام الرافضة عن الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٧٣-١٧٤، دون أن ينقل رده عليهم، وإن جاء ردُّ الإمام الرازي لكلامهم ـ كعادته ـ مقتضباً، وهاك كلامه قال: وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره، وأما حمل قوله: «وتقلبك في الساجدين» على جميع الوجوه فغير جائز؛ لما بيَّنَّا أن حمل المشترك على كل معانيه غير جائز، وأما الحديث فهو خبر واحد، فلا يعارض القرآن.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦.

و«على من» متعلِّقٌ بـ «تَنَزَّل»، والجملةُ المتضمِّنةُ معنى الاستفهام في موضع نصبٍ لـ «أنبِّئكم»؛ لأنَّه معلَّقٌ(١)، لأنَّه بمعنى: أعلمكم، فإن قدَّرتَها متعدِّيةً لاثنين، كانت سدَّت مسدَّ المفعولِ الثاني، وإن قدَّرتها متعدِّيةً لثلاثة، كانت سدَّت مسدَّ الاثنين، والاستفهامُ إذا عُلِّقَ عنه العاملُ، لا يبقى على حقيقةِ الاستفهام وهو الاستعلام، بل يَؤول معناهُ إلى الخبر، ألا ترى أنَّ قولك: علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرو، كان المعنى: علمت أحدَهما في الدار، فليس المعنى أنَّه صدرَ منه عِلْمٌ، ثمَّ استعلَمَ المخاطبَ عن تعيين مَنْ في الدار مِنْ زيدٍ وعمرو، فالمعنى هنا: هل أعلمُكم مَنْ تنزَّلُ الشياطين عليه، لا أنَّه استعلمَ المخاطبين عن الشخص الذي تنزَّلُ الشياطين عليه.

ولمَّا كان المعنى هذا، جاء الإخبارُ بعده بقوله: «تَنَزَّلُ على كلِّ أفاكٍ أثيم»، كأنه لمَّا قال: هل أخبركم بكذا؟ قيل له: أخبر، فقال: «تَنَزَّل على كلِّ أفَّاكٍ» وهو الكثير الإفك، وهو الكذب «أثيم» كثير الإثم، فـ «أفاك» و«أثيم» صيغتا مبالغةٍ، والمراد الكهنة.

والضميرُ في«يُلْقُونَ» يحتملُ أنْ يعودَ إلى الشياطين، أي: ينصتونَ ويصغونَ بأسماعهم؛ ليسترقوا شيئاً ممَّا تَتكلَّمُ به الملائكة، حتى يَنْزِلوا بها إلى الكهنة، أو «يلقونَ السمعَ» أي: المسموعَ، إلى مَنْ يَتنزَّلون عليه.

«وأكثرهم» أي: وأكثرُ الشياطينِ الملقينَ كاذبونَ، فعلى معنى الإنصات يكونُ استئنافَ إخبارٍ، وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة، احتملَ الاستئنافَ، واحتمل أنْ يكونَ حالاً من «الشياطين»، أي: تَنَزَّلُ على كلِّ أفَّاكٍ أثيمٍ، ملقينَ ما سمعوا.

ويحتملُ أنْ يعودَ الضميرُ في «يلقون» على «كلِّ أفاكٍ أثيم»، وجمعَ الضميرَ؛ لأنَّ «كل أفاكٍ» فيه عمومٌ وتحتَه أفرادٌ، واحتملَ أن يكون المعنى: يلقون سمعَهم إلى الشياطين؛ لينقلوا عنهم ما يقرُّونَهُ(٢) في أسماعهم، وأن يكون: يلقونَ السمعَ،

(١) يعني أن الاستفهام معلَّقٌ لفعل التنبئة. انظر الدر المصون ٨/ ٥٦٤. ووقع بعدها في (ح): له.

(٢) في المطبوع: يقررونه.

أي: المسموعَ من الشياطين إلى الناس[١]، «وأكثرهم» أي: أكثرُ الكهنة كاذبون، كما جاء أنَّهم يتلقَّون من الشياطين الكلمةَ الواحدةَ التي سُمِعَت من السماء، فيخلطُونَ معها مئة كذبة[٢] فإذا صدقت تلك الكلمةُ كانت سببَ ضلالةٍ لِمَنْ سمعها[٣].

وعلى كون الضمير عائداً على «كلِّ أفَّاكٍ» احتملَ أنْ يكونَ «يلقون» استئنافَ إخبار عن الأفاكين، واحتملَ أن يكون صفةً لـ «كلِّ أفَّاكٍ». ولا تعارضَ بين قوله: «كلِّ أفاك»، وبين قوله: «وأكثرُهم كاذبون»؛ لأنَّ الأفَّاك هو الذي يُكْثِرُ الكذبَ، ولا يدلُّ ذلك على أنَّه لا ينطقُ إلَّا بالإفك، فالمعنى أنَّ الأفَّاكين [قلَّ] مَنْ صَدَق منهم فيما يحكي عن الجنِّيِّ، فأكثرُهم مفترٍ. قال الزمخشريُّ[٤]: فإن قلت: «وإنَّه لتنزيلُ ربِّ العالمين»، «وما تنزَّلَت به الشياطينُ»، «هل أنبِّئكم على من تنزَّل الشياطين»، لم فرَّق بينهنَّ، وهنَّ أخوات؟ قلت: أُريدَ التفريقُ بينهنَّ بآياتٍ ليست في معناهنَّ؛ ليرجعَ إلى المجيء بهنَّ وتَطْرِيَةِ ذِكْرِ ما فيهنَّ كرَّةً بعدَ كرَّة، فيُدَلَّ بذلك على أنَّ المعنى الذي نزلنَ فيه من المعاني التي اشتدَّتْ كراهةُ الله لخلافها[٥]، ومثاله أنْ يُحَدِّث الرجلُ بحديثٍ، وفي صدرِه اهتمامٌ بشيءٍ منه وفضلُ عنايةٍ، فتراهُ يعيدُ ذكرَه، ولا ينفكُّ عن الرجوعِ إليه. انتهى.

ولمَّا ذكر الكهنةَ بإفكهم الكثير وحالِهم المقتضيةِ نفيَ كلامهم عن كلام الله تعالى، أتبع ذلك بذكر الشعراء وحالهم؛ ليتنبَّه على بُعْدِ كلامهم عن[٦] كلامِ

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٢.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨): (١٢٢) من حديث عائشة ﵂ قالت: سأل رسولَ الله ﷺ ناسٌ عن الكهان، فقال: «ليس بشيء» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدِّثونا أحياناً بشيءٍ فيكون حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحقِّ يخطفها الجنيُّ، فيقرُّها في أذن وليه، فيخلطون معها مئة كذبة».

(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦.

(٤) في الكشاف ٣/ ١٣٣ وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ: لها. بدل: لخلافها. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٣٣. ونقل الآلوسي هذا المعنى عن الزمخشري في روح المعاني ١٩/ ٣٠٦ وتصرف فيه، فصارت العبارة عنده: اشتدت عناية الله بها.

(٦) من قوله: كلامهم عن كلام الله. . . إلى هنا. من (ت) و(يه).

القرآن، إذ كان بعضُ الكفَّار قال في القرآن: إنَّه شعر، كما قالوا في الرسول: إنَّه كاهنٌ، وأنَّ ما أتى به هو من باب الكهانة، كما قال تعالى: «وما هو بقول كاهن»[١] وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤١]، فقال: «والشعراءُ يتَّبعهم الغاوون». قيل: هي في أميَّةَ بن أبي الصلت، وأبي عزَّة، ومسافع الجمحيّ، وهبيرة بن أبي وهب، وأبي سفيان بن الحارث، وابنُ الزِّبعرى، وقد أسلمَ ابنُ الزِّبعرى وأبو سفيان[٢].

«والشعراءُ» عامٌّ يدخلُ فيه كلُّ شاعرٍ، والمذمومُ مَنْ يَهجو ويمدحُ[٣] شهوةً محرَّمةً، ويقذفُ المحصنَات، ويقول الزور، وما لا يسوغُ شرعاً.

وقرأ عيسى: «والشعراءَ»[٤] نصباً على الاشتغال، والجمهورُ رفعاً على الابتداء والخبر.

وقرأ السُّلميُّ والحسنُ بخلافٍ عنه ونافعٌ: «يَتْبَعُهم» مخفَّفاً، وباقي السبعة مشدَّداً[٥]. وسكن العينَ الحسنُ وعبدُ الوارث عن أبي عمرو، ورَوى هارون نصبَها عن بعضهم[٦]. وهو مشكلٌ.

و«الغاوون» قال ابنُ عباس: الرواة. وقال أيضاً: المستحسنونَ لأشعارهم المصاحبون لهم. وقال عكرمة: الرَّعَاعُ الذينَ يتَّبعون الشاعر. وقال مجاهد وقتادة: الشياطين[٧]. وقال عطية: السفهاءُ المشركون يتَّبعونَ شعراءَهم.

«ألم تر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون» تمثيلٌ لذهابهم في كلِّ شعبٍ من القول، واعتسافِهم، وقلَّةِ مبالاتهم بالغلوِّ في المنطق ومجاوزةِ حدِّ القصدِ فيه، حتى يفضِّلوا أجبنَ الناس على عنترة، وأشحَّهم على حاتم، ويَبْهَتوا البريء، ويُفَسِّقوا التقيَّ[٨].

(١) كذا، وليس في القرآن آية بهذا السياق، وإنما قال تعالى: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٢].
(٢) تفسير الثعلبي ٤٦٨/٤، والمحرر الوجيز ٢٤٦/٤، والكشاف ١٣٣/٣.
(٣) في (أ) و(به): أو يمدح. وانظر المحرر الوجيز ٢٤٦/٤.
(٤) مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٨، وتفسير القرطبي ٩٥/١٦.
(٥) المحرر الوجيز ٢٤٦/٤ وقراءة نافع في السبعة ص ٤٧٤، والتيسير ص ١١٥.
(٦) رواه عن يعقوب، كما في مختصر في شواذ القرآن ص ١٠٨.
(٧) المحرر الوجيز ٢٤٦/٤. وقال عن قول عكرمة: وهذا أرجح الأقوال.
(٨) الكشاف ١٣٣/٣.

وقال ابن عباس: هو تقبيحُهم الحسنَ وتحسينُهم القبيح[١].

«وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون» وذلك لغلوِّهم في أفانين الكلام ولهَجِهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة، قد ينسبونَ لأنفسهم ما لا يقعُ منهم، وقد دَرَأ الحدَّ في الخمر عمرُ بن الخطاب ﷺ عن النعمان بن عديٍّ في شعرٍ قاله لزوجته حين احتجَّ عليه بهذه الآية، وكان قد ولّاه ميسان[٢]، فعزلَهُ، وأراد أن يحدَّه[٣]، والفرزدق أنشد[٤] سليمانَ بن عبد الملك:

فبِتْنَ بجانبيَّ[٥] مُصَرَّعاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقَ الخِتامِ

فقال له سليمان: لقد وجبَ عليكَ الحدُّ، فقال: لقد درأ الله عنِّي الحدَّ بقوله: «وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون»[٦].

أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالفُ أحوال[٧] النبوَّةِ، إذ أمرُهم كما ذَكَر من اتِّباع الغواةِ لهم، وسلوكِهم أفانينَ الكلامِ مِنْ مدحِ الشيءِ وذمِّه، ونسبة ما لا يقع منهم إليهم، وذلك بخلافِ حال النبوَّة، فإنَّها طريقةٌ واحدةٌ لا يَتبعها إلَّا الراشدون، ودعوةُ الأنبياء واحدةٌ، وهي الدعاء إلى توحيدِ الله وعبادته، والترغيبِ في الآخرة والصدق، هذا مع أنَّ ما جاؤوا به لا يمكنُ أن يجيءَ به غيرُهم مِنْ ظهورِ المعجز.

ولمَّا كانَ ما سبقَ ذمًّا للشعراء، واستثنى منهم من اتَّصفَ بالإيمان والعمل الصالح والإكثار من ذكر الله، وكان ذلك أغلبَ عليهم من الشعرِ، وإذا نظموا

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦.
(٢) في النسخ عدا (يه): بيسان. وهو تحريف. وميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط. معجم البلدان ٥/ ٢٤٢.
(٣) انظر الخبر في نسب قريش ص ٣٨٢، والاستيعاب ١٠/ ٣١٢-٣١٤ (بهامش الإصابة)، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦ وأسد الغابة ٥/ ٣٣٥-٣٣٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ٩٠-٩١، والإصابة ٩/ ١٦٥.
(٤) قوله: أنشد. من (ت) و(يه). وفي (ح): عند. وليست في (أ) و(ع).
(٥) في النسخ عدا (ت): كأنهن. والمثبت من (ت) والمصادر.
(٦) انظر الخبر في الأغاني ٢١/ ٣٧٣، والكشاف ٣/ ١٣٣، والقرطبي ١٦/ ٩٠.
(٧) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: حال. والمثبت من (ت) و(يه).

شعراً كان في توحيدِ الله والثناءِ عليه، وعلى رسوله ﷺ وصحبِه، والموعظةِ والزهدِ والآدابِ الحسنة، وتسهيلِ علمٍ، وكلِّ ما يسوغُ القولُ فيه شرعاً، فلا يتلطَّخون في قوله بذنبٍ ولا منقصةٍ، والشعرُ بابٌ من الكلام، حسنُه حسنٌ وقبيحُه قبيح.

وقال رجل علويٌّ لعمرو بن عبيد: إنَّ صدري ليجيشُ بالشعر، فقال: ما يمنعُك منه فيما لابأس به.

وقيل: المرادُ بالمستثنين حسان، وعبدُ الله بن رواحة، وكعبُ بن مالك وكعبُ بن زهير، ومَنْ كان ينافحُ عن رسول الله ﷺ[1]، وقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك: «اهْجُهم، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ عليهم من النَّبْل»[2]. وقال لحسان: «قل وروحُ القدس معك»[3]. وهذا معنى قوله: «وانتصروا» أي: بالقول فيمن ظلمهم. وقال عطاء بن يسار وغيره: لما ذَمّ الشعراءَ بقوله: «والشعراءُ» الآية، شقَّ ذلك على حسان وابنِ رواحة وكعب بن مالك، وذكروا ذلكَ للرسول عليه الصلاة والسلام، فنزلت آيةُ الاستثناءِ بالمدينة[4].

وخصَّ ابنُ زيد قوله: «وذكروا الله كثيراً» فقال: أي: في شعرهم. وقال ابنُ عبَّاس: صار خُلُقاً لهم وعادةً. كما قال لبيدٌ حين طُلِبَ منه شعره: إنَّ الله أبدلني بالشعرِ القرآنَ خيراً منه[5].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٣.

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢٧١٧٤) من حديث كعب بن مالك ﷺ أنه قال للنبيِّ ﷺ: إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نضح النبل».

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٢٣٧) من حديث البراء بن عازب ﷺ بلفظ: «اهج المشركين فإن روح القدس معك». وأخرجه البخاري (٣٢١٣)، (٤١٢٣)، ومسلم (٢٤٨٦) من حديث البراء أيضاً بلفظ: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك».

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٧، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٧٩ دون ذكر شكواهم لرسول الله ﷺ، وأخرج الطبري الخبر كاملاً ١٧/ ٦٧٨ من قول أبي الحسن البراد.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٧، وقولا ابن زيد وابن عباس أخرجهما الطبري ١٧/ ٦٨٠.

ولمَّا ذكر «وانتصروا من بعد ما ظلموا» توعَّدَ الظالمينَ هذا التوعُّدَ العظيمَ الهائلَ الصادعَ للأكباد، وأبهم في قوله: «أيَّ منقلبٍ ينقلبون»، ولمَّا عهدَ أبو بكرٍ لعمرَ ﵄، تلا عليه: «وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون»[١]، وكان السلفُ الصالح يتواعظون بها[٢]. والمفهومُ من الشريعة أنَّ الذين ظلموا هم الكفار، وقال الزمخشريُّ[٣]: وتفسيرُ الظلمِ بالكفرِ تعليلٌ. وكانَ ذكرَ قبلُ أنَّ «الذين ظلموا» مطلقٌ، وهذا منه على طريق الاعتزال.

وقرأ ابنُ عباس وابنُ أرقم عن الحسن: «أيَّ منفلتٍ ينفلتون» بفاءين وتاءين[٤]، ومعناه أنَّ الذين ظلموا يَطمعون أنْ ينفلتُوا من عذاب الله، وسيعلمونَ أنْ ليسَ لهم وجهٌ من وجوهِ الانفلات، وهو النجاة.

«وسيعلم» هنا معلَّقة، و«أيَّ منقلب» استفهامٌ، والناصبُ له «ينقلبون» وهو مصدرٌ، والجملةُ في موضع المفعول لـ «سيعلم».

وقال أبو البقاء: «أيَّ منقلبٍ» مصدر نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، والعامل «ينقلبون» [أي: ينقلبون] انقلاباً أيَّ منقلبٍ، ولا يعمل فيه «يعلم»؛ لأنَّ الاستفهامَ لا يعملُ فيه ما قبله. انتهى[٥].

وهذا تخليطٌ لأنَّ «أيًا» إذا وُصِفَ بها لم تكن استفهاماً، بل «أي» الموصوفُ بها قسيمٌ لـ «أيّ» المستفهمِ بها لا قسم، فـ «أيَّ» تكونُ شرطيَّةً، واستفهاميَّةً، وموصولةً، ووصفاً، وعلى مذهب الأخفش موصوفةٌ بنكرةٍ، نحو: مررتُ بأيٍّ معجبٍ لكَ، وتكونُ مناداةً؛ وُصْلةً لنداءِ ما فيه الألفُ واللام، نحو:

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٢/ ٦٧٢، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٦-٢٨٣٧ من حديث عائشة ﵂.

(٢) الكشاف ٣/ ١٣٤.

(٣) في الكشاف ٣/ ١٣٤.

(٤) في (أ): بفاء وتاء. وفي (ح) و(ع) والمطبوع: بفاء وتاءين. والمثبت من (ت) و(يه)، والقراءة عن ابن عباس في مختصر ابن خالويه ص ١٠٨، وتفسير الثعلبي ٤/ ٤٧٠، والكشاف ٣/ ١٣٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٩٧، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٥٢ لأبي بن كعب وابن عباس وأبي العالية وأبي مجلز وأبي عمران الجوني وعاصم الجحدري.

(٥) الإملاء ٢/ ١٧٠، وما سلف بين حاصرتين منه.

يا أيُّها الرجلُ، والأخفشُ يزعمُ أنَّ التي في النداءِ موصولةٌ[1]، ومذهبُ الجمهورِ أنَّها قِسْمٌ برأسه، والصفةُ تقع حالاً من المعرفة، فهذه أقسامُ «أيّ»، فإذا قلت: قد علمت أيَّ ضربٍ تضرب، فهي استفهاميَّةٌ لا صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ.

❁ ❁ ❁

(١) انظر مغني اللبيب ١/ ١٠٩.

سورة النمل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ (١) هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ (٥)
وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا
بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٩) وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا
تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ (١١) وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي
تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ
مُّبِينٞ (١٣) وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (١٤)
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٥)
وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ
لَا يَشۡعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ
ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ
لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ (٢١) فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ

وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞
قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ
أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ
وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ
إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ
يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن
مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ
مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى
ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

المفردات الوَزْعُ أصلُه الكفُّ والمنع، يقال: وَزَعَهُ يَزَعُهُ، ومنه قول عثمان ﷺ: ما يزعُ السلطان أكثر ممَّا يزعُ القرآن[١]. وقول الحسن: لا بدَّ للقاضي مِنْ وَزَعَة[٢]. وقول الشاعر:

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٣/ ٩٨٨، وابن عبد البر في التمهيد ١/ ١١٨.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٩/ ١٦٠، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ١/ ١١٨، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٣.

ومـن لـم يَـزَعْـه لـبُّـه وحَـيـاؤه فـلـيسَ لـه مـن شـيـبِ فَـوْدَيـهِ وَازِعُ[(١)]

النمل: جنسٌ، واحدُه: نَمْلة، ويقال بضمِّ الميم فيهما، وبضمِّ النون مع ضمِّ الميم، وسُمِّيَ بذلك لكثرة تنمُّله، وهو حركتُه[(٢)].

الحَطْم: الكسر، قاله النحاس[(٣)].

التَّبَسُّم: ابتداءُ الضحك، و«تفعَّل» فيه بمعنى المجرَّد، وهو: بَسَمَ، قال الشاعر:

وتَـبْـسِـمُ عـن ألـمـى كـأنَّ مُـنَـوِّراً تَـخَـلَّـلَ حُـرَّ الـرَّمـلِ دِعْـصٌ لـه نَـدِ[(٤)]

وقال آخر:

أبـدى نـواجـذَه لـغـيـرِ تـبـسُّـمِ[(٥)]

التفقُّد: طلبُ ما فقدتَه وغاب عنك.

---

(١) البيت لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من قصيدة في رثاء الإمام الشافعي رحمه الله، ذكرها بطولها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢/ ٤١٢، والمزي في تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٧٧. وقوله: فوديه؛ الفَوْد: ناحية الرأس. القاموس (فود).

(٢) انظر النكت والعيون ٤/ ٢٠٠، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٢٠.

(٣) لم أقف عليه في إعراب القرآن أو معاني القرآن للنحاس.

(٤) هو لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة، وهو في ديوانه ص٩، (طبعة مجمع اللغة العربية)، وشرح المعلقات التسع المشهورات للنحاس ١/ ٢١٦. قال شارح الديوان الأعلم الشنتمري: وتَبْسِمُ عن ألمى، أي: أسمر اللثات. كأن منوِّراً: أي: كأنَّ به منوِّراً، يعني أقحواناً قد ظهر نَوْرُه، فشبّه بياض الثغر ببياض نَوْرِ الأقحوان. وقوله: تخلَّلَ حرَّ الرمل، أي: توسطه ونبت بينه، وذلك أنعم لنبته ونَوْره. وحُرُّ الرمل: أكرمه وأحسنه ألواناً. والدِّعص: كثيب من الرمل ليس بكثير. وقوله: له الهاء للمنوِّر. والندي: الذي في أسفله الماء، وإذا كان كذلك تنعَّم الأقحوان وصفا لونه. انتهى مختصراً.

(٥) عجز بيت لعنترة من معلقته المشهورة، وصدره:

لـمَّـا رآنـي قـد قـصـدتُ أريـدُهُ

وهو في ديوانه ص٢١٢، وشرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ٢/ ٥١٣.
قال شارح الديوان: أبدى نواجذه، أي: كلح غيظاً عليَّ وموجدةً، وقوله: لغير تبسُّم، أي لم يكن إبداؤه لنواجذه من أجل التبسُّم، بل كلوحاً. والنواجذ: آخر الأضراس.

الهُدْهُد: طائرٌ معروفٌ، وتصغيرُه على القياس: هديهد، وزعمَ بعضُهم[١] أنَّ ياءَه أبدلت ألفاً في التصغير، فقيل: هُدَاهد، قال الشاعر:

كَهُدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاةُ جَنَاحَهُ[٢]

كما قالوا: دُوابَّة وشُوابَّة، يريدون: دُويبَّة وشويبَّة.

سبأ: هو سبأ بنُ يشجب بنِ يَعْرُبَ بن قحطان[٣]، وهو يصرفُ ولا يصرفُ، إذا صار اسماً للحيِّ والقبيلة، أو البقعة التي تسمَّى مأرب، سُمِّيَتْ باسم الرجل[٤].

الخِبْءُ: الشيء المخبوءُ، من: خَبَأْتُ الشيءَ خَبْأً: سَتَرْتُه، وسُمِّيَ المفعولُ بالمصدر[٥].

الهديَّة: ما سِيقَ إلى الإنسان مما يُتحَفُ به على سبيل التكرمة.

العِفْريتُ والعِفْرُ والعِفْرِيةُ والعُفَارية من الرجالِ: الخبيثُ المنكرُ الذي يَعْفِرُ أقرانَه، ومن الشياطين: الخبيثُ الماردُ[٦]، قال الشاعر:

كأَنَّه كَوْكَبٌ في إثْرِ عِفْرِيَةٍ مُصَوَّبٌ في سوادِ الليل مُنْقَضِبُ[٧]

الصرح: القصرُ، أو صحنُ الدار، أو ساحتُها أو البركة، أو البلاط المتَّخذُ من القوارير؛ أقوالٌ تأتي في التفسير.

---

(١) هو الكسائي، نسبه له اللحياني، كما في اللسان وتاج العروس (هدد)، وأنكر الأصمعيُّ ذلك قال: ولا أعرفه مصغراً، إنما يقال في كل ما هَدَلَ وهَدَر. قال ابن سيده: وهو الصحيح؛ لأنه ليس فيه ياء التصغير.

(٢) صدر بيت للراعي النميري، وعجزه:

يَدْعو بقارعَةِ الطريقِ هَديلا

وهو في ديوان الراعي ص٢٣٨.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣.

(٤) سيذكر المصنف عند تفسير الآية أن من صرفه جعله اسماً للحي أو للموضع أو للأب، ومن منعه جعله اسماً للقبيلة أو البقعة.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٦) الكشاف ٣/ ١٤٨.

(٧) هو لذي الرمة، ديوانه ١/ ١١١، وفيه مُسَوَّم. بدل: مصوَّب. قال شارحه: يصف ثوراً فيقول: كأن الثور في سرعته كوكب في إثر شيطان. ومنقضب: منقض.

السَّاقُ معروفٌ، يُجْمَعُ على أَسْؤُق في القلّة، وعلى سُؤُوْق وسُوق في الكثرة، وهمزُهُ لغةٌ.

المُمَرَّد: المُمَلَّس، ومنه الأمرد، وشجرةٌ مَرْداء: لا ورقَ عليها.

القواريرُ جمعُ قارورة.

* * *

سورة النمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

التفسير هذه السورةُ مكّيّةٌ بلا خلاف. ومناسبةُ أوّل هذه السورةِ لآخر ما قبلها واضحةٌ؛ لأنَّه قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠]، وقبلَه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وقال هنا: «طس تلك آيات القرآن» أي: الذي هو تنزيلُ ربِّ العالمين.

وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيلِ التفخيم لها والتعظيم؛ لأنَّ المضافَ إلى العظيمِ عظيمٌ.

والكتابُ المبين إمَّا اللوحُ، وإبانتُه أنْ قد خُطَّ فيه كلُّ ما هو كائنٌ، فهو يُبيِّنُهُ للناظرين، وإمَّا السورة وإمَّا القرآن، وإبانتُهما أنَّهما يُبيِّنان ما أودِعاهُ من العلوم والحكم والشرائع، وأنَّ إعجازهما ظاهرٌ مكشوف[1].

ونكَّرَ «وكتابٍ مبين» ليبهَم بالتنكير، فيكونَ أفخمَ له، كقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[2]، وإذا أُريدَ به القرآن، فعطفه من عطفِ إحدى الصفتين على الأخرى لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة من حيث إنَّ مدلولَ «القرآنِ» الاجتماع، ومدلولَ «كتابٍ» الكتابة[3].

وقيل: القرآنُ والكتاب اسمانِ علمان على المنزَّل على محمدٍ ﷺ، فحيث جاء بلفظِ التعريف فهو العلم، وحيثُ جاء بوصفِ النَّكرة فهو الوصف[4].

وقيل: هما يجريان مجرى: العباس وعباس، فهو في الحالين اسم العلم. انتهى.

وهذا خطأ؛ إذ لو كان حالةَ نَزْعِ «ال» منه علماً، ما جاز أنْ يوصَف بالنكرة، ألا ترى إلى قوله: «وكتابٍ مبين»، ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١] وأنت لا تقول: مررتُ بعباسٍ قائمٍ، تريدُ به الوصف.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «وكتابٌ مبين» برفعهما[5]، التقدير: وآياتُ كتاب، فحُذِفَ المضاف، وأقيمَ المضافُ إليه مُقامه، فأعرب بإعرابه.

وهنا تقدَّم القرآن على الكتاب وفي «الحجر» عكسُه، ولا يظهرُ فرقٌ، وهذا كالمتعاطفين في نحو: ما جاء زيدٌ وعمرو، فتارةً يظهر ترجيحٌ، كقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] وتارةً لا يظهر، كقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾[6] [الأعراف: ١٦١].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٩٩.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨، والكشاف ٣/ ١٣٥، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٥٤ نسبتها لأبي المتوكل وأبي عمران.

(٦) الكشاف ٣/ ١٣٥.

قال يحيى بن سلام: «هدًى» إلى الجنة «وبشرى» بالثواب. وقال الشَّعبيُّ: «هدًى» من الضلال «وبشرى» بالجنة[١].

و«هدًى وبشرى» مقصوران، فاحتملَ أن يكونا منصوبين على الحال، أي: هاديةً ومبشِّرَةً. قيل: والعاملُ في الحال ما في «تلك» من معنى الإشارة، واحتملَ أن يكونا مصدرين[٢]، واحتملا الرفعَ على إضمار مبتدأ، أي: هي هُدًى وبشرى، أو على البدل من «آياتُ»، أو على خبرٍ بعد خبر، أي: جَمَعَتْ بين كونِها آيات وهدًى وبشرى[٣].

ومعنى كونها هدًى للمؤمنين زيادةُ هداهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٤] [التوبة: ١٢٤].

وقيل: «هدًى» لجميع الخلق، ويكون الهدى بمعنى الدلالة والإرشاد والتبيين، لا بمعنى تحصيلِ الهدى الذي هو مقابلُ الضلال، و«بشرى للمؤمنين» خاصَّةً.

وقيل: «هدًى» للمؤمنين «وبشرى» للمؤمنين، وخصَّهم بالذِّكر لانتفاعهم به.

«وهم بالآخرة هم يوقنون» تَحتملُ هذه الجملةُ أنْ تكونَ معطوفةً على صلة «الذين»، ولمَّا كان «يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة» ممَّا يتجدَّدُ ولا يستغرقُ الأزمان، جاءت الصلة فعلاً، ولمَّا كان الإيمان بالآخرة ممَّا هو ثابتٌ عندهم مستقرُّ الديمومة، جاءت الجملةُ اسميَّةً، وأكدت المسندَ إليه فيها بتكراره، فقيل: «هم يوقنون» وجاء خبرُ المبتدأ فعلاً؛ ليدلَّ على الديمومة، واحتمل أنْ تكونَ الجملةُ استئنافَ إخبارٍ.

قال الزمخشريُّ: ويحتملُ أن تتمَّ الصلةُ عنده ـ أي: عند قوله: «وهم» ـ قال: وتكونُ الجملةُ اعتراضيَّةً، كأنَّه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات مِن

(١) النكت والعيون ٤/ ١٩٢-١٩٣.
(٢) هو أحد احتمالين ذكرهما ابن عطية، والثاني أن يكون خبر مبتدأ محذوف. انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٥.
(٤) المصدر السابق.

إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجهُ، ويدلُّ عليه أنَّه عقدَ جملةً ابتدائيَّةً، وكرَّر فيها المبتدأ الذي هو «هم»، حتى صار معناها: وما يوقنُ بالآخرةِ حقَّ الإيقان إلَّا هؤلاء الجامعونَ بين الإيمان والعمل الصالح؛ لأنَّ خوفَ العاقبةِ يحملُهم على تحمُّل المشاق. انتهى(١).

وقوله: وتكونُ الجملة اعتراضية؛ هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونِها لا تقعُ إلَّا بين شيئين متعلِّقٍ بعضهما ببعض، كوقوعها بين صلةٍ وموصول، وبين جزأي إسناد، وبين شرطٍ وجزائه، وبين نعتٍ ومَنعوت، وبين قَسَمٍ ومُقْسَم عليه، وهنا ليست واقعةً بين شيئين ممَّا ذكر. وقوله: حتَّى صارَ معناها... إلخ؛ فيه دسيسةُ الاعتزال.

وقال ابنُ عطية: و«الزكاةَ» هنا يحتملُ أن تكونَ غيرَ المفروضة؛ لأنَّ السورةَ مكِّيَّةٌ قديمة، ويحتملُ أن تكونَ المفروضة من غير تفسير. وقيل: «الزكاة» هنا بمعنى الطهارة من النقائص، وملازمةِ مكارم الأخلاق. انتهى(٢).

ولمَّا ذكرَ تعالى المؤمنين الموقنين بالبعث، ذكر المنكِرين، والإشارةُ إلى قريش ومَنْ جرى مجراهم في إنكار البعث. والأعمالُ إمَّا أنْ تكون أعمالَ الخير والتوحيد التي كان الواجب عليهم أن تكونَ أعمالهم، فعموا عنها وتردَّدوا وتحيَّروا، وينسبُ هذا القولُ إلى الحسن البصريّ(٣)، أو أعمال الكفر والضلال، فيكون تعالى قد حبَّب ذلك إليهم وزيَّنَه بأن خلقَه في نفوسهم(٤)، فرأوا تلك الأعمال القبيحةَ حسنةً.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف أسندَ تزيين(٥) أعمالهم إلى ذاته، وقد أسندَهُ إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤]؟ قلت: بين الإسنادين فرقٌ، وذلك أنَّ إسنادَه إلى الشيطانِ حقيقةٌ، وإسنادَه إلى الله تعالى مجازٌ،

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٥-١٣٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٦.
(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨.
(٥) في (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: تزين، والمثبت من (ح).

وله طريقان في علم البيان: أحدهما: أن يكون من المجاز الذي يسمَّى الاستعارة. والثاني: أن يكون من المجاز الحكميّ. فالطريقُ الأوَّل أنَّه لما متَّعهم بطولِ العمر وسَعَة الرزق، وجعلوا إنعامَ الله عليهم بذلك وإحسانَه إليهم ذريعةً إلى اتِّباع شهواتهم، وبطرِهم، وإيثارهم الترفُّهَ، ونفارِهم عمَّا يلزمُهم فيه التكاليفُ الصعبةُ والمشاقُّ المتعبةُ، فكأنَّه زيَّن لهم بذلك أعمالهم، وإليه إشارةُ الملائكةِ بقولهم: ﴿وَلَٰكِن[١] مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨] والطريق الثاني أنَّ إمهالَه الشيطانَ وتخليتَهُ حتى يُزَيِّنَ لهم ملابسةٌ ظاهرة للتزيين، فأُسند إليه؛ لأنه المجاز الحكمي[٢] يصححه[٣] بعضُ الملابسات. انتهى. وهو تأويلٌ على طريق الاعتزالِ[٤].

«أولئك» إشارةٌ إلى منكري البعث، و«سوء العذاب» الظاهرُ أنَّه ليس مقيَّداً بالدُّنيا، بل لهم ذلك في الدُّنيا والآخرة. وقيل: المعنى: في الدُّنيا، وفُسِّرَ بِما نالهم يومَ بَدرٍ من القتل والأسر والنهب[٥]. وقيل: ما ينالونَه عند الموت وما بعدَه من عذاب القبر. و«سوءُ العذاب»: شدَّتُه وعظمه.

والظاهر أنَّ «الأخسرون» أفعل التفضيل، وذلك أنَّ الكافرَ خسرَ الدُّنيا والآخرة، كما أخبر عنه تعالى[٦]، وهو في الآخرة أكثرُ خسراناً؛ إذ مآلُه إلى عقابٍ دائم، وأمَّا في الدُّنيا، فإذا أصابَهُ بلاءٌ فقد يزولُ عنه وينكشف، فكثرةُ الخسرانِ وزيادتُه إنَّما ذلك له في الآخرة. وقد تترتَّبُ[٧] الأكثريَّة ـ وإن كان المسندُ إليه واحداً ـ بالنسبة إلى الزمان والمكان أو الهيئة أو غير ذلك ممَّا يقبلُ الزيادة.

---

(١) في النسخ: بل. بدل: ولكن. وهو خطأ.
(٢) في النسخ: المجتاز المحكي. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٣٦.
(٣) لفظ: يصححه. من (ت) و(يه).
(٤) قال الإمام الآلوسي رحمه الله: والداعي له إلى أحد الأمرين إيجاب رعاية الأصلح عليه عز وجل.
(٥) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٣٦.
(٦) يشير إلى قوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].
(٧) في (ت) والمطبوع: ترتب.

وقال الكرمانيّ: «أفعل» هنا للمبالغة لا للشركة[١]. كأنّه يقول: ليس للمؤمن خسرانٌ البتّة حتّى يَشْرَكَهُ فيه الكافرُ ويزيدَ عليه. وقد بيَّنا كيفيَّة الاشتراكِ بالنسبة إلى الدنيا والآخرة.

وقال ابنُ عطية: «والأخسرون» جمعُ أخسر؛ لأنَّ «أفعل» صفةٌ لا يجمعُ إلَّا أن يضاف، فتقوَى رتبتُه في الأسماء[٢].

وفي هذا نظرٌ. انتهى، ولا نظرَ في كونه يُجمع جمعَ سلامةٍ وجمَع تكسير إذا كان بـ «أل»، بل لا يجوزُ فيه إلَّا ذلك إذا كان قبلَه ما يطابقُه في الجمعيَّة، فتقول: الزيدونَ هم الأفضلونَ والأفاضل، والهنداتُ هنَّ الفضلياتُ والفُضَل. وأما قوله: لا يجمع إلَّا أن يضاف. فلا يتعيَّنُ إذ ذاكَ جمعُه، بل إذا أُضيف إلى نكرةٍ فلا يجوز جمعُه، وإن أضيفَ إلى معرفةٍ جازَ فيه الجمع والإفراد على ما قُرِّرَ ذلك في كتب النحو.

ولمَّا تقدَّم «تلك آياتُ القرآن» خاطبَ نبيَّه بقوله: «وإنَّك» أي[٣]: هذا القرآنُ الذي تلقَّيتَهُ هو من عند الله تعالى، وهو الحكيمُ العليمُ، لا كما ادَّعاهُ المشركونَ من أنَّه إفكٌ وأساطيرُ وكهانةٌ وشعرٌ وغيرُ ذلك مِنْ تقوُّلاتهم.

وبنى الفعلَ للمفعول وحذفَ الفاعل، وهو جبريل عليه السلام؛ للدلالة عليه في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. ولَقِيَ يتعدَّى إلى واحدٍ، والتضعيفُ فيه للتعدية، فيعدَّى به إلى اثنين، وكأنَّه كان غائباً عنه فلقيه فتلقَّاه.

قال ابنُ عطيَّة: ومعناه: يُعْطَى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، وقال الحسن: المعنى: وإنَّك لتقبلُ القرآن[٤].

وقيل: معناه: تلقَّنُ[٥].

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٢/ ٨٤٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨. والنظر الآتي هو لأبي حيان لا لابن عطية.
(٣) بعدها في (ح): إن.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٩.
(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٣٧.

والحكمة: العلمُ بالأمور العمليَّة[١]، والعلمُ أعمُّ منه؛ لأنَّه يكونُ عملياً ونظريّاً، وكمالُ العلم تعلُّقه بكلِّ المعلومات وبقاؤه مصوناً عن كلِّ التغيُّرات، ولا يكون ذلك إلَّا لله تعالى[٢].

وهذه الآيةُ تمهيدٌ لما يُخبِرُ به من المغيَّبات وبيانُ قَصصِ الأمم الخالية ممَّا يدلُّ على تلقِّيه ذلك من جهة الله، وإعلامِه بلطيفِ حكمتِه ودقيق علمِه تعالى.

قيل: وانتصب «إذ» بـ: اذكر مضمرةً، أو بـ «عليم»[٣]، وليس انتصابُه بـ «عليم» واضحاً؛ إذ يصيرُ الوصفُ مقيَّداً بالمعمول.

وقد تقدَّمَ طرفٌ من قِصَّة موسى عليه السلام في رحيله[٤] بأهله من مَدْين في سورة طه. وظاهر أهله انَّه جمعٌ، لقوله: «سآتيكم» و«تصطلون». ورُوي أنَّه لم يكن معه غيرُ امرأته[٥]. وقيل: كانت وَلَدَت له وهو عند شعيب ولداً، فكان مع أمِّه، فإنْ صحَّ هذا النقلُ كان من باب خطاب ما ليس بجمعٍ خطابَ الجمعِ على سبيل الإكرامِ والتعظيم.

وكان الطريقُ قد اشتبهَ عليه، والوقت بارد، والسير في ليل؛ فتشوَّفَت نفسُه إذ رأى النارَ إلى زوال ما لحق من إضلال الطريق وشدَّةِ البرد، فقال: «سآتيكم منها بخبرٍ» أي: مِنْ مُوْقِدِها بخبرٍ يدلُّ على الطريق «أو آتيكم بشهابٍ قبسٍ» أي: إن لم يكن هناك مَنْ يُخبر، فإنّي أستصحبُ ما تَدَفَّؤونَ به منها.

وهذا الترديدُ «أو» ظاهرٌ؛ لأنَّه كان مطلوبُه أوَّلاً أن يَلْقى على النار مَنْ يُخْبِر بالطريق، فإنَّه مسافرٌ ليس بمقيم، فإن لم يكن أحدٌ فهو مقيم، فيحتاجون لدفع ضَرَرِ البرد، وهو أنْ يأتيهم بما يَصْطَلون، فليس محتاجاً للشيئين معاً، بل لأحدهما؛ الخبرُ إن وُجِدَ من يخبرُه فيرحل، أو الاصطلاء إن لم يجد وأقام، فمقصودُه إمَّا

(١) في (ت) و(يه): العلمية.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ١٨١.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٧.
(٤) في المطبوع: رحلته.
(٥) الكشاف ٣/ ١٣٧.

هدايةُ الطريق، وإمَّا اقتباسُ النار، وهو معنى قوله: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: ١٠].

وجاء هنا «سآتيكم منها بخبر» وهو خبر، وفي «طه»: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: ١٠] وفي «القصص»: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ [الآية: ٢٩]، وهو ترجٍّ، ومعنى الترجِّي مخالفٌ لمعنى الخبر، ولكنَّ الرجاء إذا قوي جازَ للراجي أن يخبرَ بذلك، وإن كانت الخيبةُ يجوزُ أن تقع. وأتى بسين الاستقبال إمَّا لأنَّ المسافةَ كانت بعيدةً، وإمَّا لأنَّه قد يمكنُ أن يُبْطِئ لما قَدَّرَ أنَّه قد يعرضُ له ما يبطِئه[١].

والشِّهاب: الشُّعلةُ، والقَبَسُ: النار المقبوسَةُ، فَعَلٌ بمعنى مفعول، وهو القطعةُ من النار في عودٍ أو غيره. وتقدَّم ذلك في «طه».

وقرأ الكوفيُّون: «بشهابٍ» منوَّناً ف «قبس» بدلٌ أو صفةٌ؛ لأنَّه بمعنى المقبوس. وقرأ باقي السبعة بالإضافة، وهي قراءة الحسن[٢].

قال الزمخشريُّ: أضاف الشهابَ إلى القبس؛ لأنَّه يكونُ قبساً وغيرَ قبس[٣]. واتَّبع في ذلك أبا الحسن[٤]. قال أبو الحسن: الإضافةُ أجودُ وأكثرُ في القراءة، كما تقول: دارُ آجُرٍّ، وسِوَارُ ذهبٍ[٥].

والظاهرُ أنَّ الضميرُ في «جاءها» عائدٌ على النار، وقيل: على الشجرة، وكان قد رآها في شجرة سَمُرٍ خضراء ـ وقيل: عُلَّيق ـ وهي لا تحرقها، كلَّما قَرُب منها بَعدت[٦].

و«نودي» المفعولُ الذي لم يُسمَّ فاعلُه الظاهرُ أنَّه ضميرٌ عائدٌ على موسى عليه السلام، و«أنْ» ـ على هذا ـ يجوز أن تكونَ مفسِّرةً؛ لوجودِ شرط المفسِّرة فيها،

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٣٧.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٩، والقراءة في السبعة ص٤٧٨، والتيسير ص١٦٧، والكوفيون هم حمزة والكسائي وعاصم.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٧.
(٤) هو الأخفش.
(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٠.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٩.

ويجوزُ أن تكونَ مصدرِيَّةً، إمَّا الثنائيَّة التي تنصبُ المضارعَ، و«بورك» صلةٌ لها، والأصلُ حرفُ الجرِّ، أي: بأنْ بُورك، و«بورك» خبر، وإمَّا المخففةُ من الثقيلة، وأصلُها حرفُ الجرّ[١].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: هل يجوزُ أن تكون المخفَّفة من الثقيلة، وتقديره: بأنَّه بوركَ، والضميرُ ضمير الشأن والقصة؟ قلت: لا؛ لأنَّه لا بدَّ من «قد»، فإن قلت: فعلى إضمارها؟ قلت: لا يصحُّ؛ لأنَّها علامةٌ ولا تحذف. انتهى[٢].

ويجوزُ أن تكونَ المخففةَ من الثقيلة، و«بورك» فعلُ دعاءٍ، كما تقول: باركَ الله فيك، وإذا كان دعاءً لم يجزْ دخولُ «قد» عليه، فيكون كقوله تعالى: ﴿والخامِسَةَ أنْ غَضبَ اللهُ عَليها﴾ [النور: ٩] في قراءة من جَعَلَه فعلًا ماضياً[٣]، وكقول العرب: إمَّا أنْ جَزاكَ الله خيراً وإما أنْ يغفرَ الله لك، وكأنَّ الزمخشريَّ بنى ذلك على أنَّ «بوركَ» خبرٌ لا دعاء، فلذلك لم يُجِزْ أنْ تكون مخفَّفةً من الثقيلة.

وأجاز الزجاج[٤] أن تكونَ «أنْ بورك» في موضع المفعول الذي لم يسمَّ فاعلُه، وهو على إسقاط الخافض، أي: نوديَ بأن بورك، كما تقول: نُودِيَ بالرُّخْصِ. ويجوز أن تكون أن الثنائيَّة أو المخفَّفة من الثقيلة، فيكون «بورك» دعاءً. وقيل: المفعولُ الذي لم يسمَّ فاعله هو ضمير النداء، أي: نودي هو أي: النداء، ثم فُسِّرَ بما بعده.

و«بوركَ» معناهُ: قدِّسَ وطُهِّرَ وزِيدَ خيرُه، ويقال: باركَكَ اللهُ، وبَارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك. وقال الشاعر:

فبُورِكْتَ مولوداً وبوركتَ ناشئاً ... وبوركتَ عند الشَّيبِ إذ أنتَ أشيبُ[٥]

---

(١) في (أ) و(ع): الحرف الجر، وفي (ح): الجر بحرف الجر. ومن قوله: وبورك خبر... إلى هنا. ليس في (ت).
(٢) الكشاف ٣/ ١٣٧.
(٣) هي قراءة نافع، كما في التيسير ص١٦١، وسلفت في موضعها.
(٤) في معاني القرآن له ٤/ ١٠٩.
(٥) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٤٧٧، والبيت للكميت، وهو في ديوانه ص٥٢٦.

وقال آخر:

بُورِكَ المَيِّتُ الغريبُ كما بو　　رِكَ يَنْعُ[1] الرمَّانِ والزيتون

وقال عبد الله بن الزبير:

فبورِكَ في بَنيكَ وفي بَنيهم　　إذا ذُكروا ونحنُ لكَ الفِداءُ[2]

و«مَنْ» المشهور أنَّها لمن يعلم، فقال ابن عباس وابن جُبير والحسن وغيرهم: أرادَ اللهُ تعالى بـ «مَن في النار» ذاتَهُ[3]. وعَبَّرَ بعضُهم بعباراتٍ شنيعةٍ مردودةٍ بالنسبة إلى الله تعالى، وإذا ثبتَ ذلك عن ابن عباس ومن ذُكِرَ، أُوِّلَ على حذفٍ، أي: بُورك مَنْ قدْرَتُه وسلطانُه في النار.

وقيل: «مَن» لموسى عليه السلام، أي: بُورِكَ مَنْ في المكان أو الجهةِ التي لاحَ له فيها النار[4].

وقال السُّدِّيُّ: «مَن» للملائكة الموكَّلين بها[5].

وقيل: «مَنْ» تقعُ هنا على ما لا يعقل. فقال ابن عباس: أراد النور[6]. وقيل: الشجرة التي تتَّقِدُ فيها النار[7].

وقيل: والظاهر في «ومن حولها» أنَّه لمن يعقل[8] فَفُسِّر بموسى[9]، وفُسِّر بالملائكة، ويدلُّ عليه قراءةُ أُبيّ - فيما نَقل أبو عمرو الداني - وابنِ عباس ومجاهدٍ

(١) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: نبع، وفي (ت): نفع. والمثبت من (ح). والبيت لأبي طالب، وسلف عند تفسير الآية (٩٩) من سورة الأنعام برواية: نضج، وعند تفسير الآية (٣٥) من سورة النور برواية: نضر.

(٢) الأغاني ١٤/ ٢٤٦، والحماسة البصرية ١/ ١٣٩، وهو أيضاً في النكت والعيون ٤/ ١٩٧.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٠، وأخرج أقوالهم الطبري ١٨/ ١٠.

(٤) انظر زاد المسير ٦/ ١٥٥.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٩٥.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٠.

(٧) النكت والعيون ٤/ ١٩٥.

(٨) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يعلم. والمثبت من (ت).

(٩) في (أ) و(ع): تفسير بموسى. وني المطبوع: تفسير يا موسى. والمثبت من (ت) و(ح).

وعكرمة: «ومَنْ حولها[١] من الملائكة»[٢] وتُحملُ هذه القراءةُ على التفسير؛ لأنَّها مخالِفةٌ لسوادِ المصحف المُجمَع عليه، وفُسِّر أيضاً بموسى والملائكة عليهم السلام معاً[٣].

وقيل: تكون لما لا يعقل، وفُسِّرَ بالأمكنة التي حولَ النار. وجديرٌ أنْ يُبَارَكَ مَنْ فيها ومَنْ حواليها؛ إذ حَدَثَ أمرٌ عظيمٌ، وهو تكليمُ الله لموسى عليه السلام وتنبيئُه، وبَدَاءَةُ النداء بالبركة تبشيرٌ لموسى وتأنيسٌ له ومقدِّمةٌ لمناجاته.

والظاهر أنَّ قوله: «وسبحان الله ربِّ العالمين» داخلٌ تحت قوله: «نُودِيَ» لمَّا نودي ببركةِ من ذكر، نُودِيَ أيضاً بما يدلُّ على التنزيه والبراءةِ من صفات المُحْدَثين ممَّا عسى أنْ يخطرَ ببال، ولاسيَّما إنْ حُمِل «من في النار» على تفسير ابن عباس أنَّ «مَن» أُريدَ به الله تعالى، فإنَّ ذلك دالٌ على التحيُّزِ، فأتى بما يقتضي التنزيه.

وقال السُّدِّيّ: هو من كلام موسى لمَّا سمع النداء، قال: «وسبحانَ الله ربِّ العالمين» تنزيهاً لله تعالى عن سمات المُحْدَثين.

وقال ابنُ شجرةَ: هو من كلامِ الله، ومعناه: وبوركَ من سبَّح اللهَ[٤]. وهذا بعيدٌ مِنْ دلالة اللفظ.

وقيل: «وسبحانَ الله ربِّ العالمين» خطابٌ لمحمَّد عليه الصلاة والسلام، وهو اعتراضٌ بين الكلامين، والمقصودُ به التنزيه[٥].

ولمَّا آنسَه تعالى ناداهُ وأقبلَ عليه فقال: «يا موسى إنَّه أنا اللهُ العزيزُ الحكيم» والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «إنَّه» ضميرُ الشأن، و«أنا الله» جملةٌ في موضع الخبر، و«العزِيز الحكيم» صفتان، وأجازَ الزمخشريُّ أن يكون الضميرُ في «إنَّه» راجعاً إلى

---

(١) من قوله: أنه لمن يعقل... إلى هنا ليس في (يه).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٠.
(٣) هو قول محمد بن كعب، أخرجه عنه الطبري ١٨/ ١٣.
(٤) قولا السدي وابن شجرة ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٩٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٠.

ما دلَّ عليه ما قبلَه، يعني: إنَّ مكلِّمَكَ أنا، و«الله» بيانٌ لـ «أنا»، و«العزيز الحكيم» صفتان للبيان[(١)]. انتهى.

وإذا حُذِفَ الفاعل وبُنِيَ الفعلُ للمفعول، فلا يجوزُ أن يعودَ الضميرُ على ذلك المحذوف؛ إذ قد غُيِّر الفعلُ عن بنائه له، وعُزِم على أنْ لا يكون محدَّثاً عنه، فعودُ الضمير إليه ممَّا ينافي ذلك؛ إذ يصيرُ مقصوداً مُعتنًى به[(٢)].

وهذا النداءُ والإقبالُ والمخاطبةُ تمهيدٌ لما أرادَ اللهُ تعالى أنْ يظهرَه على يده من المعجِز، أي: أنا القويُّ القادرُ على ما يَبْعُدُ في الأوهام، الفاعلُ ما أفعلُه بالحكمة.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: علامَ عطف قوله: «وألقِ عصاك»؟ قلت: على «بورِكَ» لأنَّ المعنى: نُودِيَ أنْ بورِكَ مَنْ في النارِ وقيلَ له: ألق عصاك[(٣)]، والدليلُ على ذلك قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١] بعد قوله: ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] على تكرير حرف التفسير، كما تقولُ: كتبت إليه أنْ حُجَّ واعتمر، وإن شئت: أن حُجَّ وأن اعتمر. انتهى.

وقوله: إنَّه معطوفٌ على «بورك»: منافٍ لتقديره: وقيلَ له ألق عصاك؛ لأنَّ هذه جملةٌ معطوفة على «بورك» وليس جزؤها الذي هو معمولٌ[(٤)]: وقيل، معطوفاً على «بورك»، وإنَّما احتاج[(٥)] إلى تقدير: وقيل له ألقِ عصاك؛ لتكونَ الجملةُ خبريَّة

---

(١) كذا، وفي الكشاف ٣/ ٥٦: للمبيِّن. بدل: للبيان.

(٢) وتعقبه الإمام الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٣٥٥-٣٥٦ بأنه لم يقل أحدٌ: إنه عائدٌ على الفاعل المحذوف، بل على ما دلَّ عليه الكلام، ولو سُلِّم فلا امتناع في ذلك إذا كان في جملة أخرى. ثم استدرك على قول أبي حيان: وعُزِمَ على أن لا يكون محدَّثاً عنه. بأنه غير صحيح، لأنه قد يكون محدَّثاً عنه ويحذف للعلم به وعدم الحاجة إلى ذكره، قال: ثم إنَّ الحمل مفيدٌ من غير رؤية؛ لأنه عليه السلام عَلِمَهُ سبحانه علمَ اليقين بما وقر في قلبه، فكأنه رآه عزَّ وجلَّ. انتهى كلام الآلوسي رحمه الله.

(٣) كذا أورد أبو حيان هذه العبارة، وتمام العبارة كما في الكشاف ٣/ ١٣٨: لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك، كلاهما تفسيرٌ لـ «نودي»، والمعنى: قيل له: بورك من في النار..

(٤) لفظ: معمول. ساقط من المطبوع.

(٥) في (ت) والمطبوع: احتيج.

مناسبةً للجملة الخبريَّة التي عُطِفت عليها، كأنَّه يرى في العطف تناسبَ المتعاطفين، والصحيح أنَّه لا يشترطُ ذلك، بل قوله: وألقِ عصاكَ معطوفٌ على قوله: «إنَّه أنا اللهُ العزيزُ الحكيم» عطفَ جملةِ الأمر على جملة الخبر، وقد أجاز سيبويه: جاءَ زيدٌ ومَنْ عمرو؟ عطف جملة الاستفهام على الجملة الخبرية[١].

«فلمَّا رآها تهتزُّ» ثَمَّ محذوفٌ تقديره: فألقاها مِن يده.

وقرأ الحسن والزهريُّ وعمرو بنُ عبيد: «جأن» بهمزةٍ مكان الألف[٢]، كأنَّه فرَّ من التقاءِ الساكنين. وقد تقدَّم الكلامُ في نحو ذلك في قوله: «ولا الضألين» بالهمز في قراءة عمرو بن عبيد[٣].

وجاء ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، و[الشعراء: ٣٢]، وهذا إخبارٌ من الله بانقلابها، وتغييرِ أوصافها وأعراضها، وليس إعداماً لذاتها وخلقاً لحيَّةٍ[٤] وثعبان، بل ذلك من تغييرِ الصفات لا تغيير الذات، وهنا شبَّهها حالةَ اهتزازها بالجانّ، فقيل: وهو صغار الحيَّات شبَّهها بها في سرعةِ اضطرابها وحركتِها مع عظم جثَّتها.

ولما رأى موسى هذا الأمرَ الهائلَ «ولَّى مدبراً ولم يعقِّب» قال مجاهد: ولم يرجع. وقال السُّدِّيُّ: لم يمكث. وقال قتادة: ولم يلتفت[٥]. يقال: عَقَّب الرجلُ: توجَّه إلى شيءٍ كانَ قد[٦] ولَّى عنه، كأنَّه انصرفَ على عقبيه، ومنه عقَّبَ المقاتل، إذا كرَّ بعد الفرار، قال الشاعر:

فما عَقَّبوا إذ قيل هل مِن مُعَقِّبِ   ولا نَزلوا يومَ الكَريهةِ مَنْزِلا[٧]

---

(١) قوله: عطف جملة الاستفهام على الجملة الخبرية. من (يه).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥١، وذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٣٨ عن الحسن.
(٣) ذكرها المصنف عند تفسير سورة الفاتحة من قراءة أيوب السختياني، ثم ذكر أن أبا زيد سمع عمرو بن عبيد يقرأ: «فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن» [الرحمن: ٣٩].
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وخلقها. وهي غير واضحة في (ت). والمثبت من (يه).
(٥) النكت والعيون ٤/ ١٩٦.
(٦) لفظة: قد. من (ح).
(٧) الكشاف ٣/ ١٣٨.

ولحقَه ما لحقَ طبعَ البشريَّة، إذا رأى الإنسانُ أمراً هائلاً جداً، وهو رؤيةُ انقلابِ العصا حيَّةً تسعى، ولم يتقدَّمه في ذلك تطمينٌ إليه عند رؤيتها. قال الزمخشريُّ: وإنما رُعِبَ لظنِّه أنَّ ذلك لأمرٍ أريد به، ويدلُّ عليه: «إنِّي لا يخافُ لديَّ المرسلون». انتهى[١].

وقال ابنُ عطية: وناداهُ الله تعالى مؤنساً ومقوِّياً على الأمر: «يا موسى لا تخف» فإن رسلي الذين اصطفيتُهم للنبوَّة لا يخافون غيري[٢]، فأخذ موسى عليه السلام الحيَّةَ، فرجعت عصا، ثم صارت له عادة. انتهى.

وقيل: المعنى لا يخاف المرسلون في الموضع الذي يوحى إليهم فيه، وهم أخوفُ الناس من الله[٣].

وقيل: إذا أمرتُهم بإظهار معجزٍ، فينبغي أنْ لا يخافوا فيما يتعلَّقُ بإظهار ذلك، وإلَّا فالمرسلُ يخافُ لا محالة[٤]. انتهى.

والأظهرُ أنَّ قوله: «إلا من ظلم» استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: لكن من ظلم من غيرهم، قاله الفرَّاء وجماعةٌ، إذ الأنبياءُ معصومونَ من وقوع الظُّلم الواقع من غيرهم. وعن الفرَّاء أنَّه استثناءٌ متصل من جملةٍ محذوفةٍ، والتقدير: وإنَّما يخافُ غيرُهم إلَّا من ظلم[٥]. وردَّهُ النحَّاسُ وقال: الاستثناءُ من محذوفٍ محالٌ، لو جازَ هذا لجاز أنْ [يقال]: لا تضرب[٦] القومَ إلَّا زيداً، بمعنى: وإنَّما اضْرِبْ غيرَهم إلَّا زيداً[٧]، وهذا

---

(١) الكشاف ٣/ ١٣٨.

(٢) العبارة في المحرر الوجيز ٤/ ٢٥١: لا يخافون عندي ومعي.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٩٦.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: فالمرسل يخاف الله لا محالة. وفي (يه): وإلا فالرسل تخاف الله تعالى لا محالة. والمثبت من (ت). وانظر تفسير الرازي ٢٤/ ١٨٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٧، وقول الفراء الأول من المحرر الوجيز ٤/ ٢٥١، والثاني من تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٨.

(٦) في (يه): أي. بدل: أن، وجاءت: تضرب، بالياء من تحت في النسخ عدا (ح) فإنها لم تنقط ولعل المثبت هو الصواب، وما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. وانظر روح المعاني ١٩/ ٣٦٥.

(٧) نصُّ العبارة في مطبوع إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٠٠: لجاز: إني أضرب القوم إلا زيداً، =

ضدُّ البيان، والمجيء بما لا يُعْرَف معناه. انتهى.

وقالت فرقةٌ: «إلَّا» بمعنى الواو[١]، والتقدير: ولا من ظلم. وهذا ليس بشيءٍ؛ لأنَّ معنى «إلا» مباينٌ لمعنى الواو مباينةً كثيرةً؛ إذ الواو للإدخال، و«إلَّا» للإخراج، فلا يمكنُ وقوعُ أحدهما موقعَ الآخر.

وروي عن الحسن ومقاتل وابنِ جريج والضحَّاك ما يقتضي أنَّه استثناءٌ متَّصل. قال ابن عطية[٢]: وأجمع العلماء على أنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام معصومونَ من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل، واختُلِفَ فيما عداها، فعسى أنْ يُشيرَ الحسنُ وابن جريج إلى ما عدا ذلك. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: «وإلا» بمعنى لكن؛ لأنَّه لمَّا أطلق نفيَ الخوف عن الرسل[٣]، كان ذلك مَظِنَّةً لطروِّ الشبهةِ، فاستدركَ ذلك، والمعنى: ولكن من ظلمَ منهم، أي: فرطت منهم صغيرةٌ ممَّا لا يجوز[٤] على الأنبياء، كالذي فرَطَ من آدم ويونس وداودَ وسليمان، وإخوة يوسف، ومِنْ موسى بوَكْزِه القبطي، ويوشِكُ أن يقصدَ بهذا التعريض ما وُجِدَ من موسى، وهو من التعريضات التي يَلطُفُ مأخذُها، وسمَّاه ظلماً، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]. انتهى.

وقرأ أبو جعفر وزيدُ بن أسلم «ألا مَنْ ظلم» بفتح الهمزة وتخفيف اللام، حرف استفتاح[٥]، و«مَنْ» شرطية.

= بمعنى: لا أضرب القوم إنَّما أضربُ غيرهم إلا زيداً.
وفي تفسير القرطبي ١٦/١٠٨: لجاز: إني لأضرب القوم إلا زيداً، بمعنى: إني لا أضرب القوم وإنَّما أضرب غيرهم إلا زيداً. فتأمل.

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن له ٢/٢٨٧ عن بعض النحويين وضعفه، وضعفه أيضاً الطبري في تفسيره ١٨/١٨، والنحاس في معاني القرآن له ٥/١١٧، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٥١. وسيذكر المصنف علة ضعفه.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/٢٥١، وذكر فيه أقوال الحسن ومقاتل وابن جريج فانظر أقوالهم فيه.

(٣) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: المرسل. والمثبت من (يه) والكشاف.

(٤) كذا وقع في النسخ، وفي مطبوع الكشاف ٣/١٣٨، ومخطوطه الجزء (٢) ورقة (١٣١): مما يجوز.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٥١، والقراءة عنهما في مختصر في شواذ القرآن ص١٠٨، والمحتسب =

والحُسْنُ: حسن التوبة، والسوء: الظلمُ الذي ارتكبه.

وقرأ الجمهورُ: «حُسْناً» بضمِّ الحاء وإسكان السين منوَّناً. وقرأ محمدُ بن عيسى الأصبهانيّ ذلك، إلَّا أنَّه لم ينوِّن، جعله فُعْلَى[١]، فامتنع الصرف، وابنُ مقسم بضم الحاء والسين منوَّناً[٢]. ومجاهدٌ وأبو حيوة وابنُ أبي ليلى والأعمش وأبو عمرو في روايةِ الجُعْفي وأبي زيد[٣] وعصمة وعبد الوارث وهارون وعيَّاش بفتحهما منوَّناً[٤].

و«أَدْخِل» أمرٌ بما يترتَّب عليه من ظهور المعجز العظيم، لمَّا أظهرَ له معجزاً في غيره ـ وهو العصا ـ أظهرَ له مُعْجِزاً في نفسه، وهو تلألؤُ يدِه كأنَّها قطعةُ نورٍ إذا فعلَ ما أمر به، وجوابُ الأمر، الظاهرُ أنَّه «تخرج»؛ لأنَّ خروجَها مترتِّبُ على إدخالها. وقيل: في الكلام حذفٌ تقديره: وأدخل يدكَ في جيبك تدخل وأخرجها تخرج، فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني، ومن الثاني ما أثبت مقابلَه في الأوَّل.

قال قتادة: «في جيبك»: قميصك[٥]. كانت له مِدْرَعةٌ من صوفٍ لا كمَّين لها.

وقال ابن عباس ومجاهد: كان كمُّها إلى بعض يده[٦].

= ٢/١٣٦. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٥٧ لأبي بن كعب وسعيد بن جبير والضحاك وعاصم الجحدري وابن يعمر.

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٥١.

(٢) لم أقف عليها.

(٣) في المطبوع: وأبو زيد.

(٤) القراءة في مختصر ابن خالويه ص٢٥١ عن ابن أبي ليلى والأعمش وأبي عمرو في رواية عصمة، وفي المحرر الوجيز ٤/٢٥١ عن مجاهد وابن أبي ليلى ورواية عن أبي عمرو، وفي زاد المسير ٦/٥٧، عن ابن مسعود والضحاك وأبي رجاء والأعمش وابن السميفع وعبد الوارث عن أبي عمرو.
وقراءة أبي عمرو المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ٢٤٤ عند تفسير الآية (٣١) من سورة القصص.

(٦) أخرجه عن ابن عباس ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٠ (١٦١٥٤)، وعن مجاهد الطبريُّ ١٨/ ٢٠-٢١.

وقال السُّدِّيُّ: «في جيبك» أي: تحت إبطك[١].

والظاهرُ أنَّ قولَه: «في تسع آياتٍ إلى فرعون» متعلِّقٌ بمحذوفٍ تقديرُه: اذهب بهاتين الآيتين في تسع آيات إلى فرعون، ويدلُّ عليه قوله بعد: «فلمَّا جاءتهم آياتُنا مبصرةً» وهذا الحذفُ مثل قوله:

أَتَوا ناري فقلتُ مَنُونَ أنتم فقالوا الجنُّ قلتُ عِمُوا ظلاما
وقلتُ إلى الطَّعامِ فقالَ منهم فريقٌ يحسُدُ[٢] الإنسَ الطَّعاما[٣]

التقدير: هلمُّوا إلى الطعام.

وقال الزمخشريُّ: ويجوزُ أن يكون المعنى: وألقِ عصاك وأدخل يدك في تسع آيات، أي: في جملة تسع آيات، ولقائلٍ أن يقول: كانت الآياتُ إحدى عشرة؛ ثنتان منها اليدُ والعصا، والتسعُ الفلق، والطوفان، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضفادعُ، والدَّمُ، والطمسةُ، والجَدْبُ في بواديهم، والنقصانُ من مزارعهم. انتهى[٤].

فعلى الأول تكون العصا واليدُ داخلتين في التسع، وعلى الثاني تكون «في» بمعنى «مع» أي: مع تسع آيات.

وقال ابن عطية: «في تسع آياتٍ» متَّصِلٌ بقوله: «ألق» و«أدخل»، وفيه اقتضابٌ وحذفٌ تقديرُه: تَمهَّد ذلك وتيسَّر لك في جملة تسع آيات؛ وهي العصا، واليد،

---

(١) لم أقف عليه، وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٠ (١٦١٥٦) عن السدي أنه فسر الجيب بأنه جيب القميص.

(٢) في (ت): نجد (كذا)، ولم تنقط في (ح) و(يه) والمثبت من (أ) و(ع) ومطبوع الكشاف، وفي مخطوطه ٢/ورقة ١٣١: نحسد، وهي رواية.
قال البغدادي في خزانة الأدب ٦/ ١٧٢: يروى بالنون، فالجملة مقول القول، ويروى بالمثناة التحتية، فالجملة صفة لـ: زعيم (رواية بدل: فريق)، فيكون البيت الذي بعده مقول القول. انتهى.
قلت: والبيت الذي بعده:

لقد فُضِّلتمُ بالأكلِ فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاماً

(٣) هما لشمير بن الحارث الضبي، كما في نوادر أبي زيد ص١٢٣-١٢٤، وسلف البيت الأول منهما عند تفسير الآية (٢٣) من سورة مريم.

(٤) الكشاف ٣/ ١٣٨.

والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادعُ، والدم، والطمس، والحجر، وفي هذين الأخيرين اختلافٌ، والمعنى: تجيءُ بهنَّ إلى فرعون وقومه[(١)].

وقال الزجَّاج: «في تسعِ آياتٍ» أي: مِنْ تسع آيات، كما تقول: خُذْ لي عشراً من الإبل فيها فحلان، أي: منها، «إلى فرعون» أي: مرسلاً إلى فرعون. انتهى[(٢)].

وانتصب «مبصرةً» على الحال، أي: بيِّنةً واضحةً، ونسبَ الإبصار إليها على سبيل المجاز، لمَّا كان يُبْصَرُ بها جُعِلَت مبصِرَةً، أو لمَّا كان معها الإبصارُ والوضوح. وقيل: لجعلهم بصراء، من قولك: أَبْصَرْتُهُ[(٣)]، المتعديَّة بهمزةِ النقلِ، من بَصُر. وقيل: فاعل بمعنى مفعول، كـ: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

وقرأ قتادةُ وعليُّ بن الحسين: «مَبْصَرَةٌ» بفتح الميم والصاد[(٤)]، وهو مصدرٌ، كما تقول: الولد مَجْبَنَةٌ[(٥)]. وأقيم مُقَامَ الاسم، وانتصبَ أيضاً على الحال، وكَثُر هذا الوزنُ في صفات الأماكن، نحو: أرضٌ مَسْبعة، ومَكانٌ مَضَبَّةٌ[(٦)]. قال الزمخشريُّ: أي: مكاناً يكثُرُ فيه التبصُّر. انتهى[(٧)].

والأبلغ في «واستيقَنتها» أن تكون الواو واوَ الحال، أي: كفرُوا بها وأنكروها في الظاهر وقد استيقَنَتْ أنفسُهم في الباطن أنَّها آياتٌ من عند الله، فكابروا وسمَّوها سحراً، وقال تعالى حكايةً عن موسى في محاورته لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٢.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٠ دون قوله: أي: مرسلاً إلى فرعون. فإنها من كلام ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٥٨ وعنه نقل المصنف قول الزجاج.
(٣) في الدر المصون ٨/ ٥٨٠: أبصر. وفي روح المعاني ١٩/ ٣٧١: أَبْصَرَه. ولعله الصواب.
(٤) المحتسب ٢/ ١٣٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٢، والكشاف ٣/ ١٣٩.
(٥) أخرج الإمام ابن ماجه في سننه (٣٦٦٦) عن يعلى العامري أن النبي ﷺ قال: «إن الولد مبخلةٌ مجبنة»، وأخرج الحاكم في مستدركه ٣/ ٢٩٦ من حديث الأسود بن خلف ﷺ عن النبي ﷺ: «إنَّ الولدَ مَبْخَلةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ».
(٦) أي: كثير الضِّبَاب.
(٧) الكشاف ٣/ ١٣٩.

«ظلماً» مجاوزةُ الحدِّ، «وعلوًّا» ارتفاعاً وتكبُّراً عن الإيمان، وانتصبا على أنَّهما مصدران في موضع الحال، أي: ظالمين عالين، أو مفعولان من أجلهما، أي: لظلمهم وعلوِّهم، أي: الحاملُ لهم على الإنكار والجحودِ مع استيقان أنَّها آيات الله ومن عند الله[١] هو الظلمُ والعلوُّ.

واستفعل هنا بمعنى تفعَّل، نحو: استكبر في معنى تكبَّر.

وقرأ عبد الله وابنُ وثَّاب والأعمش وطلحة وأبانُ بن تغلب: «وعِلِيًّا» بقلب الواو ياءً وكسر العين واللام[٢]، وأصله فُعول، لكنَّهم كسروا العين إتباعاً، ورُوي ضمُّها عن ابنِ وثاب والأعمش وطلحة[٣].

وتقدَّم الخلافُ في كفرِ العناد، هل يجوزُ أنْ يقع أم لا[٤].

والعاقبةُ ما آلَ إليه قومُ فرعون من سوء المنقَلَبِ، وما أعدَّ لهم في الآخرة أشدُّ. وفي هذا تمثيلٌ لكفَّار قريش؛ إذ كانوا مفسدِين مستعلِين، وتحذيرٌ لهم أنْ يحلَّ بهم مثل ما حلَّ بمن كان قبلهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

هذا ابتداءُ قَصصٍ وإخبارٌ بمغيَّباتٍ وعبرٍ. ونكَّر «علماً» لأنَّه طائفةٌ من العلم. وقال قتادة: «علماً» فهماً[٥].

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: آيات من عند الله. والمثبت من (ح).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٢ عن ابن وثاب والأعمش وطلحة وأبان، ومختصر ابن خالويه ص١٠٨ عن طلحة والأعمش وعبد الله بن مسعود.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٢، وذكرها ابن خالويه ص١٠٨ عن طلحة فقط.

(٤) عند تفسير الآية (٣٣) من سورة الأنعام.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٤ (١٦١٧٩).

وقال مقاتل: علماً بالقضاء. وقال ابنُ عطاء: علماً بالله تعالى. وقال الزمخشريُّ: أو علماً سنيًّا عزيزاً.

«وقالا» قال الزمخشري[١]: فإن قلت: أليسَ هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيتُه فشكر، ومنعتُه فصبر؟ قلت: بلى، ولكنَّ عطفَه بالواو إشعارٌ بأنَّ ما قالاه بعضُ ما أحدثَ فيهما إيتاءُ العلم، وشيءٌ من مواجبه، فأضمر ذلك، ثمَّ عطف عليه التحميدَ، كأنَّه قال: ولقد آتيناهما علماً فعملا به، وعلماه وعرفا حقَّ النعمة فيه والفضيلة، وقالا الحمد لله. والكثيرُ المفضَّل عليه: مَنْ لم يؤتَ علماً، أو من لم يورث[٢] مثلَ علمهما، وفي الآيةِ دليلٌ على شرف العلم. انتهى.

والموروثُ: الملكُ والنبوَّة، بمعنى صار ذلك إليه بعد موت أبيه، فسمِّيَ ميراثاً تجوُّزاً، كما قيل: «العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء»[٣]، وحقيقةُ الميراث في المال، والأنبياءُ لا تورِّثُ مالاً[٤]، وكان لداود تسعةَ عشر ولداً ذكراً، فنُبِّئَ سليمان من بينهم وملك. وقيل: ولَّاه على بني إسرائيل في حياته من بين سائر أولاده، فكانت الولايةُ في معنى الوراثة[٥]. وقال الحسن: ورث المال؛ لأنَّ النبوَّة عطيَّةٌ مبتدأةٌ لا تُورَثُ. وقيل: الملك والسياسة. وقيل: النبوة فقط[٦]. والأظهرُ القولُ الأوَّل، ويؤيِّده قولُه: «عُلِّمنا منطقَ الطير» فهذا يدلُّ على النبوَّة، «وأوتينا من كل شيء» يدلُّ على الملك، وكان هذا شرحاً للميراث، وقولُه: «إنَّ هذا لهو الفضلُ المبين» يقوِّي ذلك، ولا يناسبُ شيءٌ من هذا وراثةَ المال.

(١) قوله: الزمخشري. من (ح). والكلام في الكشاف له ٣/ ١٣٩.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يؤت. والمثبت من (ت) و(يه).
(٣) ما ذكره المصنف بلفظ قيل متابعاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٣ جاء في أحاديث مرفوعة منها ما أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء ﷺ وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظٍّ وافر».
(٤) وأخرج البخاري (٤٠٣٤)، ومسلم (١٧٥٨) من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان يقول: «لا نُورَثُ، ما تركنا صدقة».
(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٩٨ من قول الضحاك.
(٦) الأقوال الثلاثة الأخيرة أوردها الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٨٦.

وقوله: «يا أيها الناس» تشهيرٌ لنعمةِ الله وتنويهٌ بها، واعترافٌ بمكانها، ودعاءُ الناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علمُ منطقِ الطير، وغيرِ ذلك ممَّا أوتيه من عظائم الأمور.

و«منطق الطير» استعارةٌ لما يسمعُ منها من الأصوات، وهو حقيقةٌ في بني آدم، لمَّا كان سليمانُ يفهمُ منه ما يفهمُ من كلام بني آدم، كما يفهمُ بعضُ الطير من بعضٍ أُطْلِقَ عليه منطق.

وقيل: كانت الطيرُ تكلِّمه معجزةً له، كقصة الهدهد، والظاهرُ أنَّه علم منطق الطير، وعموم الطير، وقيل: عُلِّمَ منطقَ الحيوان، قيل: والنبات، حتَّى كانَ يمرُّ على الشجرةِ فتذكرُ له منافعَها ومضارَّها، وإنَّما نصَّ على الطير؛ لأنَّه كان جنداً من جنوده يحتاجُ إليه في التظليل من الشمس، وفي البعث في الأمور.

وقال قتادة والشعبيُّ وغيرهما: إنَّما كان هذا الأمرُ في الطائر خاصَّةً، والنملُ طائرٌ، إذ قد يوجد له أجنحة. وقال الشعبيُّ[١]: وكذلك كانت هذه النملةُ القائلةُ ذاتَ جناحين[٢].

وأوردَ المفسِّرون ممَّا ذكروا أنَّ سليمانَ عليه السلام أخبرَ عن كثيرٍ من الطير بأنواعِ من الكلام؛ تقديسٍ لله تعالى، وعظاتٍ وعبر، ما اللهُ أعلمُ بصحَّته.

«وأوتينا من كلِّ شيء» ظاهرُه العموم، والمرادُ الخصوص، أي: من كلِّ شيءٍ يصلحُ لنا ونتمنَّاه، وأريد به كثرةُ ما أوتيَ، فكأنَّه مستغرِقٌ لجميع الأشياء، كما تقول: فلانٌ يقصدُه كلُّ أحدٍ، تريدُ كثرةَ قُصَّاده، وهذا كقوله تعالى في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣] [النمل: ٢٣].

وبُنيَ «عُلِّمنا» و«أوتينا» للمفعول، وحُذِفَ الفاعلُ للعلم به وهو الله تعالى، وكانا مسندَين لنون العظمة، لا لتاء المتكلِّم؛ لأنَّه إمَّا أن أرادَ نفسَه وأباه، أو لمَّا كان ملكاً مطاعاً خاطبَ أهلَ طاعتِه ومملكتِه بحالهِ التي هو عليها، لا على سبيل التعاظُم والتكبُّر.

---

(١) من قوله: وغيرهما إنما كان... إلى هنا. من (ت) و(يه).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٣.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٤٠.

«إنَّ هذا لهو الفضلُ المبين» إقرارٌ بالنعمة وشكرٌ لها ومحمدةٌ. رُويَ أنَّ معسكَره كان مئة فرسخ في مئة، خمسةٌ وعشرون للجنِّ، ومثلُها للإنس، ومثلُها للطير، ومثلها للوحش، وألفُ بيتٍ من قوارير على الخشب، فيها ثلاث مئة منكوحة، وسبع مئة سُرِّيَّة[١]، وقد نسجَت له الجنُّ بساطاً من ذهبٍ وإبريسم فرسخاً في فرسخ، ومنبرُه في وسطه من ذهب، فيصعد عليه، وحوله ستُّمئة ألف كرسيٍّ من ذهب وفضة، تقعدُ الأنبياء على كراسيِّ الذهب، والعلماء على كراسي[٢] الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجنُّ والشياطين، وتظلُّه الطيرُ بأجنحتها حتَّى لا تقعَ عليه الشمسُ وتَرفعَ ريحُ الصبا البساطَ فتسيرُ به مسيرةَ شهرٍ[٣]، وتفصيل هذه الأشياءِ يحتاجُ إلى صحَّةِ نقلٍ[٤].

وكان ملكُه عظيماً مَلكَ[٥] الأرض، وانقادَ له أهلُ المعمورِ منها. وتقدَّم لنا أنَّه ملكَ الأرض بأسرِها أربعةٌ؛ مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: بختنصَّر ونمروذ[٦].

وحشرُ الجنودِ يقتضي سَفَراً، وفُسِّرَ الجنودُ أنَّهم الجنُّ والإنسُ والطيرُ، وذكر المفسرونَ الوحشَ رابعاً.

---

(١) هذه الرواية أخرجها الحاكم في مستدركه ٢/ ٥٨٩ عن محمد بن كعب.

(٢) قوله: الذهب والعلماء على كراسي. من (ت) و(يه).

(٣) هو من قول مقاتل كما في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٨٠، ونقل المصنف هذه الرواية من الكشاف ٣/ ١٤١، وهي من الإسرائيليات أو مما وضعه بعض علماء السلطان ليبرر لبعض الطغاة ما كانوا يعيشون فيه من بذخ وترف مما يخالف ما عليه هدي الأنبياء وسمت العلماء، والله أعلم.

(٤) قال الآلوسي رحمه الله تعالى في روح المعاني ١٩/ ٣٨٦: وأكثر الأخبار في هذا الشأن لا يعوَّل عليها، فعليك بالإيمان بما نطق به القرآن ودلَّت عليه الأحاديث الصحيحة، وإياك من الانتصار لما لا صحة له مما يذكره كثير من القصاص والمؤرخين، ممَّا فيه مبالغاتٌ شنيعة بمجرَّد أنها أمور ممكنة يصحُّ تعلق قدرته عزَّ وجلَّ بها، فتفتح بذلك باب السخرية بالدين والعياذ بالله، ولا يبعدُ أن يكون من وضع الزنادقة يريدون به التنفير عن دين الإسلام.

(٥) في (ح) و(ع) والمطبوع: ملأ. بدل: ملك.

(٦) سلف عند تفسير الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

«فهم يوزعون» يُحشَرُ[١] أوَّلُهم على آخرهم، أي: يوقَفُ متقدِّمو العسكرِ حتى يأتي آخرُهم، فيجتمعون، لا يتخلَّف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة، أو يُكَفُّون عن المسير حتى يجتمعوا.

وقيل: يجتمعون[٢] من كلِّ جهةٍ. وقيل: يُساقون[٣]. وقيل: يُدفَعون. وقيل: يحبسون[٤]، كانت الجيوشُ تسيرُ معه إذا سار، وتنزلُ إذا نزل.

«حتى إذا أَتَوْا» هذه غايةٌ لشيءٍ مقدَّر، أي: وساروا حتى إذا أتوا، أو يضمَّن «يوزعون» معنى فِعْلٍ يقتضي أنْ تكون «حتى» غايةً له، أي: فهم يسيرونَ مكفوفاً بعضُهم من مفارقةِ بعض.

وعُدِّيَ «أتوا» بـ «على» إمَّا لأنَّ إتيانهم كان من فوق، وإمَّا أن يُرادَ قطعُ الوادي وبلوغُ آخرِه، من قولهم: أتى على الشيء، إذا أتى على آخره وأنفذَه، كأنَّهم أرادوا أن ينزلوا عندَ منقطعِ الوادي؛ لأنَّهم ما دامت الريحُ تحملُهم لا يُخَاف حطمُهم. قاله الزمخشريُّ[٥].

وقال ابن عطية: والظاهرُ أنَّ سليمانَ وجنودَه كانوا مشاةً في الأرض، وبذلك يتهيَّأُ حطمُ النَّملِ بنزولهم في وادي النمل، ويحتملُ أنَّهم كانوا في الكرسيِّ المحمول بالريح، فأحسَّتِ النملُ بنزولهم في وادي النمل[٦].

و«وادي النَّمْل» قيل: بالشام[٧]. وقيل: بأقصى اليمن[٨]، وهو معروفٌ عند

(١) كذا، وفي الكشاف ٣/ ١٤١ ـ والكلام منه ـ: يحبس. وهو الأشبه، وانظر تفسير الطبري ١٨/ ٢٦. وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٦-٢٨٥٧ (١٦١٩٣) عن مجاهد قال: يحبس أولهم على آخرهم.

(٢) في (يه): يجمعون.

(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ٢٧ من قول ابن زيد.

(٤) النكت والعيون ٤/ ١٩٩.

(٥) في الكشاف ٣/ ١٤١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٧ (١٦١٩٨) عن قتادة.

(٨) أورده القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٢٢ عن الكلبي.

العرب مذكورٌ في أشعارها. وقال كعب: وادي السدير من الطائف[١].

والظاهرُ صدور القولِ من النملة، وفهم سليمان كلامَها كما فهمَ منطقَ الطير. قال مقاتل: من ثلاثة أميال. وقال الضحاك: بلَّغته الريحُ كلامَها. وقال ابن بحر: نطقتْ بالصوت معجزةً لسليمان، ككلام الضبِّ[٢] والذراع للرسول[٣].

وقيل: فَهِمَهُ إلهاماً من الله، كما فهمَه جنسُ النمل، لا أنَّه سمعَ قولاً. وقال الكلبيُّ: أخبرهُ مَلَكٌ بذلك، وقال جرير[٤]:

لو كنتُ أوتيتُ كلامَ الحُكْلِ   عِلْمَ سليمانَ كلامَ النملِ

والحكلُ ما لا يُسمَعُ صوتُه.

وذكروا اختلافاً في صغر هذه النملة وكبرها، وفي اسمها العَلَم ما لفظه؟ وليت شعري مَن الذي وضعَ لها لفظاً يخصُّها، أبنو آدم، أم النمل؟ وقالوا: كانت نملةً عرجاء.

ولحوق التاء في «قالت» لا يدلُّ على أنَّ النملةَ مؤنّثٌ[٥]، بل يصحُّ أنْ يُقَال في المذكَّر: قالت نملة؛ لأنَّ «نملة» وإن كان بالتاء هو مما لا يتميَّز فيه المذكَّر من المؤنث، وما كان كذلك، كالنَّمْلَة والقَمْلة ممَّا بينَه في الجمع وبين واحده من الحيوان تاءُ التأنيث، فإنَّه يُخبَر عنه إخبار المؤنَّث، ولا يدلُّ كونُه يُخْبَرُ عنه إخبار

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٨١ مطولاً.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٦-٣٨، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٢١٠: خبر باطل.

(٣) خبر حديث ذراع الناقة وإخبارها أنها مسمومة أخرجه أبو داود (٤٥١٠). وانظر ما ذكره القاضي عياض من روايات هذا الخبر في الشفا ص٣٨٦-٣٨٨ (طبعة دار الفيحاء).

(٤) في المطبوع: الشاعر. وتابعَ المصنفَ في نسبته لجرير الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٣٨٨. ولم أقف على من نسبه لجرير.
ونسبه ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٣٦، والجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٤٠، وفي كتاب الحيوان ٤/ ٨، ٢٣، والأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ١٠٠-١٠١ لرؤبة، وهو في ديوانه ص١٣١.
ونسبه ابن بري كما في اللسان (حكل) للعجاج.

(٥) هو قول الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٤١.

المؤنَّث على أنَّه ذكرٌ أو أنثى؛ لأنَّ التاءَ دخلت فيه للفرقِ، لا دالةً[١] على التأنيث الحقيقي، بل دالَّةً على الواحد من هذا الجنس.

وقال الزمخشريُّ: وعن قتادة أنَّه دخلَ الكوفة، فالتفَّ عليه الناس، فقال: سلوا عمَّا شئتم، وكان أبو حنيفةَ حاضراً وهو غلام حَدَث، فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه فأُفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله، وهو قوله: «قالت نملة» ولو كان ذكراً لقال: قال نملة[٢].

قال الزمخشريُّ: وذلك أنَّ النملةَ مثلُ الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميَّزُ بينهما بعلامةٍ، نحو قولهم: حمامةٌ ذكر، وحمامةٌ أنثى، وهو وهي. انتهى[٣].

وكان قتادةُ بن دِعامة السدوسيُّ بصيراً بالعربيَّة، وكونه أُفحم يدلُّ على معرفته باللسان؛ إذ علمَ أنَّ النملةَ يُخْبَر عنها إخبار المؤنَّث، وإن كانت تنطلقُ على الأنثى والذكر، إذ هو ممَّا لا يتميَّز فيه أحدُ هذين، فتذكيرُه وتأنيثُه لا يُعلم ذلك من إلحاق العلامة للفعل، فتوقَّفَ، إذ لا يُعْلَم ذلك إلَّا بوحيٍ من الله.

وأمَّا استنباطُ تأنيثه من كتاب الله من قوله: «قالت نملة»، ولو كان ذكراً لقال: قال نملة. فكلامُ النحاة على خلافه، وأنَّه لا يُخبَر عنه إلَّا إخبار المؤنَّث، سواءٌ كان ذكراً أم أنثى.

وأمَّا تشبيهُ الزمخشريِّ النملةَ بالحمامة والشاة، فبينهما قدرٌ مشتركٌ، وهو إطلاقهما على المذكَّر والمؤنَّث، وبينهما فرقٌ، وهو أنَّ الحمامةَ والشاةَ يتميَّزُ فيهما المذكَّر من المؤنَّث، فيمكن أنْ تقولَ: حمامةٌ ذكرٌ وحمامةٌ أنثى، فتميَّز بالصفة، وأمَّا تمييزه بهو وهي، فإنَّه لا يجوزُ، لا تقول: هو الحمامة ولا هو

(١) في (ح): دلالة، وفي (ت): للدلالة.
(٢) مال إلى عدم صحة هذه الرواية ابنُ المنير في الانتصاف ٣/ ١٤١ (بهامش الكشاف)، والآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٣٩٢.
(٣) الكشاف ٣/ ١٤٢.

الشاة، وأمَّا النَّملةُ والقَملةُ فلا يتميَّزُ فيه المذكَّر من المؤنَّث، فلا يجوزُ فيه في الإخبار إلَّا التأنيث، وحكمُه حكمُ المؤنَّث بالتاء من الحيوان العاقل نحو المرأة، أو غير العاقل كالدابَّة، إلَّا إن وقعَ فصلٌ بين الفعل وبينَ ما أُسْنِد إليه من ذلك، فيجوزُ أن تلحقَ العلامةُ الفعلَ، ويجوز أن لا تلحق، على ما قُرِّر ذلك في باب الإخبار عن المؤنَّث في علم العربية[١].

وقرأ الحسنُ وطلحةُ ومعتمرُ بن سليمان وأبوه[٢] سليمانُ التيميُّ: «نمُلة» بضمِّ الميم[٣]، كسَمُرة، وكذلك النمل، كالرَّجْل والرَّجُل، لغتان.

وعن سليمان التيميِّ «نُمُلة»[٤] و«نُمُل» بضمِّ النون والميم[٥]، وجاء الخطابُ بالأمر كخطاب مَنْ يعقل في قوله: «ادخلوا» وما بعده؛ لأنَّها أمرَتِ النمل كأمر من يعقل، وصَدرَ مِنَ النمل الامتثالُ لأمرها.

وقرأ شهرُ بن حوشب: «مسكنكم» على الإفراد[٦].

وعن أبيّ: «ادخلنَ مساكنكن لا يحطمنكن» مخففة النون التي قبل الكاف[٧].

---

(١) نظر السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٨٥ في كلام أبي حيان مطولاً، فانظره، وانظر أيضاً مناقشة هذه المسألة في روح المعاني ١٩/ ٣٨٩-٣٩١.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع وروح المعاني ٩/ ٣٩٤: وأبو سليمان التيمي. وهو خطأ. والمثبت من (ت) و(يه)، وهو الصواب، فقد وقع في المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤: وقرأ المعتمر بن سليمان عن أبيه.
وسليمان هو سليمان بن طرخان، أبو المعتمر التيمي البصري، إمام الجامع بالبصرة، وتوفي بها سنة ثلاث وأربعين ومئة. سير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٥-٢٠٢.

(٣) نسبها ابن خالويه في مختصره ص١٠٨ للمفضل وطلحة والمعتمر بن سليمان، وابن جني في المحتسب ٢/ ١٣٧ لسليمان التيمي، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٦١ لأبي مجلز وأبي رجاء وعاصم الجحدري وطلحة بن مصرف.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: نمل. وسقطت الكلمة من (ح).

(٥) المحتسب ٢/ ١٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٢٠.

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٦١ لأبيّ بن كعب وأبي المتوكل وعاصم الجحدري.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤ دون قوله: ادخلن.

وقرأ الحسنُ وأبو رجاء وقَتادة وعيسى بنُ عمر الهَمْدانيُّ الكوفيُّ ونوحٌ القاضي بضمِّ الياء وفتح الحاء وشدِّ الطَّاء والنون[١] مضارع حَطَّم مشدَّداً.

وعن الحسن بفتح الياء وإسكان الحاء وشدِّ الطاء[٢]، وعنه كذلك مع كسرِ الحاء[٣]، وأصلُه: لا يحتطمنَّكم من الاحتطام.

وقرأ ابن أبي إسحاق وطلحة ويعقوب وأبو عمرو في رواية عبيد كقراءة الجمهور، إلَّا أنهم سكَّنوا نونَ التوكيد[٤].

وقرأ الأعمشُ بحذف النون وجزم الميم[٥].

والظاهرُ أنَّ قوله: «لا يحطمنكم» بالنون خفيفةً أو شديدةً نهيٌ مستأنفٌ، وهو من باب: لا أرينَّك هاهنا، نهت غيرَ النمل، والمرادُ النملُ، أي: لا تظهروا بأرضِ الوادي فيحطمكم، ولا تكن هنا فأراك.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: «لا يحطمَنَّكُم» ما هو؟ قلت: يحتملُ أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً[٦] بدلاً من الأمر، والذي جَوَّزَ أن يكون بدلاً منه لأنَّه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنَّكم، على طريقة: لا أرينَّك هاهنا، أرادت: لا يحطمنَّكم جنود سليمان، فجاءت بما هو أبلغ، ونحوه:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقها

انتهى[٧].

---

(١) ذكرها ابن خالويه في مختصره ص١٠٨ عن الحسن، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ١٢٤.
(٢) قال السمين في الدر المصون ٨/ ٥٨٩: وإسكان الحاء مشكلٌ تقدَّم نظيره في ﴿لَّا يَهِدِّيَ﴾ [يونس: ٣٥].
(٣) المحتسب ٢/ ١٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤، وذكرا عنه أيضاً أنه قرأ بفتح الياء والحاء «يَحَطِّمَنَّكم».
(٤) أي: «يَحْطِمَنْكُم». وذكرها ابن عطية في المحرر ٤/ ٢٥٤ عن ابن أبي إسحاق وأبي عمرو. وهي رواية رويس عن يعقوب كما في النشر ٢/ ٢٤٦.
(٥) أي: «يَحْطِمْكُم». وذكرها ابن عطية في المحرر ٤/ ٢٥٤ وزاد نسبتها لطلحة.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: هنا. بدل: نهياً. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٤٢.
(٧) الكشاف ٣/ ١٤٢، والرجز لأبي البلاد خليفة بن بلاد، كما في أنساب الأشراف ١١/ ٤٩٢، =

وأمَّا تخريجُه على أنَّه أمرٌ، فلا يكون ذلك إلَّا على قراءة الأعمش، إذ هو مجزومٌ، مع أنَّه يحتملُ أنْ يكون استئنافَ نفيٍ، وأمَّا مع وجود نونِ التوكيد، فإنَّه لا يجوزُ ذلك إلَّا إن كان في الشعر، وإذا لم يجز ذلك في جواب الشرط إلَّا في الشعر، فأحرى أنْ لا يجوز في جواب الأمر إلَّا في الشعر، وكونه جوابَ الأمر متنازعٌ فيه، على ما قُرِّرَ في النحو، ومثال مجيء نونِ التوكيد في جواب الشرط قولُ الشاعر:

نَبَتُّم نباتَ الخيزُرَانةِ في الثرى حديثاً متى ما يأتك الخيرُ يَنْفَعا[1]

وقول الآخر:

مهما تشأ منه فزارةُ تُعطِهِ[2] ومهما تشأ منه فزارةُ تَمْنَعا[3]

قال سيبويه: وذلك قليلٌ في الشعر، شبَّهوه بالنهي حيثُ كان مجزوماً غير واجب. انتهى[4].

وقد تنبَّه أبو البقاء لشيءٍ من هذا، قال: وقيل هو جوابُ الأمر. وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ جوابَ الشرط[5] لا يؤكَّدُ بالنون في الاختيار.

= وذكره ابن قتيبة في غريب الحديث ١/ ٦٦-٦٧ ونسبه لأعرابي كان يطرد الطير عن زرع في سنة جدب.

(١) البيت للنجاشي الشاعر، كما في العقد الفريد ٥/ ٣٩١، وخزانة الأدب ١١/ ٣٩٧، وهو في الكتاب ٣/ ٥١٥ دون نسبة، ووقع في المصادر: الخيزراني. بدل: الخيزرانة.
والخيزران نبات ينبت ببلاد الهند، ويقال لكل طريٍّ من النبت ناعم: خيزران.
وأراد بالخير: المال. والشاعر في هذا البيت يهجو قوماً فيصفهم بحدثان النعمة، فيقول: لستم بأرباب نعمة قديمة، وإنما حدثت فيكم عن قرب، فقد نميتم كما يَنمي الخيزران بنعومة وطراوة، فإن المال متى جاء نفع. انظر الخزانة ١١/ ٣٩٨، وشرح شواهد سيبويه للشنتمري ص٥٢٢.

(٢) في المصادر: تعطكم. وهو الأشبه.

(٣) نسبه سيبويه في الكتاب ٣/ ٥١٥، وابن عصفور في الضرائر ص٢٩-٣٠ لابن الخرع.
قال البغدادي في الخزانة ١/ ٣٨٩: والبيت غير موجود في ديوان ابن الخرع، وإنما هو من قصيدة للكميت بن ثعلبة. وهو في معاني القرآن للفراء ١/ ١٦٢ دون نسبة.

(٤) الكتاب ٣/ ٥١٥.

(٥) في الإملاء ٢/ ١٧٢: جواب الأمر.

وأمَّا تخريجُه على البدل فلا يجوز؛ لأنَّ مدلولَ «لا يحطمنكم» مخالفٌ لمدلولِ «ادخلوا»[(١)].

وأمَّا قولُه: لأنَّه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم. فهذا تفسيرُ معنى لا تفسير إعراب[(٢)]، والبدلُ من صفةِ الألفاظ، نعم لو كان اللفظُ القرآنيُّ: لا تكونوا حيثُ أنتم لا يحطمنكم، لتُخُيِّلَ فيه البدلُ؛ لأنَّ الأمرَ بدخول المساكن نهيٌ عن كونهِم في ظاهر الأرض.

وأمَّا قولُه: إنه أراد: لا يحطمنَّكم جنودُ سليمان إلى آخره. فيُسَوِّغُ زيادةَ الأسماء[(٣)]، وهو لا يجوز، بل الظاهرُ إسناد الحَطْمِ إليه وإلى جنوده، وهو على حذفِ مضاف، أي: خيل سليمان وجنوده، أو نحو ذلك ممَّا يصح تقديرُه.

«وهم لا يشعرون» جملةٌ حاليَّةٌ، أي: إن وقع حطمٌ فليس ذلك بتعمُّدٍ منهم، إنَّما يقعُ وهم لا يعلمون بحطمنا، كقوله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ [الفتح: ٢٥]. وهذا التفاتٌ حسن، أي: مِنْ عدلِ سليمان وأتباعِه ورحمتِه ورفقِه[(٤)] أن لا يحطمَ نملةً فما فوقَها إلَّا بأن لا يكونَ لهم شعورٌ بذلك، وما أحسنَ ما أتت به هذه النملةُ في قولها وأغربَه وأفصحَه وأجمعَه للمعاني، أدركَت فخامةَ مُلْكِ سليمان، فنادَت وأمرَت وأنذرت.

وذكروا أنَّه جرى بينها وبين سليمان محاوراتٌ وأهدَت له نبقةً[(٥)]، وأنشدوا أبياتاً في حقارة ما يُهْدَى إلى العظيم، والاستعذارِ من ذلك، ودعاءِ سليمان

(١) ولم يسلِّم السمين الحلبي في الدر المصون ٨/٥٨٨ تغاير المدلول بالنسبة لما يؤول إليه المعنى.
(٢) في (يه): والمعنى من البدل. بدل: والبدل.
(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/٥٨٨: لم يسوِّغ (يعني الزمخشري) ذلك، وإنما فسر المعنى، وعلى تقدير ذلك فقد قيل به.
(٤) في (ت) و(ح): ورأفته. وفي (يه): ورفعته. والمثبت من (أ) و(ع) والمطبوع.
(٥) النبقة مفرد النبق. وهو حمل السدر، وأشبه شيءٍ به العنَّاب قبل أن تشتدَّ حمرته، ونبقُ هجر بأرض العرب هو أشدُّ نبقٍ يعلم حلاوةً وأطيبُه رائحةً، ويفوح فمُ آكله وثياب مُلابِسه كما يفوح العطر. معجم متن اللغة (نبق).

للنمل بالبركة[١]. والله أعلم بصحَّة ذلك أو افتعاله.

والنملُ حيوانٌ قويُّ الحسِّ شمَّامٌ جدًّا، يدخرُ القوتَ، ويشقُّ الحبَّةَ بقطعتينِ لئلَّا تنبت، والكزبرةَ بأربعٍ؛ لأنَّها إذا قُطِعت قطعتين أنبتَت، وتأكلُ في عامها بعضَ ما تجمعُ، وتدَّخرُ الباقي عُدَّة[٢].

وفي الحديث النهيُ عن قتل أربعٍ من الدواب: الهُدْهُدُ والصُّرَدُ والنملةُ والنحلة. خرَّجه أبو داود عن ابن عباس[٣]. ورُوي من حديث أبي هريرة[٤].

وتَبسُّمُ سليمانَ عليه السلام إمَّا للعجَب بما دلَّ عليه قولُها: «وهم لا يشعرون»، وهو إدراكُها رحمتَه وشفقتَه ورحمةَ عسكرِه، وإمَّا للسرورِ بما آتاه الله ممَّا لم يؤت أحداً، وهو إدراكه قولَ ما هَمَس به الذي هو مَثَلٌ في الصِّغَر، ولذلك دعا أنْ يوزعَه اللهُ شكرَ ما أنعمَ به عليه[٥].

وانتصبَ «ضاحكاً» على الحال، أي: شارعاً في الضحك، ومتجاوزاً حدَّ التبسُّم إلى الضحك، ولمَّا كان التبسُّم يكونُ للاستهزاء وللغضب، كما يقولون: تبسَّم تبسُّم الغضبانِ، وتبسَّم تبسُّم المستهزئ، وكان الضحكُ إنَّما يكون للسرور والفرح، أتى بقوله: «ضاحكاً».

وقرأ ابنُ السميفع: «ضَحِكاً»[٦] جعله مصدراً؛ لأنَّ «تَبسَّم» في معنى: ضحك، فانتصابُه على المصدريَّة، أو على أنَّه مصدرٌ في موضع الحال، فيكون كقراءة «ضاحكاً».

---

(١) انظر الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٣٩، وحياة الحيوان للدميري ٢/ ٣٦٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٢٢-١٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٣.

(٣) سنن أبي داود (٥٢٦٧).

(٤) أخرج ابن ماجه في سننه (٣٢٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله عن قتل الصُّرَد والضفدع والنملة والهدهد.
وقد تابع المصنف القرطبي في نسبة الحديث السابق إلى أبي هريرة، انظر تفسير القرطبي ٩/ ٣١٣ و١٦/ ١٢٣.

(٥) انظر الكشاف ٣/ ١٤٢.

(٦) المحتسب ٢/ ١٣٩، والكشاف ٣/ ١٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٤.

«وقال رب أوزعني» أي: اجعلني أزعُ شكرَ نعمتك وآلفُه وأرتبطُه حتَّى لا ينفلتَ عنِّي حتَّى لا أنفكَّ شاكراً لك[١].

وقال ابنُ عباس: «أوزعني»: اجعلني أشكر. وقال ابن زيد: حرِّضني[٢]. وقال أبو عبيدة: أولعني[٣]. وقال الزجَّاج: امنعني عن الكفران[٤]. وقيل: ألهمني الشكر.

وأدرجَ ذكرَ نعمة اللهِ على والديه في أنْ يشكرها[٥] كما يشكرُ نعمةَ الله على نفسِه لما يجبُ للوالدين[٦] على الولدِ من الدعاءِ لهما، والبرِّ بهما، ولاسيَّما إذا كان الولدُ تقيًّا لله صالحاً، فإنَّ والديه ينتفعان بدعائِه وبدعاءِ المؤمنين لهما بسببِه، كقولهم: رحمَ الله من خَلَّفَكَ، رضيَ الله عنكَ وعن والديك[٧].

ولمَّا سأل ربَّه شيئاً خاصًّا، وهو شكر النعمة، سأل شيئاً عامًّا، وهو أن يعملَ عملاً يرضاه الله تعالى، فاندرجَ فيه شكرُ النعمة، فكأنَّه سأل إيزاعَ الشكرِ مرتين.

ثمَّ دعا أنْ يُلْحَق بالصالحين. قال ابنُ زيد: هم الأنبياءُ والمؤمنون[٨]، وكذا عادةُ الأنبياء أن يطلبوا جعلَهم من الصالحين، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام:

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٢.
(٢) أخرج قوليهما الطبري ١٨/ ٢٨-٢٩.
(٣) لم أقف عليه. وفسَّر أبو عبيدة هذه الكلمة في موضعين، الموضع الأول: ٢/ ٩٢-٩٣: «أوزعني» مجازه: شدِّدني إليه، ومنه قولهم: وزعني الحلم عن السفاه، أي: منعني...
ونقله عنه ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٥٠٥ وفيه: سددني. بدل: شددني.
قال فؤاد سزكين في تحقيقه لـ «مجاز القرآن»: لعله مصحف من شددني.
والموضع الثاني: ٢/ ٢١٣: «أوزعني»: ألهمني.
(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٢-١١٣. وتمام عبارته قال: معنى «أوزعني»: ألهمني، وتأويله في اللغة: كفَّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك، أي: كفني عما يباعد منك.
(٥) في النسخ عدا (يه): يشكرهما.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: للوالد. والمثبت من (ت) و(يه).
(٧) انظر الكشاف ٣/ ١٤٢.
(٨) أخرجه الطبري ٨/ ٢٩.

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]. قيل: لأنَّ كمالَ الصلاح أنْ لا يَعصيَ الله تعالى، ولا يهمَّ بمعصيةٍ، وهذه درجةٌ عاليةٌ.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

الظاهرُ أنَّه عليه السلام تفقَّدَ جميعَ الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العنايةُ بأمورِ الملك والاهتمامُ بالرعايا[١]. قيل: وكان يأتيهِ من كلِّ صنفٍ واحدٌ، فلم يرِ الهدهدَ. وقيل: كانت الطيرُ تظلُّه من الشمس، وكان الهدهدُ يسترُ مكانَه الأيمن، فمسَّته الشمسُ، فنظرَ إلى مكان الهدهد فلم يره.

وعن عبد الله بن سلام أنَّ سليمان عليه السلام نزلَ بمفازةٍ لا ماءَ فيها، وكان الهدهدُ يَرى ظاهرَ الأرض وباطنَها، وكان يخبرُ سليمانَ بذلك[٢]، فكانت الجنُّ تخرجُه في ساعةٍ، تسلخُ الأرض كما تسلخُ الشاة، فسأل عنه حينَ حلُّوا تلكَ المفازةَ؛ لاحتياجهم إلى الماء.

وفي قوله: «وتفقَّدَ الطيرَ» دلالةٌ على تفقُّد الإمام أحوالَ رعيَّته والمحافظة عليهم. وقال عمر ﷺ: لو أنَّ سخلةً على شاطئ الفرات أخذَها الذئبُ لسُئِل عنها عمر[٣].

وفي الكلام محذوفٌ، أي: فقدَ الهدهدَ حين تفقَّد الطير. قال ابن عطية:

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٣٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥. وانظر قول ابن سلام في تفسير الطبري ١٨/ ٣٠.
(٣) أورده أبو نعيم في الحلية ٦/ ١٣٧-١٣٨، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٤١٥).

وقوله: «مالي لا أرى الهدهد» مقصدُ الكلام: الهدهدُ غاب، ولكنَّه أخذَ اللازمَ عن مغيبه، وهو أنْ لا يراه، فاستفهمَ على جهة التوقيف عن اللازم، وهذا ضربٌ من الإيجاز، والاستفهامُ الذي في قوله: «مالي» نابَ منابَ الألف التي تحتاجُها «أم». انتهى[(١)].

فظاهرُ هذا الكلام أنَّ «أم» متصلة، وأنَّ الاستفهامَ الذي في قوله: «مالي» نابَ منابَ ألف الاستفهام، فمعناه عنده: أغابَ عنِّي الآن فلم أرهُ حالةَ التفقُّد، أم كان ممَّن غاب قبل ولم أشعر بغيبته[(٢)]؟

وقال الزمخشريُّ: «أم» هي المنقطعةُ، نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال: «مالي لا أرى الهدهد» على معنى أنَّه لا يراه وهو حاضرٌ لساترٍ سترَه أو غير ذلك، ثمَّ لاحَ له أنَّه غائبٌ، فأضربَ عن ذلك وأخذَ يقول: أهو غائبٌ؟ كأنَّه سألَ عن صحَّة ما لاحَ له، ونحوه قولهم: إنها لَإبلٌ أم شاءٌ. انتهى[(٣)].

والصحيحُ أنَّ «أم» في هذا هي المنقطعة؛ لأنَّ شرط المتَّصلة تقدُّمُ همزة الاستفهام، فلو تقدَّمها أداةُ الاستفهام غيرُ الهمزة، كانت «أم» منقطعة، وهنا تقدَّم «ما»، ففاتَ شرطُ المتَّصلة.

وقيل: يحتمل أنْ تكون من المقلوب، وتقديره: ما للهدهد لا أراه؟ ولا ضرورةَ إلى ادِّعاءِ القلب.

وفي «الكشاف» أنَّ سليمانَ لمَّا تمَّ له بناءُ بيت المقدس، تجهَّزَ للحجِّ، فوافى الحرمَ وأقامَ به ما شاء، ثمَّ عزمَ على المسيرِ إلى اليمن، فخرجَ من مكَّة صباحاً يَؤمُّ سهيلاً، فوافى صنعاء وقتَ الزوال، وذلك مسيرةُ شهرٍ، فرأى أرضاً حسناءَ أعجبتهُ خضرتُها، فنزل ليتغذَّى ويصلِّي، فلم يجد الماء، وكانَ الهدهدُ قُنَاقِنَهُ[(٤)]، وكان يرى

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥.

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٩٢: ولا يظن بأبي محمد (يعني ابن عطية) ذلك، فإنه لا يجهل أن شرط المتصلة تقدُّم همزة الاستفهام أو التسوية، لا مطلق الاستفهام.

(٣) الكشاف ٣/ ١٤٢.

(٤) في النسخ: يأتيه. وهو تحريف. والمثبت من الكشاف. والقُناقن بالضم: البصيرُ بالماء في حفر القنيّ، والجمع بالفتح.

الماءَ من تحتِ الأرض. وذَكَر أنَّه كان الجنُّ يسلخونَ الأرضَ حتى يظهرَ الماء[١].

«لأعذبنَّه عذاباً شديداً» أبهمَ العذابَ الشديدَ، وفي تعيينه أقوالٌ مضطربةٌ[٢] متعارضةٌ، والأجودُ أن تُجْعَلَ أمثلةً، فعن ابنِ عباس ومجاهد وابن جريج: نتفُ ريشِه. وقال ابنُ جريج: ريشُه كلُّه[٣]. وقال يزيد بن رومان: جناحه[٤]. وقال ابن وهب: نصفُه ويَبقى نصفُه[٥]. وقيل: يُزَادُ مع نتفِه تركُه للشمس. وقيل: يحبسُ في القفص. وقيل: يُطْلى بالقَطِران ويشمَّس. وقيل: ينتف ويُلْقى للنمل. وقيل: يجمعُ مع غير جنسه[٦]. وقيل: يبعد من خدمة سليمان عليه السلام. وقيل: يفرِّقُ بينه وبين إلفه[٧]. وقيل: يلزمُ خدمةَ امرأته.

وكان هذا القولُ من سليمان غضباً لله، حيث حضرت الصلاةُ وطلبَ الماءَ للوضوء، فلم يجده، وأباحَ الله له ذلك للمصلحة، كما أباحَ ذبحَ البهائم والطيور للأكل، وكما سخَّر له الطير، فلهُ أن يؤدِّبهُ إذا لم يأتِ ما سُخِّر له.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٢. وخبر أن الجن يسلخون له الأرض... أخرجه الطبري ١٨/ ٣٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قوله: مضطربة. من (ت) و(يه).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥. وأخرج قولي ابن عباس ومجاهد الطبريُّ ١٨/ ٣٣-٣٤، وقول مجاهد أخرجه من طريقين، الأول عن ابن أبي نجيح عنه، والثاني عن ابن جريج عنه، ولم أر لابن جريج قولاً مستقلاً. ونص قول مجاهد من الطريقين: نتف ريشه كله.

(٤) أخرجه الطبري ١٨/ ٣٤.

(٥) في نقل هذا القول إشكالان، أولهما في نسبته لابن وهب، والثاني في نصه. أما الأول فهذا القول الذي نسبه المصنف لابن وهب نقله عن المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥، ونصُّه فيه: ورَوى ابن وهب. اهـ. وأخرجه الطبري ١٨/ ٣٤ عن يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، قيل لبعض أهل العلم.
إذن فابن عطية ذكره روايةً عن ابن وهب فجعله المصنف قوله.
أمَّا الإشكال في النص، فنصُّه عند ابن عطية: أنه بأن تنتف أجمع وتبقى بضعة تنزو.
ونصه عند الطبري: ينتفُ ريشَه، يتركه بَضْعة تنزو.
والبضعة القطعة من اللحم، كأنه بعد نتف ريشه يبقى قطعة من اللحم، تنزو، تقفز، فهو بعد النتف عاجزٌ عن الطيران. فتوهَّم المصنف البضعة بعضاً فجعله نصفاً؟!! والله أعلم.

(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٤٣.

(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٣٤.

وقرأ الجمهور: «أو ليأتِيَنِّي» بنونٍ مشدَّدة بعدها ياء المتكلم، وابنُ كثير بنونٍ مشدَّدةٍ بعدها نونُ الوقاية بعد الياء[١]، وعيسى بن عمر بنونٍ مشدَّدةٍ مفتوحة بغيرِ ياء[٢].

والسلطانُ المُبين: الحجَّةُ والعُذْر، وفيه دليلٌ على الإغلاظ على العاصين وعقابِهم. وبدأ أوَّلاً بأخفِّ العقابين، وهو التعذيبُ، ثم أتبعَهُ بالأشدِّ، وهو إذهاب المهجةِ بالذبح. وأقسم على هذين؛ لأنَّهما من فعله، وأقسم على الإتيان بالسلطان وليس من فعله؛ لمَّا نظمَ الثلاثةَ في الحكم بـ «أو»، كأنه قال: ليكوننَّ أحدَ الثلاثة، والمعنى: إنْ أتى بالسلطان لم يكن تعذيبٌ ولا ذبحٌ، وإلَّا كان أحدُهما، ولا يدلُّ قسمُه على الإتيان على ادِّعاء درايةٍ، على أنَّه يجوزُ أن يتعقَّبَ حلفَه بالفعلين وحيٌ مِن الله بأنَّه يأتيه بسلطانٍ، فيكون قوله: «أو ليأتيني بسلطانٍ مبين» عن درايةٍ وإيقان[٣].

وقرأ الجمهور: «فمكُث» بضمِّ الكاف، وعاصم وأبو عمرو في رواية الجعفي وسهل وروح بفتحها[٤]، وفي قراءة أبيٍّ: «فيمكث ثم قال»[٥] وفي قراءة عبد الله: «فيمكثُ فقال»[٦]، وكلاهما في الحقيقة تفسيرٌ لا قراءة؛ لمخالفة ذلك سوادَ المصحف وما رويَ عنهما بالنقل الثابت.

---

(١) السبعة ص٤٧٩، والتيسير ص١٦٧.
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٨.
(٣) الكشاف ٣/ ١٤٣.
(٤) تحرفت في النسخ إلى: بضمها. والمثبت من المصادر. انظر قراءة عاصم والجمهور في السبعة ص٤٨٠، والتيسير ص١٦٧، وهي عنهم وعن روح في التذكرة في القراءات الثمان ٢/ ٤٧٤، والنشر ٢/ ٣٣٧، وذكر قراءة الفتح النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٣ عن عاصم والأعمش.
(٥) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥: فتمكث ثم قال. وفي روح المعاني ١٩/ ٤١٣ نقلاً عن البحر: فمكث ثم قال.
(٦) اضطربت المصادر في قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ، ففي معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٩، وزاد المسير ٦/ ١٦٤: «فتمكث» دون بيان ما بعدها، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥: «فتمكث ثم جاء فقال»، وفي روح المعاني ٩/ ٤١٣ نقلاً عن البحر: «فمكث فقال».
ووقع في مصحف ابن مسعود، كما في المصاحف لابن أبي داود ١/ ٣٢٦: «فيمكث غير بعيد».

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «فمكثَ» عائدٌ على الهدهد أي: غيرَ زمنٍ بعيد، أي: عن قرب، ووصِفَ مُكثُه بقصرِ المدَّة؛ للدلالة على إسراعه خوفاً من سليمان، وليُعْلَم كيفَ كان الطيرُ مسخَّراً له، ولبيان ما أُعطي من المعجزة الدالَّةِ على نبوَّته وعلى قدرة الله[١].

وقيل: وقف مكاناً غير بعيدٍ من سليمان، وكأنَّه - فيما روي - حين نزل سليمانُ حلَّقَ الهدهدُ، فرأى هدهداً، فانحطَّ عليه، ووصفَ له ملكَ سليمان وما سُخِّر له من كلِّ شيءٍ، وذكرَ له صاحبُه الآخرُ مُلْكَ بلقيس وعظَّمَ منه، وذهب معه لينظرَ، فما رجعَ إلَّا بعد العصر[٢].

وقيل: الضميرُ في «فمكث» لسليمان.

وقيل: يحتملُ أن يكونَ لسليمانَ وللهدهد، وفي الكلام حذفٌ، فإن كان «غيرَ بعيد» زماناً، فالتقديرُ: فجاء سليمانُ فسألَه: ما غيَّبَكَ؟ فقال: أحطتُ. وإنْ كان مكاناً، فالتقديرُ: فجاءَ فوقفَ مكاناً قريباً من سليمان، فسألَه: ما غيَّبك. وكان - فيما رُوي - قد أُعْلِمَ بما أقسمَ عليه سليمان، فبادرَ إلى جوابِه بما يسكِّنُ غيظَه عليه، وهو أنَّ غيبتَه كانت لأمرٍ عظيمٍ عرضَ له، «فقال: أحطتُ بما لم تُحِط به» وفي هذا جسارةُ مَنْ لديه علمٌ لم يكن عند غيره وتبجُّحُه بذلك، وإبهامٌ حتى تتشوَّفَ النفسُ إلى معرفة ذلك المبهَم، ما هو؟

ومعنى الإحاطة هنا أنَّه عَلِمَ علماً ليس عند نبيِّ الله سليمان. قال الزمخشريُّ: ألهم الله الهدهد، فكافحَ سليمان بهذا الكلام، على ما أوتي من فضلِ النبوَّة والحكمةِ والعلومِ الجمَّة والإحاطةِ بالمعلومات الكثيرة؛ ابتلاءً له في علمه، وتنبيهاً على أنَّ في أدنى خلقِه وأضعَفِه مَنْ أحاطَ علماً بما لم يُحط به[٣]؛ لتتحاقرَ إليه نفسُه، ويصغرَ إليه علمُه، ويكونَ لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فِتنةُ العلماء، وأعظِمْ بها فتنةً. والإحاطة بالشيء علماً: أنْ يُعْلَمَ من

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٣.
(٢) الكشاف ٣/ ١٤٢-١٤٣.
(٣) بعدها في المطبوع: سليمان.

جميع جهاته، لا يخفى منه معلومٌ، قالوا: وفيه دليلٌ على بطلان قول الرافضة: إنَّ الإمامَ لا يخفى عليه شيءٌ، ولا يكونُ في زمانه أحدٌ أعلمَ منه. انتهى[١].

ولمَّا أبهم في قوله: «بما لم تُحِط» انتقلَ إلى ما هو أقلُّ منه إبهاماً، وهو قوله: «وجئتُك من سبإٍ بنبإٍ يقين» إذ فيه إخبارٌ بالمكانِ الذي جاءَ منه، وأنَّه له علمٌ بخبرٍ مستيقَنٍ له.

وقرأ الجمهور: «من سبإٍ» مصروفاً هذا وفي ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ [سبأ: ١٥]، وابنُ كثير[٢] وأبو عمرو بفتحِ الهمزة غيرَ مصروفٍ فيهما، وقُنْبُل من طريق النَّبَّال[٣] بإسكانها فيهما.

فمن صرفَه جعله اسماً للحيِّ أو للموضع أو للأب، كما في حديث فروة بن مُسَيك وغيره عن رسول الله ﷺ أنَّه اسمُ رجلٍ وَلَدَ عشرةً من الولد، تيامَنَ منهم ستةٌ، وتشاءم أربعةٌ، والستَّة: حِمْيَر وكِنْدَة والأزدُ وأَشْعَر[٤] وخَثْعَم وبَجِيلة، والأربعة: لخمٌ وجُذام وعامِلة وغَسَّان[٥]. وكان سبأ رجلاً من قحطان اسمُه عبد شمس، وقيل: عامر، وسُمِّي سبأ لأنَّه أوَّل من سبى، ومن منعَه الصرفَ، جعلَه اسماً للقبيلة أو البقعة. وأنشدوا على الصرف:

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٣.
(٢) من طريق البزِّي.
(٣) ومن طريق الحسن بن محمد بن عبيد بن أبي يزيد، كما في السبعة ص٤٨٠، وذكرها في التيسير ص١٦٧ عن قنبل مطلقاً.
والنبَّال: هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن علقمة النبال، المعروف بالقواس، توفي بمكة سنة أربعين ومئتين، على قول أبي عمرو الداني، وقال غيره سنة خمس وأربعين ومئتين. معرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٠-٣٧١.
(٤) في (ت) و(يه): والأشعر.
(٥) أخرجه أحمد (٢٤٠٠٩/ ٨٩)، وأبو داود (٣٩٨٨) (وليس فيه تفصيل الستة والأربعة)، والترمذي (٣٢٢٢)، وقال: هذا حديث غريب حسن، وعند أحمد والترمذي أن الستة الذين تيامنوا هم الأزد والأشعريون وحِمْيَر وكندة ومذحج وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله: وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة. وقال الترمذي: وروي هذا عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

الـــواردونَ وتَـــيْــمٌ فـــي ذُرى سَــبــإٍ قد عَضَّ أعناقَهم جِلْدُ الجواميسِ[١]

ومن سكَّنَ الهمزةَ فلتوالي الحركات فيمن منعَ الصرفَ وإجراءً للوصل مُجرى الوقف. وقال مكّي: الإسكانُ في الوصل بعيدٌ غيرُ مختار ولا قويّ. انتهى[٢].

وقرأ الأعمش: «من سَبْـإِ» بكسر الهمزة من غير تنوين، حكاها عنه ابنُ خالويه وابنُ عطية[٣]، ويبعدُ توجيهها.

وقرأ ابنُ كثير في رواية: «من سَبًى» بتنوين الباء[٤] على وزن رَحًى، جَعلَهُ مقصوراً مصروفاً.

وذكر أبو معاذ أنَّه قرأ: «مِنْ سبْأى» بسكون الباء وهمزةٍ مفتوحةٍ غير منوَّنة[٥]، بناه على فَعْلَى، فامتنعَ الصرفُ للتأنيث اللازم.

وروى ابنُ حبيب عن اليزيديّ «من سبا» بألفٍ ساكنةٍ، كقولهم: تفرَّقوا أيدي سَبا[٦].

وقرأت فرقةٌ: «بنبا» بألفٍ عوض الهمزة، وكأنَّها قراءةُ من قرأ «سبا» بالألف[٧]، لتتوازن الكلمتان، كما توازنت في قراءة من قرأهما بالهمز المكسور والتنوين.

وقال في «التحرير»: إنَّ هذا النوعَ في علم البديع يسمَّى بالترديد. وفي كتاب «التفريع بفنون البديع»: أنَّ الترديدَ رَدُّ أعجاز البيوتِ على صدورها، أو ردُّ كلمةٍ من النصفِ الأوَّل إلى النصف الثاني، ويسمَّى أيضاً التصدير، فمثالُ الأول قوله:

---

(١) هو لجرير، وروايته في ديوانه ١/ ١٣٠:

تـدعـوك تـيـم وتـيـم فـي قـرى سـبـأ

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ١٥٦.

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٥.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أي: تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده. مجمع الأمثال ١/ ٢٧٥.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦.

سريعٌ إلى ابنِ العم يَجْبُرُ كَسْرَه وليس إلى داعي الخنا بسريعِ[(١)]

ومثالُ الثاني قوله:

والليالي إذا نأيتُم طِوالٌ والليالي إذا دنوتُم قِصارُ[(٢)]

وذكر أنَّ مثلَ: «من سبأ بنبأ» يُسمَّى تجنيسَ التصريف، قال: وهو أن تنفردَ كلُّ كلمةٍ من الكلمتين عن الأخرى بحرفٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. وما وردَ في الحديث: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير»[(٣)]، وقال الشاعر:

للهِ ما صَنَعَتْ بنا تلكَ المَحاجِرُ في المَعاجِر[(٤)]

وقال الزمخشريُّ: وقوله: «من سبأ بنبأ» من جنس الكلام الذي سمَّاه المُحْدَثون: البديع، وهو من محاسنِ الكلام الذي يتعلَّقُ باللفظ بشرطِ أن يجيء مطبوعاً أو يَصْنَعُه عالمٌ بجوهر الكلام، يحفظُ معه صحَّةَ المعنى وسدادَهُ، ولقد جاء هاهنا زائداً على الصحة، فحسُن وبَدُعَ لفظاً ومعنى، ألا ترى أنَّه لو وضع مكانَ «بنبأ»: بخبرٍ، لكانَ المعنى صحيحاً، وهو كما جاء أصحُّ، لما في النبأ من الزيادة التي يُطابقُها وصفُ الحال. انتهى[(٥)].

---

(١) ذكره بهذه الرواية أسامة بن منقذ في البديع في نقد الشعر ص٥١، - والكلام فيه بحروفه - وذكره عبدُ القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ص١٥٠، والبغدادي في خزانة الأدب ٥/ ٤٨٨ للأُقَيْشِر واسمه المغيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض قوله:

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطِمُ خَدَّهُ وليس إلى داعي النَّدى بسريعِ

(٢) البديع في نقد الشعر ص٥٣.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٤٩)، ومسلم (١٨٧١) من حديث عبد الله بن عمر ﵄.

(٤) في (أ) و(يه): المعاجز والمحاجز، وفي (ت): المحاجر والمحاجز، وفي (ع) والمطبوع: المعاجر والمحاجر. والمثبت من (ت) والبديع في نقد الشعر ص٢٢، والبيت فيه دون نسبه. والمحاجر جمع مَحْجِر، ومحجر العين: ما يبدو من النقاب، والمعاجر جمع مِعْجَر، وهو ما تشده المرأة على رأسِها. مختار الصحاح (حجر)، (عجر). ونسبه أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١/ ٢٣٦ لمحمد بن أبي الموج، ونُسِبَ للمعزِّ العُبيديِّ الفاطميِّ، صاحب المغرب، كما في سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٦٣.

(٥) الكشاف ٣/ ١٤٤.

والزيادةُ التي أشارَ إليها هي أنَّ النبأَ لا يكون إلَّا الخبر الذي له شأنٌ، ولفظُ الخبرِ مطلقٌ ينطلقُ على ما له شأنٌ وما ليسَ له شأن.

ولمَّا أبهمَ الهدهدُ أوَّلاً، ثمَّ أبهمَ ثانياً دونَ ذلك الإبهام، صَرَّح بما كان أبهمَه فقال: «إنِّي وجدتُ امرأةً تملكُهم».

ولا يدلُّ قولُه: تملكُهم على جواز أنْ تكونَ المرأةُ ملكةً؛ لأنَّ ذلك كان مِنْ فعلِ قومِ بلقيس وهم كفَّار، فلا حجَّةَ في ذلك، وفي «صحيح» البخاري من حديث ابن عباس[١] أنَّ النبي ﷺ لمَّا بلغَهُ أنَّ أهلَ فارس قد ملَّكُوا بنت كسرى، قال: «لن يُفلِحَ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأةً»[٢]. ونُقِل عن محمدِ بن جرير أنَّه يُجَوِّزُ أنْ تكونَ المرأةُ قاضيةً. ولم يصحَّ عنه، ونُقِل عن أبي حنيفةَ أنَّها تقضي فيما تشهدُ فيه، لا على الإطلاق، ولا أن يُكْتَبَ لها مسطورٌ بأنَّ فلانةَ مُقْدِمةٌ على الحكم، وإنَّما ذلك على سبيل التحكيم والاستنابة في القضيَّةِ الواحدة[٣].

ومعنى «وَجَدْتُ» هنا: أصَبْتُ، والضميرُ في «تملكُهم» عائدٌ على «سبأ» إنْ كان أُريد القبيلة، وإن أُريدَ الموضع، فهو على حذف، أي: وجئتُك من أهل سبأ.

والمرأة بلقيسُ بنت شراحيل، وكان أبوها ملكَ اليمن كلِّها، وقد ولَدَهُ[٤] أربعونَ ملكاً، ولم يكن له ولدٌ غيرها، فغلبتْ على الملكِ، وكانت هي وقومُها مجوساً يعبدون الشمس.

واختُلِفَ في اسم أبيها اختلافاً كثيراً، قيل: وكانت أُمُّها جِنِّيَّةً، تسمَّى ريحانة بنت السكن، تزوَّجها أبوها، إذ كان من عِظَمه لم ير أن يتزوَّج أحداً من

---

(١) كذا وقع هنا، وتابع المصنف في هذا الوهم القرطبيَّ في تفسيره ١٦/ ١٣٦، وتابعَهُ الآلوسيُّ في روح المعاني ١٩/ ٤١٨ (وغيرها محققو الكتابين إلى الصواب)، والصواب أن الحديث من رواية أبي بكرة لا ابن عباس ﵄.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٢٥)، (٧٠٩٩).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٤٥-١٤٤٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٣٨.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: ولد له. وهو تحريف والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ١٤٤.

ملوك زمانه، فولدتْ له بلقيس[١]. وقد طوَّلوا في قَصصها بما لم يَثْبُتْ في القرآن ولا الحديث الصحيح.

وبدأ الهدهدُ بالإخبار عن مُلْكِها، وأنَّها أُوتيت مِنْ كلِّ شيءٍ، وهذا على سبيل المبالغة، والمعنى: من كلِّ شيءٍ احتاجتْ إليه، أو: من كلِّ شيءٍ في أرضها.

وبين قولِ الهدهد ذلك وبينَ قول سليمان: «وأوتينا من كل شيء» فرقٌ، وذلك أنَّ سليمانَ عَطَفَ على قوله: «عُلِّمنا منطقَ الطير»، وهو معجزةٌ، فيرجعُ أوَّلاً إلى ما أُوتيَ من النبوَّة والحكمة وأسباب الدين، ثمَّ إلى المُلك وأسباب الدنيا، وعطفَ الهدهدُ على المُلك، فلم يُرِد إلَّا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقةِ بحالها[٢].

«ولها عرشٌ عظيمٌ» قال ابن زيد: هو مجلسُها. وقال سفيان: هو كرسيها[٣]، وكان مرصَّعاً بالجواهر، وعليه سبعةُ أبواب[٤]، وذكروا من وَصْفِ عرشِها أشياءَ، الله هو العالمُ بحقيقة ذلك.

واستعظامُ الهدهد عرشَها، إمَّا لاستصغار حالها أنْ يكونَ لها مثلُ هذا العرش، وإمَّا لأنَّ سليمان لم يكن له مثله، وإنْ كان عظيمَ المملكةِ في كلِّ شيءٍ؛ لأنَّه قد يوجدُ لبعضِ أمراءِ الأطراف شيءٌ لا يكونُ للملكِ الذي هم تحتَ طاعته[٥].

ولمَّا كان سليمان قد آتاهُ الله من كلِّ شيءٍ لا يكون لغيره[٦]، وكان له عرشٌ عظيمٌ، أخبرَه بهذا النبأ العظيم، حيثُ كان في الدنيا مَنْ يُشَاركُه فيما يَقْرُبُ من ذلك، ولم يلتفت سليمانُ لذلك؛ إذ كان مُعْرِضاً عن أمور الدنيا، فانتقلَ الهُدهدُ إلى الإخبار بما[٧] يتعلَّق بأمورِ الدين. وما أحسنَ انتقالاتِ هذه الأخبار بعد تهدُّد الهدهد وعلمِه بذلك، أَخْبَرَ أوَّلاً باطِّلاعِه على ما لم يَطَّلع عليه سليمان؛ تحصُّناً من

(١) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٤٨٦.
(٢) الكشاف ٣/ ١٤٤.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٠٤.
(٤) في الكشاف ٣/ ١٤٤: عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق.
(٥) الكشاف ٣/ ١٤٤.
(٦) قوله: لا يكون لغيره. من (ح).
(٧) في النسخ عدا (ح): إلى ما. بدل: بما. والمثبت من (ح).

العقوبة برتبةِ[١] العلم الذي حَصَلَ له، فتشوَّفَ السامعُ إلى علم ذلك، ثمَّ أخبر ثانياً بتعلُّق ذلك العلم، وهو أنَّه مِن سبأ، وأنَّه أمرٌ متيقَّنٌ لا شكَّ فيه، فزادَ تشوُّفُ السامع إلى سماع ذلك النبأ، ثم أخبرَ ثالثاً عن المُلْكِ الذي أوتيتهُ امرأةٌ، وكان سليمانُ عليه السلام قد سأل اللهَ أن يؤتيَه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، ثمَّ أخبرَ رابعاً بما ظاهرُه الاشتراكُ بينَه وبين هذه المرأة التي ليس مِن شأنها ولا شأن النساء أن تملكَ فحولَ الرجال، وهو قولُه: «وأُوتِيَتْ من كلِّ شيء»، وقولُه: «ولها عرشٌ عظيم»، وكان سليمانُ له بساطٌ قد صُنِعَ له، وكان عظيماً، ولمَّا لم يتأثَّر سليمانُ للإخبارِ بهذا كلِّه، إذ هو أمرٌ دنياويّ، أخبرَهُ خامساً بما يهزه لطلب هذه الملكة ودعائِها إلى الإيمان بالله وإفرادِه بالعبادة، فقال: «وجدتُها وقومَها يسجدونَ للشمس من دون الله».

وقد تقدَّمَ القولُ: إنَّهم كانوا مجوساً يعبدونَ الأنوار. وهو قولُ الحسن. وقيل: كانوا زنادقة.

وهذه الإخباراتُ من الهدهد كانت على سبيل الاعتذار عن غيبتِه عن سليمان، وعرفَ أنَّ مقصِدَ سليمان الدعاءُ إلى توحيد الله والإيمان به، فكان ذلك عذراً واضحاً أزالَ عنه العقوبة التي كان سليمانُ قد توعَّدهُ بها، وقام ذلك الإخبارُ مَقامَ الإتيان بالسلطان المبين، إذْ كان في غيبتِه مصلحةٌ لإعلام سليمانَ بما كان خافياً عنه، ومآلِه إلى إيمان الملكة وقومِها.

وخفيَ ملكُ هذه المرأة ومكانُها على سليمان، وإن كانت المسافةُ بينهما قريبةً، كما خفي ملكُ يوسفَ على يعقوب، وذلك لأمرٍ أرادَه الله تعالى. قال الزمخشريُّ: ومن نوكى القُصَّاص من يَقِفُ على قوله: «ولها عرشٌ» ثم يبتدئ: «عظيمٌ وجدتها» يريدُ: أمرٌ عظيم أنْ وجدتُها، فرَّ من استعظام الهدهد عرشَها، فوقع في عظيمة وهي مسخُ[٢] كتاب الله. انتهى[٣].

---

(١) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: بزينة. والمثبت من (ت) و(به).

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: نسخ. والمثبت موافق للكشاف ٣/ ١٤٤.

(٣) قال السمين الحلبي: النوكى: الحمقى، جمع أنوك، وهذا الذي ذكره من أمر الوقف، نقله الداني عن نافع، وقرَّره، وأبو بكر بن الأنباري، ورفعه إلى بعض أهل العلم، فلا ينبغي أن يُقال: نوكى القصاص.

وقال أيضاً: فإن قلت: من أين للهدهد التهدِّي إلى معرفة الله ووجوبِ السجود له وإنكار السجودِ للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟ قلت: لا يبعدُ أن يلهمَه اللهُ ذلك كما ألهمَه وغيرَه من الطيور وسائر الحيوان المعارفَ اللطيفة التي لا يكادُ العقلاءُ يهتدون لها، ومَنْ أرادَ استقراءَ ذلك، فعليه بكتاب «الحيوان»، خصوصاً في زمان نبيٍّ سُخِّرَت له الطيورُ، وعُلِّم منطقَها، وجُعِلَ ذلك معجزةً له. انتهى[(١)].

وأسندَ التزيين إلى الشيطان إذ كان هو المتسبب في ذلك بإقدار الله تعالى. «فصدَّهم عن السبيل» أي: الشيطان، أو تزيينُه. «عن السبيل» وهو الإيمانُ بالله وإفرادُه بالعبادة. «فهم لا يهتدون» أي: إلى الحقِّ.

وقرأ ابنُ عباس وأبو جعفر والزهريُّ والسُّلَميُّ والحسن وحُميد والكسائيُّ: «ألا» بتخفيف لام الألف[(٢)]، فعلى هذا له أن يقف على «فهم لا يهتدون» ويبتدئ على «ألا يسجدوا». قال الزمخشريُّ: وإنْ شاء وقف على «ألا يا» ثم ابتدأ «اسجدوا»[(٣)]. وباقي السبعة بتشديدها، وعلى هذا يصلُ قولَه: «فهم لا يهتدون» بقوله: «ألا يسجدوا».

وقال الزمخشريُّ: وفي حرف عبد الله، وهي قراءةُ الأعمش: «هلا» و«هلَّا» بقلب الهمزتين هاءً. وعن عبد الله: «هلَّا تسجدون» بمعنى: ألا تسجدون[(٤)] على الخطاب. وفي قراءة أبيّ: «ألا تسجدون لله الذي يخرجُ الخبء من السماء والأرض ويعلم سرَّكم وما تعلنون». انتهى.

وقال ابنُ عطية: وقرأ الأعمش: «هلَّا يسجدونَ» وفي حرف عبد الله: «ألا هل تسجدون» بالتاء، وفي قراءة أبي: «ألا تسجدون»[(٥)] بالتاء أيضاً. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٤-١٤٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٦، وقراءة الكسائي في السبعة ص٤٨٠، والتيسير ص١٦٧-١٦٨. والقراءة عن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٣٧، وهي أيضاً قراءة يعقوب من رواية رويس عنه. ويقف الكسائي منهم على «ألا يا» ويبتدئ: «اسجدوا» على الأمر.

(٣) الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه): يسجدون... يسجدون. والمثبت من (ت) والكشاف ٣/ ١٤٥.

(٥) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧: ألا هل تسجدوا.

فأمَّا قراءةُ من أثبتَ النون في «يسجدون» وقرأ بالتاء أو الياء، فتخريجها واضحٌ، وأمَّا قراءةُ باقي السبعة، فخُرِّجَتْ على أنَّ قوله: «ألَّا يسجدوا» في موضع نصبٍ، على أن يكون بدلاً من قوله: «أعمالهم»، أي: فزيَّنَ لهم الشيطانُ أنْ لا يسجدوا، وما بينَ المبدلِ منه والبدل معترضٌ، أو في موضع جرٍّ على أن يكون بدلاً من «السبيل» أي: فصدَّهم عن أن لا يسجدوا، وعلى هذا التخريج تكونُ «لا» زائدةً، أي: فصدَّهم عن أن يسجدوا لله، ويكون «فهم لا يهتدون» معترضاً بين المبدل منه والبدل، أو يكون التقدير: لأن لا يسجدوا، وتتعلَّق اللام إما بـ «زيَّن» وإمَّا بـ «فصدَّهم»، واللامُ الداخلة على «أنْ» داخلةٌ على مفعولٍ له[١]، أي: علَّةُ تزيينِ الشيطانِ لهم أو صدِّهم عن السبيل هي انتفاءُ سجودِهم لله، وجُوِّز على تعلُّقهِ بـ «زيَّن» أو بـ «صدهم» أن تكون «لا» زائدةً، أي: لتوقُّع سجودهم لله[٢]، أو لخوفه أنْ يسجدُوا لله.

وقال الزمخشريُّ: ويجوزُ أن تكونَ «لا» مزيدةً، ويكونُ المعنى: فهم لا يهتدون إلى أنْ يسجدوا. انتهى[٣].

وأما قراءةُ ابن عباس ومن وافقَه فخُرِّجَت على أن تكونَ «ألا» حرفَ استفتاح، و«يا» حرفَ نداء، والمنادى محذوفٌ، «اسجدوا» فعلُ أمرٍ، وسقطت ألف «يا» التي للنداء، وألفُ الوصل في «اسجدوا»؛ إذ رسمُ المصحفِ: «يسجدوا» بغير ألفين، لمَّا سقطا لفظاً سقطا خطًّا، ومجيءُ مثل هذا التركيب موجودٌ في كلام العرب، قال الشاعر:

ألا يا اسلمي ذاتَ الدماليجِ والعِقْدِ[٤]

وقال:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٦.

(٢) من قوله: وجوز على تعلقه... إلى هنا من (ت) و(يه).

(٣) الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٤) صدر بيت للعديل بن الفرخ العجليّ، وعجزه:

وذاتَ الثنايا الغُرِّ والفاحمِ الجعدِ

وهو في حماسة أبي تمام ٢/ ٧٢٩ بشرح المرزوقي، ٢/ ١٢٦ بشرح التبريزي.

ألا يـا اسـقـيـانـي قـبـلَ غـارةِ سـنـجـال[١]

وقال:

ألا يـا اسـلـمـي يـا دارَ مَـيَّ عـلـى الـبِـلـى[٢]

وقال:

ألا يـا اسـقـيـانـي قـبـل خيـل[٣] أبـي بـكـر[٤]

وقال:

فقالتْ ألا يا اسمعْ أَعِظْكَ بخُطْبةٍ فقلتُ سمعنَا فانطقي وأصيبي[٥]

وقال:

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر وإنْ كان حيَّانا عِداً آخرَ الدهرِ[٦]

---

(١) صدر بيت للشماخ، وعجزه:

وقـبـل مـنـايـا بـاكـرات وآجـال

وهو في ديوانه ص٤٥٦، والكتاب ٤/ ٢٢٤. وروايته في الديوان: ألا يا اصبحاني.

(٢) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه:

ولا زال مـنـهـلاً بـجـرعـائـك الـقَـطْـرُ

وهو في ديوانه ١/ ٥٥٩.

(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: حبل.

(٤) هو صدر بيت لحرقوص بن النعمان بن النمر، وعجزه:

لـعـلَّ مـنـايـانـا قـريـبٌ ومـا نـدري

ذكره الطبري في تاريخه ٣/ ٣٨١ (الشطر الأول)، وابن الأثير في الكامل ٢/ ٢٤٩ (طبعة دار الكتب العلمية)، وفيهما: ألا اسقياني.

وورد أيضاً هذا البيت في سنن البيهقي الكبرى ٨/ ١٧٨ دون نسبة، بلفظ: ألا يا اصبحينا.

(٥) البيت دون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٢، والإنصاف ١/ ١٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧، ونسبه أبو زيد في النوادر ص٢٢ للنمر بن تولب، وفيه: بخطة بدل: بخطبة، وكذا نسبه الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٤٠٨ للنمر بن تولب، لكن روايته عنده:

وقـالـت ألا فـاسـمـع نـعـظـك بـخـطـبـة فـقـلـت سـمـعـنـا فـانـطـقـي وأصـيـبـي

فلا شاهد فيه بهذه الرواية.

(٦) هو للأخطل، شعر الأخطل ١/ ١٧٩ (صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة بيروت).

وسُمِعَ بعضُ العرب يقول: ألا يا ارحمونا، ألا تصدَّقوا علينا.

ووقف الكسائيُّ في هذه القراءة على «يا» ثمَّ يبتدئ: «اسجدوا» وهو وقفُ اختبار لا اختيار[١].

والذي أذهبُ إليه أنَّ مثلَ هذا التركيبِ الواردِ عن العرب ليست «يا» فيه للنداء وحذفِ المنادى؛ لأنَّ المنادى عندي لا يجوزُ حذفُه؛ لأنَّه قد حُذِفَ الفعلُ العاملُ في النداء، وانحذفَ فاعلُه لحذفِه[٢]، ولو حذفنا المنادى، لكان في ذلك حذفُ جملةِ النداء وحذفُ متعلَّقه، وهو المنادى، فكان ذلك إخلالاً كثيراً، وإذا أبقينا المنادَى ولم نحذفهُ، كان ذلك دليلاً على العامل فيه وهو جملةُ النداء، وليس حرفُ النداء حرفَ جواب، كـ: نعم ولا وبلى وأجل، فيجوزُ حذفُ الجمل بعدهنَّ لدلالة ما سبقَ من السؤال على الجمل المحذوفة، فـ «يا» عندي في تلك التراكيبِ حرفُ تنبيهٍ أكَّدَ به «ألا» التي للتنبيه، وجازَ ذلك لاختلافِ الحرفين، ولقصد المبالغة في التوكيد، وإذا كان قد وُجِد التأكيدُ في اجتماع الحرفين المختلفَي اللفظ العاملَين في قوله:

فأصبحنَ لا يسألنَني عَنْ بما بهِ[٣]

والمتَّفِقَي اللفظ العاملين في قوله:

ولا للما بهم أبداً دواءُ[٤]

وجازَ ذلك وإنْ عَدُّوهُ ضرورةً أو قليلاً، فاجتماعُ غير العاملَين ـ وهما مختلفا اللفظ ـ يكونُ جائزاً. وليس «يا» في قوله:

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم[٥]

---

(١) قوله: لا اختيار. ساقط من (أ)، وفي (ت): اختيار لا اختبار، وفي (ح) و(ع) والمطبوع: اختيار لا اختبار. والمثبت من (يه) والدر المصون ٨/ ٦٠١، وعلله السمين بأنهما (يعني «ألا» و«يا») حرفان لا يتم معناهما إلا بما يتصلان به، وإنما فعله القراء امتحاناً وبياناً.

(٢) في (يه): بحذفه. وسقطت من (ت).

(٣) سلف عند تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) سلف عند تفسير الآية (٦٥) من سورة النساء.

(٥) صدر بيت عجزه:

والصالحينَ على سِمْعَانَ من جارِ

=

حرفَ نداء عندي، بل حرف تنبيهٍ، جاء بعدَه المبتدأُ، وليس ممَّا حُذِفَ منه المنادى؛ لما ذكرناه.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: أسجدةُ التلاوةِ واجبةٌ في القراءتين جميعاً أو في واحدةٍ منهما؟ قلت: هي واجبةٌ فيهما، وإحدى القراءتين أمرٌ بالسجود، والأخرى ذمٌّ للتارك. وما ذكرهُ الزجَّاجُ من وجوبِ السجدة مع التخفيف دون التشديد، فغيرُ مرجوعٍ إليه. انتهى[١].

والخِبْءُ مصدرٌ أُطْلِقَ على المخبوء، وهو المطرُ والنباتُ وغيرهما ممَّا خَبَأَهُ الله تعالى من غيوبِه[٢].

وقرأ الجمهورُ: «الخِبْءَ» بسكون الباء والهمزة.

وقرأ أبيّ وعيسى بنقلِ حركة الهمزةِ إلى الباء وحذفِ الهمزة[٣].

وقرأ عكرمة بألفٍ بدل الهمزة، فلزم فتحُ ما قبلها[٤]، وهي قراءةُ عبد الله ومالك بن دينار[٥]. ويخرَّج على لغة من يقول في الوقف: هذا الخَبُو ومررت بالخبِي، ورأيت الخَبَا، وأُجريَ الوصلُ مُجرى الوقف. وأجاز الكوفيُّون أنْ تقول في المرأة والكمأة: المرَاة والكمَاة، فتبدلَ من الهمزة ألفاً، فينفتحَ ما قبلَها، فعلى قولهم هذا يجوزُ أن يكون «الخبا» منه. قيل: وهي لغةٌ ضعيفة[٦]. وإجراءُ الوصلِ مُجرى الوقف أيضاً نادرٌ قليل، فتعادلَ التخريجان. ونقلُ الحركةِ إلى الباء وحذفُ الهمزة حكاه سيبويه عن قومٍ من بني تميم وبني أسد[٧]، وقراءةُ «الخبا» بالألف

= وهو دون نسبة في الكتاب ٢/ ٢١٩، والكامل ٣/ ١١٩٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ١٢٦، والإنصاف ١/ ١١٨، ومغني اللبيب ص٤٨٨، وشرح المفصل ٢/ ٢٤ وغيرها.

(١) الكشاف ٣/ ١٤٥، وانظر كلام الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ١١٥.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧ عن أبيّ، ومختصر في شواذ القرآن ص١٠٩ عن عيسى.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧.

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩.

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٧) الكتاب ٤/ ١٧٧.

طَعَنَ فيها أبو حاتم وقال: لا يجوز في العربيّة؛ قال: لأنه إنْ حذفَ الهمزة ألقى حركتَها على الباء فقال: الخبَ، وإنْ حوَّلها قال: الخبْيَ بسكون الباء وياءٍ بعدها. قال المبرِّد: كان أبو حاتم دونَ أصحابه في النحو، ولم يلحق بهم، إلَّا أنه إذا خرجَ من بلدتهم لم يلقَ أعلمَ منه[(١)].

والظاهرُ أنَّ «في السماوات» متعلِّق بـ «الخبء» أي: المخبوءَ في السماوات.

وقال الفرَّاء: «في» و«من» يتعاقبان، تقول العرب: لأستخرجنَّ العلمَ فيكم، يريد: منكم. انتهى[(٢)].

فعلى هذا يتعلَّق بـ «يُخْرِجُ» أي: من السماوات[(٣)].

ولمَّا كان الهدهد قد أوتيَ من معرفة الماء تحتَ الأرض ما لم يؤتَ غيرُه وألهمَه الله تعالى ذلك، كان وصفُه ربَّه تعالى بهذا الوصف الذي هو قولُه: «الذي يخرج الخَبْءَ»، إذ كلُّ مختصٍّ بوصفٍ من علمٍ أو صناعةٍ يظهرُ عليه مخايلُ ذلك الوصفِ في رُوائه ومنطقه وشمائله، ولذلك ورد: «ما عمل عبدٌ عملاً إلا ألقى الله عليه رداءَ عمله»[(٤)].

وقرأ الحِرْميان والجمهور: «ما يخفون وما يعلنون» بياء الغيبة، والضميرُ عائدٌ على المرأةِ وقومها. وقرأ الكسائيُّ وحفص بتاء الخطاب[(٥)]، فاحتمل أن يكون التفاتاً، كأنَّه نزَّلهم منزلةَ الحاضرين المخاطَبين، واحتمل[(٦)] أن يكونَ خطاباً لسليمان عليه السلام والحاضرين معه؛ إذ يبعدُ أن تكونَ محاورةُ الهدهد لسليمان وهما ليس معهما أحدٌ، وكما جازَ له أنْ يخاطبَه بقوله: «أحطت بما لم تحط به»

(١) إعراب القرآن ٣/ ٢٠٧-٢٠٨.
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩١، وانظر تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٦ وعنه نقل المصنف.
(٣) في (ت) و(به) والمطبوع: من في السماوات.
(٤) الكشاف ٣/ ١٤٥، والخبر أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ٢١٦ عن أنس مرفوعاً بلفظ: «إن الله عز وجل مردِّي كلَّ امرئٍ رداءَ عمله» وفيه مؤمل بن عبد الرحمن، وهو ضعيف وزكريا بن يحيى الوقار وهو متروك الحديث. انظر ذخيرة الحفاظ ٢/ ٦١٠.
(٥) السبعة ص٤٨١، والتيسير ص١٦٨.
(٦) من قوله: أن يكون التفاتاً. . . إلى هنا. من (ت) و(به).

جازَ أن يخاطبَه والحاضرين معه بقوله: «ما تخفون وما تعلنون» بل خطابُه بهذا ليس فيه ظهورُ شغوفٍ بخلافِ ذلك الخطاب.

والظاهرُ أنَّ قولَه: «ألَّا يسجدوا» إلى «العظيم» من كلام الهدهد. وقيل: من كلامِ الله تعالى خطاباً لأمَّةِ رسول الله ﷺ.

وقال ابنُ عطية: القراءةُ بياء الغيبة تُعطي أنَّ الآية من كلام الهدهد، وبتاء الخطاب تعطي أنَّها من خطاب الله عزَّ وجلَّ لأمَّة محمدٍ ﷺ[١].

وقال صاحبُ «الغنيان»: لمَّا ذكرَ الهدهدُ عرشَ بلقيس ووصفَه بالعِظَم، ردَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه، وبيَّن أنَّ عرشَه تعالى هو الموصوف بهذه الصفةِ على الحقيقة، إذ لا يستحقُّ عرشٌ دونَه أنْ يوصَف بالعظمة.

وقيل: إنَّه من تمام كلام الهدهد، كأنَّه استدركَ، وردَّ العظمةَ مِنْ عرش بلقيسَ إلى عرش الله.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف سوَّى الهدهد بين عرشِ بلقيس وعرشِ الله في الوصف بالعِظَم؟ قلت: بين الوصفين بونٌ بعيد[٢]، لأنَّ وصفَ عرشِها بالعِظَم تعظيمٌ له بالإضافة إلى عروش أبناءِ جنسِها من الملوك، ووصفُ عرشِ الله بالعظم تعظيمٌ له بالنسبةِ إلى سائر ما خلقَ من السماوات والأرض. انتهى.

وقرأ ابنُ محيصن وجماعةٌ: «العظيمُ» بالرفع[٣]. فاحتملَ أن تكون صفةً للعرش، وقطع على إضمار هو على سبيل المدح، فتستوي قراءتُه وقراءةُ الجمهور في المعنى، واحتملَ أن تكونَ صفةً للربِّ. وخُصَّ العرش بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات، وما عداهُ في ضمنِه[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧.

(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: فرق. بدل: بون بعيد. والمثبت من (ت) و(يه). وفي الكشاف ٣/ ١٤٥: بون عظيم.

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٦٦ للضحاك وابن محيصن.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٧.

ولمَّا فرغَ الهدهُد من كلامه، وأبدى عُذْرَهُ في غيبته، أخَّرَ سليمانُ أمرَه إلى أن يتبيَّنَ له صدقُه من كذبه، فقال: سننظرُ أصدقتَ في إخبارك أم كذبتَ؟ والنظرُ هنا: التأمُّل والتصفُّح. و«أصدقت» جملة معلَّق عنها «سننظر»، وهي في موضع نصبٍ على إسقاط حرف الجر؛ لأنَّ «نظرَ»[(١)] بمعنى التأمُّل والتفكُّر إنَّما يتعدَّى بحرفِ الجرِّ الذي هو «في»، وعادلَ بين الجملتين بـ «أم»، ولم يكن التركيب: أم كذبت؛ لأنَّ قولَه: «أم كنت من الكاذبين» أبلغُ في نسبة الكذبِ إليه؛ لأنَّ كونَه من الكاذبين يدلُّ على أنه معروف بالكذبِ، سابقٌ له هذا الوصفُ قبلَ الإخبار بما أَخبرَ به، وإذا كان قد سبقَ له الوصفُ بالكذبِ، كان متَّهماً فيما أخبرَ به، بخلافِ مَن يُظَنُّ ابتداءً كذبُه فيما أخبرَ به.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: فأمرَ بكتابة كتابٍ إليهم، وبذهابِ الهُدهد رسولاً إليهم بالكتاب، فقال: اذهبْ بكتابي هذا، أي: الحاضرِ المكتوب الآن.

«فألقِه إليهم ثمَّ تولَّ عنهم» أي: تنحَّ عنهم إلى مكانٍ قريبٍ، بحيثُ تسمعُ ما يصدرُ منهم وما يرجعُ به بعضُهم إلى بعضٍ من القول.

وفي قوله: «اذهب بكتابي هذا فألقِه إليهم» دليلٌ على إرسال الكتبِ إلى المشركين من الإمام يبلِّغُهم الدعوةَ ويدعوهم إلى الإسلام، وقد كتبَ رسولُ الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك العرب[(٢)].

وقال وهب: أمرُه بالتولِّي حسنُ أدبٍ؛ ليتنحَّى حسب ما يُتَأَدَّبُ به مع الملوك، بمعنى: وكنْ[(٣)] قريباً بحيثُ تسمعُ مراجعاتهم.

وقال ابنُ زيد: أمرُهُ بالتولِّي بمعنى الرجوعِ إليه، أي: ألقِه وارجع، قال: وقوله: «فانظر ماذا يرجعون» في معنى التقديم على قوله: «ثمَّ تولَّ عنهم». انتهى[(٤)]. وقاله أبو عليّ.

---

(١) في (ت) و(يه): ننظر.
(٢) انظر تفسير القرطبي ١٦/١٤٩.
(٣) في (ت): وتنح. بدل: وكن.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٥٧. وقولا وهب وابن زيد أخرجهما الطبري ١٨/٤٥-٤٦.

ولا ضرورة تدعو إلى التقديم والتأخير، بل الظاهرُ أنَّ النظرَ معتقِبٌ التولِّيَ عنهم.

وقرئ في السبعة «فألقه» بكسر الهاء وياء بعدها، وباختلاس الكسرة وبسكون الهاء[1].

وقرأ مسلمُ بن جندب بضمِّ الهاء وواوٍ بعدها[2].

وجَمَعَ في قوله: «إليهم»؛ لأنَّ الهدهدَ قال: «وجدتُها وقومَها»، وفي الكتاب أيضاً ضميرُ الجمع في قوله: «ألا تعلوا عليَّ». والكتابُ كان فيه الدعاءُ إلى الإسلام لبلقيس وقومِها.

ومعنى «فانظر ماذا يرجعون» أي: تأمَّل واستحضرهُ في ذهنك. وقيل: معناه: فانتظر. و«ماذا» إنْ كان معنى «فانظر» معنى التأمُّل بالفكر، كان «انظر» معلَّقاً، و«ماذا» إمَّا كلمةُ استفهامٍ في موضع نصبٍ، وإمَّا أن تكونَ «ما» استفهاماً، و«ذا» موصولٌ بمعنى الذي، فعلى الأول يكونُ «يرجعون» خبراً عن «ماذا»، وعلى الثاني يكونُ «ذا» هو الخبر، ويرجعون صلةُ «ذا»[3].

وإن كان معنى «فانظر»: فانتظر، فليسَ فعلَ قَلْبٍ فيُعَلَّق، بل يكون «ماذا» كلُّه موصولاً بمعنى الذي، أي: فانتظر الذي يرجعونَ، والمعنى: فانظر ماذا يرجعونَ حتى تردَّ إليَّ ما يرجعونَ من القول.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً

(١) الإشباع قراءة ابن كثير من رواية البزي، وابن عامر، والكسائي، ونافع من رواية ورش. والاختلاس قراءة قالون عن ابن كثير. والإسكان قراءة عاصم وأبي عمرو وحمزة. التيسير ص١٦٨.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٠٨: وهذا غلط، إمَّا من الكاتب، وإما من غيره، وذلك أن قوله: فعلى الأول يعني به أن «ماذا» كلَّه استفهام في موضع نصب يمنع قوله: «يرجعون» خبراً عن «ماذا»، كيف يكون خبراً عنه وهو منصوب به كما تقدم تقريره؟ وقد صرح هو بأنه منصوب يعني بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله.

أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي
مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا
آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ
لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

في الكلام حذفٌ تقديرُه: فأخذ الهدهدُ الكتابَ، وذهب به إلى بلقيس وقومِها، وألقاهُ إليهم، كما أمرَهُ سليمان. فقيل: أخذَهُ بمنقاره. وقيل: عَلَّقَهُ في عنقه، فجاءَها حتَّى وقفَ على رأسها وحولَها جنودُها، فرفرفَ بجناحيه والناسُ ينظرونَ إليه، حتَّى رفعتْ رأسَها، فألقى الكتاب في حِجْرها[١].

وقيل: كانت في قصرها قد غَلَّقت الأبواب واستلقتْ على فراشِها نائمةً، فألقى الكتاب على نحرها[٢].

وقيل: كانت في البيت كُوَّةٌ تقعُ الشمسُ فيها كلَّ يوم، فإذا نظرت إليها سجدت، فجاء الهدهدُ فسدَّها بجناحه، فرأت ذلك وقامت إليه، فألقى الكتابَ إليها[٣]. وكانت قارئةً عربيَّةً من قوم تُبَّع[٤].

وقيل: ألقاهُ من كُوَّةٍ وتوارى فيها، فأخذتِ الكتابَ ونادَتْ أشرافَ قومها، «قالت: يا أيها الملأ».

وكَرُمَ الكتاب لطبعهِ بالخاتم، وفي الحديث: «كرمُ الكتاب ختمُه»[٥]، أو لكونه

---

(١) هو قول مقاتل، كما في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٠، وزاد المسير ٦/ ١٦٧-١٦٨.
(٢) هو قول قتادة، كما في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٠، وزاد المسير ٦/ ١٦٧.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٠ عن ابن منبه وابن زيد.
(٤) الكشاف ٣/ ١٤٦.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٧٢) من طريق محمد بن مروان (السدي الصغير) عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً.
وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٣٩) من طريق محمد بن مروان عن محمد بن السائب عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس مرفوعاً.
والسدي الصغير ومحمد بن السائب متروكان.

من سليمان، وكانت عالمةً بمُلْكه، أو لكونِ الرسول به الطير، فظنَّتْهُ كتاباً سماويًّا، أو لكونهِ تضمَّن لُطفاً وليناً، لا سبًّا ولا ما يغير النفس، أو لبداءتِه باسم الله، أقوال.

ثم أخبرتهم فقالت: «إنَّه من سليمان» كأنَّها قيل لها: ممن الكتاب؟ وما هو؟ فقالت: إنَّه من سليمان، وإنَّه كيتَ وكيت، أبهمَت أوَّلاً ثمَّ فسَّرت[١].

وفي بنائها «أُلقيَ» للمفعول دلالةٌ على جهلها بالمُلْقي، حيث حَذَفَتْهُ، أو تحقيراً له حيث كان طائراً إن كانت شاهدَته.

والظاهرُ أنَّ بداءةَ الكتاب من سليمان باسم الله الرحمن الرحيم، إلى آخر ما قَصَّ الله منه خاصَّةً، فاحتملَ أن يكون «من سليمان» مقدَّماً على «بسم الله»، وهو الظاهرُ، وقدَّمه لاحتمال أن يَنْدُرَ[٢] منها ما لا يليقُ، إذ كانت كافرةً، فيكون اسمُه وقايةً لاسم الله تعالى، أو كان عنواناً في ظاهر الكتاب، وباطنُه فيه: «بسم الله» إلى آخره، واحتملَ أنْ يكون مؤخَّراً في الكتابة عن «بسم الله» وأنَّ ابتداءَ الكتابِ باسم الله، وحين قرأتهُ عليهم بعد قراءتها له في نفسِها، قدَّمتهُ في الحكاية، وإنْ لم يكن مقدَّماً في الكتابة.

وقال أبو بكر بن العربي[٣]: كانت رسلُ المتقدِّمين[٤] إذا كتبوا كتاباً بدؤوا بأنفسهم: من فلانٍ إلى فلان، وكذلك جاءت الآثار[٥]. وعن أنس: ما كانَ أحدٌ أعظمَ حُرمةً من رسول الله ﷺ، وكان أصحابُه إذا كتبوا إليه كتاباً بدؤوا بأنفسهم[٦]. وقال أبو الليث في كتاب «البستان» له: ولو بدأ بالمكتوبِ إليه جاز؛ لأنَّ الأُمَّةَ قد أجمعت عليه وفعلوه[٧].

---

(١) بعدها في (ح): ثانياً.
(٢) في (أ): ينذر، وفي (ت): يصدر، وفي (يه): يبدر.
(٣) في نسبة هذا الكلام لابن العربي وهم، فقد نقل المصنف هذا الكلام عن تفسير القرطبي ١٦/ ١٥١، والكلام الذي قبل هذا الكلام فيه منسوب لابن العربي.
(٤) كذا، وفي تفسير القرطبي ١٦/ ١٥١: كان رسم المتقدمين.
(٥) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: الإشارة، بدل: الآثار. وهو تحريف.
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٣٠ لكن من قول سلمان. وذكره من قول أنس القرطبي ١٦/ ١٥٢ وعنه نقل المصنف.
(٧) بستان العارفين ص٦٣.

وقرأ الجمهور: «إنَّه من سليمان وإنَّه» بكسر الهمزة فيهما.

وقرأ عبد الله: «وإنَّه من سليمان» بزيادة واو عطفاً على «إنِّي أُلْقيَ»[١].

وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة بفتحهما[٢]، وخُرِّج على البدل من «كتابٌ»، أي: أُلْقيَ إليَّ أنَّه، أو على أن يكون التقدير: لأنَّه، كأنَّها علَّلت كرمَ الكتاب لكونِه من سليمان وتصديره بـ «بسم الله»[٣].

وقرأ أبيّ: «أنْ من سليمان وأنْ بسم الله» بفتح الهمزةِ ونونٍ ساكنةٍ[٤]، فُخرِّجَ على أنَّ «أنْ» هي المفسِّرة؛ لأنّه قد تقدَّمت جملةٌ فيها معنى القول، وعلى أنَّها «أنْ» المخفَّفة من الثقيلة، وحُذِفت الهاء.

و«بسم الله الرحمن الرحيم» استفتاحٌ شريفٌ، بارعُ المعنى، مبدوءٌ به في الكتب في كلِّ لغةٍ وكلِّ شرعٍ، و«أن» في قوله: «أنْ لا تعلوا»، قيل: في موضع رفع على البدل من «كتابٌ». وقيل في موضع نصب على معنى: بأنْ لا تعلوا[٥]. وعلى هذين التقديرين تكونُ «أنْ» ناصبةً للفعل.

وقال الزمخشريُّ: و«أن» في «أنْ لا تعلوا عليَّ» مفسِّرةٌ[٦]، فعلى هذا تكونُ «لا» في «لا تَعْلُوا» للنهي، وهو حسنٌ؛ لمشاكلة عطفِ الأمرِ عليه.

وجوَّز أبو البقاء أنْ يكون التقديرُ: هو أن لا تعلوا[٧]. فيكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ.

ومعنى «لا تعلوا»: لا تتكبَّروا كما تفعل الملوك.

وقرأ ابنُ عباس في رواية وهب بن منبِّه، والأشهبُ العقيليُّ: «أنْ لا تغلوا»

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٥٨.
(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩ عن عكرمة، والمحرر الوجيز ٤/٢٥٨ عن ابن أبي عبلة.
(٣) انظر الكشاف ٣/١٤٦، وتفسير القرطبي ١٦/١٥٣.
(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٦، والمحرر الوجيز ٤/٢٥٨، والكشاف ٣/١٤٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٢٥٨.
(٦) الكشاف ٣/١٤٦.
(٧) الإملاء ٢/١٧٣.

بالغين المعجمة[١]، أي: لا تتجاوزُوا الحدَّ، وهو من الغلوّ.

والظاهرُ أنَّه طلبَ منهم أنْ يأتوه وقد أسلموا وتركُوا الكفرَ وعبادةَ الشمس. وقيل: معناه: مذعنين مستسلمين، من الانقياد والدخولِ في الطاعة.

وما كتبهُ سليمانُ في غاية الإيجاز والبلاغة، وكذلك كتبُ الأنبياء. والظاهرُ أنَّ الكتابَ هو ما نصَّ اللهُ عليه فقط، واحتملَ أنْ يكون مكتوباً بالعربيّ؛ إذ الملوكُ يكون عندهم مَنْ يترجمُ بعدَّة ألسن، فكتب بالخطّ العربيّ واللفظِ العربيّ؛ لأنَّها كانت عربيَّة من نسلِ تُبَّع بن شراحيل الحميريّ، واحتملَ أن يكون باللسان الذي كان سليمانُ يتكلَّم به، وكان عندها من يُترجم لها أو كانت هي عارفةً بذلك اللسان.

ورويَ أنَّ نسخةَ الكتاب: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، السلامُ على من اتَّبع الهدى، أما بعد، فلا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين. وكانت كتبُ الأنبياءِ جملاً لا يطيلونَ ولا يكثرون، وطَبعَ الكتابَ بالمسك، وختَمهُ بخاتمه[٢].

ورويَ أنَّه لم يكتب أحدٌ «بسم الله الرحمن الرحيم» قبلَ سليمان[٣].

ولمَّا قرأت على الملأ الكتابَ، ورأتْ ما فيه مِن الأمر بالانتقالِ إلى سليمان، استشارَتهم في أمرها. قال قتادة: وكان أولو مشورتِها ثلاث مئة واثني عشر، وعنه: وثلاثة عشر[٤]، كلُّ رجلٍ منهم على عشرةِ آلاف، وكانت بأرضِ مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام، وذُكِرَ عن عسكرها ما هو أعظم وأكثر من هذا. والله أعلم بذلك.

وتقدَّمَ الكلامُ في الفتوى في سورة يوسف. والمرادُ هنا: أشيروا عليَّ بما عندكم في ما حدث لها من الرأي السديد والتدبير، وقصدت بإشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافَهم وتطييبَ أنفسهم؛ ليمالئوها ويقوموا معها[٥].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٨، ورواية وهب عن ابن عباس في المحتسب ٢/ ١٣٩.
(٢) الكشاف ٣/ ١٤٦.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٤٧-١٤٤٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٥١.
(٤) الثاني ذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٩٠، والبغوي ٣/ ٤١٦، والقرطبي ١٦/ ١٥٤.
(٥) قوله: معها. من (به). وهو موافق للكشاف ٣/ ١٤٦ والكلام منه. وبعدها في (ح): بأمرها. وليست في بقية النسخ.

«ما كنت قاطعةً أمراً» أي: مُبْرِمةً وفاصلةً أمراً حتى تشهدون، أي: تحضروا عندي، فلا أستبدَّ بأمرٍ، بل تكونوا حاضرين معي، وفي قراءة عبد الله: «ما كنت قاضيةً أمراً»(١) أي: لا أبتُّ إلَّا وأنتم حاضرون معي.

«وما كنت قاطعة أمراً» عامٌّ في كلِّ أمرٍ، أي: إذا كانت عادتي هذه معكم، فكيف لا أستشيرُكم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروجُ من الملك، والانسلاكُ في طاعةِ غيري(٢)، والصيرورةُ تبعاً، فراجعَها الملأُ بما أقرَّ عينَها من قولهم: إنَّهم أولو قوَّةٍ، أي: قوَّةٍ بالعَدَدِ والعُدَد، وأولو بأسٍ شديد، أي: أصحابُ شجاعةٍ ونجدةٍ، أظهروا القوَّةَ العرضيَّة، ثمَّ القوَّة الذاتيَّة، أي: نحنُ متهيِّئون للحرب ودفع هذا الحادث.

ثمَّ قالوا: «والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين» وذلك من حُسْنِ محاورتهم، إذ وَكلُوا الأمرَ إليها، وهو دليلٌ على الطَّاعة المفرطَة، أي: نحنُ ذكرنا ما نحنُ عليه، ومع ذلك فالأمرُ موكولٌ إليك، كأنَّهم أشاروا أوَّلاً عليها بالحرب، أو أرادوا: نحنُ أبناءُ الحرب لا أبناءُ الاستشارة، وأنتِ ذاتُ الرأي والتدبير الحسن. «فانظري ماذا تأمرين» به نرجع إليك ونتبعْ رأيَك.

و«فانظري» من التأمُّل والتفكُّر. و«ماذا» هو المفعولُ الثاني لـ «تأمرين»، والمفعولُ الأوَّل محذوفٌ لفهم المعنى، أي: تأمرينا، والجملةُ معلَّقٌ عنها «انظري»، فهي في موضعِ مفعول لـ «انظري» بعدَ إسقاطِ الحرف من اسم الاستفهام.

ولمَّا وصل إليها كتاب سليمان، لا على يد رَجُلٍ، بل على طائرٍ، استعظَمت مُلْكَ سليمان، وعلمَتْ أنَّ مَنْ سُخِّر له الطيرُ حتّى يرسلَهُ بأمرٍ خاصٍّ إلى شخصٍ خاصٍّ مُغْلَقٍ عليه الأبواب = غيرِ مُمتنعٍ عليه تدويخُ الأرض وملوكِها، فأخبرت بحالِ الملوك، ومالت إلى المهاداةِ والصُّلح، ف «قالت: إنَّ الملوك إذا دخلوا قريةً» أي: تغلَّبوا عليها، «أفسدوها» أي: خرَّبوها بالهدم والحَرْق والقَطْع، وأذلُّوا أعزَّة

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٥٨، والكشاف ٣/١٤٦.
(٢) في (ح): الغير.

أهلها بالقتلِ والنهب والأسر. وقولُها فيه تزييفٌ لآرائهم في الحرب[١]، وخوفٌ عليهم وحِياطةٌ لهم واستعظامٌ لملك سليمان عليه السلام[٢].

والظاهرُ أنَّ «وكذلك يفعلون» هو من قولها، أي: عادةُ الملوكِ المستمرَّةُ تلك من الإفساد والتذليل، وكانت ناشئةً في بيتِ الملك، فَرَأت ذلك وسمعت، ذكرت[٣] ذلك تأكيداً لما ذكرت من حالِ الملوك.

وقيل: هو من كلامِ الله إعلاماً لرسوله ﷺ وأُمَّتِه، وتصديقاً لإخبارها عن الملوك إذا تغلَّبوا[٤].

ولمَّا كانت عادةُ الملوك قَبولَ الهدايا وأنَّ قَبولها يدلُّ على الرضا والإلفة، قالت: «وإنِّي مُرْسِلةٌ إليهم» أي: إلى سليمان ومَنْ معه رُسُلاً بهديَّةٍ، وجاءَ لفظُ الهديَّةِ مبهماً، وقد ذكروا في تعيينها أقوالاً مضطربةً متعارضةً، وذكروا من حِيَلها في الهدية ومن حال سليمان حين وَصَلت إليه الهديَّةُ، وكلامِه مع رُسُلها، ما اللهُ أعلمُ به.

و«فناظرةٌ» معطوفٌ على «مُرْسِلة» و«بم» متعلِّقٌ بـ «يرجع». ووقع للحوفي أنَّ الباء متعلِّقةٌ بـ «ناظرة» وهو وهمٌ فاحش[٥]. والنظرُ هنا معلَّقٌ أيضاً، والجملةُ في موضع مفعولٍ به.

وفيه دلالةٌ على أنَّها لم تثق بقَبول الهديَّة، بل جوَّزت الردَّ، وأرادت بذلك أن ينكشفَ لها غرضُ سليمان، والهديَّةُ اسمٌ لما يُهْدَى، كالعَطيَّة هي اسمٌ لما يُعْطَى.

ورُوِيَ أنَّها قالت لقومها: إنْ كان ملكاً دنياوياً أرضاهُ المال، وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيًّا لم يُرْضِه المال، وينبغي أن نتَّبِعَهُ على دينه[٦].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٤٧.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٨.

(٣) في (ح): وذكرت. وفي الكشاف ٣/ ١٤٧: ثم ذكرت.

(٤) روي عن ابن عباس ﷺ، كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٨٧٧ (١٦٣٢٨).

(٥) لأن اسم الاستفهام له صدر الكلام. الدر المصون ٨/ ٦١١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٩.

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: فأرسلت الهديَّةَ.

فلمَّا جاء أي: الرسولُ سليمانَ، والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد، وكذلك الضمير في «ارجع»، والرسولُ يقعُ على الجمع والمفرد والمذكَّر والمؤنَّث. وقرأ عبدُ الله: «فلما جاؤوا» وقرأ «ارجعوا»[١] جعله عائداً على قوله: «المرسلون».

و«أتمدونني بمالٍ» استفهام إنكارٍ واستقلال، وفي ذلك دلالةٌ على عزوفِه عن الدنيا، وعدمِ تعلُّق قلبِه عليه الصلاة والسلام بها.

ثمَّ ذكرَ نعمةَ الله عليه وأنَّ ما آتاهُ اللهُ من النبوَّة وسَعَةِ المُلك خيرٌ ممَّا آتاكم، بل أنتم بما يُهْدَى إليكم تفرحون بحبّكم[٢] الدنيا. والهديَّةُ تصحُّ إضافتُها إلى المهدي وإلى المهدَى إليه، وهي هنا مضافةٌ للمهدَى إليه، وهذا هو الظاهر، ويجوزُ أن تكون مضافةً إلى المُهْدِي، أي: بل أنتم بهديَّتكم هذه التي أهديتموها تفرحونَ فرحَ افتخارٍ على الملوك، فإنكم[٣] قدرتم على إهداء مثلها، ويجوزُ أن تكون عبارةً عن الردِّ، كأنه قال: بل أنتم من حقِّكم أن تأخذوا هديَّتكم وتفرحوا بها[٤].

وقرأ جمهورُ السبعة: «أتمدونني» بنونين، وأثبتَ بعضٌ الياءَ وحذفها بعض[٥]، وقرأ حمزةُ بإدغامِ نون الرفع في نون الوقاية، وإثباتِ ياء المتكلم[٦]. وقرأ المسيبيُّ عن نافعٍ بنونٍ واحدةٍ خفيفة[٧].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما الفرقُ بين قولك: «أتمدُّونني بمالٍ» وأنا أغنى

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٩.
(٢) في (يه): لحبكم.
(٣) في(يه): فكأنكم. وفي الكشاف: بأنكم.
(٤) الكشاف ٣/ ١٤٨.
(٥) قوله: وحذفها بعض. من (ت) وفي (يه): وحذف بعض.
وأثبت الياء في الوقف والوصل ابن كثير وحمزة ويعقوب، وأثبتها في الوصل نافعٌ وأبو عمرو وأبو جعفر، وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي وخلف بغير ياءٍ في الوصل والوقف. انظر السبعة ص٤٨٢، والتيسير ص١٧٠، والنشر ٢/ ٣٤٠.
(٦) السبعة ص٤٨٢، والتيسير ص١٧٠. وكذا أدغمها يعقوب من العشرة. النشر ٢/ ٣٤٠.
(٧) السبعة ص٤٨٢، ومختصر في شواذ القرآن ص١٠٩.

منكم، وبين أن تقولَه بالفاء؟ قلت: إذا قلتُه بالواو، فقد جعلتُ مخاطَبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى، وهو مع ذلك يُمِدُّني بالمال، وإذا قلتُه بالفاء، فقد جعلتُه ممن خفيت عنه حالي، وأنا أخبرُه الساعةَ بما لا أحتاجُ معه إلى إمداده، كأني أقول له: أنكرُ عليكَ ما فعلتَ، فإنِّي غنيٌّ عنه، وعليه وردَ قوله: «فما آتاني الله»[(١)]. فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لمَّا أنكر عليهم الإمداد، وعلَّلَ إنكارَه، أضربَ عن ذلك إلى بيان السبب الذي حمَلهم عليه، وهو أنَّهم لا يعرفون سببَ رضا ولا فرح، إلَّا أن يُهْدَى إليهم حظٌّ من الدنيا التي لا يعلمونَ غيرها. انتهى[(٢)].

«ارجع إليهم» هو خطابٌ للرسول الذي جاء بالهديَّة، وهو المنذرُ بن عمرو أميرُ الوفد[(٣)]، والمعنى: ارجعْ إليهم بهديَّتهم.

وتقدَّمت قراءةُ عبد الله: «ارجعوا» إليهم، و«ارجعوا» هنا لا يتعدَّى، أي: انقلبوا وانصرفوا إليهم.

وقيل: الخطابُ بقوله: «ارجع» للهدهد محمَّلاً كتاباً آخر[(٤)].

ثمَّ أقسم سليمان فقال: «فلنأتينهم بجنودٍ» متوعِّداً لهم، وفيه حذفٌ، أي: إنْ لم يأتوني مسلمين. ودلَّ هذا التوعُّدُ على أنَّهم كانوا كفَّاراً باقين على الكفر إذ ذاك.

والضمير في «بها» عائدٌ على الجنود، وهو جمعُ تكسير، فيجوزُ أنْ يعودَ الضمير عليه، كما يعود على الواحدة، كما قالت العرب: الرجالُ وأعضادُها.

وقرأ عبد الله: «بهم»[(٥)]. ومعنى: «لا قبلَ»: لا طاقةَ. وحقيقةُ القِبَل: المقاومة

---

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦١٣: وفي هذا الفرق نظر؛ إذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفاء، ثم إنه لم يجب عن السؤال الأول، وهو أنه لِمَ عَدَلَ عن قوله: وأنا أغنى منكم، إلى قوله: «فما آتاني الله»؟ وجوابه أنه أسند إيتاء الغنى إلى الله؛ إظهاراً لنعمته عليه، ولو قال: وأنا أغنى منكم، كان فيه افتخارٌ من غير ذِكرٍ لنعمة الله عليه.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤٨.

(٣) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٤، والقرطبي ١٦/ ١٦٢.

(٤) الكشاف ٣/ ١٤٨.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٥٩، والكشاف ٣/ ١٤٨.

والمقابلة، أي: لا يقدرونَ أن يقابلُوهم[١].

والضمير في «منها» عائدٌ على سبأ، وهي أرض بلقيس وقومها.

وانتصب «أذلةً» على الحال، «وهم صاغرون» حالٌ أخرى، والذلُّ: ذهابُ ما كانوا فيه من العزِّ، والصَّغارُ: وقوعُهم في أسرٍ واستعبادٍ، ولا يقتصر بهم على أنْ يرجعُوا سُوْقَةً بعد أن كانوا ملوكاً. وفي مجيء هاتين الحالتين دليلٌ على جواز أن يُفْضِيَ[٢] العاملُ [إلى] حالين لذي حالٍ واحد، وهي مسألةُ خلافٍ، ويمكن أن يقال: إنَّ الثانيةَ هنا جاءت توكيداً لقوله: «أذلةً»، فكأنَّهما حالٌ واحدةٌ.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

في الكلام حذفٌ تقديرُه: فرجعَ المرسلُ إليها بالهديَّة، وأخبرَها بما أقسمَ عليه سليمان، فتجهَّزت للمسيرِ إليه؛ إذ عَلِمَتْ أنَّه نبيٌّ ولا طاقةَ لها بقتالِ نبيٍّ، فروي أنَّها أمرتْ عندَ خروجها إلى سليمان، فجُعِلَ عرشُها في آخر سبعة أبيات بعضُها[٣] في جوفِ بعض في آخرِ قصرٍ مِنْ قُصورها، وغَلَّقتِ الأبوابَ، ووكَّلت به حُرَّاساً يحفظونه[٤]، وتوجَّهت إلى سليمانَ في أقيالها[٥] وأتباعهم.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٨.
(٢) في (يه) والمطبوع: يقضي. ولم تنقط في (أ) و(ع)، وهي غير واضحة في (ت) والمثبت من (ح)، وما سيأتي بين حاصرتين من عندي.
(٣) بعدها في (ت): داخل بعض.
(٤) الكشاف ٣/ ١٤٨، وأخرجه الطبري ١٨/ ٦٢ من قول وهب بن منبه.
(٥) جمع قَيْل، وهو دون الملك الأعلى، يعني في مرتبة الوزير. انظر القاموس (قول).

قال عبد الله بن شداد: فلمَّا كانت على فرسخٍ من سليمان، قال: «أيّكم يأتيني بعرشها»[١].

وقال ابنُ عبَّاس: كان سليمانُ مهيباً لا يُبْتَدَأ بشيءٍ حتى يكونَ هو الذي يَسأَلُ عنه، فنظر ذات يومٍ رَهْجاً[٢] قريباً منه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيس، فقال ذلك[٣].

واختلفوا في قصد سليمان استدعاء عرشها، فقال قتادة وابن جريج: لمَّا وُصِفَ له عظمُ عرشِها وجودتُه، أرادَ أخذَه قبل أن يعصِمَها وقومَها الإسلامُ ويمنعَ أخذَ أموالِهم. والإسلامُ على هذا: الدين[٤]. وهذا فيه بعدٌ أن يقعَ ذلكَ من نبيٍّ أوتي مُلْكاً لم يؤتَهُ أحدٌ غيرُه.

وقال ابنُ عباس وابنُ زيد: استدعاهُ ليريَها القدرةَ التي هي من عند الله وليغرب عليها سليمان. والإسلام على هذا: الاستسلام[٥].

وأشارَ الزمخشريُّ إلى هذا القول فقال: ولعلَّهُ أوحي إليه عليه السلام باستيثاقها مِنْ عرشها، فأراد أن يغربَ عليها ويريَها بذلك بعضَ ما خُصَّ[٦] به من إجراء

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٠، وذكره القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٦٤.
(٢) في (ت) و(يه): وهجاً. والرهج: الغبار. مختار الصحاح (رهج).
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٥، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١١/ ٣٧٧-٣٨٢ (دار هجر) مطولاً وعزاهُ لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٦-٢٨٩٧ (١٦٤٤٨) من طريق ابن أبي شيبة (وليس فيه القطعة التي أوردها أبو حيان هنا). ونقل ابن أبي حاتم في آخره عن ابن أبي شيبة قوله: ما أحسنه من حديث. قال ابن كثير في تفسيره: بل هو منكرٌ غريبٌ جداً، ولعلَّه من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم. والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاةٌ عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب ـ سامحهما الله تعالى ـ فيما نقلا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنى الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة. انتهى.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠، وأخرجه الطبري ١٨/ ٦٤ عن قتادة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠.
(٦) في النسخ عدا (يه): خصه. وفي الكشاف ٣/ ١٤٨: خصه الله.

العجائبِ على يده، مع اطلاعها على عظيم قدرةِ الله تعالى، وعلى ما يَشهدُ لنبوَّة سليمان ويُصَدِّقها. انتهى.

وقال الطبريُّ: أراد أن يختبرَ صدقَ الهدهد في قوله: «ولها عرشٌ عظيم»[(١)]. وهذا فيه بعدٌ؛ لأنَّه قد ظهرَ صدقُه في حمل الكتاب، وما ترتَّبَ على حملِه من مشورةِ بلقيسَ قومَها وبعثِها بالهدية.

وقيل: أرادَ أن يُؤْتَى به فينكِّرَ ويغيِّر، ثمَّ ينظر أتثبتُه أم تنكرُه؛ اختباراً لعقلها[(٢)].

والظاهرُ ترتيبُ هذه الأخبار على حسب ما وقعتْ في الوجود، وهو قولُ الجمهور. وعن ابنِ عباس أنَّه قال: أيُّكم يأتيني بعرشِها حين ابتدأ النظرَ في صدق الهدهد من كذبه لما قال: «ولها عرشٌ عظيم» ففي ترتيب القصصِ تقديمٌ وتأخيرٌ[(٣)].

وفي قوله: «أيُّكم يأتيني بعرشِها» دليلٌ على جواز الاستعانة ببعض الأتباع في مقاصدِ الملوك، ودليلٌ على أنَّه قد يُخَصُّ بعضُ أتباعِ الأنبياءِ بشيءٍ لا يكون لغيرهم، ودليلٌ على مبادرةِ مَنْ طلبَ منه الملوكُ قضاءَ حاجةٍ، وبداءةِ الشياطينِ في التسخيرِ على الإنس وقدرتِهم بإقدار الله على ما يبعدُ فعلُه من الإنس.

وقرأ الجمهور: «عِفْريتٌ»، وأبو حيوة بفتحِ العين[(٤)]. وقرأ أبو رجاء

---

(١) نقله المصنف عن القرطبي ١٦/ ١٦٥، وهو وهم ناتج عن سرعة النظر، فالطبري رحمه الله ذكر اختلاف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ فقال: وقال آخرون: إنما اختبر صدق الهدهد سليمانُ بالكتاب. وإنما سأل من عنده إحضارَه عرشَ المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده وبعد ما أقبلت المرأة إليه انتهى. تفسير الطبري ١٨/ ٥٩-٦٠، ٦٢.
ثم بين الطبريُّ بعد ذلك أن أولى الأقوال بالصواب في طلب سليمان من جنده إحضار عرشها هو أن يجعل ذلك حجَّة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه. تفسير الطبري ١٨/ ٦٥. وهو معنى قول الزمخشري السالف قريباً.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٤، وأخرج الطبري نحوه عن ابن زيد.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠، وأخرج قول ابن عباس ﷺ الطبري ١٨/ ٦١.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٧٤ لأبيّ والضحاك وأبي العالية وابن يعمر وعاصم الجحدري.

وأبو السمَّال وعيسى، ورويت عن أبي بكر الصِّدِّيق: «عِفْرِيَةٌ» بكسرِ العين وسكون الفاء وكسر الراء بعدها ياء مفتوحة بعدها تاء التأنيث[١]. وقال ذو الرمة:

كـأنّـه كـوكـبٌ فـي إثـر عِـفْـرِيَـةٍ مُصوَّبٌ في سوادِ الليل مُنْقَضِبُ[٢]

وقرأت فرقةٌ: عِفْر، بلا ياءٍ ولا تاء[٣]، ويقال في لغة طيئ وتميم: عِفْراةٌ بالألف وتاء التأنيث، وفيه لغةٌ سادسة عُفَارية[٤]. ويوصفُ بها الرجلُ.

ولمَّا كان قد يوصَفُ به الإنسان، خُصَّ بقوله: «من الجنّ».

وعن ابن عباس اسمه: صخر[٥]. وقيل: كوري[٦]. وقيل: ذكران[٧].

و«آتيك» يحتملُ أن يكون مضارعاً واسمَ فاعل. وقال قتادة ومجاهد ووهب: «من مقامك» أي: من مجلس الحكم، وكان يجلسُ من الصبحِ إلى الظهر في كلِّ يوم. وقيل: قبل أنْ تستويَ من جلوسك قائماً[٨].

«وإنِّي عليه» أي: على الإتيان به «القويٌّ» على حمله «أمينٌ» لا أختلس منه شيئاً.

قال الحسنُ: كان كافراً، لكنَّه كان مُسَخَّراً، والعفريتُ لا يكونُ إلَّا كافراً.

«قال الذي عنده علمٌ من الكتاب» قيل: هو من الملائكة، وهو جبريلُ. قاله

(١) المحتسب ٢/ ١٤١ عن أبي رجاء وعيسى، ومختصر في شواذ القرآن ص١٠٩ عن أبي رجاء وأبي السمال، والمحرر الوجيز عن أبي رجاء وعيسى والصديق ﷺ. والرواية عن أبي بكر الصديق أخرجها الثعلبي في تفسيره ٤/ ٤٩٦.

(٢) سلف في شرح غريب مفردات السورة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٠٩ وذكر فيه اللغات الست.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٥ (١٦٣٧٤).

(٦) في (أ) و(ت): كودي، وفي (يه) وتفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٥: كوذي، وفي تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٤ (١٦٣٦٨): كوزي، وفي التعريف والإعلام ص١٢٨: كودن.

(٧) في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٥، والكشاف ٣/ ١٤٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٦٦: ذكوان.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠ وأقوال قتادة ومجاهد ووهب أخرجها الطبري ١٨/ ٦٧-٦٨.

النخعيُّ[١]. و«الكتابُ»: اللوحُ المحفوظ، أو كتابُ سليمان إلى بلقيس[٢].

وقيل: ملكٌ أَيَّدَ الله به سليمان[٣].

وقيل: هو رجلٌ من الإنس، واسمهُ آصف بن برخيا كاتبُ سليمان، وكان صدِّيقاً عالماً[٤]. قاله الجمهور، أو أسطوم[٥]، أو هود، أو مليخا[٦]، قاله قتادة، أو أسطورس، أو الخضرُ عليه السلام، قاله ابنُ لهيعة[٧]. وقالت جماعةٌ: هو ضبَّةُ بن آد جَدُّ بني ضبَّة من العرب، وكانَ فاضلاً يخدمُ سليمان، كان على قطعةٍ من خيله[٨].

وهذه أقوالٌ مضطربةٌ، وقد أبهمَ الله اسمَه، فكان ينبغي أنْ لا يُذْكَرَ اسمُه حتَّى يخبرَ به نبيّ!

ومن أغرب الأقوال أنَّه سليمان عليه السلام، كأنَّه يقول لنفسه: «أنا آتيكَ به قبلَ أن يرتدَّ إليك طرفُك»، أو يكون خاطبَ بذلك العفريتَ، حكى هذا القولَ الزمخشريُّ وغيره[٩]، كأنه استبطأ ما قال العفريت، فقال له سليمان ذلكَ على [جهة] تحقير العفريت.

و«الكتاب» هو المنزَّلُ من عند الله، أو اللوح المحفوظ، قولان.

والعِلْمُ الذي أوتيه، قيل: اسمُ الله الأعظم، وهو يا حيُّ يا قيوم[١٠]. وقيل:

(١) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٣٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦١.
(٢) زاد المسير ٦/ ١٧٥.
(٣) الكشاف ٣/ ١٤٩.
(٤) الكشاف ٣/ ١٤٩، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦ (١٦٣٨١) من قول يزيد بن رومان.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦ (١٦٣٨٢) من قول مجاهد.
(٦) كذا وقع هنا وفي النكت والعيون ٤/ ٢١٣، وروح المعاني ١٩/ ٤٤٨. وفي تفسير الطبري ١٨/ ٦٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦١، والدر المنثور ١١/ ٣٧١ (دار هجر): بليخا.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٥ (١٦٣٧٩).
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦١.
(٩) في الكشاف ٣/ ١٤٩، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٦١، وما سيرد بين حاصرتين منه.
(١٠) تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٦، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٦٨.

يا ذا الجلالِ والإكرام[١]. وقيل: بالعبرانيَّة: أهيا شراهيا[٢]. وقال الحسن: الله ثم الرحمن[٣].

والظاهرُ أنَّ ارتدادَ الطرفِ حقيقةٌ، وأنَّه أقصرُ في المدَّةِ من مدَّة العفريت، ولذلك رُوِيَ أنَّ سليمانَ قال: أريدُ أسرعَ من ذلك[٤]، حين أجابَه العفريتُ.

ولمَّا كان الناظرُ موصوفاً بإرسال البصر كما قال الشاعر:

وكُنْتَ متى أرسلتَ طرفَك رائداً لِقَلْبِكَ يوماً أتعبتكَ المَناظرُ[٥]

وُصِفَ بردِّ الطرف، ووصِفَ الطرفُ بالارتداد، فالمعنى: إنَّكَ ترسِلُ طَرْفَك، فقبلَ أن تردَّه آتيكَ به وصارَ بين يديك، فروي أنَّ آصفَ قال لسليمان عليه السلام: مدَّ عينيك حتى ينتهي طرفُك، فمدَّ طرفَهُ، فنظرَ نحو اليمن[٦]، فدعا آصفُ، فغارَ[٧] العرشُ في مكانه بمأرب، ثمَّ نبعَ عند مجلس سليمان بالشام، بقدرة الله، قبلَ أن يَرُدَّ طرفَه.

وقال ابنُ جبير وقتادة: قبلَ أن يصلَ إليكَ مَنْ يقع طرفُكَ عليه في أبعد ما ترى[٨].

وقال مجاهد: قبلَ أن تحتاجَ إلى التغميضِ، أي مدَّةَ ما يمكنكَ أن تمدَّ بصرَك دونَ تغميضٍ، وذلك ارتداده[٩].

---

(١) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٩-٧٠ عن مجاهد، وهو في تفسير الثعلبي ٤/ ٤٩٦، والقرطبي ١٦/ ١٦٨.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٨.
(٣) الكشاف ٣/ ١٤٩. وفيه: الله والرحمن.
(٤) أخرجه الطبري ١٨/ ٦١ عن ابن عباس مطولاً.
(٥) هو دون نسبة في الحماسة بشرح المرزوقي ٣/ ١٢٣٨، والحماسة البصرية ٢/ ١٢١.
(٦) في (ت) و(يه) ومطبوع الكشاف ٣/ ١٤٩: اليمين. والمثبت من (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع، ومخطوط الكشاف ٢/ ورقة ١٣٧.
(٧) في (أ) و(ح) و(ع) و(يه) والمطبوع: فغاب. والمثبت من (ت) والكشاف.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠، وأخرجه عن ابن جبير الطبريُّ ١٨/ ٧٢، وأخرجه أيضاً عن معمر عن غير قتادة (وفي بعض نسخه كما في الهامش: عن معمر عن قتادة) وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٨٢ عن معمر عن الكلبي.
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٨/ ٧٢.

قال ابنُ عطية: وهذان القولان يقابلانَ قولَ من قال: إنَّ القيامَ هو من مجلس الحكم، ومن قال: إنَّ القيام هو من الجلوس فيقول في ارتداد الطرف: هو أن يَطْرِفَ، أي: قبلَ أن تُغْمِضَ[١] عينيك وتفتحهما، وذلك أنَّ الثاني يعطي الأقصرَ في المدَّة ولا بدَّ. انتهى.

وقيل: «طرفك» مطروفك، أي: قبل أن يرجعَ إليك مَنْ تنظرُ إليه مِنْ مُنْتَهى بصرك. وهذا هو قول ابنِ جبير وقتادة المتقدِّم؛ لأنَّ مَنْ يقعُ طرفُكَ عليه هو مطروفُك.

وقال الماورديُّ: قبلَ أن ينقبضَ إليك طرفُك بالموت، فخبَّره أنَّه سيأتيه قبل موته[٢].

وهذا تأويلٌ بعيدٌ، بل المعنى: آتيكَ به سريعاً.

وقيل: ارتدادُ الطرف مجازٌ هنا، وهو من باب مجاز التمثيل، والمرادُ استقصارُ مدَّةِ الإتيان به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة، وفي رَدَّةِ طرفٍ، وفي طرفةِ عينٍ، تريد به السرعة[٣]، أي: آتيكَ به في مدَّةٍ أسرعَ من مدَّةِ العفريت.

«فلما رآهُ مستقرًّا عندَه» في الكلامِ حذفٌ تقديرُه: فدعا الله فأتاهُ به «فلمَّا رآهُ» أي: عرشَ بلقيس. قيل: نزلَ على سليمان من الهواء. وقيل: نبعَ من الأرض. وقيل: من تحت عرشِ سليمان.

وانتصب «مستقرًّا» على الحال، و«عنده» معمولٌ له، والظرف إذا وقعَ في موضع الحال كان العاملُ فيه واجبَ الحذف، فقال ابن عطية: وظهرَ العامل في الظَّرف من قوله: «مستقرًّا»، وهذا هو المقدَّر[٤] أبداً في كلِّ ظرفٍ، جاء هنا مُظْهراً، وليس في كتاب الله مثلُه. انتهى، ومعنى: في ظرف[٥]: وقعَ في موضعِ الحال.

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٠: تصلح. ومكانها في (به) بياض.
(٢) النكت والعيون ٤/ ٢١٤.
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٤٩.
(٤) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٦١: وهذا المقدر.
(٥) من قوله: جاء هنا مظهراً... إلى هنا من (ت) و(به).

وقال أبو البقاء: «ومستقرًّا» أي: ثابتاً غيرَ مُتَقَلْقِلٍ. وليس بمعنى الحضورِ[١] المطلق؛ إذ لو كان كذلك لم يُذْكَر. انتهى.

فأخذَ في «مستقرًّا» أمراً زائداً على الاستقرار المطلق، وهو كونُه غيرَ متقلقلٍ، حتَّى يكون مدلولُه غيرَ مدلولِ العنديَّة. وهو توجيهٌ حسنٌ؛ لذكرِ العامل في الظرفِ الواقعِ حالاً، وقد قُدِّرَ ذلك[٢] العامل في ما وقع خبراً من الجارِّ والمجرور التامّ في قول الشاعر:

لـك الـعـزُّ إنْ مـولاكَ عـزَّ وإن يَـهِـنْ فأنـتَ لـدى بُحْبُوحَةِ الـهون كـائنُ[٣]

«قال: هذا من فضل ربِّي» أي: هذا الإتيان بعرشِها، وتحصيلُ ما أردتُ من ذلك هو من فضلِ ربِّي عليَّ وإحسانه، ثم علَّل ذلك بقوله: «ليبلوني أأشكر أم أكفر» قال ابن عباس: المعنى: أأشكرُ على السرير وسَوْقِه، أم أكفرُ إذ رأيتُ مَنْ هو دوني في الدنيا أعلمَ منِّي. انتهى[٤].

وتلقِّي سليمانَ النعمة وفضل الله بالشكر إذ ذاك نعمةٌ متجدِّدَةٌ، والشكرُ قيدٌ للنِّعم، و«أأشكرُ أم أكفر» في موضع نصبٍ لـ «يبلوني»، وهو معلَّقٌ؛ لأنَّه في معنى التمييز، والتمييزُ في معنى العلم، وكثر[٥] التعليقُ في هذا الفعل إجراءً له مجرى العلم، وإن لم يكن مرادفاً له؛ لأنَّ مدلولَه الحقيقيَّ هو الاختبار.

«ومن شكر فإنَّما يشكرُ لنفسه» أي: ذلك الشكرُ عائدٌ ثوابُه إليه؛ إذ كان قد صانَ نفسَه عن كفران النعمة، وفعلَ ما هو واجبٌ عليه من شكرِ نعمة الله عليه. «ومن كفرَ» أي: فَضْلَ الله ونعمتَه عليه «فإنَّ ربِّي غنيٌّ» عن شكره، إذ ثمرةُ شكرِه[٦] لا تعودُ منفعتُها إلى الله؛ لأنَّه هو الغنيُّ المطلقُ، الكريم بالإنعام على مَنْ كفرَ نعمتَه.

---

(١) في الإملاء ٢/ ١٧٣، والدر المصون ٨/ ٦١٧ (نقلاً عن الإملاء): الحصول.
(٢) في (ح) و(يه) والمطبوع: ذكر.
(٣) البيت دون نسبة في مغني اللبيب ص٥٨٢، وشرح ابن عقيل ١/ ٢١١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦١، وأخرج قول ابن عباس الطبريُّ ١٨/ ٧٥.
(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: وكثير.
(٦) قوله: إذ ثمرة شكره. من (ت) و(يه).

والظاهرُ أنَّ قولَه: «فإنَّ ربي غنيٌّ كريم» هو جوابُ الشرطِ، ولذلك أضمَرْنا في قوله: «غني» أي: عن شكره، ويجوزُ أن يكونَ الجوابُ محذوفاً دلَّ عليه ما قبلَه من قسِيمه، أي: ومَنْ كفرَ فلنفسِه، أي: ذلك الكفرُ عائدٌ عقابُه إليه[١]، ويجوزُ أن تكونَ «ما» موصولةً، ودخلت الفاءُ في الخبر؛ لتضمُّنها معنى الشرط.

«قال نكِّروا لها عرشها» رويَ أنَّ الجنَّ أحسَّت مِنْ سليمان، أو ظنَّت به أنَّه ربَّما تزوَّجَ بلقيس، فكرهوا ذلك، ورموها عندَه بأنَّها غيرُ عاقلةٍ ولا مميِّزة، وأنَّ رجلَها كحافر دابَّةٍ، فجرَّبَ عقلها ومَيْزَها بتنكيرِ العرش، وأَمْرَ رجلِها بالصَّرحِ، لتكشفَ عن ساقَيها عنده[٢].

وتنكير عرشها، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: بأن زِيدَ فيه ونُقِصَ منه[٣]. وقيل: بنزع ما عليه من الفصوص والجواهر[٤]. وقيل بجعلِ أسفلِه أعلاهُ، ومقدَّمِه مؤخره[٥].

والتنكيرُ: جعله متنكّراً متغيِّراً عن شكله وهيئته، كما يتنكَّرُ الرجلُ للناس حتَّى لا يعرفوه[٦].

وقرأ الجمهور: «ننظرْ» بالجزمِ على جواب الأمر. وقرأ أبو حيوة بالرفع[٧] على الاستئناف، أمرَ بالتنكير، ثم استأنفَ الإخبارَ عن نفسه بأنَّه ينظر.

ومتعلَّق «أتهتدي» محذوفٌ، والظاهرُ أنَّه: أتهتدي لمعرفةِ عرشها، ولا يُجْعَلُ تنكيرُه قادحاً في معرفتِها له، فيظهرُ بذلك فَرْطُ عقلِها، وأنَّها لم يخفَ عليه حالُ عرشها، وإن كانوا قد راموا الإخفاء. أو: أتهتدي للجواب المصيب إذا سُئِلت عنه. أو: أتهتدي للإيمان بنبوَّةِ سليمان عليه السلام إذا رأت هذا المعجزَ من

(١) قال الآلوسي في روح المعاني ١٩/ ٤٥٤: وتُعُقِّبَ بأنّه لا يناسب قوله: «كريم».
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦١. وأخرج أقوالهم الطبري ١٨/ ٧٦.
(٤) زاد المسير ٤/ ١٧٧ عن ابن عباس، وهو بمعنى القول الذي قبله.
(٥) زاد المسير ٤/ ١٧٧.
(٦) الكشاف ٣/ ١٤٩.
(٧) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

نقل عرشها من المكان الذي تركتْهُ فيه، وغلَّقَتِ الأبوابَ عليه، وجَعلتْ له حُرَّاساً[١].

«فلمَّا جاءت» في الكلام حذفٌ، أي: فنكَّروا عرشَها ونَظرُوا ما جوابُها إذا سُئِلَتْ عنه، فلمَّا جاءت، قيل: «أهكذا عرشُك؟» أي: مثل هذا العرشِ الذي أنت رأيتيه عرشُك الذي تركتيه ببلادك؟

ولم يأت التركيبُ: أهذا عرشُك؟ بل جاءَ بأداة التشبيه، لئلَّا يكونَ ذلك تلقيناً لها[٢]. ولمَّا رأتهُ على هيئةٍ لا تعرفُها فيه، وتميزتْ فيه أشياء من عرشها، لم تجزم بأنَّه هو، ولا نفته النفيَ البالغَ، بل أبرزت ذلك في صورةٍ تشبيهيَّةٍ، فـ «قالت: كأنه هو»، وذلك من جودة ذِهنها، حيث لم تجزم في الصورة المحتملة بأحد الجائزَين مِنْ كونه إيَّاه أو من كونه ليس إيَّاه، وقابلَتْ تشبيههم بتشبيهها.

والظاهر أنَّ قولَه: «وأوتينا العلمَ» إلى قوله «من قوم كافرين» ليس من كلام بلقيس، وإنْ كان مُتَّصلاً بكلامها، فقيل: من كلام سليمان. وقيل: من كلام قوم سليمان وأتباعِه. فإن كان من قولِ سليمان، فقيل: العلم هنا مخصوصٌ، أي: وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة، «من قبلها» أي: من قَبْلِ مجيئها، «وكُنَّا مُسْلِمين» موحِّدينَ خاضعين.

وقال ابنُ عطية: وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: كأنَّه هو، وقال سليمان عند ذلك: «وأوتينا العلمَ من قَبْلها» الآية، قال ذلك على جهة تعديدِ نعم الله تعالى، وإنَّما قال ذلك لـمَّا[٣] علـمَتْ هي وفهِمت، ذكرَ هو نعمةَ الله عليه وعلى آبائه. انتهى ملخَّصاً.

وقال الزمخشريُّ: «وأوتينا العلمَ» من كلام سليمانٍ ومَلَئه. فإن قلت: علام عطف هذا الكلام وبما اتَّصل؟ قلت: لمَّا كان المقام الذي سُئِلَت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابتْ به مقاماً أجرى فيه سليمانُ وملؤه ما يناسبُ قولَهم: «وأوتينا

(١) انظر الكشاف ٣/١٤٩-١٥٠.
(٢) الكشاف ٣/ ١٥٠.
(٣) في (أ): عما، وفي (ح) و(ع) والمطبوع: بما. والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢.

العلم»، نحو أنْ يقولوا عند قولها: «كأنه هو»: قد أصابت في جوابها وطبَّقَت المَفْصِل[١]، وهي عاقلةٌ لبيبةٌ، وقد رُزِقت الإسلام، وعَلِمت قدرةَ الله وصحَّةَ النبوّة بالآيات التي تقدَّمت عند وَفْدَة المُنْذِر وبهذهِ الآيةِ العجيبة من أمر عرشِها = عطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحَّة[٢] ما جاءَ من عنده قبل علمِها، ولم نزلْ نحنُ على دين الإسلام، شكروا الله[٣] على فضلِهم عليها، وسَبْقِهم إلى العلم بالله والإسلام قبلَها. «وصدَّها» عن التقدُّم إلى الإسلام عبادةُ الشمس ونَشْؤُها بين ظَهرانَي الكَفَرة.

ويَجوزُ أن يكونَ من كلام بلقيس موصولاً بقولها: «كأنَّه هو»، والمعنى: وأوتينا العلمَ بالله وبقدرته وبصحَّة نبوَّة سليمان قبل هذه المعجزة، أو قبل هذه الحالة، يعني ما تبيَّنَت من الآياتِ عند وَفْدَةِ المنذر ودخلنا في الإسلام، ثم قال الله تعالى: «وصدَّها» قبل ذلك عمَّا دخلَتْ فيه ضلالُها عن سواءِ السبيل.

وقيل: وصدَّها اللهُ أو سليمان عمَّا كانت تعبدُ، بتقدير حذف الجار واتِّصالِ الفعل. انتهى.

أمَّا قوله: ويجوزُ أن يكون من كلامِ بلقيس، فهو قولٌ قد تقدَّم إليه على سبيل التعيين لا الجواز. قيل: والمعنى: وأوتينا العلمَ بصحَّة نبوته بالآياتِ المتقدِّمة من أمرِ الهدهد والرُّسُل مِنْ قَبل هذه المعجزة، يعني إحضار العرش. «وكنا مسلمين» مطيعين لأمرك منقادين لك[٤].

والظاهرُ أنَّ الفاعل بـ «صدَّها» هو قوله: «ما كانت تعبدُ». وكونُه الله أو سليمان و«ما» مفعولُ «صَدَّها» على إسقاط حرف الجر قاله الطبريُّ[٥]. وهو ضعيفٌ لا يجوزُ إلَّا في ضرورة الشعر، نحو قوله:

---

(١) يعني: أصابت الحُجَّة. تاج العروس (طبق).
(٢) بعدها في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: نبوة سليمان. وهي مقحمة. والمثبت من (يه) والكشاف ٣/ ١٥٠.
(٣) في الكشاف: شكراً لله.
(٤) انظر زاد المسير ٦/ ١٧٨.
(٥) في تفسيره ١٨/ ٨٠.

تـــمـــرُّونَ الـــديـــارَ ولـــم تـــعـــوجـــوا[١]

أي: عن الديار، وليسَ من مواضع حذفِ حرفِ الجرِّ، وإذا كان الفاعلُ هو «ما كانت» فالمصدود[٢] عنه الظاهرُ أنَّه الإسلام.

وقال الرمانيّ: التقدير: عن التفطُّن للعرش؛ لأنَّ المؤمنَ يقظٌ، والكافر خبيث[٣].

والظاهرُ أنَّ قولَه: «وصدَّها» معطوفٌ على قوله: «وأوتينا» إذا كان من كلام سليمان، وإن كان يحتملُ ابتداءَ إخبارٍ من الله تعالى لمحمَّدٍ نبيِّه عليه الصلاة والسلام ولأمَّته. وإن كان «وأوتينا» من كلام بلقيس، فالظاهرُ أنَّه يتعيَّن كونُه من قول الله تعالى. وقولُ من قال: إنَّه متصلٌ بقوله: «أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون» والواو في «وصدَّها» للحال، و«قد» مضمرةٌ = مرغوبٌ عنه؛ لطول الفصلِ بينهما، ولأنَّ التقديمَ والتأخيرَ لا يُذْهَبُ إليه إلَّا عند الضرورة.

وقرأ الجمهور «إنَّها» بكسر الهمزة، وسعيدُ بن جبير وابنُ أبي عبلة بفتحها[٤]، فإما على تقديرِ حرفِ الجرّ، أي: لأنَّها، وإمَّا على أن يكون بدلاً من الفاعل الذي هو «ما كانت تعبد».

قال محمد بن كعب القرظي وغيره: لمَّا وصلت بلقيس، أمرَ سليمانُ الجنَّ فصنعت له صرحاً، وهو السطحُ في الصحن من غير سقف[٥]، وجعلتهُ مبنيًّا

---

(١) صدر بيت لجرير، ديوانه ١/ ٢٧٨، وتمامه فيه:

أتـــمـــضـــون الـــرســـوم ولا تُـــحَـــيَّـــى كـــلامـــكـــم عـــلـــيَّ إذاً حـــرامُ

وهو برواية المصنف في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٩٠، ٣/ ٤١٢، وخزانة الأدب ٩/ ١٢١.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: بالمصدود. وهو تحريف.

(٣) كذا، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢ ـ وعنه نقل المصنف ـ: خشيب. ولعلها الصواب، لأنه قد يُشبَّهُ المرء بالخَشَب؛ لقلَّة غَنَاءه، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، فتكون العبارة: المؤمن يقظ، والكافر كالخشب لا يغني شيئاً، أما لفظ الخبيث فلا وجه له في مقابلة اليقظة. والله أعلم.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢، وذكرها ابن خالويه في مختصره ص١١٠ عن سعيد بن جبير فقط.

(٥) كذا، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢ ـ وعنه نقل المصنف ـ: وهو الصحن من غير سقف.

كالصِّهريج[١]، ومُلِئَ ماءً، وبُثَّ فيه السمكُ والضفادعُ، وطُبِّقَ بالزُّجاج الأبيض الشفَّاف، وبهذا جاء صرحاً[٢]، وجُعِلَ لسليمانَ في وسطِه كرسيٌّ، فلمَّا وصلته بلقيس، قيل لها: ادخلي إلى النبي عليه السلام، فرأتِ اللُّجَّةَ وفزعت، ولم يكن لها بدٌّ من امتثال الأمر، فكشفت عن ساقَيها، فرأى سليمان ساقيها سليمتين ممَّا قالت الجنُّ، فلمَّا بلغت هذا الحد، قال لها سليمان: «إنَّه صرحٌ ممرَّدٌ من قوارير»، وعند ذلك استسلمت بلقيسُ. وأذعَنَتْ وأسلمتْ وأقرَّت على نفسها بالظلم[٣].

وفي هذه الحكاية زيادةٌ، وهو أنَّه وضعَ سريرَه في صدره، فجلسَ عليه، وعَكَفَتْ عليه الطيرُ والجنُّ والإنس. قال الزمخشريُّ[٤]: وإنَّما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمرِه وتحقُّقاً لنبوَّته، وثباتاً على الدين. انتهى.

والصَّرْحُ: كلُّ بناءٍ عالٍ، ومنه: ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦] وهو من التصريح، وهو الإعلان البالغ[٥].

وقال مجاهد: الصرحُ هنا: البِرْكَةُ. وقال ابن عيسى: الصحنُ. وصَرْحَةُ الدَّار: ساحتها. وقيل: الصرحُ هنا: القصرُ من الزُّجاج[٦]. وفي الكلام حذفٌ، أي: فدخلته امتثالاً للأمر.

واللُّجَّةُ: الماء الكثير، وكَشْفُ ساقيها عادةُ من كان لابساً وأرادَ أن يخوضَ الماءَ إلى مقصدٍ له، ولم يكن المقصودُ من الصَّرح إلَّا تهويل الأمر، وحَصلَ كشفُ الساق على سبيل التبع، إلَّا أنْ يصحَّ ما رُويَ عن الجنِّ أنَّ ساقها ساقُ دابَّةٍ بحافر، فيمكنُ أن يكونَ استعلامُ ذلك مقصوداً.

وقرأ ابنُ كثير ـ قيل في رواية أبي الإخريط وهب بن واضح[٧]: «عن سأقيها»

---

(١) الصهريج ـ بكسر الصاد ـ: حوضٌ يجتمع فيه الماء. مختار الصحاح (صهرج).
(٢) من قوله: وطبق بالزجاج... إلى هنا. من (ت) و(يه).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢. وقول كعب أخرجه الطبري ١٨/ ٨٢.
(٤) في الكشاف ٣/ ١٥٠، والزيادة التي ذكرها المصنف قبل منه.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢.
(٦) النكت والعيون للماوردي ٤/ ٢١٦.
(٧) أبو الإخريط المكي القارئ، ويكنى أيضاً أبا القاسم، توفي سنة تسعين ومئة. انظر معرفة القراء الكبار ١/ ٣٠٨.

بالهمز[١]. قال أبو عليّ: وهي ضعيفةٌ[٢]. وكذلك في قراءة قُنْبُل: «يكشفُ عَنْ سأق»[٣] [القلم: ٤٢]، وأمَّا همزُ «السؤق» و«على سؤقه»، فلغةٌ مشهورةٌ في همز الواو التي قبلَها ضمة، حكى أبو عليّ أنَّ أبا حيَّة النميريّ كان يهمزُ كلَّ واوٍ[٤] قبلَها ضمَّةٌ، وأنشدَ:

أحبُّ المؤقدين إليَّ مؤسى[٥]

والظاهر أنَّ الفاعل بـ«قال» هو سليمان، ويحتملُ أن يكونَ الفاعلُ هو الذي أمرَها بدخول الصرح.

وظلمُها نفسَها، قيل: بالكفر، وقيل: بحسبانها أنَّ سليمان أراد أن يُغْرِقها[٦].

وقال ابن عطية: و«مَعَ» ظرفٌ [وقيل: حرفٌ] بُنيَ على الفتح، وأمَّا إذا أسكنت العين، فلا خلاف أنَّه حرفٌ جاء لمعنى. انتهى[٧].

والصحيحُ أنَّها ظرفٌ، فتحت العين أو سكنت، وليس التسكينُ مخصوصاً بالشعر ـ كما زعمَ بعضُهم ـ بل ذلك لغةٌ لبعض العرب، والظرفيَّة فيها مجازٌ، وإنَّما هو اسمٌ يدلُّ على معنى الصحبة.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر السبعة ص٤٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢ والكلام منه.

(٢) انظر الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٥/ ٣٩١-٣٩٢.

(٣) وذكر الداني في التيسير ص١٦٨ عن قنبل أنه قرأ بالهمز هنا أيضاً.

(٤) أي واو ساكنة. كما في الحجة ٥/ ٣٩٢. وانظر أيضاً الخصائص لابن جني ٢/ ١٧٥.

(٥) صدر بيتٍ لجرير، وعجزه:

وجعدةُ لو أضاءهما الوقودُ

ورواية صدر البيت في ديوان جرير ١/ ٢٨٨: لحبُّ الواقدان إليَّ موسى

والبيتُ أيضاً في الخصائص ٢/ ١٧٥، والحجة ١/ ٢٣٩ و٥/ ٣٩٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢، وصدره فيها:

لحب المؤقدان إليَّ مؤسى

(٦) في النسخ: يعرفها. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٥١.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٢ وما سلف بين حاصرتين منه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ
الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا
كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ
الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن
يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا
مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ

أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ
إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ
تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ
بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ
تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ
فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ
ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ
فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

المفردات

الحديقةُ: البستانُ كان عليه جدارٌ أو لم يكن(١).

الحاجزُ: الفاصلُ بين الشيئين.

الفَوْج: الجماعة.

الجُمود: سكونُ الشيءِ وعدمُ حركته.

الإتقان: الإتيانُ بالشيء على أحسنِ حالاته من الكمالِ والإحكام في الخَلْقِ، وهو مشتقٌّ مِنْ قولِ العرب: تَقَّنوا أرضَهم، إذا أرسلوا فيها الماءَ الخاثر بالتراب فتجود، والتِّقْنُ: ما رَمى به الماءُ في الغدير، وهو الذي يجيءُ به الماء مِنَ الخثورة(٢).

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦.

(٢) كذا، والعبارة في الدر المصون ٨/ ٦٤٦: من قولهم: تقنوا أرضهم، إذا أرسلوا إليها الماء

كَبَبْتُ الرجلَ: ألقيته لوجهه.

* * *

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

التفسير «ثمود» هي عادٌ الأولى، وصالح أخوهم في النسب. لما ذكر قصَّة موسى وداود وسليمان، وهم من بني إسرائيل، ذكر قصَّة مَنْ هو مِن العربِ، يذكِّرُ بها قريشاً والعربَ، وينبِّههم أنَّ من تقدَّمَ من الأنبياء ومِن العرب كان يدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبادة؛ ليعلموا أنَّهم في عبادة الأصنام على ضلالة، وأنَّ شأنَ الأنبياء عربهم وعجمهم هو الدعاءُ إلى عبادة الله.

و«أن» في «أنِ اعبدوا» يجوزُ أنْ تكون مفسِّرةً؛ لأنَّ «أرسلنا» تتضمَّنُ معنى القول، ويجوزُ أن تكونَ مصدريَّةً، أي: بأن اعبدوا[1]، فحذف حرف الجرّ، فعلى الأول لا موضعَ لها من الإعراب، وعلى الثاني ففي موضعِها خلافٌ، أهو في موضع نصبٍ، أم في موضع جر؟

= الخاثر بالطين لتصلح للزراعة. وأرض تقنة، والتقن: فعل ذلك بها، والتقن أيضاً: ما رُمي به في الغدير من ذلك أو الأرض. انتهى. وفي كتاب العين: التقن رسابة الماء في الربيع، وهو الذي يجيء به الماء من الخثورة، وتقنوا أرضهم أي: أرسلوا فيها الماء الخاثر لتجود. وانظر لسان العرب والمعجم الوسيط (تقن).

(١) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٣.

والظاهرُ أنَّ الضميرَ في «فإذا هم» عائدٌ على ثمود، وأنَّ قومَهُ انقسموا فريقين؛ مؤمناً وكافراً، وقد جاء ذلك مفسَّراً في سورة الأعراف في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥].

وقال الزمخشريُّ: أُريدَ بالفريقين صالحٌ وقومه قبلَ أن يؤمنَ منهم أحد. انتهى[١]. فجعلَ الفريقَ الواحد هو صالح، والفريقَ الآخر قومَه.

و«إذا» هنا هي الفجائيَّة، وعطف بالفاء التي تقتضي التعقيبَ لا المهلة، فكأنَّ المعنى أنَّهم بادروا بالاختصام متعقِّباً دعاءَ صالح إيَّاهم إلى عبادة الله.

وجاء «يختصمون» على المعنى؛ لأنَّ الفريقين جمعٌ، فإن كان الفريقان مَنْ آمن ومَنْ كفر، فالجمعيَّةُ حاصلةٌ في كلِّ فريق، ويدلُّ على أنَّ فريق المؤمنِ جمعٌ قولُه: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]، فقال: «آمنتم»، وهو ضمير الجمع، وإن كان الفريقُ المؤمنُ هو صالحٌ وحدَه، فإنَّه قد انضمَّ إلى قومه، والمجموعُ جمعٌ، وأوثِرَ «يختصمون» على: يختصمان، وإن كان من حيثُ لفظُ التثنية جائزاً فصيحاً؛ لأنَّه مقطع[٢] فصل[٣].

واختصامُهم دعوى كلِّ فريقٍ أنَّ الحقَّ معه، وقد ذكرَ الله تخاصمَهم في سورة الأعراف.

ثم تلطَّفَ صالحٌ بقومِه ورفقَ بهم في الخطاب، فقال منادياً لهم على جهة التحنُّنِ عليهم: «لم تستعجلون بالسيئة» أي: بوقوع ما يسوؤكم قبلَ الحالةِ الحسنة وهي رحمةُ الله. وكان قد قال لهم في حديث الناقة: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، فقالوا له: ائتنا بعذاب الله.

وقيل: لم تستعجلون بوقوع المعاصي منكم قبلَ الطاعة[٤].

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيئةِ قبلَ الحسنة؟

---

(١) الكشاف ٣/ ١٥١.
(٢) في (ت) و(يه): منقطع.
(٣) بعدها في (ت): ويختصمون.
(٤) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٣.

وإنَّما يكونُ ذلك إذا كانتا متوقَّعتين إحداهما قبلَ الأخرى. قلت: كانوا يقولون بجهلهم: إنَّ العقوبةَ التي يعدنا[١] صالحٌ إن وَقَعَتْ على زعمه تُبْنا حينئذٍ واستغفرنا؛ مقدِّرينَ أنَّ التوبةَ مقبولةٌ في ذلك الوقت، وإن لم تقع فنحنُ على ما نحنُ عليه، فخاطبهم صالحٌ عليه السلام على حَسَب قولهم واعتقادِهم. انتهى.

ثمَّ حضَّهم على ما فيه درءُ السيِّئةِ عنهم، وهو الإيمانُ واستغفارُ الله ممَّا سبقَ من الكفر، وناط ذلك بترجِّي الرحمة، ولم يجزم بأنَّه يترتَّبُ على استغفارهم، وكان في التحضيض تنبيهٌ على الخطأ منهم في استعجال العقوبة وتجهيلٌ لهم في اعتقادهم.

ولـمَّا لاطفَهم في الخطاب أغلظُوا له وقالوا: «اطَّيَّرنا بك وبمَن معك» أي: تشاءَمْنَا بك وبالذين آمنوا معك، ودلَّ هذا العطفُ على أنَّ الفريقين كانوا مؤمنين وكافرين؛ لقوله: «وبمن معك»، وكانوا قد قُحِطُوا.

وتقدَّمَ الكلامُ في معنى التطيُّر في سورة الأعراف، جَعلوا سببَ قحطهم هو ذات صالحٍ ومَنْ آمنَ معه، فردَّ عليهم بقوله: «طائركم عند الله» أي: حظُّكم في الحقيقة مِنْ خيرٍ أو شرٍّ هو عند الله وبقضائه، إن شاءَ رزقَكم، وإن شاء حرمكم.

وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يريد: عملُكم مكتوبٌ عند الله، فمنهُ نَزَل بكم ما نزلَ عقوبةً لكم وفتنةً، ومنه: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩]، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقرئ: «تطيَّرنا بك»[٢] على الأصل، ومعنى تطيَّر به: تشاءم به، وتطيَّر منه: نفر عنه. انتهى.

ثم انتقل إلى الإخبار عنهم بحالهم، فقال: «بل أنتم قوم تُفْتَنون» أي: تُختَبرون أو تعذَّبون، أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطِّيَرَة[٣]، أو تفتنون بشهواتكم، أي تُشْغَفون بها، كما يقال: فُتِنَ فلانٌ بفلان، وقال الشاعر:

---

(١) كذا في النسخ، وفي الكشاف ٣/ ١٥١: يعدها.
(٢) في الكشاف ٣/ ١٥١: بكم. بدل: بك.
(٣) الكشاف ٣/ ١٥١.

داءٌ قـــديـــمٌ فـــي بـــنـــي آدم فـــتـــنـــةُ إنـــســـانٍ بـــإنـــســـانِ[(١)]

وهذه أقوالٌ يحتملُها لفظُ «تفتنون».

وجاء «تفتنون» بتاء الخطاب على مراعاة «أنتم»، وهو الكثيرُ في لسان العرب، ويجوزُ «يفتنون» بياء الغيبة على مراعاة لفظِ «قومٍ»، وهو قليلٌ، تقول العرب: أنت رجلٌ تأمر بالمعروف بتاء الخطاب، وبياء الغيبة.

و«المدينةُ» مجتمع ثمود وقريتهم، وهي الحِجْر.

وذكرَ المفسّرون أسماء التسعة، وفي بعضها اختلافٌ، ورأسُهم قُدارُ بن سالف، وأسماؤهم لا تنضبطُ بشكلٍ ولا تتعيَّن، فلذلك ضربنا صفحاً عن ذكرها. وكانوا عظماء القرية وأغنياءها وفسَّاقها.

والرَّهْطُ من الثلاثة إلى العشرة، والنَّفَرُ من الثلاثة إلى التسعة[(٢)]، واتفقَ المفسِّرون على أنَّ المعنى: تسعة رجال.

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما جاز تمييزُ التسعة بالرهط؛ لأنَّه في معنى الجماعة، فكأنَّه قيل: تسعة أنفس. انتهى[(٣)].

وتقديرُ غيره: تسعةُ رجالٍ هو الأوْلى؛ لأنَّه من حيثُ أضاف إلى أنفس، كان ينبغي أن يقول: تسعَ أنفس، على تأنيث النفس؛ إذ الفصيحُ فيها التأنيث، ألا تراهم عَدُّوا من الشذوذ قولَ الشاعر:

ثـــلاثـــةُ أنـــفـــسٍ وثـــلاثُ ذَوْدٍ[(٤)(٥)]

فأدخلَ التاء في: ثلاثة، وكان الفصيحُ أن يقول: ثلاثَ أنفس.

(١) نسبه الثعلبي في التمثيل والمحاضرة ص٨٤ لأشجع السلمي.

(٢) الكشاف ٣/ ١٥٢.

(٣) الكشاف ٣/ ١٥١.

(٤) صدر بيت للحطيئة، وعجزه:

لـقـد جـار الـزمـان عـلـى عـيـالـي

وروايته في ديوان الحطيئة ص٣٩٥: ونحن ثلاثةٌ وثلاث ذود، ولا شاهد فيه، وهو في الكتاب ٣/ ٥٦٥، وخزانة الأدب ٧/ ٣٦٧ وغيرها.

(٥) ودافع السمين في الدر المصون ٨/ ٦٢٣ عن الزمخشري فقال: وإنما أراد تفسير المعنى.

وقال أبو عبد الله الرازي: الأقربُ أن يكون المرادُ تسعةَ جمع؛ إذ الظاهرُ من الرهطِ الجماعةُ لا الواحد، ثم يحتمل أنَّهم كانوا قبائلَ، ويَحتملُ أنَّهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم وأحوالهم، لا لاختلاف النسب[١]. انتهى.

قيل: والرهطُ اسمُ الجماعة، وكأنَّهم كانوا رؤساءَ مع كلِّ واحدٍ منهم رهطٌ[٢].
وقال الكرمانيُّ: وأصلُه من الترهيط، وهو تعظيمُ اللُّقَم وشدَّةُ الأكل. انتهى[٣].

و«رهط» اسمُ جمع، واتفقوا على أنَّ فصلَه بـ «مِنْ» هو الفصيح، كقوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠] واختلفوا في جواز إضافة العدد إليه، فذهبَ الأخفشُ إلى أنَّه لا ينقاس، وما وردَ من الإضافة إليه فهو على سبيل النُّدور، وقد صرَّح سيبويه أنَّه لا يقال: ثلاث غَنَم، وذهب قومٌ إلى أنَّه يجوزُ ذلك وينقاس، وهو مع ذلك قليل، وفصَّل قومٌ بين أن يكون اسمُ الجمع للقليل، ك: رهط ونَفَر وذَوْد، فيجوز أن يضاف إليه، أو للكثير أو يستعملَ لهما، فلا تجوزُ إضافتُه إليه، وهو قول المازنيّ، وقد أطلنا الكلام في هذه المسألة في «شرح التسهيل».

و«يفسدون» صفةٌ لـ «تسعة رهط»، والمعنى أنَّهم يفسدونَ الفسادَ العظيم الذي لا يخالطُه شيءٌ من الإصلاح، فلذلك قال: «ولا يصلحون»؛ لأنَّ بعضَ من يقعُ منه إفسادٌ قد يقع منه إصلاحٌ في بعض الأحيان[٤].

وقرأ الجمهور: «تقاسموا»، وابن أبي ليلى: «تقسَّموا» بغير ألف وتشديد السين[٥]، وكلاهما من القَسَم.

والتقاسمُ والتقسيم، كالتظاهر والتظهُّر.

---

(١) مكانها في (ع) بياض، وليست في بقية النسخ الخطية، وفي المطبوع: أجناسهم. وفي مطبوع تفسير الرازي ٢٤/ ٢٠٣: السبب، والمثبت من روح المعاني ٢٠/ ٩ ـ نقلاً عن الرازي.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٢.
(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٢/ ٨٥٤.
(٤) الكشاف ٣/ ١٥٢.
(٥) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

والظاهرُ أنَّ قوله: «تقاسموا» فعلُ أمرٍ محكيٌّ بالقول، وهو قول الجمهور، أشارَ بعضهم على بعض بالحَلِف على تبييت صالح.

وأجاز الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة أن يكون «تقاسموا» فعلاً ماضياً في موضع الحال، أي: قالوا متقاسمين[1]. قال الزمخشريُّ: «تقاسموا» يحتملُ أن يكون أمراً وخبراً في[2] محلِّ الحال بإضمار «قد»، أي: قالوا متقاسمين. انتهى.

أمَّا قولُه: وخبراً. فلا يصحُّ؛ لأنَّ الخبرَ هو أحدُ قسمَي الكلام؛ إذ هو مُنْقَسِمٌ إلى الخبر والإنشاء، وجميعُ معانيه إذا حُقِّقت راجعةٌ إلى هذين القسمين[3].

وقال بعد ذلك: وقرئ: «لنبيتنه» بالتاء والياء والنون، «فتقاسموا» مع النون والتاء يصحُّ فيه الوجهان. يعني فيه، أي: في «تقاسموا بالله»، والوجهان هما الأمرُ والخبرُ عنده. قال: ومع الياء لا يصح إلَّا أن يكون خبراً. انتهى[4].

والتقييدُ بالحال ليس إلَّا من باب نسبة التقييد، لا من نسبة الكلام التي هي الإسناد، فإذا أطلق عليها الخبرُ، كان ذلك على تقدير أنَّها لو لم تكن حالاً لجاز أن تُستعملَ خبراً، وكذلك قولُهم في الجملة الواقعة قبلَه صلةً: إنَّها خبريَّة = هو مجازٌ، والمعنى أنَّها لو لم تكن صلةً لجاز أن تستعملَ خبراً، وهذا شيءٌ فيه غموضٌ[5]، ولا يُحتاجُ إلى الإضمار، فقد كثُر وقوعُ الماضي حالاً بغير «قد» كثرةً

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٣، والكشاف ٣/ ١٥٢.

(٢) في (أ) و(ت) و(ح) و(ع) والمطبوع: على. والمثبت من (يه) والكشاف ٣/ ١٥٢.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٢٣: ولا أدري عدم الصحة من ماذا؟! لأنه جعل الماضي خبراً لاحتماله الصدق والكذب مقابلاً للأمر الذي لا يحتملهما، أما كون الكلام لا ينقسم إلَّا إلى خبر وإنشاء، وأن معانيه إذا حققت ترجع إليهما، فأيُّ مدخلٍ لهذا في الردِّ على أبي القاسم.

(٤) الكشاف ٣/ ١٥٢.

(٥) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٢٤: مُسَلَّمٌ أن الجملة ما دامت حالاً أو صلةً لا يقال لها: خبرية، يعني أنها تستقلُّ بإفادة الإسناد؛ لأنها سيقت مساق القيد في الحال ومساق جزء كلمة في الصلة، وكان ينبغي أن تذكر أيضاً الجملة الواقعة صفة فإن الحكم فيها كذلك.

ينبغي القياس عليها[١]، وعلى هذا الإعراب احتملَ أن يكون «بالله» متعلِّقاً بـ «تقاسموا» الذي هو حالٌ، فهو من صلته ليس داخلاً تحت القول، والمقول «لنبيتنَّه» وما بعده، واحتملَ أن يكون هو وما بعده هو المقول.

وقرأ الجمهور: «لَنُبَيِّتَنَّه وأهلَهُ ثمَّ لنَقُولنَّ» بالنون فيهما، والحسن وحمزة والكسائي بتاء خطاب الجمع[٢]، ومجاهد وابنُ وثاب وطلحة والأعمش بياء الغيبة[٣]، والفعلان مسندان للجمع، وحُميد بن قيس بياء الغيبة في الأول مسنداً للجمع، أي: ليبيتنَّه، أي: قومٌ منا، وبالنونُ في الثاني، أي: جميعُنا يقولُ لوليِّه.

والبَيَاتُ: مباغتةُ العدو، وعن الإسكندر أنه أشيرَ عليه بالبيات، فقال: ليس من أخلاق[٤] الملوك استراقُ الظَّفَر.

و«وَلِيِّه» طالبُ ثأره إذا قُتل.

وقرأ الجمهور: «مُهْلَكَ» بضم الميم وفتح اللام من: أَهْلَكَ. وقرأ حفص: «مَهْلِكَ» بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر بفتحهما[٥].

فأمَّا القراءةُ الأولى فتحتملُ المصدرَ والزمانَ والمكان، أي: ما شهدنَا إهلاكَ أهلِه، أو زمانَ إهلاكهم، أو مكان إهلاكهم، ويلزمُ من هذين أنَّهم إذا لم يشهدوا الزمانَ ولا المكانَ أنْ لا يشهدوا الإهلاك، وأمَّا القراءةُ الثانية، فالقياس يقتضي أن تكون للزمان والمكان، أي: ما شهدنا زمانَ هلاكهم ولا مكانه، والثالثة يقتضي القياسُ أن يكون مصدراً، أي: ما شهدنا هلاكه.

---

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٢٤: الزمخشري مشى مع الجمهور، فإن مذهبهم أنه لا بدَّ من «قد» ظاهرة أو مضمرة لتقرِّبَهُ من الحال.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٤، وقراءة حمزة والكسائي والجمهور في السبعة ص٤٨٣، والتيسير ص١٦٨.

(٣) قراءتهم ـ عدا مجاهد ـ في المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٤، وقراءة مجاهد في مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

(٤) كذا في (ح). وليست في (ت) و(يه)، ومكانها في (أ) و(ع) بياض، وفي الكشاف ٣/ ١٥٢ ـ والكلام منه ـ آيين.

(٥) السبعة ص٤٨٣، والتيسير ص١٦٨.

وقال الزمخشريُّ وقد ذكرَ القراءات الثلاث قال: ويحتملُ المصدرَ والزمان والمكان. انتهى[١].

والظاهر أنَّ في الكلام حذفَ معطوفٍ يدلُّ عليه ما قبله، والتقدير: ما شهدنا مهلك أهلِه ومهلكه، ودلَّ عليه قولهُم: «لنبيتنَّه وأهلَه» وما رويَ أنَّهم كانوا عزمُوا على قتلهِ وقتل أهله، وحَذْفُ مثلِ هذا المعطوف جائزٌ في الفصيح، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبَرْدَ، وقال الشاعر:

فما كان بينَ الخيرِ لو جاء سالماً أبو حُجُرٍ إلَّا لَيالٍ قَلائلُ[٢]

أي: بينَ الخير وبيني، ويكونُ قولهم: «وإنَّا لصادقون» كذباً[٣] في الإخبار، أوهموا قومَهم أنَّهم إذا قتلوه وأهلَهُ سرًّا ولم يشعر بهم أحدٌ وقالوا تلكَ المقالة أنَّهم صادقون، وهم كاذبون.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف يكونون صادقين وقد جَحدوا ما فعلوا، فأتوا بالخبرِ على خلافِ المخبَر عنه؟ قلت: كأنَّهم اعتقدوا إذ بيَّتوا صالحاً وبيَّتوا أهله، فجمعوا بين البياتين، ثم قالوا: «ما شهدنا مهلك أهله»، فذكروا أحدَهما كانوا صادقين، فإنَّهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما. وفي هذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّ الكذبَ قبيحٌ عند الكفرة الذين لا يعرفونَ الشرعَ ونواهيه، ولا يخطر ببالهم، ألا ترى أنَّهم قصدوا قتلَ نبيِّ الله، ولم يروا لأنفسِهم أن يكونوا كاذبين حتى سوَّوا للصدق في أنفسِهم حيلةً يتفصَّون بها عن الكذب. انتهى[٤].

والعجبُ من هذا الرجل كيف يتحيَّلُ هذه الحيل في جعل إخبارهم «وإنَّا لصادقون» إخباراً بالصدق، وهو يعلمُ أنَّهم كذَّبوا صالحاً وعقروا الناقةَ التي كانت من أعظم الآيات، وأقدموا على قتل نبيٍّ وأهله، ولا يجوِّزُ عليهم الكذبَ، وهو يتلو في كتاب الله كذبَهم على أنبيائهم، ونصَّ الله ذلك وكذبهم لمن لا تخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر، وهو قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

(١) الكشاف ٣/ ١٥٢.
(٢) هو للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١٢٠ (طبعة دار المعارف).
(٣) في النسخ الخطية: كذب. والمثبت من المطبوع.
(٤) الكشاف ٣/ ١٥٣، وأفصى: تخلَّص من خيرٍ أو شرٍّ، كتفصَّى، وفصَّيته تفصيةً: خلصته. القاموس (فصي).

وقولُ الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤]، وإنما هذا منه تحريفٌ لكلامِ الله تعالى حتى ينصرَ مذهبَه في قوله: إن الكذبَ قبيحٌ عند الكفرة، ويتحيَّل لهم هذا التحيُّل حتى يجعلَهم صادقين في إخبارهم، وهذا الرجلُ وإن كان أوتي من علم القرآن أوفرَ حظّ، وجمعَ بين اختراع المعنى وبراعةِ اللفظ، ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدةٌ، وكنت قريباً من تسطير هذه الأحرف قد نظمتُ قصيداً في شغل الإنسان نفسَه بكتاب الله، واستطردتُ إلى مدح كتاب الزمخشريِّ، فذكرتُ شيئاً من محاسنه، ثم نبَّهتُ على ما فيه مما يجبُ تجنُّبُهُ، ورأيتُ إثبات ذلك هنا؛ ليَنتفعَ بذلك مَنْ يقفُ على كتابي هذا، ويتنبَّهَ على ما تضمَّنه كتابُه من القبائح، فقلت بعد ذكرِ ما مدحتُه به:

ولكنَّه فيه مجالٌ لناقدٍ ... وزلَّاتُ سوءٍ قد أخذنَ المخانقا
فيثبتُ موضوعَ الأحاديثِ جاهلاً ... ويعزو إلى المعصومِ ما ليسَ لائقا[1]
ويشتمُ أعلامَ الأئمَّة ضِلَّةً ... ولاسيَّما إن أولجوهُ المضايقا
ويُسْهِبُ في المعنى الوجيزِ دلالةً ... بتكثِير ألفاظٍ تسمَّى الشقاشِقا
يُقَوِّلُ فيها اللهَ ما ليس قائلاً ... وكانَ محبًّا في الخطابةِ وامِقا[2]
ويخطئ في تركيبِه لكلامِه ... فليس لما قد ركَّبُوه موافقا
وينسبُ إبداءَ المعاني لنفسِه ... ليوهمَ أغماراً وإن كان سارِقا
ويُخْطِئُ في فهم القرانِ لأنَّه ... يُجَوِّزُ إعراباً أبى أنْ يُطابِقا
وكم بين مَنْ يؤتَى البيانَ سليقةً ... وآخرَ عاياه[3] فما هو لاحقا
ويحتالُ للألفاظ حتى يديرها ... لمذهبِ سوءٍ فيه أصبحَ مارِقا
فيا خُسْرَه شيخاً تخرَّقَ صيتُه ... مغاربَ تخريقَ الصَّبا ومشارِقا
لئن لم تَدَارَكْهُ مِنَ الله رحمةٌ ... لسوفَ يُرَى للكافرينَ مُرَافِقا[4]

(١) جاء في هامش (ح) ما نصه: كفضائل السور في آخر كل سورة، وهذا لا يختص به فقد ذكره الواحدي وغيره.
(٢) الوامق: المحب. مختار الصحاح (ومق).
(٣) في (يه) والمطبوع: عاناه. ولم تنقط في (ح).
(٤) قال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ١/ ٤٣٩ بعد ذكر كلام =

ومكرُهم: ما أخفَوهُ من تدبير الفَتْك بصالحٍ وأهلِه، ومكرُ الله: إهلاكُهم من حيث لا يشعرون، شُبِّهَ بمكر الماكر على سبيل الاستعارة[١].

ومكرُهم إيهامُهم أنَّهم مسافرون واختفاؤهم في غار، قيل: أو شِعْبٍ، وعزمُهم على قتله وقتلِ أهله، وحلفُهم أنَّهم ما حضروا ذلك. ومكرُ الله بهم: إطباقُ صخرةٍ على فم الغار والشِّعْبِ، وإهلاكُهم فيه، أورميُ الملائكةِ إيَّاهم بالحجارة، يرونَها ولا يرونَ الرامي حيث شهروا أسيافهم بالليل ليقتلوه، قولان.

وقيل: إنَّ الله أخبرَ صالحاً بمكرهم، فيخرجُ عنه، فذلك مكرُ الله في حقِّهم.

وروي أنَّ صالحاً بعد عقر الناقة أخبرَهم بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام، فاتفق هؤلاء التسعة على قتل صالح وأهلِه ليلاً، وقالوا: إنْ كان كاذباً في وعيدِه كنَّا قد أوقعنا به ما يستحقُّ، وإن كان صادقاً كنَّا قد عجَّلناه قبلنا وشفينا نفوسنا. واختفوا في غارٍ، وأهلكهم اللهُ كما تقدَّم ذكره، وأهلك قومَهم، ولم يشعر كلُّ فريقٍ بهلاك الآخر[٢].

والظاهرُ أنَّ «كيف» خبرُ «كان»، و«عاقبة» الاسمُ، والجملة في موضع نصبٍ بـ «انظر»، وهي معلَّقة.

وقرأ الجمهور: «إنَّا» بكسرِ الهمزة على الاستئناف، وقرأ الحسنُ وابنُ أبي إسحاق والكوفيون بفتحها[٣]، فـ «أنَّا» بدلٌ من «عاقبة»، أو خبرٌ لـ «كان»، و«كيف» في موضع الحال، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي - أي العاقبة -

= أبي حيان وشعره: وأحسب أن القارئ لا يفوته أن يدرك ما في الوصف من قسوة على الزمخشري، وما فيه من اتهامه بقلَّة بضاعته في البيان والعربية، مع أنه سلطان هذه الطريقة في التفسير غير مدافع. انتهى.
قلت: والكشاف عند أبي حيان من أهم مصادره، يكثر النقل عنه، فيصرح أحياناً، ويغفل ذكره أحياناً، فأبو حيان وقع فيما اتهم به الزمخشري في أنه ينسب المعاني الرائعة لنفسه مع أنه يكون قد أخذها من غيره.

(١) الكشاف ٣/ ١٥٣.
(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٤، والكوفيون هم عاصم وحمزة والكسائي، وقراءتهم في السبعة ص٤١٤، والتيسير ص١٦٨.

تدميرُهم، أو يكون التقدير: لأنَّا، وحُذِفَ حرفُ الجرّ، وعلى كلتا القراءتين يجوزُ أن تكون «كان» تامَّة، و«عاقبة» فاعلٌ بها، وأن تكونَ زائدةً و«عاقبة» مبتدأ خبره «كيف».

وقرأ أبيّ: «أنْ دمَّرناهم»[١]، وهي «أنْ» التي من شأنها أنْ تنصبَ المضارع، ويجوزُ فيها الأوجهُ الجائزةُ في «أنَّا» بفتح الهمزة.

وحكى أبو البقاء أنَّ بعضَهم أجاز في «أنَّا دمرناهم» في قراءة من فتح الهمزة أنْ تكون بدلاً من «كيف»، قال: وقال آخرون: لا يجوزُ؛ لأنَّ البدلَ مِن الاستفهامِ يلزمُ فيه إعادة حرفِه؛ كقوله: كيف زيدٌ أصحيحٌ أم مريض؟[٢]

ولمَّا أمرَ تعالى بالنظرِ فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم، بيَّنَ ذلك بالإشارة إلى منازلهم، وكيف خَلَتْ منهم، وخرابُ البيوتِ وخلوُّها من أهلها حتَّى لا يبقى منهم أحدٌ ممَّا يُعَاقَبُ به الظلمةُ؛ إذ يدلُّ ذلك على استئصالهم، وفي التوراة: ابنَ آدم لا تظلم يخربْ بيتُك[٣]، وهو إشارةٌ إلى هلاك الظالم، إذ خرابُ بيتِه متعقِّبٌ هلاكَه، وهذه البيوتُ هي التي قال فيها رسول الله ﷺ لأصحابه عام تبوك: «لا تدخلُوا على هؤلاء المعذَّبين إلَّا أن تكونوا باكين»[٤] الحديث.

وقرأ الجمهورُ: «خاويةً» بالنصب على الحال. قال الزمخشريُّ: عملَ فيها ما دلَّ عليه «تلك»، وقرأ عيسى بن عمر: «خاويةٌ» بالرفع[٥]، قال الزمخشريُّ: على خبر المبتدأ المحذوف. وقال[٦] ابن عطيَّة: أي: هي خاويةٌ، قال: أو على الخبر عن «تلك»، و«بيوتُهم» بدلٌ، أو على خبرٍ ثانٍ[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٤.
(٢) الإملاء ٢/ ١٧٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٥.
(٤) أخرجه أحمد (٤٥٦١)، والبخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٥) الكشاف ٣/ ١٥٣، وذكرها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن ص١١٠ من حكاية أبي معاذ. ونسبها القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٨٦ لعيسى بن عمر ونصر بن عاصم والجحدري.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: وقاله. والمثبت من (ت) و(يه).
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٥.

و«خاوية» خَرِبةٌ[(١)] بسبب ظلمهم، وهو الكفر، وهو من خلوِّ البطنِ.

وقال ابن عباس: «خاوية» أي: ساقطٌ أعلاها على أسفلها.

«إنَّ في ذلك» أي: في فعلنا بثمود، وهو استئصالُنا لهم بالتدمير وخلاءِ مساكنهم منهم، و«بيوتُهم» هي بوادي القُرى بين المدينة والشام.

«وأنجينا الذين آمنوا» أي: بصالحٍ «من العذاب» الذي حلَّ بالكفار، وكان الذين آمنوا به أربعةَ آلافٍ، خرجَ بهم صالحٌ إلى حضرموت، وسُمِّيت حضرمَوت؛ لأنَّ صالحاً عليه السلام لمَّا دخلَها ماتَ بها، وبنى المؤمنون بها مدينةً يقال لها: حاضورا[(٢)]. وأمَّا الهالِكون فخرجَ بأبدانهم خُرَاجٌ مثل الحِمَّص أحمر في اليوم الأول، ثم اصفرَّ في الثاني، ثم اسودَّ في الثالث، وكان عقرُ الناقةِ يومَ الأربعاء، وهلكوا يوم الأحد.

قال مقاتل: تفقَّقت[(٣)] تلك الخُرَاجات، وصاحَ جبريلُ عليه السلام بهم صيحةً، فخمدوا.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

و«لوطاً» عطف على «صالحاً»، أي: وأرسلنا لوطاً، أو على «الذين آمنوا»، أي: وأنجينا لوطاً، أو بـ اذكر مضمرةً، و«إذ» بدلٌ منه، أقوال.

وأتأتون، استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ، وأبهم أوَّلاً في قوله: «الفاحشة»، ثمَّ عَيَّنها في قوله: «أئنَّكم لتأتونَ الرجال». وقوله: «وأنتم تبصرون» أي: تعلمونَ قُبْحَ هذا الفعلِ المنكر الذي أحدثتموه، وأنَّه من أعظمِ الخطايا، والعلمُ بقبح الشيء مع إتيانه

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: خبرية. والمثبت من (ت) و(ع) و(يه).
(٢) انظر تفسير الثعلبي ٤/ ٥٠٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٨٧.
(٣) في (ت): تقبقبت، وفي (يه): تعقبت، وفي تفسير الثعلبي ٤/ ٥٠٤: تفقأت، وفي تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٧: فقعت.

أعظمُ في الذنب. أو: آثارَ العصاة قبلَكم، أو: ينظرُ بعضُكم إلى بعضٍ، لا يستترُ ولا يتحاشى من إظهار ذلك؛ مَجَانةً وعدمَ اكتراثٍ بالمعصية الشنعاء. أقوال ثلاثة.

وانتصبَ «شهوةً» على أنّه مفعولٌ من أجلِه، و«تجهلون» غُلِّبَ فيه الخطابُ كما غُلِّبَ في «بل أنتم قوم تفتنون» [النمل: ٤٧]. ومعنى «تجهلون» أي: عاقبةَ ما أنتم عليه، أو تفعلونَ فعلَ السفهاءِ المُجّانِ، أو فعلَ من جَهِلَ أنَّها معصيةٌ عظيمةٌ مع العلم بذلك[(١)]، أقوال.

ولمَّا أنكر عليهم ونَسبَهم إلى الجهل، ولم تكن لهم حجَّةٌ فيما يأتونه من ذلك، عَدَلُوا إلى المغالبة والإيذاء.

وتقدَّم معنى «يتطهَّرون» في «الأعراف»[(٢)].

وقرأ الجمهور «جوابَ» بالنصب، والحسنُ وابن أبي إسحاق بالرفع[(٣)] والجمهورُ: «قَدَّرناها» بتشديد الدال، وأبو بكر بتخفيفها[(٤)].

وباقي الآيةِ تقدَّم تفسيرُ نظيره في «الأعراف».

و«ساء» بمعنى بئس، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ، أي: مطرُهم.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا
كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ
قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ
ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن
يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نَشْرًا[(٥)] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن

---

(١) انظر الكشاف ٣/١٥٣.

(٢) عند تفسير الآية (٨٢) منها.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٥. وذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٤١ عن الحسن.

(٤) السبعة ص٤٨٤، والتيسير ص١٦٨.

(٥) كذا ذكرها المصنف، وهي قراءة الجمهور، لكن قرأ ابن عامر بالنون المضمومة وإسكان =

يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

لمَّا فرغَ من قصص هذه السورة أمرَ رسولَهُ ﷺ بحمدِه تعالى، والسلام على المصطَفين، وأخذَ في مباينةِ واجب الوجود اللهِ تعالى، ومباينة الأصنام والأوثان[1] التي أشركوها مع الله وعبدوها، وابتدأ في هذا التقرير لقريشٍ وغيرهم بالحمدلة، وكأنَّها صدرُ خطبةٍ لما يُلْقي مِنَ البراهينِ الدالَّة على الوحدانية والعلمِ والقدرةِ، وقد اقتدى بذلك المسلمون في تصانيفِ كتبهم وخُطَبهم ووَعْظهم، فافتتحوا بتحميدِ الله والصلَاة على محمدٍ رسولِه ﷺ، وتبعَهُم المترسِّلون في أوائل كتبِ الفتوح والتهاني والحوادثِ التي لها شأن.

وقيل: هو متَّصِلٌ بما قبله، وأمرَ الرسولَ عليه الصلاة والسلام بتحميدِ الله على هلاك الهالكينَ من كفار الأمم، والسلام على الأنبياء وأتباعهم الناجين[2].

وقيل: «قل» خطابٌ للوطٍ عليه السلام أنْ يَحْمَدَ اللهَ على هلاك كفَّار قومِه، ويُسَلِّمَ على عباده الذين اصطفى. وعزا هذا القولَ ابنُ عطيَّة للفرَّاء، وقال: هذه عجمةٌ من الفرَّاء[3].

وقرأ أبو السمَّال: «قل الحمد لله» وكذا ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ﴾ [النمل: ٩٣] بفتح اللام.

وعبادُه المصطفَون يعمُّ الأنبياء وأتباعَهم. وقال ابن عباس: العِبادُ المُسَلَّم عليهم هم أصحابُ رسول الله ﷺ، اصطفاهم لنبيِّه. وفي اختصاصِهم بذلك توبيخٌ للمعَاصرين من الكفَّار[4].

= الشين، وحمزة والكسائي بالنون المفتوحة وإسكان الشين، وأبو عمرو وابن كثير ونافع بضم النون والشين، وقرأ عاصم: «بشراً» بالباء مضمومة وإسكان الشين. التيسير ص١١٠.

(١) في (أ) و(ع): والأديان.

(٢) الكشاف ٣/ ١٥٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٥، وانظر كلام الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦. وقول ابن عباس ﷺ أخرجه الطبري ١٧/ ٩٨.

وقال أبو عبد الله الرازي: لـمَّا ذكر تعالى أحوالَ الأنبياء، وأنَّ مَنْ كذَّبهم استؤصلَ بالعذاب، وأنَّ ذلك مُرْتفِعٌ عن أمَّة الرسول، أمرَهُ تعالى بحمدِه على ما خصَّه من هذه النعمة، وتسليمِه على الأنبياءِ الذين صبروا على مشاقِّ الرسالة. انتهى وفيه تلخيص[1].

وقوله: «آللهُ خيرٌ أمَّا يشركون» استفهامٌ فيه تبكيتٌ وتوبيخٌ وتهكُّم بحالهم، وتنبيهٌ على موضع التباينِ بينَ الله تعالى وبين الأوثان، إذ معلومٌ عند مَنْ له عقلٌ أنَّه لا شركةَ في الخيريَّة بين الله تعالى وبينهم، وكثيراً ما يجيءُ هذا النوعُ من أفعل التفضيل حيثُ يُعْلَم ويُتَحَقَّق أنَّه لا شركةَ فيها، وإنَّما يُذْكَر على سبيلِ إلزام الخصمِ وتنبيهه على خطأ مرتكبه[2].

والظاهرُ أنَّ هذا الاستفهام هو عن خيريَّةِ الذوات، فقيل: جاء على اعتقاد المشركين، حيث اعتقدُوا في آلهتهم خيراً بوجهٍ مّا[3]. وقيل: في الكلامِ حذفٌ في موضعين، التقديرُ: أتوحيدُ الله خيرٌ أم عبادة ما يشركون؟ ف «ما» في «أم ما» بمعنى الذي. وقيل: «ما» مصدريَّة، والحذفُ مِنَ الأوَّل، أي: أتوحيدُ الله خيرٌ أم شرككم؟ وقيل: «خير» ليست للتفضيل، فهي كما تقول: الصلاةُ خيرٌ، تعنى: خيراً من الخيور[4]. وقيل: التقدير: ذو خير.

والظاهر أنَّ خيراً أفعلُ التفضيل، وأنَّ الاستفهامَ في نحو هذا يجيءُ لبيان فسادِ ما عليه الخصمُ، وتنبيهه على خطئه، وإلزامه الإقرارَ بحصرِ التفضيلِ في جانبٍ واحدٍ وانتفائِه عن الآخر.

وقرأ الجمهور: «تشركون» بتاءِ الخطاب، والحسنُ وقتادة وعاصم وأبو عمرو بياء الغيبة[5].

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٠٥.
(٢) في (يه): يرتكبه.
(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦، وقراءة عاصم وأبي عمرو في التيسير ص١٦٨. وهي قراءة يعقوب من العشرة. النشر ٢/ ٣٣٨.

و«أم» في «أم ما» متَّصلة؛ لأن المعنى: أيُّهما خيرٌ، وفي «أم مَنْ خَلق» وما بعده منفصلةٌ[١].

ولمَّا ذكر «آلله خيرٌ» عَدَّد سبحانه الخيرات والمنافعَ التي هي آثارُ رحمتِه وفضلِه، كما عدَّدها في غير موضع من كتابه؛ توقيفاً لهم على ما أبدع من المخلوقات، وأنَّهم لا يجدون بُدًّا من الإقرار بذلك لله تعالى.

وقرأ الجمهور «أمّن خلق» وفي الأربعة بعدها بشدِّ الميم، وهي ميمُ «أم» أدغمت في ميم «من»، وقرأ الأعمش بتخفيفها، جعلها همزَة الاستفهام أدخلت على «مَنْ»، و«مَنْ» في القراءتين مبتدأ وخبره؛ قال ابنُ عطية: تقديرُه: يكفرُ بنعمتِه ويشركُ به، ونحو هذا من المعنى[٢]. وقدَّره الزمخشريُّ: خيرٌ أمَّا تشركون[٣]. فقدَّر ما أُثبتَ في الاستفهام الأول، بدأ أوَّلاً في الاستفهام باسم الذات، ثم انتقل فيه إلى الصفات.

وقال أبو الفضل الرازي في كتاب «اللوامح» له: ولا بدَّ من إضمار جملةٍ معادِلَةٍ، وصار ذلك المضمَرُ كالمنطوق به؛ لدلالة الفحوى عليه، وتقديرُ تلك الجملة: أمن خلقَ السماوات كمَنْ لم يخلق، وكذلك أخواتها، وقد أظهرَ في غير هذا الموضع ما أضمرَ فيها؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]. انتهى.

وتسميةُ هذا المقدَّرِ جملةً إن أراد بها[٤] جملةً من الألفاظ، فهو صحيحٌ، وإنْ أرادَ الجملةَ المُصْطَلَح عليها في النحو، فليس كذلك، بل هو مُضْمَرٌ من قَبيل المفرد.

وبدأ تعالى بذكرِ إنشاءِ مَقَرِّ العالم العلويِّ والسُّفليِّ، وإنزال ما به قِوَامُ العالم السفليِّ، وقال: «لكم» أي: لأجلكم، على سبيل الامتنان، وأنَّ ذلك من أجلكم، ثم قال: «فأنبتنا»، وهذا التفاتٌ من الغيبةِ إلى التكلُّم بنون العظمة، دالًّا على

---

(١) لعدم تقدم همزة استفهام ولا تسوية. الدر المصون ٨/ ٦٢٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦.
(٣) الكشاف ٣/ ١٥٤. واستحسنه السمين في الدر المصون ٨/ ٦٢٩.
(٤) في (ت) و(يه): أنها. بدل: بها.

اختصاصه بذلك، وأنَّه لم يُنْبِت تلكَ الحدائقَ المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح بماءٍ واحد إلَّا هو تعالى. وقد رشَّح هذا الاختصاصَ بقوله: «ما كان لكم أن تُنبِتُوا شجرَها»[١].

ولمَّا كان خلقُ السماوات والأرض وإنزالُ الماء من السماء لا شبهةَ للعاقلِ في أنَّ ذلك لا يكونُ إلَّا لله، وكانَ الإنباتُ ممَّا قد يتسبَّبُ فيه الإنسانُ بالبَذْرِ والسقيِ والتهيئةِ، ويَسُوغُ لفاعلِ السببِ نسبةُ فعلِ المسبَّبِ إليه، بيَّن تعالى اختصاصَهُ بذلك بطريق الالتفاتِ، وتأكيدُ ذلك بقوله: «ما كان لكم أن تنبتوا شجرها»، ألا ترى أنَّ المتسبِّبَ بذلك[٢] قد لا يأتي على وفق مرادِه، ولو أتى، فهو جاهلٌ بطبعِه ومقدارِه وكيفيَّته، فكيف يكون فاعلاً لها[٣].

والبهجةُ: الجمالُ والنُّضْرَة والحُسْن؛ لأنَّ الناظرَ فيها يبتهجُ، أي: يُسَرُّ ويَفْرح.

وقرأ الجمهورُ: «ذاتَ» بالإفراد، «بَهْجَةٍ» بسكون الهاء، وجمعُ التكسير يجري في الوصف مجرى الواحدة، كقوله: ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهو على معنى جماعة.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «ذوات» بالجمع «بَهَجة» بتحريكِ الهاء بالفتح[٤].

«ما كان لكم أنْ تُنبتوا شجرها» قد تقدَّم أنَّ نفيَ مثل هذه الكينونة قد يكونُ ذلك لاستحالةِ وقوعه كهذا، أو لامتناعِ وقوعِه شرعاً، أو لنفي الأولويَّة. والمعنى هنا أنَّ إنباتَ[٥] ذلك منكم محالٌ؛ لأنَّه إبرازُ شيءٍ من العدمِ إلى الوجود، وهذا ليسَ بمقدورٍ إلَّا لله تعالى.

ولمَّا ذكرَ مِنَّتهُ عليهم خاطبَهم بذلك، ثمَّ لما ذكر ذمَّهم عَدَلَ من الخطابِ إلى الغيبة، فقال: «بل هم قوم يعدلون»، إمَّا التفاتاً وإمَّا إخباراً للرسول ﷺ بحالهم، أي: يعدلون عن الحقِّ، أو يعدلون به غيره، أي: يجعلون له عديلاً ومثيلاً.

(١) انظر الكشاف ٣/ ١٥٥.
(٢) في النسخ عدا (يه): لذلك.
(٣) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٠٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦.
(٥) في (ت) و(يه): إثبات. بدل إنبات.

وقرئ: «أإلهاً» بالنصبِ، بمعنى: أتدعونَ أو أتشرِكون. وقُرئ: «أإله» بتخفيف الهمزتين، وتليين الثانية، والفصل بينهما بألف[١].

ولمَّا ذكرَ تعالى أنَّه منشئُ السماوات والأرض، وذكر شيئاً مشتركاً بين السماء والأرض، وهو إنزالُ الماء من السماء، وإنباتُ الحدائق بالأرض؛ ذكر شيئاً مختصًّا بالأرض، وهو جعلُها قراراً، أي: مستقرًّا لكم بحيثُ يمكنكُم الإقامةُ بها والاستقرارُ عليها، ولا يديرها الفَلَك، قيل: لأنَّها مضمحلَّةٌ في جنب الفلك كالنُّقطة في وسط[٢] الرحى.

«وجعلَ خِلالها» أي: بين أماكنها في شعابها وأوديتها «أنهاراً وجعل لها رواسيَ» أي: جبالاً ثوابتَ حتى لا تنكفف[٣] بكم وتميدَ. والبحران: العذبُ والملحُ، والحاجزُ: الفاصلُ من قدرته تعالى، قاله الضحاك. وقال مجاهد: بحر السماء والأرض، والحاجزُ من الهواء. وقال الحسن: بحرُ فارس والروم. وقال السُّدِّيُّ: بحر العراق والشام[٤].

والحاجز من الأرض، قال ابن عطية مختاراً لهذا القول في الحاجز: هو ما جعل الله بينهما مِنْ حواجزِ الأرض وموانِعها على رِقَّتها في بعض المواضع ولطافتها التي لولا قدرته سبحانه وتعالى لبَلَغَ[٥] الملحُ العذبَ. وكان ابنُ عطيَّة قد قدَّم أنَّ البحرينِ العذبُ بجملته والماءُ الأجاجُ بجملتِه[٦].

ولمَّا كانت كلُّ واحدةٍ من هذه مِنَّةً عظيمةً مستقلة، تكرَّرَ فيها العاملُ في قوله: «وجعل»، فكانت من عطفِ الجملِ المستقلِّ كلُّ واحدةٍ منها بالامتنان، ولم يُشَرِّك في عاملٍ واحد فيكونَ من عطف المفردات.

(١) مختصر ابن خالويه ص١١٠، والكشاف ٣/ ١٥٥.
(٢) قوله: وسط. من (ت) و(يه).
(٣) كذا في (أ) و(ت) و(ع) و(يه). وفي (ح): تنكفت. وفي المطبوع: تتكففاً.
(٤) النكت والعيون ٤/ ٢٢٢.
(٥) في (ح) والمطبوع: لبلع. وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧: لغلب.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦.

ولأبي عبد الله الرازي في ذكر هذه الامتنانات الأربع كلامٌ من علم الطبيعة والحكماءِ على زعمه خارجٌ عن مذاهب العرب، يوقَفُ عليه في كتابه[١].

والمُضْطرّ: اسم مفعول، وهو الذي أحوجَهُ مرضٌ أو فقرٌ أو حادثٌ من حوادث الدهرِ إلى الالتجاء إلى الله والتضرُّع إليه، فيدعوهُ لكشفِ ما اعتراهُ من ذلك وإزالته عنه.

وقال ابن عباس: هو المَجْهود. وقال السُّدِّيُّ: هو الذي لا حولَ ولا قوة له. وقيل: هو المُذْنِبُ إذا استغفر.

وإجابتُه إيَّاه مقرونةٌ بمشيئته تعالى، فليس كلُّ مضطَّرٍ دعا يجيبُه الله في كشف ما به. وقال الزمخشريُّ: الإجابةُ موقوفةٌ على أن يكون المدعوُّ به مصلحة، ولهذا لا يحسن الدعاء إلَّا شارطاً فيه المصلحة. انتهى. وهو على طريق الاعتزال في مراعاة المصلحةِ من الله تعالى[٢].

«ويكشفُ السُّوء» هو كلُّ ما يَسوءُ وهو عامٌّ في كلِّ ضُرٍّ، انتقلَ من حالة المضطرِّ وهو خاصٌّ، إلى أعم وهو ما يسوء، سواءٌ كان المكشوفُ عنه في حالة الاضطرار أو فيما دونها.

و«خُلَفاء» أي: الأمم السالفة، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو خلفاءَ النبيِّ ﷺ من بعده، أو خلفاء الكفَّار في أرضهم، أو الملك والتسلُّط. أقوال.

وقرأ الحسن في رواية: «ونجعلكم» بنون المتكلِّم[٣]، كأنَّه استئنافُ إخبارٍ ووعدٍ، كما قال تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

وقولُه: «ويجعلُكم خلفاءَ الأرض» انتقالٌ مِن حالة المضطرِّ إلى رتبةٍ مغايرةٍ لحالة الاضطرار، وهي حالة الخلافة، فهما طرفان، وكم رأينا في الدنيا ممَّن بلغَ حالة الاضطرار ثمَّ صارَ ملكاً متسلِّطاً.

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٤/ ٢٠٦-٢٠٨.
(٢) الكشاف ٣/ ١٥٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧.

وقرأ الجمهور: «تَذكَّرونَ» بتاء الخطاب، والحسنُ والأعمشُ وأبو عمرو بياء الغيبة[١]، والذالُ في القراءتين مشدَّدة لإدغام التاء فيها.

وقرأ أبو حَيْوة: تتذكرون بتاءين[٢].

وظُلْمةُ البَرِّ هي ظلمةُ الليل، وهي الحقيقة، وتنطلقُ مجازاً على الجهل وعلى انبهام الأمرِ، فيقال: أظلم عليَّ الأمرُ، وقال الشاعر:

تجلَّت عَماياتُ الرِّجالِ عن الصِّبا[٣]

أي: جهالات الصِّبا. وهدايةُ البَرِّ تكون بالعلامات، وهدايةُ البحر بالنجوم.

«ومن يُرْسل الرِّياح نُشْراً[٤] بين يَدَي رحمته» تقدَّم تفسيرُ نظير هذه الجملة[٥].

وقُرِئ: «عمَّا تشركون» بتاء الخطاب[٦].

«أمَّن يَبْدأ الخَلْقَ» الظاهرُ أنَّ الخَلْقَ هو المَخْلوق، وبدؤه اختراعُه وإنشاؤه، ويظهرُ أنَّ المقصودَ هو مَنْ يعيدُه اللهُ في الآخرة من الإنس والجنِّ والمَلَكِ، لا عموم المخلوق.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧، وقرأ بالتاء أيضاً هشام راوية ابن عامر، والقراءة عنه وعن أبي عمرو في السبعة ص٤٨٤، والتيسير ص١٦٨. وهي أيضاً رواية روح عن يعقوب من العشرة. انظر النشر ٢/ ٣٣٩.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، ديوانه ص١٨، وروايته فيه:

تسلَّت عَماياتُ الرِّجالِ عن الصِّبا ... وليسَ صِباي عن هواها بمنسلي

وانظر أيضاً شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ١/ ١٥٦. وهو بلفظ: تجلت، في المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧، ولسان العرب (عمي).

(٤) هي بالنون قراءة الجمهور، لكن قرأ ابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين، وحمزة والكسائي بالنون مفتوحة وإسكان الشين، وأبو عمرو وابن كثير ونافع بضم النون والشين، وقرأ عاصم: «بُشْراً» بالباء مضمومة وإسكان الشين. التيسير ص١١٠.

(٥) عند تفسير الآية (٥٧) من سورة الأعراف.

(٦) هي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن وغيره: «يشركون» بالياء على الغيبة. المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧.

وقال ابن عطية: والمقصودُ بنو آدم من حيث ذَكَرَ الإعادة، والإعادةُ: البعثُ من القبور، ويحتملُ أن يريدَ بـ «الخلق» مصدر خلق [يخلق]، ويكون «يبدأ» و«يعيد» استعارةً للإتقان والإحسان، كما تقول: فلانٌ يُبْدِئ ويُعيدُ في أمر كذا وكذا، إذا كان يتقنُه(١).

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف قال لهم: «أمَّن يَبْدَأُ الخلقَ ثمَّ يعيدُه» وهم منكرون الإعادة؟ قلت: قد أُزِيحَت عِلَّتهم(٢) بالتمكين من المعرفة والإقرار، فلم يبق لهم عذرٌ في الإنكار. انتهى.

ولمَّا كان إيجاد بني آدم إنعاماً إليهم وإحساناً، ولا تتمُّ النعمةُ إلَّا بالرزق، قال: «ومن يرزقكم من السماء» بالمطر «والأرض» بالنبات.

«قل هاتوا برهانكم» أي: أَحْضِروا حجَّتَكم ودليلَكم على ما تدَّعون من إنكار شيءٍ ممَّا تقدَّمَ تقريرُه «إن كنتم صادقين» في أنَّ مع الله إلهاً آخر، فأين دليلكم عليه؟ وهذا راجعٌ إلى ما تقدَّم من جميع الاستفهام الذي جيء به على سبيل التقرير.

وناسب ختمُ كلِّ استفهامٍ بما تقدَّمه؛ لمَّا ذكرَ إيجادَ العالم العلويِّ والسفليِّ، وما امتنَّ به من إنزال المطر وإنبات الحدائق، اقتضى ذلك أنْ لا يُعْبَد إلَّا موجِدُ العالم، والممتنُّ بما به قِوَام الحياة، فختمَ بقوله: «بل هم قوم يعدلون»، أي: عن عبادته، أو يعدلون به غيرَه ممَّا هو مخلوقٌ مخترَعٌ، ولمَّا ذكرَ جعلَ الأرضِ مستقرًّا وتفجيرَ الأنهار وإرساءَ الجبالِ، وكان ذلك تنبيهاً على تعقُّل ذلك والفكرِ فيه، ختمَ بقوله: «بل أكثرهم لا يعلمون» إذ كان فيهم من يَعلمُ ويفكِّرُ في ذلك، ولمَّا ذكر إجابةَ دعاءِ المضطرِّ وكشفَ السوء واستخلافَهم في الأرض، ناسبَ أن يستحضرَ الإنسانُ دائماً هذه المنَّة، فختم بقوله: «قليلاً ما تذكرون»؛ إشارةً إلى توالي النسيان على الإنسان إذا صار في خيرٍ وزالَ اضطرارُه وكُشِفَ السوءُ عنه، كما قال: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨]. ولمَّا ذكرَ الهدايةَ في الظلماتِ وإرسالَ الرياح

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: أنعم عليهم. بدل: أزيحت علتهم، والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف ٣/ ١٥٦.

نُشراً، ومعبوداتُهم لا تهدي ولا تُرسِلُ، وهم يشركون بها الله، قال: «تعالى اللهُ عمَّا يشركون»، واعتقبَ كلَّ واحدةٍ من هذه الجمل قولُه: «أإلهٌ مع الله» على سبيل التوكيد والتقرير أنّه لا إله إلا هو تعالى.

قيل: سأل الكفَّار عن وقتِ القيامة التي وَعَدَهم الرسولُ ﷺ، وألحُّوا عليه، فنزل: «قل لا يعلمُ مَنْ في السماوات والأرض» الآية[1].

والمتبادرُ إلى الذهن أنَّ «مَنْ» فاعلٌ بـ «يعلم» و«الغيبَ» مفعولٌ، و«إلَّا الله» استثناءٌ منقطعٌ؛ لعدم اندراجه في مدلول لفظ «مَنْ»، وجاء مرفوعاً على لغة تميم ـ ودلَّت هذه الآيةُ على أنَّه تعالى هو المنفردُ بعلم الغيب، وعن عائشة ﵂: «من زعمَ أنَّ محمَّداً يعلمُ ما في غدٍ فقد أعظمَ الفريةَ على الله، والله تعالى يقول: «قل لا يعلم مَنْ في السماوات والأرض الغيبَ إلَّا الله»[2] ـ ولا يقال: إنَّه مندرجٌ في مدلول «مَنْ» فيكون «من في السماوات والأرض» ظرفاً حقيقيًّا للمخلوقين فيهما، ومجازيًّا بالنسبة إليه تعالى، أي: هو فيها بعلمه؛ لأنَّ في ذلك جمعاً بين الحقيقة والمجاز، وأكثرُ العلماء ينكرُ ذلك، وإنكاره هو الصحيح، ومن أجازَ ذلك، فيصحُّ عنده أن يكون استثناءً متَّصلاً، وارتفعَ على البدل أو الصفة، والرفعُ أفصحُ من النصب على الاستثناء؛ لأنَّه استثناءٌ من نفيٍ متقدِّم

والظاهر عمومُ الغيب. وقيل: المراد غيب الساعة.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما الداعي إلى اختيار المذهبِ التميميِّ على الحجازي؟ ـ يعني في كونه استثناءً منقطعاً، إذ ليس مندرجاً تحت «مَنْ»، ولم اختير الرفعُ على لغة تميم ولم يخْتَر النصبُ على لغة الحجاز؟ قال ـ قلت: دَعَتْ إلى ذلك نكتةٌ سَرِيَّةٌ، حيث أخرجَ المستثنى مُخْرجَ قوله: إلَّا اليعافير، بعد قوله: ليس بها أنيسُ[3]؛ ليؤولَ المعنى إلى قولك: إن كان اللهُ ممَّن في السماوات والأرض

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٧.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

(٣) تمام الرجز:

بسابساً ليس بها أنيسُ
إلا اليعافيرُ وإلا العِيسُ

وهو لِجَرانِ العَود، ديوانه ص١١١ (طبعة دار صادر)، وذكره سيبويه في الكتاب ٢/ ٣٢٢،

فهم يعلمون الغيب، يعني أنَّ علمَهم الغيبَ في استحالته كاستحالةِ أنْ يكونَ اللهُ منهم، كما أنَّ معنى ما في البيت: إنْ كانت اليعافيرُ أنيساً ففيها أنيسٌ، بتّاً[1] للقول بخلوِّها عن الأنيس. انتهى.

وكان الزمخشريُّ قد قدَّمَ قوله: فإن قلت: لم رفع اسم الله، والله يتعالى أن يكونَ ممَّن في السماوات والأرض؟ قلت: جاء على لغة بني تميم حيث يقولون: ما في الدارِ أحدٌ إلا حمار، يريدون: ما فيها إلا حمار[2]، كأنَّ أحداً لم يُذْكر، ومنه قوله:

عَشِيَّةَ ما تُغْني الرِّماحُ مكانَها ... ولا النَّبْلُ إلَّا المَشْرَفيُّ المُصَمِّمُ[3]

وقوله: ما أتاني زيدٌ إلا عمرو، و ما أعانهُ إخوانُكم إلَّا إخوانُه. انتهى[4].

وملخَّصُه أنَّه يقول: لو نُصِب لكان مندرجاً تحت المستثنى منه، وإذا رُفِعَ كان بدلاً، والمبدلُ منه في نيَّة الطرح، فصار العاملُ كأنَّه مفرَّغٌ له؛ لأنَّ البدلَ على نيَّة تكرار العامل، فكأنَّه قيل: قل: لا يعلم الغيبَ إلا الله. ولو أعربَ «مَنْ» مفعولاً و«الغيب» بدلٌ منه، و«إلا الله» هو الفاعل، أي: لا يعلمُ غيبَ مَنْ في السماواتِ والأرض إلَّا الله، أي: الأشياء الغائبة التي تحدثُ في العالم وهم لا يعلمونَ بحدوثها، أي: لا يسبقُ علمُهم بذلك = لكان وجهاً حسناً[5]، وكأنَّ اللهَ تعالى هو المخصوصُ بسابقِ علمه فيما يحدثُ في العالم.

و«أيَّان» تقدَّمَ الكلامُ فيها في أواخر «الأعراف»[6] وهي هنا اسمُ استفهامٍ بمعنى

= والبغدادي في خزانة الأدب ١٠/ ١٥ بلفظ: وبلدةٍ.
والبسابسُ جمع بَسْبَس، وهو القفر، واليعافير جمع يعفور، وهو ولد الظبية وولد البقرة الوحشية. والعيس: إبلٌ بيض يخالط بياضها شقرة. الخزانة ١٠/ ١٧-١٨.

(١) في النسخ: بناء. والمثبت من الكشاف ٣/ ١٥٦.
(٢) قوله: يريدون: ما فيها إلا حمار. من (ت) والكشاف ٣/ ١٥٦.
(٣) البيت لضرار بن الأزور. وسلف عند تفسير الآية (١٤٢) من سورة النساء.
(٤) الكشاف ٣/ ١٥٦.
(٥) استغرب هذا الوجهَ السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ٨/ ٦٣٢-٦٣٣.
(٦) عند تفسير الآية (١٨٧).

«متى»، وهي معمولةٌ لـ «يبعثون»، و«يشعرون» معلَّقٌ، والجملةُ التي فيها استفهامٌ في موضع نصبٍ به.

وقرأ السلمي «إِيَّان» بكسر الهمزة[١]، وهي لغةُ قبيلته بني سُليم.

ولما نفى علم الغيب عنهم على العموم، نفى عنهم هذا الغيبَ المخصوصَ، وهو وقتُ الساعة والبعث، فصار منتفياً مرَّتين، إذ هو مندرجٌ في عموم الغيب، ومنصوصٌ عليه بخصوصه.

وقرأ الجمهور: «بل ادَّارَك»[٢] أصلُه: تدارك، فأُدغمت التاءُ في الدال، فسكنت فاجتُلِبَتْ همزةُ الوصل.

وقرأ أُبيّ: «أم تَدَارَكَ»[٣] على الأصل وجعل «أم» بدل «بل»[٤].

وقرأ سليمان بن يسار وعطاء بن يسار أخوه: «بلَ ادَّرَك» بنقل حركة الهمزة إلى اللام وشدِّ الدال[٥]، بناءً على أنَّ وزنَه: افتعل، فأدغم الدال وهي فاءُ الكلمة في التاء بعد قلبها دالاً، فصار فيه قلبُ الثاني للأول، كقولهم: اثَّردَ، وأصله اثْتَرَدَ، من الثَّرْد[٦]، والهمزةُ المحذوفةُ المنقولُ حركتُها إلى اللام هي همزة الاستفهام أدخلت على ألف الوصل، فانحذفت ألفُ الوصل، ثمَّ انحذفت هي، وألقيتْ حركتُها على لام «بل».

(١) المحتسب ٢/ ١٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٨.
(٢) هي قراءة نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. السبعة ص٤٨٥، والتيسير ص١٦٨، وهي قراءة خلف من العشرة، النشر ٢/ ٣٣٩.
(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٨.
(٤) لفظ: بل. من (يه).
(٥) المحتسب ٢/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٩٨ وزاد الأخير نسبتها للأعمش.
(٦) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٣٥: ليس هذا مما قلب فيه الثاني للأول لأجل الإدغام، كـ اثَّرد في اثترد؛ لأن تاء الافتعال تُبْدَلُ دالاً بعد أحرفٍ منها الدال، نحو: ادان، في افتعل من الدين، فالإبدال لأجل كون الدال فاءً، لا للإدغام، فليس مثل: اثرَّدَ في شيء، فتأمَّلْه فإنه حسن، فلما أدغمت الدال في الدال أدخلت همزة الاستفهام، فسقطت همزة الوصل، فصار اللفظ: أدرك بهمزة قطع مفتوحة، ثم نقلت حركة هذه الهمزة إلى لام «بل» فصار اللفظ: «بلَ دَّرَكَ».

وقرأ أبو رجاء والأعرجُ وشيبةُ وطلحةُ وتوبةُ العنبريُّ كذلك، إلَّا أنَّهم كسروا لام «بل»، وروي ذلك عن ابن عباس[١] وعاصم والأعمش[٢].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وأهل مكة: «بل أَدْرَك»[٣] على وزن أَفْعَلَ، بمعنى تفاعل، ورُويت عن أبي بكر عن عاصم[٤].

وقرأ عبدُ الله في رواية، وابنُ عباس في رواية أبي جُمرة[٥] وغيره عنه، والحسنُ وقتادةُ وابنُ محيصن: «بل آدرك» بمدَّةٍ بعد همزة الاستفهام[٦]، وأصله: أأدركَ، فقلبت الثانيةُ ألفاً تخفيفاً، كراهةَ الجمع بين همزتين.

وأنكرَ أبو عمرو[٧] بن العلاء هذه الرواية ووجهها[٨]، وقال أبو حاتم: لا يجوزُ الاستفهامُ بعد «بل»؛ لأنَّ «بل» إيجابٌ، والاستفهامُ في هذا الموضع إنكارٌ بمعنى: لم يكن، كقوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف: ١٩] أي: لم يشهدوا، فلا يصحُّ وقوعهما معاً؛ للتنافي الذي بين الإيجاب والإنكار. انتهى[٩].

---

(١) في تفسير الآلوسي ٢٠/ ٤٤: ابن عياش، وذكر محققه أنها كذا وقعت في الأصل الخطي وعليها إشارة الصحة.

(٢) ذكرها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن ص١١٠ عن الحسن والأعرج، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٤٢ عن الحسن. وذكرها مجاهد في السبعة ص٤٨٥ من رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٣) السبعة ص٤٨٥، والتيسير ص١٦٨، والنشر ٢/ ٣٣٩، وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة.

(٤) السبعة ص٤٨٥. وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجمهور «بل ادَّارك».

(٥) في المطبوع: في رواية وابن أبي جمرة. وفي (ت): في رواية أبي حمزة. وفي تفسير الآلوسي ٢٠/ ٤٤ في رواية أبي حيوة؟! ولعلَّ أبا جمرة هو نصر بن عمران الضبعي. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب.

(٦) القراءة في مختصر في شواذ القرآن ص١١٠ عن ابن محيصن، وفي المحتسب ٢/ ١٤٢ عن الحسن وأبي رجاء وابن محيصن وقتادة.

(٧) تحرفت في (يه) إلى: أبو بكر. ومثله في النسخة الخطية لروح المعاني ٢٠/ ٤٥ كما أشار إلى ذلك محققه.

(٨) ذكر قول أبي عمرو النحاس في معاني القرآن له ٥/ ١٤٦ ونصه فيه: لأن «بل» لا يقع بعدها إلا إيجاب. قال النحاس: وهو جائزٌ، على أن يكون المعنى: بل لم يدرك علمهم وبل يقال لهم هذا.

(٩) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٦٣٦: وفي منع هذا نظرٌ؛ لأن «بل» لإضرابِ

وقد أجازَ بعض المتأخِّرين الاستفهامَ بعد «بل» وشبَّههُ بقول القائل: أخبزاً أكلتَ بل أماءً شربت، على ترك الكلام الأوَّلِ والأخذ في الثاني[(١)].

وقرأ مجاهد: «أم أدركَ»[(٢)]، جعلَ «أم» بدل «بل» و«أدرك» على وزن: أفعل.

وقرأ ابنُ عباس أيضاً: «بل أدَّارك» بهمزةٍ داخلةٍ على «ادارك» فيُسقِطُ همزةَ الوصل المجتلبة لأجل الإدغام والنطقِ بالساكن.

وقرأ ابن مسعود أيضاً: «بل أأدرك»[(٣)] بهمزتين همزةِ الاستفهام وهمزة أفعل.

وقرأ الحسنُ أيضاً والأعرجُ: «بل أدَّرك»[(٤)] بهمزةٍ وإدغام فاء الكلمة، وهي الدال، في تاء افتعل بعد صيرورة التاء دالاً.

وقرأ ورش في رواية: «بَلَ ادْرك»[(٥)] بحذف همزةِ «أدركَ» ونقلِ حركتها إلى اللام.

وقرأ ابنُ عبَّاس أيضاً: «بلى آدْرَكَ»[(٦)] بحرفِ الإيجاب الذي يُوجِبُ به المستفهِمُ المنفيَّ.

وقرئ: «بل أاأدركَ» بألفٍ بين الهمزتين[(٧)].

= الانتقال، فقد أضرب عن الكلام الأول، وأخذ في استفهام ثانٍ. وكيف ينكرُ هذا والنحويون يقدرون «أم» المنقطعة بـ «بل» والهمزة؟! وانظر التعليق التالي.

(١) وتعجب السمين الحلبي في الدر ٨/ ٦٣٦ من كلام الشيخ في تخصيصه هذا الرأي ببعض المتأخرين، فهو مؤذنٌ أنَّ المتقدمين وبعض المتأخرين يمنعونه، قال السمين: وليس كذلك لما حكيت عنهم في «أم» المنقطعة. انتهى. وانظر التعليق الذي قبل هذا.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٨.

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠.

(٦) المحتسب ٢/ ١٤٢ قال: «بلى» بياء «آدرك» ممدوداً، كذا قيدها، وذكرها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٨، وفي معاني القرآن ٥/ ١٤٦، لكن قيَّدها بأنها بهمزة قطعٍ ودالٍ مشدودة وألفٍ بعدها؛ «بلى أدَّارك»، وكذا أخرجها عن ابن عباس الطبريُّ في تفسيره ١٨/ ١٠٧. وذكر الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٥٦ أنه قرئ: بلى أدْرَك، بلى أأدرك، ولم ينسبهما.

(٧) الكشاف ٣/ ١٥٦.

فأمَّا قراءةُ مَنْ قرأ بالاستفهام، فقال ابن عباس: هو للتقريع، بمعنى: لم يدرك علمهم[(١)]، على الإنكار عليهم.

وقال الزمخشريُّ: هو استفهامٌ على وجه الإنكار لإدراك علمهم، وكذلك قراءةُ مَنْ قرأ: «أم أدْرَكَ» و«أم تَدارك»؛ لأنَّها «أم» التي بمعنى «بل» والهمزة. انتهى[(٢)].

وقال ابنُ عطيَّة: هو على معنى الهُزْءِ بالكفرة، والتقريرِ لهم على ما هو في غايةِ البعدِ عنهم، أي: أعَلِمُوا أمرَ الآخرة وادَّركَها علمُهم[(٣)]؟

وأمَّا قراءةُ مَنْ قرأ على الخبر، فقال ابنُ عباس: المعنى: بل تداركَ علمُهم ما جهلوهُ في الدنيا[(٤)]، أي: علموهُ في الآخرة، بمعنى تكاملَ عِلْمُهم في الآخرة بأنَّ كل ما وُعِدُوا به حقٌّ، وهذا حقيقةُ إثباتِ العلم لهم؛ لمشاهدتهم عياناً في الآخرة ما وُعِدُوا به غيباً في الدنيا.

وكونُه بمعنى المضيّ ومعناه الاستقبال؛ لأنَّ الإخبار به صدقٌ، فكأنَّه قد وَقَعَ.

وقال ابنُ عطية: يحتملُ معنيين، أحدهما أنَّه تناهى علمُهم، كما تقول: أدركَ النباتُ وغيره، أي: تناهى وتتابع علمُهم بالآخرةِ إلى أن لا[(٥)] يعرفُوا لها مقداراً فيؤمنوا، وإنَّما لهم ظنونٌ كاذبةٌ، أو إلى أن لا يعرفوا لها وقتاً، وتكون «في» بمعنى الباء، متعلِّقةً بـ «علمُهم»، وقد يُعدَّى العلمُ بالباء، كما تقول: علمي بزيدٍ كذا، ويَسوغُ حملُ هذه القراءة على معنى التوقيف والاستفهامِ، وجاء إنكاراً؛ لأنَّهم لم يدركوا شيئاً نافعاً. والثاني أنَّ «أدركَ» بمعنى يُدْرِكُ، أي: علمُهم في الآخرة يدركُ وقتَ القيامة ويرونَ العذاب والحقائقَ التي كَذَّبوا بها، وأما في الدنيا فلا. وهذا

---

(١) أخرجه الطبري ١٨/١٠٧-١٠٨.
(٢) الكشاف ٣/١٥٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٦٨.
(٤) أخرجه الطبري ١٨/١٠٩ بنحوه.
(٥) لفظ: لا. ليس في المطبوع.

تأويلُ ابن عباس، ونحا إليه الزَّجّاج[١]. و«في» على بابها مِنَ الظرفية، متعلِّقةٌ بـ «تدارك». انتهى[٢]، وفيه بعض تلخيص وزيادة.

وقال الزمخشريُّ: هو على وجهين: أحدُهما أنَّ أسبابَ استحكامِ العلم وتكاملِه بأنَّ القيامةَ كائنةٌ لا ريبَ فيها، قد حصلت لهم ومُكِّنُوا من معرفتِه وهم شاكُّونَ جاهلونَ، وذلك قوله: «بل هم في شكٍّ منها بل هم منها عَمُون» يريدُ المشركين ممَّن في السماوات والأرض؛ لأنَّهم لمَّا كانوا في جملتهم نَسَبَ فعلَهم إلى الجميع، كما يقال: بنو فلانٍ فعلوا كذا، وإنَّما فعلهُ ناسٌ منهم. والوجهُ الثاني: أنَّ وصفَهم باستحكامِه وتكامله تهكُّمٌ بهم، كما تقولُ لأجهل النَّاس: ما أعلمكَ، على سبيل الهُزْءِ به، وذلك حيث شكُّوا وعَمُوا عن إثباته الذي الطريقُ[٣] إلى علمه مسلوكٌ، فضلاً عن أن يعرفوا وقتَ كونه الذي لا طريقَ إلى معرفته، وفي «أدْرَكَ علمُهم» و«ادَّارَكَ» وجهٌ آخر، وهو أنْ يكون «أدرك» بمعنى: انتهى وفَني، من قولهم: أدركت الثمرةُ؛ لأنَّ تلك غايتُها التي عندها تعدم. وقد فسَّرهُ الحسنُ باضمحلِّ علمُهم[٤]. و«تدارك» من تداركَ بنو فلانٍ، إذا تتابعُوا في الهلاك. انتهى[٥].

وقال الكرمانيُّ: العلمُ هنا بمعنى الحكم والقول، أي: تتابعَ منهم القولُ والحكم في الآخرة[٦]، وكثُر منهم الخوضُ فيها، فنفاها بعضُهم، وشكَّ فيها بعضُهم، واستبعدَها بعضهم.

وقال الفرَّاء «بل أدرك» في الخبر على معنى: هل أدرك؟[٧] فيصيرُ بمعنى الجحد، ولذلك نظائر، أي: لم يعلموا حدوثَها وكونَها، ودلَّ على ذلك «بل هم في

(١) في معاني القرآن له ٤/ ١٢٧.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٨.
(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: الذي هو طريق. وفي (يه): الذي هو الطريق. والمثبت من (ح) والكشاف ٣/ ١٥٧.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٤ (١٦٥٤٠).
(٥) الكشاف ٣/ ١٥٦-١٥٧.
(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٢/ ٨٥٦.
(٧) قوله: في الخبر على معنى هل أدرك. من (ت) و(يه).

شكٌّ منها» فصارتْ «في» في الكلام بمعنى الباء، أي: لم يدرك علمُهم بالآخرة. قال الفرَّاء: ويقوِّي هذا الوجهَ قراءةُ مَنْ قرأ: «أَدَّرَكَ» بالاستفهام. انتهى[١].

وأمَّا قراءةُ مَنْ قرأ: «بلى» بحرف الجواب بدل «بل»، فقال أبو حاتم: إنْ كان «بلى» جواباً لكلامٍ تقدَّم، جازَ أن يُسْتَفهم به، كأنَّ قوماً أنكروا ما تقدَّم من القدرة، فقيل لهم: «بلَى» إيجاباً لما نفوا، ثمَّ استؤنفَ بعده الاستفهام، وعودلَ بقوله تعالى: «بل هم في شكٍّ منها»، بمعنى: أم هم في شك منها، لأنَّ حروفَ العطف قد تتناوب، وكف عن الجملتين بقوله تعالى: «بل هم منها عمون». انتهى.

يعني أنَّ المعنى: أدَّركَ علمُهم بالآخرة أم شَكُّوا، فـ «بل» بمعنى «أم» عُودِلَ بها الهمزة. وهذا ضعيفٌ جدًّا، وهو أنْ تكونَ «بل» بمعنى «أم» وتعادل همزة الاستفهام.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: فمَنْ قرأ: «بلى أدرك»؟[٢] قلت: لمَّا جاء بـ «بلى» بعد قوله: «وما يشعرون»، كان معناه: بلى يشعرون، ثمَّ فسَّر الشعور بقوله: «أدركَ علمهم في الآخرة» على سبيل التهكُّم الذي معناه المبالغة في نفي العلم، فكأنَّه قال: شعورُهم بوقت الآخرة أنَّهم لا يعلمون كونَها، فيرجعُ إلى[٣] نفي الشعور على أبلغ ما يكون، وأمَّا مَنْ قرأ: «بلى آدرك» على الاستفهام، فمعناه: [بلى][٤] يشعرونَ متى يبعثون، ثمَّ أنكرَ علمهم بكونها، وإذا أنكرَ علمَهم بكونها، لم يتحصَّل لهم شعورٌ بوقتِ كونها؛ لأنَّ العلمَ بوقت الكائن تابعٌ للعلم بكونِ الكائن.

فإن قلت: هذه الإضراباتُ الثلاث، ما معناها؟ قلت: ما هي إلا تنزيلٌ لأحوالهم، وَصَفَهم أوَّلاً بأنَّهم لا يشعرون وقتَ البعث، ثمَّ بأنَّهم لا يعلمون أنَّ القيامةَ كائنةٌ، ثمَّ بأنَّهم يخبطونَ في شكٍّ ومريةٍ، فلا يزيلونَه والإزالةُ مستطاعةٌ، وقد جعلَ الآخرةَ مبدأَ عماهم ومنشأه، فلذلك عدَّاه بـ «من» دون «عن» لأنَّ [الكفرَ بـ]

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٩، لكن استدلَّ فيه بقراءة ابن عباس: «بلى أَدَّارك».
(٢) بعدها في الكشاف ٣/ ١٥٧: و«بلى أأدرك».
(٣) بعدها في المطبوع: المبالغة في. وليست في النسخ الخطية ولا في الكشاف.
(٤) لفظ: بلى. من الكشاف. ومكانها في (ت): لا، وليس في بقية النسخ.

العاقبةِ والجزاء هو الذي جعلَهم كالبهائم لا يتدبَّرون ولا يبصرون. انتهى[١].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ
وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا
يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ
لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

لمَّا تقدَّم أنَّه تعالى منفردٌ بعلم الغيب، ومن جملته[٢] وقتُ الساعة، وأنَّهم لا شعورَ لهم بوقتها، وأنَّ الكفَّارَ في شكٍّ منها عَمُون، ناسبَ ذكرَ مقالاتهم في استبعادها، وأنَّ ما وُعِدوا به من ذلك ليس بصحيح، إنَّما ذلك ما سَطَر الأوَّلون من غير إخبار بذلك عن حقيقة.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «أيذا» «أينا» بالجمع بين الاستفهامين، وقَلْبِ الثانية ياءً، وفصلَ بينهما بألفٍ أبو عمرو، وقرأهما عاصمٌ وحمزة بهمزتين، ونافع: «إذا» بهمزةٍ مكسورةٍ «آينَّا» بهمزةِ الاستفهام وقلبِ الثانية ياءً وبينهما مدَّة، والباقون: «آئذا» باستفهامٍ ممدود[٣] «إنَّنا» بنونين مِنْ غير استفهام[٤].

(١) الكشاف ٣/ ١٥٧، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٢) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: جملتها.
(٣) هي بالمد قراءة هشام راوية ابن عامر، أما رواية ابن ذكوان عنه وقراءة الكسائي فبدون مدّ. انظر السبعة ص٤٨٥، والتيسير ص١٣٢-١٣٣، والنشر ١/ ٣٧٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٩.

والعاملُ في «إذا» محذوفٌ دلَّ عليه مضمونُ الجملةِ الثانية، تقديره: نخرج، ويمتنعُ إعمالُ «لَمُخْرَجون» فيه؛ لأنَّ كلًّا من «إنَّ» ولام الابتداء والاستفهام يمنعُ أنْ يعملَ ما بعدَه فيما قبله، إلَّا اللام الواقعة في خبر «إنَّ»، فإنه قد يتقدَّمُ معمولُ الخبر عليها وعلى الخبر، على ما قُرِّرَ في علم النحو.

و«آباؤنا» معطوفٌ على اسم كان، وحَسَّن ذلك الفصلُ بخبر كانَ[1].

والإخراج هنا هو[2] من القبور أحياءً مردوداً أرواحُهم إلى الأجساد.

والجمع بين الاستفهام في «إذا» وفي «إنَّا» إنكارٌ على إنكار، ومبالغةٌ في كونِ ذلك لا يكونُ. والضمير في «أئنا» لهم ولآبائهم؛ لأنَّ صيرورتَهم تراباً شاملٌ للجميع[3]. ثم ذكروا أنَّهم وُعِدَوا ذلك هم وآباؤهم، فلم يقع شيءٌ من هذا الموعود، ثمَّ جَزَموا وحصروا أنَّ ذلك من أكاذيب مَنْ تقدَّم.

وجاء هنا تقديمُ الموعود به، وهو «هذا»، وتأخَّر في آيةٍ أخرى[4] على حسب ما سِيقَ الكلام لأجله، فحيثُ تأكَّد الإخبارُ عنهم بإنكار البعث والآخرة، عمدوا إليها بالتقديم على سبيل الاعتناء، وحيث لم يكن ذلك عمدوا إلى إنكارِ إيجاد[5] المبعوثِ، فقدَّموه وأخَّروا الموعودَ به.

ثمَّ أمرَ نبيَّه ﷺ أن يأمرَهم بالسير في الأرض، وتقدَّمَ الكلامُ في نظير هذه الآية في أوائل «الأنعام»[6]. وأراد بـ «المجرمين» الكافرين.

ثمَّ سلَّى نبيَّه فقال: «ولا تحزن عليهم» أي: في كونهم لم يُسْلِموا ولم يُذْعِنوا إلى ما جئتَ به «ولا تكن في ضَيْقٍ» أي: في حَرَجٍ وأمرٍ شاقٍّ عليك «ممَّا يمكرون» فإنَّ مكرَهم لاحقٌ بهم لا بك، والله يعصمك منهم. وتقدَّمتْ قراءة «ضيق» بكسر

---

(١) وقام الفصل بالخبر مَقام الفصل بالتوكيد. الدر المصون ٨/ ٦٣٩، وروح المعاني ٢٠/ ٤٧.
(٢) لفظ: هو. من (ت).
(٣) انظر الكشاف ٣/ ١٥٨.
(٤) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣].
(٥) في الكشاف ٣/ ١٥٨: اتخاذ.
(٦) عند تفسير الآية (١١) منها.

الضاد وفتحها[١]، وهما مصدران، وكَرِهَ أبو عليٍّ[٢] أن يكونَ المفتوحُ الضَّاد أصلُه: ضَيِّق بتشديدِ الياء فخُفف كـ: ليْن في لَيِّن؛ لأنَّ ذلك يقتضي حذفَ الموصوف وإقامةَ الصفةِ مقامه، وليست من الصفات التي تقومُ مقام الموصوف باطِّراد. وأجازَ ذلك الزمخشريُّ، قال: ويجوزُ أنْ يُرَاد: في أمرٍ ضيِّقٍ مِنْ مكرِهم[٣].

ولمَّا استعجَلت قريشٌ بأمرِ السَّاعة أو بالعذاب الموعودِ به هم، وسألوا عن وقتِ الموعودِ به على سبيل الاستهزاء، قيل له: «قل عسى أن يكون ردف لكم» بعضُه، أي: تبعكم[٤] عن قربٍ، وصار كالرَّديفِ التابعِ لكم بعضُ ما استعجلتم به، وهو كان عذاب يوم بدر، وقيل: عذاب القبر[٥].

وقرأ الجمهور: «رَدِفَ» بكسر الدال. وقرأ ابنُ هرمز بفتحها[٦]، وهما لغتان، وأصلُه التعدِّي بمعنى تَبِعَ ولَحِقَ، فاحتملَ أن يكون مُضَمَّناً معنى اللازم، ولذلك فسَّره ابنُ عباس وغيرُه بأزِفَ وقَرُبَ[٧]، لمَّا كان يجيءُ بعد الشيءِ قريباً منه ضُمِّنَ معناه، أو مزيدَ اللام في مفعوله لتأكيد وصولِ الفعلِ إليه، كما زيدت الباء في: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قاله الزمخشريُّ[٨]، وقد عُدِّي بـ «من» على سبيل التضمين لما يتعدَّى بها، قال الشاعر:

---

(١) عند تفسير الآية (١٢٧) من سورة النحل، فقرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بفتحها. التيسير ص١٣٩.

(٢) في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٣. ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٩.

(٣) الكشاف ٣/ ١٥٨.

(٤) في (ت): ردف لكم بعض الذي تستعجلون أي بعض تبعكم.

(٥) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٢٢٥.

(٦) المحتسب ٢/ ١٤٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٩. وهي في مختصر في شواذ القرآن ص١١٠ عن بعضهم. وابن هرمز هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. ترجمته في معرفة القراء الكبار ١/ ١٨٠.

(٧) أخرجه عن ابن عباس الطبريُّ ١٨/ ١١٤.

(٨) في الكشاف ٣/ ١٥٨.

فلمَّا رَدِفنا من عُمَيرٍ وصَحْبِهِ تولَّوا سِرَاعاً والمَنيَّةُ تُعْنِقُ[1]

أي: دَنَوا[2] من عُمير. وقيل: رَدِفَه ورَدِفَ له، لغتان. وقيل: الفعلُ محمولٌ على المصدر، أي: الرِّدافةُ لكم. و«بعضُ» على تقدير: ردافةُ بعض ما تستعجلون. وهذا فيه تكلُّفٌ يُنَزَّه القرآنُ عنه.

وقيل: اللامُ في «لكم» داخلةٌ على المفعول من أجله، والمفعولُ به محذوفٌ تقديره: رَدِفَ الخلقَ لأجلكم. وهذا ضعيفٌ. وقيل: الفاعلُ بـ «ردف» ضميرٌ يعودُ على الوعد، ثم قال: «لكم بعض ما تستعجلون» على المبتدأ والخبر. وهذا فيه تفكيكٌ للكلام وخروجٌ عن الظاهر لغير حاجةٍ تدعو إلى ذلك.

«لذو فضلٍ» أي: إفضالٍ عليهم بترك معاجلتِهم بالعقوبةِ على معاصيهم وكفرِهم.

ومتعلَّق «يشكرون» محذوفٌ، أي: لا يشكرون نعمَه عندهم، أو «لا يشكرون» بمعنى لا يعرفون حقَّ النعمة، عبَّر عن انتفاء معرفتِهم بالنعمة بانتفاءِ ما يترتَّبُ على معرفتها وهو الشكر.

ثمَّ أخبرَ تعالى بسعَةِ علمه، فبدأ بما يَخُصُّ الإنسان، ثمَّ عمَّ كلَّ غائبةٍ، وعبَّر بالصدور ـ وهي مَحلُّ القلوب التي لها[3] الفكرُ والتعقُّل، كما قال: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ـ عن الحالِّ فيها، وهي القلوب، وأسندَ الإعلانَ إلى ذواتهم؛ لأنَّ الإعلان مِنْ أفعال الجوارح، ولمَّا كان المضمرُ في الصدر هو الداعي لما يَظْهَرُ على الجوارح والسببُ في إظهاره؛ قدَّم الإكنان على الإعلان.

وقرأ الجمهور: ما «تُكِنُّ» من أكنَّ الشيء أخفاه. وقرأ ابنُ محيصن وحُميد وابنُ السميفَع: بفتح التَّاء وضمِّ الكاف[4]، مِنْ كَنَّ الشيء: ستَرَه، والمعنى: ما يخفونَ وما يعلنون مِنْ عَداوةِ الرسول ومكايدِهم.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/١٥٨ دون نسبة. تعنق: تسرع. المعجم الوسيط (عنق).

(٢) في الكشاف: دنونا.

(٣) في (يه): بها.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠، والمحتسب٢/ ١٤٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٦٩ عن ابن محيصن وابن السميفع اليماني، وذكرها القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٠٣ عن ابن محيصن وحميد.

والظاهر عموم قوله: «من غائبة»، أي: ما من شيءٍ في غاية الغيبوبة والخفاءِ «إلَّا في كتابٍ» عندَ الله ومكنون علمه[١]. وقيل: ما غابَ عنهم من عذاب السماء والأرض[٢]. وقيل: هو يوم القيامة وأهوالها، قاله الحسن[٣].

والكتاب: اللوحُ المحفوظ. وقيل: أعمالُ العباد أُثبِتَت ليُجازى عليها.

وقال صاحب «الغُنيان»: أي: حادثةٍ غائبةٍ أو نازلةٍ واقعة.

وقال ابن عباس: أي: ما من شيءٍ سرٍّ في السماوات والأرض أو علانية. فاكتفى بذكر السرِّ عن مُقابله.

وقال الزمخشريُّ: سمَّى الشيءَ الذي يغيبُ ويخفَى غائبةً وخافية، فكانت التاءُ فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية، ونظيرهما: النَّطيحة والذَّبيحة والرَّمِيَّة في أنَّها أسماءٌ غيرُ صفات، ويجوزُ أن يكونا صفتين، وتاؤهما للمبالغة، كالراوية في قولهم: ويلٌ للشاعر من راوية[٤] السوء[٥]، كأنَّه قال: وما من شيءٍ شديدِ الغيبوبة والخفاء إلَّا وقد علمَه اللهُ وأحاطَ به وأثبته في اللوح. المبين: الظاهر البيِّن[٦] لمن ينظرُ فيه من الملائكة. انتهى[٧].

ولمَّا ذكرَ تعالى المبدأَ والمعادَ ذكرَ ما يتعلَّقُ بالنبوَّة، وكان المعتمدَ الكبير[٨] في إثبات نبوَّة محمد ﷺ هو القرآن، ومِنْ جملة إعجازه إخبارُه بما تضمَّن من القَصص الموافق لما في التوراة والإنجيل؛ مع العلم بأنَّه أُمِّيٌّ لم يخالط العلماءَ ولا اشتغلَ بالتعلم[٩].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٩.
(٢) حكاه النقاش، كما في النكت والعيون ٤/ ٢٢٥.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٢٥.
(٤) في (أ) و(ت): رواية. بدل: راوية. في هذا الموضع والذي قبله.
(٥) انظر خبر المثل في الأغاني ٢/ ١٩٥، ومجمع الأمثال ٢/ ٢٢٣.
(٦) لفظ: البين. من (ت).
(٧) الكشاف ٣/ ١٥٨-١٥٩.
(٨) في (ت) و(يه): الكثير.
(٩) انظر تفسير الرازي ٢٤/ ٢١٥-٢١٦.

و«بنو إسرائيل» هم اليهود والنصارى، قَصَّ فيه أكثرَ ما اختلفوا فيه على وجهه وبيَّنه لهم، ولو أنصفوا أسلموا، وممَّا اختلفوا فيه أمرُ المسيح، تحزَّبوا فيه[1]، فمن قائلٍ: هو الله، ومن قائلٍ: ابنُ الله، ومن قائلٍ: ثالث ثلاثة، ومن قائلٍ: هو نبيٌّ كغيره من الأنبياء، وقد عقدوا لهم اجتماعاتٍ، وتباينوا في العقائد، وتناكروا في أشياء حتَّى لعنَ بعضُهم بعضاً.

والظاهر عمومُ المؤمنين. وقيل: لمن آمنَ من بني إسرائيل.

والقضاءُ والحكمُ وإن ظهر أنَّهما مترادفان، فقيل: المرادُ به هنا العدلُ، أي: بعدِله؛ لأنَّه لا يقضي إلَّا بالعدل. وقيل: المراد بحكمتِه والحكم: الحكمة[2]، قيل: ويدلُّ عليه قراءةُ من قرأ: «بحِكَمه» بكسر الحاء وفتح الكاف، جمع حكمة، وهو جناحُ بن حبيش[3]. ولمَّا كان القضاءُ يقتضي تنفيذَ ما يَقْضي به والعلمَ بما يَحْكُم به، جاءت هاتان الصفتان عقبَه، وهو العزَّة، أي: الغلبةُ والقدرة والعلمُ.

ثمَّ أمرَهُ تعالى بالتوكُّل عليه، وأخبرَهُ أنَّه على الحقِّ الواضحِ الذي لا شكَّ فيه، وهو كالتعليل للتوكُّل، وفيه دليلٌ على أنَّ مَنْ كان على الحقِّ يحقُّ له أنْ يثقَ بالله، فإنَّه ينصرُه ولا يخذُلُه[4].

ولمَّا كان القرآنُ وما قصَّ اللهُ فيه لا يكادُ يجدي عندهم أخبرَ تعالى عنهم أنَّهم موتى القلوب، أو شُبِّهوا بالموتى، وإن كانوا أحياءً صحاحَ الأبصار؛ لأنَّهم إذا تُلِيَ عليهم لا تعيهِ آذانُهم، فكانت حالُهم لانتفاء جدوى السماع كحالِ الموتى[5].

وقرأ الجمهور: «ولا تُسْمِعُ الصمَّ» هنا وفي «الروم» بضمِّ التاء وكسر الميم

---

(١) الكشاف ٣/ ١٥٩.

(٢) لفظ: الحكمة. من (ت) و(به) وانظر الكلام في الكشاف ٣/ ١٥٩.

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١١١. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٨٩ لأبي المتوكل وأبي عمران الجوني وعاصم الجحدري.

(٤) الكشاف ٣/ ١٥٩.

(٥) الكشاف ٣/ ١٥٩.

ونصب «الصمَّ»[١]، وابنُ كثير بياءِ الغيبة مفتوحةً وفتح الميم[٢]، «الصمُّ» بالرفع[٣].

ولمَّا كان الميت لا يمكنُ أنْ يسمعَ، لم يُذْكَر له متعلَّقٌ، بل نُفيَ الإسماعُ، أي: لا يقعُ منكَ إسماعٌ لهم ألبتة؛ لعدم القابليَّة، وأمَّا الأصمّ، فقد يكونُ في وقتٍ يمكنُ إسماعه وسماعه، فأُتيَ بمتعلَّقِ الفعلِ، وهو الدعاء. و«إذا» معمولةٌ لـ «تُسْمِع» وقُيِّدَ نفيُ الإسماع أو السماع بهذا الظرف وما بعدَه على سبيل التأكيد لحال الأصمّ؛ لأنَّه إذا تباعدَ عن الداعي بأن يولِّيَ مُدْبراً، كان أبعدَ عن إدراك صوته. شبَّههم أوَّلاً بالموتى، ثمَّ بالصُمِّ في حالةٍ، ثمَّ بالعُمْي، فقال: «وما أنت بهادي العمي» حيثُ يَضِلُّون الطريق، فلا يَقْدِرُ أحدٌ أن يَنْزِعَ ذلك عنهم ويحوِّلهم هداةً بُصَرَاء إلا الله تعالى[٤].

وقرأ الجمهور: «بهادي العُمْيِ» اسم فاعل مضاف، ويحيى بنُ الحارث وأبو حيوة: «بهادٍ» منوناً «العميَ»[٥]، والأعمشُ وطلحةُ وابنُ وثَّاب وابنُ يعمر وحمزة: «تهدي» مضارع هدى، «العميَ» بالنصب[٦]، وابنُ مسعود: «وما إن[٧] أنت تهتدي» بزيادة «إن» بعد «ما»، و«تهتدي» مضارع اهتدى و«العميُ» بالرفع، والمعنى: ليس في وسعك إدخالُ الهدى في قلب من عَمِيَ عن الحقِّ ولم ينظر إليه بعين قلبه.

«إن تسمعُ إلا من يؤمن بآياتنا» وهم الذين عَلِمَ اللهُ أنَّهم يُصَدِّقونَ بآياته «فهم

---

(١) قوله: ونصب الصم. من (ت) و(يه).
(٢) من قوله: وابن كثير... إلى هنا. من (يه).
(٣) السبعة ص٤٨٦، والتيسير ص١٦٩.
(٤) انظر الكشاف ٣/ ١٥٩.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٠، وهي في مختصر في شواذ القرآن ص١١١ عن يحيى بن الحارث.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٠ دون ذكر الأعمش، وقراءة حمزة في السبعة ص٤٨٦، والتيسير ص١٦٩.
(٧) في (أ) و(ت) و(ع): وما أنت. وفي (يه): وما أن. والمثبت من (ح). ولم أقف عليها بهذه الرواية التي ذكرها المصنف، وقراءة ابن مسعود كما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٠، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٠، ومختصر في شواذ القرآن ص١١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧٠، والكشاف ٣/ ١٥٩، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٧: «وما إن تهدي العميَ».

مسلمون» مُنقادون للحقّ. وقال الزمخشريُّ: «مسلمون»: مخلصون، من قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، بمعنى: جعلَه سالماً لله خالصاً له. انتهى[١].

«وإذا وقع القول عليهم» أي: إذا انتجزَ وعدُ عذابهم الذي تضمَّنَهُ القولُ الأزليُّ من الله، كقوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١]، فالمعنى: إذا أراد اللهُ أن ينفذَ في الكافرين سابقَ علمه فيهم من العذاب، أخرجَ لهم دابةً[٢] من الأرض.

و«وقعَ» عبارةٌ عن الثبوت واللزوم[٣]. والقولُ إمَّا على حذفِ مضافٍ، أي: مضمونُ القول، وإمَّا أنَّه أطلقَ القول على المَقول، لمَّا كان المَقولُ مؤدًّى بالقول، وهو ما وُعِدوا به من قيام الساعة والعذاب. وقال ابن مسعود: «وقع القولُ عليهم» يكونُ بموتِ العلماء وذهابِ العلم ورفع القرآن[٤]. انتهى.

ورويَ أنَّ خُرُوجَها حين ينقطعُ الخيرُ ولا يؤمَرُ بمعروفٍ ولا يُنْهى عن مُنْكَرٍ[٥]، ولا يبقى منيبٌ ولا تائبٌ، وفي الحديث أنَّ الدابَّة وطلوعَ الشمس من المغرب مِنْ أوَّل الأشراط، ولم يُعَيِّن الأول، وكذلك الدَّجَّال. وظاهرُ الأحاديث أنَّ طلوعَ الشمسِ آخرُها[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٥٩.

(٢) بعدها في المطبوع: تنفذ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٠.

(٤) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٨. وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٩٢٢ (١٦٥٨٦) وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وانظر تمام تخريجه في تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٨، وروح المعاني ٢٠/ ٦٠.

(٥) أخرجه ابن مردويه ـ كما في الدر المنثور ١١/ ٣٩٩ (طبعة دار هجر) ـ عن ابن عمر مرفوعاً. وأخرجه الطبري ١٨/ ١٢٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢١ (١٦٥٨٥) عن ابن عمر موقوفاً.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٠. ولعلَّ الحديث الذي يشير إليه هو ما أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجنَ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً؛ طلوع الشمس من مغربها والدجَّال ودابة الأرض».
وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه (٢٩٤١) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً =

والظاهرُ أنَّ الدابَّةَ التي تخرجُ هي واحدة، ورُوِيَ أنَّه يخرجُ في كلِّ بلدٍ دابَّةٌ ممَّا هو مثبوتٌ[1] نوعُها في الأرض، وليست واحدةً[2]، فيكونُ قوله: «دابةً» اسم جنس.

واختلفوا في ماهيتِها، وشكلِها، ومحلِّ خروجِها، وعددِ خروجِها، ومقدارِ ما يخرجُ منها، وما تفعلُ بالناس، وما الذي تخرجُ به اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضُه بعضاً، ويكذِّبُ بعضُه بعضاً، فاطَّرحنا ذكرَه؛ لأنَّ نقلَه تسويدٌ للورق بما لا يصحُّ وتضييعٌ لزمانِ نقلِه.

والظاهرُ أنَّ قوله: «تُكَلِّمهم» بالتشديد ـ وهي قراءةُ الجمهور ـ من الكلام، ويؤيِّدُه قراءةُ أبيّ: «تُنَبِّئُهم»[3]، وفي بعض القراءات: «تُحَدِّثهم»، وهي قراءة يحيى بن سلام[4]، وقراءة عبد الله: «بأنَّ الناس»[5].

قال السُّدِّيّ: تُكَلِّمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام[6].

وقيل: تخاطِبُهم فتقول للمؤمن: هذا مؤمن، وللكافر: هذا كافر[7].

وقيل: معنى «تُكَلِّمُهم»: تجرحُهم، من الكَلْم، والتشديدُ للتكثير، ويؤيِّدُه قراءةُ ابنِ عباس ومجاهد وابن جبير وأبي زُرعة والجحدريّ وأبي حيوة وابن أبي عبلة: «تَكْلِمُهم» بفتح التَّاء وسكون الكاف مخفَّف اللام[8]، وقراءةُ من قرأ: «تجرحهم»

= طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً».

(١) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٢٧١: مبثوث. وكذا جاءت في أصل تفسير الآلوسي، وغيرت في مطبوعه إلى مثل ما في المحرر.

(٢) قال الإمام الآلوسي رحمه الله: وأكثر الروايات أنها دابة واحدة، وهو الصحيح.

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠، والمحتسب ٢/ ١٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧١.

(٤) أخرجها الطبري ١٨/ ١٢٧ عن قتادة.

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص١١٠، والمحتسب ٢/ ١٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧١. وزاد ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٦/ ١٩٣ لأبي عمران الجوني.

(٦) تفسير الثعلبي ٤/ ٥٠٩، وزاد المسير ٦/ ١٩٣، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢١٤.

(٧) النكت والعيون ٤/ ٢٢٨.

(٨) القراءة عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وأبي زرعة والجحدري في المحتسب ٢/ ١٤٤ =

مكان تُكَلِّمُهم[١]، وسأل أبو الجوزاء[٢] ابنَ عبَّاس: «تُكَلِّم» أو «تَكْلِم»؟ فقال: كلُّ ذلك تفعلُ، تكلِّم المؤمنَ وتَكْلِمُ الكافر. انتهى.

ورويَ أنَّها تَسِمُ الكافرَ في جبهتِه وتُرَبِّدُه، وتمسح على وجهِ المؤمن فتُبَيِّضُه[٣].

وقرأ الكوفيُّون وزيدُ بن عليّ: «أنَّ الناس» بفتح الهمزة، وابن مسعود: «بأن» وتقدَّم، وباقي السبعة: «إنّ» بكسر الهمزة[٤]. فاحتملَ الكسرُ أن يكونَ من كلامِ الله، وهو الظاهر؛ لقوله: «بآياتنا»، واحتملَ أن يكون من كلام الدابَّة، ورُوي هذا عن ابن عباس[٥]. وكُسِرَت «إن» على هذا القول إمَّا على إضمار القول، أو على إجراء «تُكَلِّمهم» إجراءَ: تقول لهم، ويكونُ قوله: «بآياتنا» على حذف مضاف، أو لاختصاصها بالله، كما يقول بعضُ خواصِّ الملك: خيلُنا وبلادُنا.

وعلى قراءة الفتح فالتقدير: بأنَّ[٦]، كقراءة عبد الله. والظاهرُ أنَّه متعلِّق بـ «تُكَلِّمهم» أي: تخاطبهم بهذا الكلام، ويجوزُ أنْ تكونَ الباءُ المنطوقُ بها أو المقدَّرةُ سببيَّةً، أي: تخاطِبهم أو تجرحهم بسبب انتفاءِ إيقانهم بآياتنا.

= والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧١، وفي مختصر في شواذ القرآن عن ابن عباس وأبي زرعة بن عمرو بن جرير ومجاهد. وفي إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢١-٢٢٢ عن أبي زرعة وابن عباس وعاصم الجحدري وعكرمة وطلحة، وذكرها الثعلبي في تفسيره ٤/ ٥٠٩ عن أبي رجاء العطاردي، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٩٣ لابن أبي عبلة والجحدري، ونسبها القرطبي ١٦/ ٢١٤ لأبي زُرعة وابن عباس والحسن وأبي رجاء.

(١) ذكرها ابن خالويه في مختصره ص١١٠ عن بعضهم.

(٢) في النسخ عدا (أ): الحوراء. والمثبت هو الصواب. قال أبو أحمد العسكري في تصحيفات المحدثين ٢/ ٦٧٨: باب ما يصحف من أبي الحوراء وأبي الجوزاء؛ أبو الحوراء: ربيعة بن شيبان السعدي روى عن الحسن بن علي، وأبو الجوزاء: أوس بن عبد الله الرَّبْعي، روى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وعائشة ﷺ.
والخبر أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٦ (١٦٦٠٦)، لكن السائل عنده أبو داود نفيع الأعمى، وهو متروك كما ذكر الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٧١، وأخرج الطبري نحوه ١٨/ ١٢٤-١٢٥ من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

(٤) السبعة ص٤٨٧، والتيسير ص١٦٩. والكوفيون هم عاصم وحمزة والكسائي.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧١. وأخرجه الطبري ١٨/ ١٢٧-١٢٨.

(٦) انظر الكشاف ٣/ ١٦٠.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

أي: اذكر يومَ نحشرُ، أي: نجمع[١]، والحَشْرُ: الجمعُ على عُنْف. «مِنْ كُلِّ أمَّةٍ» أي: من الأمم، و«مِنْ» هي للتبعيض. «فوجاً» أي: جماعةً كثيرةً. «ممَّن يُكَذِّب بآياتنا» «مَنْ» للبيان، أي: الذين يكذبون. والآياتُ: الأنبياءُ، أو القرآن، أو الدلائلُ، أقوالٌ. «فهم يوزعون» تقدَّم تفسيره في أوَّلِ قصَّة سليمان من هذه السورة[٢]. وعن ابن مسعود: أبو جهل والوليدُ بن المغيرة وشيبةُ بن ربيعة بين يَدَي أهلِ مكَّة، وكذلك يُحشَرُ قادةُ سائر الأممِ بين أيديهم إلى النار[٣].

«حتى إذا جاؤوا» أي: إلى الموقف «قال أكذَّبتم بآياتي» استفهامُ توبيخٍ وتقريعٍ وإهانة.

«ولم تُحيطوا بها علماً» الظاهرُ أنَّ الواو للحال، أي أوقع تكذيبكُم بها غيرَ متدبِّرين لها ولا محيطين علماً بكُنهها، ويجوزُ أن تكونَ الواوُ للعطف، أي: أجحدتموها ومع جحودها لم تُلْقوا أذهانَكُم لتحقُّقها وتَبَصُّرها، فإنَّ المكتوبَ إليه

(١) قوله: أي نجمع. من (يه).
(٢) عند تفسير الآية (١٧) منها.
(٣) الكشاف ٣/ ١٦١ لكن من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

قد يَجْحَدُ أنْ يكونَ الكتابُ من عند مَنْ كَتَبَه إليه، ولا يدعُ مع ذلك أنْ يقرأَهُ ويحيطَ بمعانيه علماً[١].

وقيل: «ولم تُحيطوا بها علماً» أي: ببطلانها حتَّى تُعْرِضوا عنها، بل كذَّبتم جاهلين غير مستدلِّين[٢].

و«أم» هنا منقطعةٌ، وينبغي أنْ تُقَدَّر بـ «بل» وحدها.

انتقلَ من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ إلى الاستفهام عن عملهم أيضاً على جهة التوبيخ، أي: أيُّ شيءٍ كنتم تعملون. والمعنى: إن كان لكم عملٌ أو حُجَّةُ فهاتوا، وليسَ لهم عملٌ ولا حجَّةٌ فيما عملوه إلَّا الكفر والتكذيب.

و«ماذا» بجملته يحتملُ أن يكون استفهاماً منصوباً بخبر «كان»، وهو «تعملون»، وأنْ يكونَ «ما» هو الاستفهام، و«ذا» موصولٌ بمعنى الذي، فيكونان مبتدأً وخبراً، و«كان» صلةٌ لـ «ذا»، والعائدُ محذوفٌ، أي: تعملونه.

وقرأ أبو حيوة: «أمَاذا» بتخفيف الميم[٣]، أدخلَ أداةَ الاستفهام على اسم الاستفهام على سبيل التوكيد.

«ووقع القول» أي: العذابُ الموعودُ به بسبب ظلمهم، وهو التكذيب بآيات الله.

«فهم لا ينطقون» أي: بحُجَّةٍ ولا عذرٍ لما شغلَهم مِنْ عذاب الله. وقيل: يُخْتَمُ على أفواههم فلا ينطقون[٤]. وانتفاءُ نطقهم يكون في موطنٍ من مواطن القيامة، أو مِنْ فريقٍ من الناس؛ لأنَّ القرآنَ يقتضي أنَّهم يتكلَّمون بحججٍ في غير هذا الموطن[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٦١.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧١.
(٤) نسبه القرطبي إلى أكثر المفسرين. تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧١.

ولمَّا ذكرَ أشياء من أحوال يوم القيامة ليَرْتَدِعَ بسماعها مَنْ أراد الله تعالى ارتداعَهُ، نبَّههم على ما هو دليلٌ على التوحيد والحَشْر والنبوَّة بما هم يشاهدونَهُ في حالة[١] حياتهم، وهو تقليبُ الليل والنهار مِنْ نورٍ إلى ظلمة، ومن ظلمةٍ إلى نور، وفاعلُ ذلك واحدٌ وهو الله تعالى، فيجبُ أن يفردَ بالعبادة والألوهية، وفي هذا التقليب دليلٌ على القَلْب من حياةٍ إلى موت، ومن موتٍ إلى حياة أخرى، وفيه دليلٌ أيضاً على النبوَّة؛ لأنَّ هذا التقليبَ هو لمنافع المكلَّفين، ولهذا عَلَّلَ ذلك الجعلَ بقوله: «لتسكنوا فيه»، وبعثةُ الأنبياء لتحصيل منافع الخلق[٢].

وأضافَ الإبصارَ إلى النَّهار على سبيل المجاز لمَّا كان يقعُ فيه أضافه إليه، كما تقول: ليلُك نائم. وعلل جَعْلَ الليل بقوله: «ليسكنوا فيه» أي: لأنْ يقعَ سكونُهم فيه ممَّا يلحقُهم من التعب[٣] في النهار واستراحةُ نفوسِهم. قال بعض الرُّجَّاز:

النومُ راحةُ القوى الحسيَّه مِنْ حَركَاتٍ والقُوى النفسيَّه

ولم يقع التقابلُ في جعل النهار بالنَّصِّ على علَّته، فيكون التركيب: والنهارَ لتبصروا فيه، بل أتى بقوله: «مبصراً» قيداً[٤] في جعل النهار، لا علَّة للجعل، فقال الزمخشريُّ: هو مراعًى[٥] من حيثُ المعنى، وهكذا النظمُ المطبوعُ غيرُ المتكلَّف؛ لأنَّ معنى «مبصراً» لتُبْصِرُوا فيه طريقَ[٦] التقلُّب في المكاسب. انتهى.

والذي يظهرُ أنَّ هذا من بابِ ما حُذِفَ من أوَّلِهِ ما أُثْبِتَ في مقابله، وحُذِفَ من آخره ما أُثْبِتَ في أوله، فالتقدير: جعلنا الليلَ مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتصرفوا فيه، فالإظلامُ ينشأ عنه السكون، والإبصارُ ينشأ عنه التصرُّفُ في المصالح، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢]، فالسكونُ علَّةٌ لجعلِ الليل مظلماً، والتصرُّفُ علَّةٌ لجعل النهار

(١) في (ت) والمطبوع: حال.
(٢) انظر تفسير الرازي ٢٤/٢١٩.
(٣) في (يه): البعث.
(٤) في (ت): حالاً.
(٥) يعني: التقابل مراعى.
(٦) في الكشاف ٣/١٦١: طرق.

مُبْصراً. وتقدَّم لنا الكلامُ على نظيرِ هذين الحذفين[١] مشبعاً في «البقرة» في قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ [الآية: ١٧١].

«إنَّ في ذلك» أي: في هذا الجعلِ «لآياتٍ لقومٍ يؤمنون» لمَّا كان لا ينتفعُ بالفكرِ في هذه الآياتِ إلَّا المؤمنون، خُصُّوا بالذكر، وإن كانت آياتٍ لهم ولغيرهم.

«ويوم يُنْفَخُ في الصور» تقدَّمَ القولُ في الصُّور في سورة الأنعام، وهذه النفخةُ هي نفخةُ الفَزَع، ورَوى أبو هريرة أنَّ المَلَكَ له في الصُّور ثلاثُ نفخات؛ نفخةُ الفَزَع، وهو فزعُ حياة الدنيا، وليس بالفزعِ الأكبر، ونفخةُ الصعق، ونفخة القيام من القبور[٢].

وقيل: نفختان، جعلوا الفزعَ والصعقَ نفخةً واحدةً، واستدلُّوا بقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾[٣] [الزمر: ٦٨]. ويأتي الكلامُ في ذلك إن شاء الله تعالى.

وقال صاحب «الغنيان»: و«يومَ يُنفخُ في الصُّور» للبعث مِنَ القبور والحشر.

---

(١) في (أ) و(ع): الحدين، وفي (ت): الحرفين.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٢. وحديث أبي هريرة قطعة من حديث طويل، أخرجه إسحاق بن راهويه (١٠)، والطبري ٨/ ١٣٢-١٣٣، ١٣٤، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٨-٢٩٣٢ (١٦٦٢١)، (١٦٦٢٧)، (١٦٦٢٨)، (١٦٦٢٩)، والطبراني في الطوال (٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٨)، ومداره ـ كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٣٦٨ ـ على إسماعيل بن رافع. قال ابن حجر: واضطرب في سنده مع ضعفه، فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارةً بلا واسطة، وتارةً بواسطة رجلٍ مبهم ومحمد عن أبي هريرة، وتارة بلا واسطة، وتارة بواسطة رجل من الأنصار مبهم أيضاً. انتهى.

وذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأنعام ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحدٍ من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلّاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت (القائل ابن كثير): وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريبٌ جداً، ويقال: إنَّه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٧-٢١٨.

وعبَّر هنا بالماضي في قوله: «ففَزِعَ»، وإن كان لم يقع إشعاراً بصحَّة وقوعه، وأنَّه كائنٌ لا محالة، وهذه فائدةُ وضع الماضي موضعَ المستقبل[١]، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ بعد قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [هود: ٩٨].

«إلا من شاء الله» أي: فلا ينالُهم هذا الفزعُ لتثبيت الله قلبَه. فقال مقاتل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، وإذا كان الفزعُ الأكبر لا ينالُهم، فهم حَرِيُّون أنْ لا ينالُهم هذا[٢]. وقال الضحَّاك: الحورُ العين وخزنةُ النار وحملةُ العرش. وعن جابر: منهم موسى لأنَّه صَعِقَ مرَّةً[٣]. وقال أبو هريرة: هم الشهداءُ[٤]، ورواهُ أبو هريرة حديثاً، وهو أنَّهم هم الشهداءُ عندَ ربهم يرزقون[٥]، وهو قولُ ابنِ جبير، قال: هم الشهداء متقلِّدو السيوفِ حولَ العرش[٦]. وقيل: هم المؤمنون؛ لقوله: «وهم مِنْ فَزَعٍ يومئذٍ آمنون».

قال بعضُ العلماء: ولم يرد في تعيينهم خبرٌ صحيح، والكلُّ محتمل. قال القرطبيُّ: خفيَ عليه حديثُ أبي هريرةَ، وقد صحَّحهُ القاضي أبو بكر بن العربي، فيعوَّلُ عليه في التعيين، وغيرُه اجتهادٌ[٧].

وهذا النَّفْخُ هو حقيقةٌ، إمَّا في القَرْنِ وإمَّا في الصُّور، وهو قولُ الأكثرين. وقيل: يجوزُ أن يكونَ تمثيلاً لدعاء الموتى، فإنَّ خُروجَهم مِنْ قبورهم كخروجِ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٢.

(٣) قولا الضحاك وجابر من الكشاف ٣/ ١٦١.

(٤) أخرجه الطبري ١٨/ ١٣٥.

(٥) هو قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ الطويل وسلف تخريجه قريباً.

(٦) أخرجه النحاس في معاني القرآن ٥/ ١٤٩.

(٧) تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٩، وتصحيح القرطبي وابن العربي معارَضٌ بتضعيف غيرهم، فقد ضعفه البيهقي وعبد الحق. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٣٦٨-٣٦٩: مدار إسناده على إسماعيل بن رافع، وقد اضطرب في سنده مع ضعفه.
وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في «سراجه»، وتبعه القرطبي في التذكرة ١/ ١٧٣، وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي. انتهى. وسلف الكلام عنه قريباً.

الجيش عند سماع الصوت[١]، فيكونُ ذلك مجازاً. والأوَّلُ قولُ الأكثرين، وهو الصوابُ لكثرةِ ورودِ النفخ في الصُّوْرِ في القرآن وفي الحديث الصحيح.

وقيل: «ففزِعَ» ليسَ من الفزع بمعنى الخوف، وإنَّما معناه: أجابَ وأسرعَ إلى النداء[٢].

«وكلٌّ أتوه» المضافُ إليه «كلّ» محذوفٌ تقديرُه: وكلُّهم.

وقرأ الجمهور: «آتوه» اسم فاعل، وعبدُ الله وحمزةُ وحفص: «أتوه» فعلاً ماضياً[٣]، وفي القراءتين رُوعيَ معنى «كلّ» من الجمع، وقتادة: «أتاه»[٤] فعلاً ماضياً مسنداً لضمير «كلّ» على لفظها وجمع «داخرين» على معناها.

وقرأ الحسن والأعمش: «دَخِرين» بغير ألف[٥].

قيل: ومعنى «آتوه»: حاضرون[٦] الموقفَ بعد النفخةِ الثانية، ويجوزُ أن يُرَاد رجوعُهم إلى أمره وانقيادُهم له[٧].

«وترى الجبال» هو من رؤية العين «تحسبُها» حالٌ من فاعل «ترى»، أو من الجبال. و«جامدةً» من: جَمَدَ مكانه، إذا لم يبرحْ مِنه.

وهذه الحالُ للجبال عقيبَ النفخ في الصُّور، وهي أوَّلُ أحوال الجبالِ، تموجُ وتسيرُ، ثم ينسفُها اللهُ فتصيرُ كالعهن، ثمَّ تكونُ هباءً منبثاً في آخر الأمر[٨].

«وهي تمر مرَّ السحاب» جملةٌ حاليَّةٌ، أي: تحسبُها في رأي العينِ ثابتةً مقيمةً في أماكنها، وهي سائرةٌ، وتشبيهُ مرورها بمرِّ السحابِ؛ قيل: كونها تمرُّ مرًّا حثيثاً

---

(١) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٢٠.
(٢) في (أ) و(ت) والمطبوع: البقاء. وانظر النكت والعيون ٤/ ٢٢٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٢، وقراءة حمزة وحفص في السبعة ص٤٨٧، والتيسير ص١٦٩، وهي قراءة خلف من العشرة. انظر النشر ٢/ ٣٣٩.
(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١١١، والمحتسب ٢/ ١٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧٢.
(٥) القراءة عن الحسن في مختصر في شواذ القرآن ص١١١، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧٢.
(٦) في (ت) و(ع): حاضرين.
(٧) الكشاف ٣/ ١٦١-١٦٢.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣.

كما مرَّ السحابُ، وهكذا الأجرامُ العِظَامُ المتكاثرةُ العدد إذا تحرَّكَت لا تكادُ تَبِينُ حركتُها، كما قال النابغة الجَعْديُّ في صفة جيشٍ:

بأرْعَنَ مثلِ الطَّودِ تحسبُ أنَّهم ... وقوفٌ لحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[1]

وقيل: شبَّه مرورَها بمرِّ السحاب في كونها تسيرُ سيراً وسطاً، كما قال الأعشى:

كأنَّ مِشيتَها من بيتِ جارتها ... مرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ[2]

وحسبانُ الرائي الجبالَ جامدةً مع مرورها؛ قيل: لهول ذلك اليوم، فليس له ثبوتُ ذهنٍ في الفكر في ذلك حتَّى يتحقَّق كونَها ليست بجامدة. وقال أبو عبد الله الرازي: الوجهُ في حسبانهم أنَّها جامدة أنَّ الأجسامَ الكبارَ إذا تحرَّكت حركةً سريعةً على نهجٍ واحدٍ في السَّمْتِ، ظنَّ الناظرُ إليها أنَّها واقفةٌ وهي تمرُّ مرًّا حثيثاً. انتهى[3].

وقيل: وصف تعالى الجبال بصفاتٍ مختلفةٍ ترجعُ إلى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه، فأوَّلُ الصفات ارتجاجها[4]، ثمَّ صيرورتُها كالعهن المنفوش، ثمَّ كالهباءِ بأنْ تتقطَّعَ بعد أنْ كانت كالعهن، ثمَّ نسفُها، وهي مع الأحوال المتقدِّمة قارَّةٌ في مواضعِها والأرضُ غير بارزةٍ، وبالنسفِ برزت، ونسفُها بإرسال الرياح عليها، ثم تطييرُها[5] بالريح في الهواء كأنَّها غبار، ثمَّ كونُها سراباً، فإذا نظرتَ إلى مواضعها، لم تجد فيها منها شيئاً، كالسراب. وقال مقاتل: بل تقعُ على الأرض فتُسوَّى بها[6].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٦٢، والبيت في ديوان النابغة الجعدي ص١٨٧. والجيش الأرعن: المضطرب لكثرته. وتهملج من الهملجة، وهو حسن سير الدابة في سرعة. اللسان (رعن) و(هملج).

(٢) ديوان الأعشى ص٥٥.

(٣) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٢٠.

(٤) في (ت): ارتجاعها. وفي تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢١: فأول الصفات الاندكاك.

(٥) في (ت) و(يه): تطيرها. ونص العبارة في تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢١. والكلام منه: والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعاً في الهواء.

(٦) قال فادي ـ كان الله له ـ: ويحتمل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أن تكون من

وانتصب «صنع الله» على أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة التي تليها، فالعامل فيه مضمرٌ من لفظه، وقال الزمخشريُّ: صنعَ الله من المصادر المؤكَّدة، كقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ إلَّا أنَّ مؤكِّدَهُ محذوفٌ، وهو الناصبُ لـ «يوم ينفخ»، والمعنى: ويومَ ينفخُ في الصور وكان كيت وكيت، أثابَ اللهُ المحسنينَ وعاقبَ المجرمين، ثمَّ قال: «صُنْعَ الله» يريدُ به الإثابةَ والمعاقبةَ، وجعلَ هذا الصنعَ من جملةِ الأشياءِ التي أتقنَها وأتى بها على الحكمةِ والصواب، حيث قال: «صُنْعَ الله الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ» يعني أنَّ مقابلتَه الحسنةَ بالثواب والسيئةَ بالعقابِ مِنْ جُملة إحكامِه للأشياء وإتقانه لها وإجرائِه لها على قضايا الحكمةِ، إنَّه عالمٌ بما يَفْعَلُ العبادُ وبما يَستوجبونَ عليه، فيكافئُهم على حَسب ذلك، ثمَّ لخصَ ذلك بقوله: «مَنْ جاء بالحسنة فله» إلى آخر الآيتين، فانظرْ إلى بلاغة هذا الكلامِ وحُسْنِ نظمِه وترتيبِه، ومكانةِ إضمارِه ورصانة تفسيره، وأخذِ بعضِه بحُجْزةِ بعض، كأنَّما أُفْرِغَ إفراغاً واحداً، ولأمرٍ ما أعجزَ القُوَى وأخرسَ الشَّقاشِقَ، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيبَ كلامٍ، جاء كالشاهد لصحَّتِهِ والمنادي على سَدَاده، وأنَّه ما كان ينبغي أنْ يكون إلَّا كما كان، ألا ترى إلى قوله: «صنع الله» و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ بعد ما وسمها[1] بإضافتها إليه بسمة[2] التعظيم، كيف تلاها بقوله: «الذي أتقن كل شيءٍ» ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

= جملة مخاطبة الله للناس في موقف الحشر، وإقامة الحجج عليهم، فتكون معطوفة على قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ثم يذكرهم بالفزع من نفخة الصور ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ثم عاد إلى الاحتجاج عليهم بآياته العظام ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وهو سبحانه وتعالى يبين لنا أن الأرض التي نقف عليها ونراها هامدة متحركةٌ، والجبالَ الرواسي الشامخة التي يظن الناظر إليها أنها ساكنة هي في الحقيقة تسير، وهذا الذي أظهره العلم الحديث، من دوران الأرض حول الشمس، وبينه الله في كتابه العزيز للناس قبل ذلك، ليكون من دلائل الإعجاز وأعلام النبوة المتجددة التي يراها الناس كل يوم، فالحمد لله الذي هدانا وجعل آياته مبثوثة في كتابه ومن حولنا، فهو الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: رسمها، وفي (ح): سمها. والمثبت من (ت) و(يه) والكشاف.

(٢) في (ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: تسمية.

يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١] ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠]. انتهى[١].

وهذا الذي ذكرَه من شقاشِقه وتكثيره في الكلام واحتياله في إدارة ألفاظ القرآن لما عليه[٢] من مذاهب المعتزلة.

والذي يظهرُ أنَّ «صنع الله» مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة السابقة، وهي جملةُ الحال، أي: صُنْعُ الله بها ذلك، وهو قلعُها من الأرض ومرُّها مرًّا مثلَ مرِّ السحاب. وأمَّا قولُه: إلَّا أنَّ مؤكِّدَهُ محذوفٌ، وهو الناصب لـ «يوم ينفخُ» إلى قوله: «صنع الله» يريدُ به الإثابة والمعاقبة. فذلك لا يصحُّ؛ لأنَّ المصدرَ المؤكِّد لمضمونِ الجملة لا يجوزُ حذفُ جملته؛ لأنَّه منصوبٌ بفعلٍ من لفظه، فيجتمعُ حذفُ الفعلِ الناصب، وحذفُ الجملة التي أُكِّدَ مضمونُها بالمصدر، وذلك حذفٌ كثيرٌ مُخِلٌّ، ومن تتبعَ مساقَ هذه المصادر التي تؤكِّدُ مضمونَ الجملة، وجد الجملَ مصرَّحاً بها، لم يرد الحذف في شيءٍ منها؛ إذ الأصلُ أن لا يحذفَ المؤكَّد، إذ الحذفُ ينافي التوكيد؛ لأنَّه من حيث أُكِّدَ معتنًى به، ومن حيث حُذِفَ غيرُ معتنًى به.

وقيل: انتصبَ «صنع الله» على الإغراء، بمعنى: انظروا صنعَ الله[٣].

وقرأ العربيَّان وابنُ كثير: «يفعلون» بالياء، وباقي السبعة بتاء الخطاب[٤].

ولمَّا ذكرَ علامات القيامة، ذكرَ أحوال المكلَّفين بعد قيام الساعة.

و«الحسنة»: الإيمان، وقال ابن عباس والنخعيُّ وقتادة: هي لا إله إلا الله[٥].

ورتَّب على مجيء المكلَّفِ بالحسنة شيئين؛ أحدهما: أنَّه له خيرٌ منها. ويَظهرُ أنَّ «خيراً» ليس أفعل تفضيل، و«مِنْ» لابتداء الغاية، أي: له خيرٌ من الخُيور مبدؤُه ونشؤه[٦] منها، أي: من جهة هذه الحسنة، والخير هنا هو الثواب. وهذا قول

(١) الكشاف ٣/ ١٦٢.
(٢) في (ح): ولما هو عليه.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣.
(٤) السبعة ص٤٨٧، والتيسير ص١٦٩، والعربيان أبو عمرو وابن عامر، لكن اختلف عن ابن عامر فقرأ هشام بالياء، وابن ذكوان بالتاء.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣. وأقوالهم أخرجها الطبري ١٨/ ١٤٠-١٤٢.
(٦) في (ت) و(ع) و(يه): ومنشؤه.

الحسنِ وابن جريج وعكرمة، قال عكرمة: ليس شيءٌ خيراً من لا إله إلا الله[١]، يريد أنَّها ليست أفعل التفضيل. وقيل: أفعل التفضيل، فقال الزمخشريُّ «فله خيرٌ منها» يريدُ الإضعاف، وأنَّ العملَ ينقضي والثوابَ يدومُ، وشَتَّان ما بينَ فعلِ العبد وفعل السيِّد. انتهى[٢].

وقوله: وشتَّان ما بين فعل العبد وفعل السيد تركيبٌ مختلَفٌ فيه، فبعضُ العلماء منعَه، والصحيحُ جوازه.

وقال ابنُ عطية: يحتملُ أن يكون للتفضيل، ويكون في قوله: «منها» حذفُ مضافٍ تقديره: خيرٌ من قَدْرِها واستحقاقِها، بمعنى أنَّ اللهَ تعالى تَفَضَّل عليه فوقَ ما تستحقُّ حسنتُه. قال ابن زيد: يعطي بالواحدة عشراً، والداعيةُ إلى هذا التقدير أنَّ الحسنةَ لا يُتَصوَّرُ بينها وبين الثوابِ تفضيلٌ. انتهى[٣].

وقيل: ثوابُ المعرفة الحاصلة في الدُّنيا هي المعرفةُ الضروريَّةُ الحاصلةُ في الآخرة، ولذَّةُ النظرِ إلى وجهه الكريم، وقد دلَّتِ الدلائلُ على أنَّ أشرفَ السعاداتِ هي هذه اللذَّةُ، ولو لم تحمل الآية على ذلك، لزمَ أن يكون الأكلُ والشربُ خيراً من معرفة الله تعالى، وذلك لا يكون[٤].

وقرأ الكوفيُّون: «مِنْ فَزَعٍ» بالتنوين[٥]، و«يومئذٍ» منصوبٌ على الظرف، معمولٌ لقوله: «آمنون»، أو لـ «فزعٍ»، ويدلُّ على أنَّه معمولٌ له قراءةُ مَنْ أضافه إليه، أو في موضع الصفة لـ «فزع» أي: كائن في ذلك الوقت.

وقرأ باقي السبعة بإضافة «فزع» إلى «يومِئذٍ» فكسَر الميم العربيَّان وابنُ كثير وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وفتحَها بناءً لإضافته إلى غير متمكِّن نافعٌ في غير روايةِ إسماعيل[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣، وأقوالهم أخرجها الطبري ١٨/ ١٤٣-١٤٤.
(٢) الكشاف ٣/ ١٦٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١٨/ ١٤٤.
(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٢١.
(٥) السبعة ص٤٨٧، والتيسير ص١٧٠، والكوفيون عاصم وحمزة والكسائي.
(٦) وهي القراءة المتواترة عنه من طريق ورش وقالون وغيرهما. انظر السبعة ص٤٨٧، والتيسير ص١٧٠.

والتنوين في «يومئذ» تنوينُ العوض، حُذِفت الجملةُ وعُوِّضَ منها، والأَوْلى أن تكونَ الجملةُ المحذوفةُ ما قربَ من الظرف، أي: يوم إذ جاء بالحسنةِ، ويجوزُ أنْ يكونَ التقدير: يومَ إذ ترى الجبالَ، ويجوزُ أن يكونَ التقديرُ: يوم إذ ينفخ في الصور، ولاسيَّما إذا فُسِّر بأنَّه نفخُ القيامِ من القبور للحساب، ويكون الفزعُ إذ ذاك واحداً.

وقال أبو عليٍّ[١] ما معناه: «من فزع» بالتنوين أو بالإضافة، ويجوزُ أنْ يُرَاد به فزعٌ واحدٌ، وأن يرادَ به الكثرةُ؛ لأنَّه مصدرٌ، فإنْ أُرِيدَ الكثرة شَمِلَ كلَّ فزعٍ يكونُ في القيامة، وإن أُريدَ الواحدُ فهو الذي أُشيرَ إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما الفرقُ بين الفَزعَين؟ قلت: الفزعُ الأوَّل ما لا يخلو منه أحدٌ عند الإحساس بشدَّةٍ تقعُ وهولٍ يفجأ مِنْ رعب وهيبة، وإن كانَ المُحْسِن يأمنُ لحاقَ الضَّرر به، والثاني الخوفُ من العذاب. انتهى[٢].

والسيئة: الكفرُ والمعاصي فيمَن[٣] حتمَ الله عليه من أهل المشيئة بدخول النار.

وخُصَّتِ الوجوهُ إذ كانت أشرفَ الأعضاء، ويلزمُ من كبِّها في النار كبُّ الجميع، أو عبَّر بالوجه عن جملة الإنسان، كما يعبَّرُ عنها بالرأس والرقبة، كما قال: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ [الشعراء: ٩٤]، فكأنَّه قيل: فكبُّوا في النَّار، والظاهرُ من «كُبَّت» أنَّهم يُلْقَونَ في النار منكوسين ـ قاله أبو العالية ـ أعلاهم قبلَ أسفلهم، ويجوزُ أن يكون ذلك كنايةً عن طرحهم في النار، قاله الضحاك.

«هل تجزون» خطابٌ لهم على إضمار القول، أي: يقال لهم وقتَ الكبِّ: «هل تُجْزَون».

ثمَّ أمرَ تعالى نبيَّهُ أنْ يقولَ: «إنَّما أُمِرتُ» والآمرُ هو اللهُ تعالى على لسان جبريل، أو دليلُ العقل على وحدانيَّة الله تعالى. «أن أعبد» أي: أُفْرِدَه بالعبادة، ولا أتَّخِذَ معه شريكاً كما فعلت قريش، و«هذه» إشارةُ تعظيم، كقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

---

(١) في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٩.
(٢) الكشاف ٣/ ١٦٢.
(٣) في (أ) و(ت) و(ع): فمن، وفي (ح) والمطبوع: ممن، والمثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٢٧٤.

أَنزَلْنَهُ﴾ [الأنعام: ٩٢] ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] من حيث هي موطنُ نبيِّه ومهبطُ وحيه.

و«البلدة»: مكَّة، وأسندَ التحريم إليه تشريفاً لها واختصاصاً، ولا تعارضَ بين قوله: «الذي حَرَّمها»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ إبراهيم حرَّم مكة، وإنّي حَرَّمْتُ المدينةَ»(١)؛ لأنَّ إسنادَ ذلك إلى الله من حيث كان بقضائه وسابقِ علمه، وإسنادَه إلى إبراهيم من حيثُ كان ظهورُ ذلك بدعائه ورغبته وتبليغِه لأمَّته.

وفي قوله: «حرَّمها» تنبيهٌ بنعمتِه على قريش، إذ جعلَ بلدتَهم آمنةً من الغاراتِ والفتنِ التي تكونُ في بلاد العرب(٢)، وأهلكَ من أرادها بسوء.

وقرأ الجمهور: «الذي» صفَةً للربّ، وقرأ ابن مسعود وابنُ عباس: «التي حرَّمها»(٣) صفةً لـ «البلدة».

ولـمَّا أخبرَ أنَّه مالكُ هذه البلدة، أخبرَ أنَّه يَمْلِكُ كلَّ شيءٍ، فقال: «وله كل شيء» أي: جميعُ الأشياء داخلةٌ في ربوبيته، فشُرِّفَت البلدةُ بذكرِ اندراجِها تحتَ ربوبيَّته على جهةِ الخصوص وعلى جهة العموم.

«وأُمِرْتُ أن أكونَ من المسلمين» أي: المُسْتَسلِمِين المنقادين لأمرِ الله، فأعبُدُه كما أمرني، أو مِنَ الحنفاءِ الثابتين على ملَّة الإسلام المشارِ إليهم في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

«وأنْ أتلوَ القرآن» إمَّا من التلاوة، أي: وأن أتلوَ عليكم القرآن، وهذا الظاهر، إذ بعده التقسيمُ المناسبُ للتلاوة، وإمَّا من التلوّ(٤)، أي: وأنْ أتَّبعَ القرآن، كقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ١٠٩].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٦٢) من حديث جابر ﷺ.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٤، ونسبها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن ص١١١ لابن مسعود، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٩٨ لابن مسعود وأبي عمران الجوني، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٢٦ لابن عباس ﷺ.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: المتلو. والمثبت من (يه) والكشاف ٣/ ١٦٣، والدر المصون ٨/ ٦٤٧، وهي غير واضحة في (ت).

وقرأ الجمهور: «وأن أتلوَ» وقرأ عبدُ الله: «وأنِ اتْلُ» بغيرِ واو أمراً[1] من تلا، فجازَ أن تكون «أنْ» مصدريَّةً وُصِلَت بالأمر، وجاز أنْ تكونَ مفسِّرةً على إضمار: وأمرت أنْ أتلُ، أي: اتلُ.

وقرأ أبيّ: «واتلُ هذا القرآن»[2] جعلَهُ أمراً دون «أن».

«فمن اهتدى» به ووحَّدَ الله تعالى، وآمنَ بما جاء به نبيُّه ﷺ فثمرةُ[3] هدايتِه مختصَّةٌ به. «ومن ضلَّ» فوبالُ ضلاله[4] مختصٌّ به، وحُذِفَ جوابُ «من ضلَّ» لدلالة جوابِ مقابلِهِ عليه، أو يقدَّرُ في قوله: «فقل إنَّما أنا من المنذرين» ضميرٌ حتَّى يَرْبِطَ الجزاءَ بالشرط، إذ أداةُ الشرط اسمٌ وليس ظرفاً، فلا بدَّ في جملة الجوابِ من ذِكْرٍ يعود عليه ملفوظٍ به أو مقدَّر، فتكون هذه الجملةُ هي جوابَ الشرط، ويقدَّرُ الضميرُ «من المنذرين» له، ليس عليَّ إلَّا إنذارُه، وأما هدايتُه فإلى الله.

«وقل الحمد لله» أُمِرَ أنْ يقولَ ذلك فيحمدَ ربَّه على ما خصَّه به من شرَفِ النبوَّة والرسالةِ، واختصَّه به من رفيع المنزلة.

«سيريكم آياته» تهديدٌ لأعدائه بما يريهم اللهُ من آياته التي تضطرُّهم إلى معرفتها والإقرارِ أنَّها آياتُ الله، قال الحسن: وذلك في الآخرة حتى لا تنفعُهم المعرفة، وقال الكلبيُّ: في الدُّنيا، وهي الدخانُ وانشقاقُ القمرِ وما حلَّ بهم من نقمات الله[5]. وقيل: يوم بدر[6]. وقيل: خروجُ الدابَّة ولو بعد حين. وقيل: آياته

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٤، وهي في مختصر في شواذ القرآن ص١١١ عن ابن مسعود وأبيّ.
(٢) حرف أبيّ في مختصر في شواذ القرآن ص١١١، والكشاف ٣/ ١٦٣: «واتل عليهم هذا القرآن». وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٨١ عن أبيّ أنه قرأ: «واتل عليهم القرآن».
(٣) في (أ) و(يه): فمن اهتدى به وحد الله ونبيه وآمن بما جاء به فثمرة. وفي (ع): فمن اهتدى به ووحد الله ونبيه وآمن بما جاء به فثمرة. ومثلها في (ت) لكن جاء بياض موضع: ونبيه، والمثبت من (ح).
(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: إضلاله.
(٥) الكشاف ٣/ ١٦٣.
(٦) هو قول مقاتل، كما في زاد المسير ٦/ ١٩٨.

في أنفسكم وفي سائر ما خلق[1]، مثل قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقيل: معجزات الرسول، وأضافَها إليه؛ لأنَّه هو مجريها[2] على يدي رسولِهِ ومظهرُها من جهته.

«فتعرفونها» أي: حقيقتها ولا يسعكُم جُحودها.

وقرأ الجمهور: «عمَّا يعملون» بياء الغيبة التفاتاً من ضمير الخطابِ إلى ضمير الغيبة، ونافع وابنُ عامر بتاء الخطاب[3]؛ لقوله: «سيريكم»، ولمَّا قسمهم إلى مهتدٍ وضالٍّ، أخبر تعالى أنَّه محيطٌ بأعمالهم غيرُ غافلٍ عنها.

❁ ❁ ❁

تمَّ الجزء السادس عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء السابع عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾،

من أول سورة القَصَص

---

(١) هو قول مجاهد، أخرجه عنه الطبري ١٨/١٤٨، وابن أبي حاتم ٩/٢٩٣٧ (١٦٦٥٨).

(٢) في (ت): محدثها.

(٣) وهي أيضاً قراءة حفص عن عاصم. السبعة ص٤٨٨، والتيسير ص١٢٦.

فهرس الآيات

سورة النور . . . .

● **مفردات الآيات (١-٢٦) من قوله تعالى :** ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (١)﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم (٢٦)﴾ ٥

تفسير قوله تعالى : ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (١) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين (٢) الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (٣) والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون (٤) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٥) والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين (٦) والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين (٧) ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين (٨) والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين (٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠)﴾ ٦

تفسير قوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠) إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين (١٢) لولا جاءو عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣) ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم (١٤) إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم (١٥) ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم (١٦) يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين (١٧) ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (١٨) إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم (٢٠)﴾ ٣٥

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم (٢١) ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢) إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم (٢٣) يوم تشهد عليهم ألسنتهم

وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿٢٤﴾ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين
﴿٢٥﴾ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون
مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴿٢٦﴾﴾ ٤٥

• مفردات الآيات (٢٧-٦٤) من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ألا
إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا
والله بكل شيء عليم ﴿٦٤﴾﴾ ٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴿٢٧﴾ فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم
وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴿٢٨﴾ ليس عليكم جناح أن تدخلوا
بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴿٢٩﴾ قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴿٣٠﴾ وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن
ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء
بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو
التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿٣١﴾﴾ ٥٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله والله واسع عليم ﴿٣٢﴾ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي
آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من
بعد إكراههن غفور رحيم ﴿٣٣﴾ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
وموعظة للمتقين ﴿٣٤﴾﴾ ٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء
عليم ﴿٣٥﴾ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴿٣٦﴾ رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والأبصار ﴿٣٧﴾ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿٣٨﴾﴾ ٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم
يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴿٣٩﴾ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور ﴿٤٠﴾﴾ ٩٨

تفسير قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون (41) ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير (42) ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (43) يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (44) والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (45) لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (46)﴾ ١٠٥

تفسير قوله تعالى : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (47) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (48) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (49) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (50) إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (51) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (52) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون (53) قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (54) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (55) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (56) لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير (57)﴾ ١١٦

تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (58) وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم (59) والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم (60) ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (61)﴾ ١٢٧

تفسير قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك

لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم (٦٢) لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر
الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) ألا إن لله ما في السموات
والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)﴾ ١٣٩

سورة الفرقان ....

● مفردات سورة الفرقان ١٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (١) الذي له ملك
السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا (٢)
واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا
يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا (٣) وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم
آخرون فقد جاءو ظلما وزورا (٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة
وأصيلا (٥) قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما (٦) وقالوا مال
هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا (٧)
أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا
مسحورا (٨) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (٩) تبارك الذي إن
شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا (١٠) بل كذبوا
بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (١١) إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا (١٢) وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣) لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبورا كثيرا (١٤) قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء
ومصيرا (١٥) لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا (١٦)﴾ ١٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي
هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (١٧) قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء
ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا (١٨) فقد كذبوكم بما تقولون فما
تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا (١٩) وما أرسلنا قبلك من
المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
أتصبرون وكان ربك بصيرا (٢٠) وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا
لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتوا كبيرا (٢١) يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون
حجرا محجورا (٢٢) وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢٣) أصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا وأحسن مقيلا (٢٤)﴾ ١٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (٢٥) الملك يومئذ الحق للرحمن
وكان يوما على الكافرين عسيرا (٢٦) ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا (٢٧) يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (٢٨) لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان

ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا (٢٩) وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ
عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا
جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)﴾ ١٨٦
تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ
إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ
وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ
ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ
مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا
هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ
وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ
عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
سَبِيلًا (٤٤)﴾ ١٩٧
تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ
ٱلنَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا
(٤٨) لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟
فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا (٥٥) وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا
(٥٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا (٥٨) ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا
(٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾ ٢٠٧
تفسير قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا (٦٣) وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَٰمًا (٦٤) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَٱلَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا
كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ
الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)﴾ . . . ٢٢٨

سورة الشعراء

• مفردات الآيات (١-١٠٤) من قوله تعالى: ﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾ إلى
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ ٢٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)
إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا
كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)
وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن
يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)﴾ ٢٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي
فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي
رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا
تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)﴾ ٢٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)
فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا
هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا
لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا
آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي

عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥١)﴾ ٢٨٤
تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن
جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا
تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا
مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦٨)﴾ ٢٨٩
تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا
فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ
هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (٨٤) وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨)
إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا
كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٨)
وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ ٢٩٩
• **مفردات الآيات (١٠٥-٢٢٧) من قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥)﴾ إلى قوله**
تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ ٣١٦
تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ
حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ
تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن
مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٢)﴾ ٣١٩
تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
(١٢٥) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ

رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ
هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)﴾ ٣٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ
فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)﴾ ٣٢٩

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا
يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
(١٧٥)﴾ ٣٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا
الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥)
وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)﴾ ... ٣٣٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ
سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥)

ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩)﴾ ٣٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ ٣٥٦

سورة النمل . . . .

● **مفردات الآيات (١-٤٤) من قوله تعالى**: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١)﴾ **إلى قوله تعالى**: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾ ٣٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾ ٣٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ ٣٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ

بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ
وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ
﴿٢٨﴾﴾ ٤٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً
أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ
ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ
صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ٤٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ
وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ
تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ٤٣٣

• **مفردات الآيات (٤٥-٩٣) من قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ
وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ٤٤٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى
ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ
بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ٤٤٩

تفسير قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا
كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا
وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ
يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ
بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ٤٦١

تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ
وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا
يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ٤٧٨

تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا
ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن
شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ . . . ٤٨٨